بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات الإسلامية

الاستبـــــداد ومنهـــج التربيـــــة الإسلاميـــــة فـــي التصـــدي لـــــــه وقايـــــةً وعلاجـــــاً

إعـــــــداد

رغدة عقلة بادي القصاص

إشـــــــــراف

أ.د محمد عقلة الإبراهيم

حقل التخصص

التربية الإسلامية

١٤٢٠هـ - ٢٠٠١م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

الاستبداد ومنهج التربية الإسلامية في التصدي له وقايةً وعلاجاً

إعداد

رغدة عقلة بادي القصاص

بكالوريوس أصول دين، جامعة اليرموك، 2003

ماجستير أصول دين، جامعة اليرموك، 2005

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة دكتوراة الفلسفة في تخصص التربية الإسلامية في جامعة اليرموك، إربد- الأردن.

وافق عليها

أ.د محمد عقله الإبراهيم.....مشرفاً ورئيساً

أستاذ في الفقه المقارن/ جامعة اليرموك

أ.د ماجد عرسان الكيلاني .....عضواً

أستاذ في التربية الإسلامية/ جامعة اليرموك

أ.د حسين جابر بني خالد..... عضواً

أستاذ في العقيدة الإسلامية /جامعة اليرموك

د. غازي ربابعة .....عضواً

أستاذ مشارك في العلوم السياسية/ الجامعة الأردنية

د. علي جبران .....عضواً

أستاذ مساعد في الإدارة التربوية / جامعة اليرموك

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

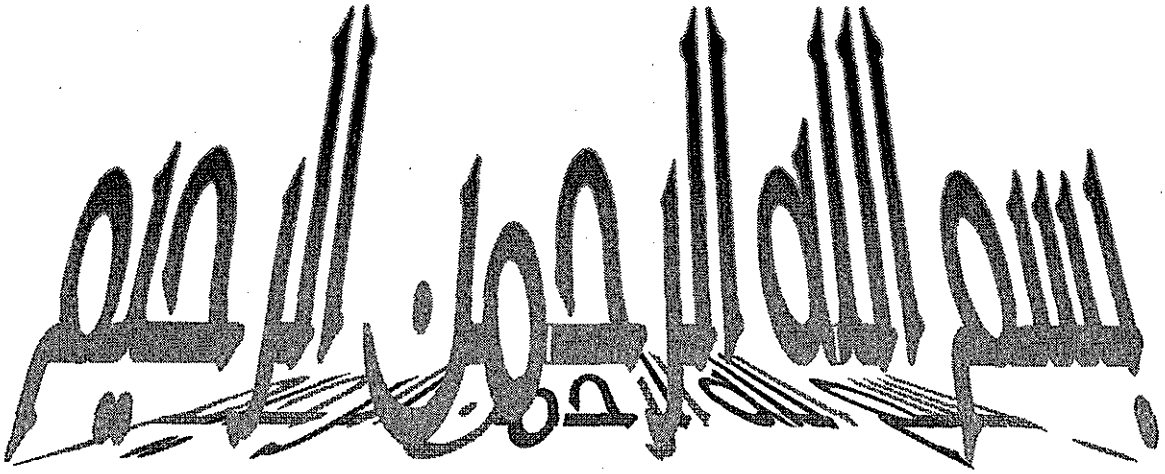

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

الإهـــــــــداء

إلى من كللوا بغار الأرض جبينهم، وأضاؤوا لي دربي، رمز العطاء والتضحية، نبع المحبة والحنان والأمل والتفاؤل، من علموني الصبر والكفاح، وسهروا لراحتي، وغمروني برعايتهم، وتمنوا أن يروني أحمل الشهادة الكبرى، إلى من كان البر لهم واجباً.....

والـدي ... ووالـدتي متمنيـاً لهـم عمـراً طـويلاً زاخـراً بـالخير والسعادة.....

إلى من شجعني وانتظر يوم تخرجي، وتمنيت أن يكون معي

عمي رحمه الله وغفر له.....

إلى من شكرت الله على وجودي بينهم، النجوم التي تضيء سماء عمري، أجنحتي التي أحلق بها.....

إخوانـي وأخواتـي.....

وأخص بالذكر أخي رياض الذي وقف إلى جانبي، ووفر لي الدعم المتواصل، وأمدني بالطاقة على المضي في طريق النجاح، فاملولى أسال أن يوفقه في الدارين، وأن يبارك فيه.....

إلى من عرفوا مرارة الاستبداد، واكتووا بناره، وهم يتطلعون إلى فجر جديد، ويرغبون بالإصلاح في كل زمانٍ ومكان.....

إلى هؤلاء جميعاً أهدي ثمرة جهدي

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين، احمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأصلي وأسلم على رسوله الكريم، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،

فالشكر لله تعالى الذي مَنّ عليّ بتوفيقه، وتيسيره لإنجاز هذه الدراسة وإتمامها، أساله سبحانه وتعالى أن يجعل جهدي في ميزان حسناتي يوم ألقاه.

وأتقدم بالشكر لأستاذي الفاضل الدكتور محمد عقلة الذي أتحفني بتوجيهاته السديدة، ومتابعته المستمرة، وملاحظاته القيمة، باذلاً كل ما في وسعه لإخراج الرسالة على الوجه اللائق بموضوعها، فالله أسال أن يسبغ عليه نعمه، ويزيده من فضله وعلمه، وأن يجعله دوماً نبعاً للعطاء المتواصل، وأن ينفع به الأمة.

والشكر الموصول لأعضاء لجنة المناقشة تبجيلاً واحتراماً لمكانتهم العلمية، وتقديراً لجهودهم في قراءتهم هذا العمل، وبما يفيضونه عليه من معلومات ثرية، وفوائد جمَة، لإثرائه - بإذن الله-.

ولا يفوتني أن أوجه شكري وتقديري لأستاذيَ إحسان العتيبي، ومحمد الجمل، اللذين أثارا في نفسي التساؤلات، وحفزا الهمة، ولم يبخلا علي بنصحٍ ورأيٍ سديد، ولم يدخرا جهداً في تقديم العون والمساعدة متى احتجت ذلك ، ودعوا لي بالتوفيق من الله، وعلماني أن الحرية هي الحياة، والحياة لا تكون إلا في العمل والبناء فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وأسال الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا، وأن يزدنا علماً، إنهُ ولي ذلك والقادر عليه.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

فهرس المحتوى

الموضوع.....	الصفحة
الإهداء.....	د
الشكر والتقدير.....	ه
فهرس المحتوى.....	و
الملخص.....	ل
المقدمة.....	١
مشكلة الدراسة.....	٣
أهمية الدراسة.....	٤
محددات الدراسة	٥
أهداف الدراسة.....	٥
منهجية الدراسة.....	٦
مصطلحات الدراسة.....	٦
الدراسات السابقة.....	٧
الفصل الأول: مفهوم الاستبداد وجذوره وأشكاله	
المبحث الأول: مفهوم الاستبداد.....	١٦
المطلب الأول: الاستبداد لغةً واصطلاحاً.....	١٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثاني: الاستبداد كما يعرضه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.	٢١
المطلب الثالث: مصطلحات ذات صلة.....	٢٨
المبحث الثاني: جذور الاستبداد.....	٤٢
المطلب الأول: الجذور التاريخية.....	٤٢
المطلب الثاني: الجذور الثقافية.....	٤٨
المبحث الثالث: أشكال الاستبداد.....	٥٣
المطلب الأول: الاستبداد الفكري.....	٥٣
المطلب الثاني: الاستبداد الاجتماعي.....	٥٦
المطلب الثالث: الاستبداد الاقتصادي.....	٦٣
المطلب الرابع: الاستبداد السياسي.....	٦٦
الفصل الثاني: أسباب الاستبداد ووسائله ومبرراته	
المبحث الأول: أسباب الاستبداد.....	٧٢
المطلب الأول: أسباب الاستبداد من جهة المستبد بهم.....	٧٢
المطلب الثاني: أسباب الاستبداد من جهة المستبد.....	٨٣
المبحث الثاني: أساليب المستبدين.....	٩٥
المطلب الأول: العنف.....	٩٦
المطلب الثاني: إثارة الحروب.....	١٠٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثالث: إغلاق باب الاجتهاد.....	١٠٤
المطلب الرابع: سياسة فرق تسد.....	٦١٠
المطلب الخامس:الإغراء بالمال والمنصب.....	١٠٩
المبحث الثالث: وسائل المستبدين.....	١١١
المطلب الأول: وسائل الإعلام.....	١١١
المطلب الثاني: الجيش والشرطة وقوات الأمن.....	١١٦
المطلب الثالث: المال.....	١١٨
المبحث الرابع: مسوِغات الاستبداد	١٢٢
المطلب الأول الستار الديني.....	١٢٢
المطلب الثاني: دعوى امتلاك الحقيقة والحجة.....	١٢٦
المطلب الثالث: دعوى بناء دولة وتحقيق الأمن والعدل.....	١٢٨
الفصل الثالث: آثار الاستبداد ونماذج لبعض المستبدين	
المبحث الأول: آثار الاستبداد.....	١٣٥
المطلب الأول: آثار الاستبداد على المستبد بهم.....	١٣٥
المطلب الثاني: آثار الاستبداد على المستبد.....	١٧٢
المبحث الثاني: نماذج لبعض المستبدين.....	١٨٢
المطلب الأول: فرعون.....	١٨٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثاني: أتاتورك.....	١٩٠
الفصل الرابع: منهج التربية الإسلامية في الوقاية من الاستبداد	
المبحث الأول: الإيمان.....	٢١٣
المطلب الأول: التزكية.....	٢٢١
المطلب الثاني: إعداد البطانة الصالحة.....	٢٢٤
المطلب الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....	٢٢٥
المطلب الرابع: بيان حرمة الأساليب التي يتبعها المستبد.....	٢٢٩
المطلب الخامس: المسؤولية.....	٢٣٥
المبحث الثاني: إعداد الشخصية الإنسانية المتكاملة.....	٢٤٠
المبحث الثالث: التحديد والمراقبة والحساب وفيه مطالب.....	٢٤٧
المطلب الأول: تحديد مدة الحكم.....	٢٤٧
المطلب الثاني: التعددية.....	٢٤٨
المطلب الثالث: المراقبة والحساب.....	٢٥٠
المبحث الرابع: توجيه قوى المستبد، وفيه.....	٢٥٥
المطلب الأول: الجيش.....	٢٥٥
المطلب الثاني: المال.....	٢٥٦
المطلب الثالث: الإعلام.....	٢٦٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الخامس: الوعي.....	٢٦٤
المبحث السادس: الوحدة.....	٢٧١
الفصل الخامس: منهج التربية الإسلامية في علاج الاستبداد	
المبحث الأول: الإيمان.....	٢٨٣
المطلب الأول: النصح.....	٢٨٨
المطلب الثاني: تربية انفعالات الإنسان.....	٢٩٢
المطلب الثالث: مقاومة روح اليأس والانهزامية.....	٢٩٦
المطلب الرابع: عدم طاعة المستبد.....	٣٠١
المبحث الثاني: الشورى.....	٣٠٦
المبحث الثالث: العدل.....	٣١٥
المبحث الرابع: الحرية.....	٣٢٢
المبحث الخامس: الحوار.....	٣٣٤
المبحث السادس: العلم.....	٣٤٠
المطلب الأول:العلم ودوره في علاج الاستبداد.....	٣٤١
المطلب الثاني: نموذج لموقف أحد العلماء المصلحين في مواجهة الاستبداد	٣٤٧
المبحث السابع:الهجرة.....	٣٥١
المبحث الثامن: الدعاء.....	٣٥٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث التاسع: العزل.....	٣٦١
المبحث العاشر: المقاومة والجهاد.....	٣٦٥
الخاتمة.....	٣٧٣
الاستنتاجات.....	٣٧٣
التوصيات.....	٣٧٥
فهارس الآيات القرآنية الكريمة.....	٣٧٩
فهارس الأحاديث النبوية الشريفة.....	٣٩٠
قائمة المصادر والمراجع.....	٣٩٤
الملخص باللغة الإنجليزية.....	٤٢٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

الملخص

رغدة عقلة القصاص، الاستبداد ومنهج التربية الإسلامية في التصدي له وقايةً وعلاجاً، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، ٢٠٠٩، (المشرف: أ.د محمد عقلة الإبراهيم).

هدفت هذه الدراسة إلى توضيح المقصود بالاستبداد، وبيان أسبابه، وأساليب المستبدين ووسائلهم، والمسوغات التي يبررون بها أعمالهم في مختلف الأماكن والأزمان، مع بيان المنهج الذي دعت التربية الإسلامية لإتباعه من أجل الوقاية من هذه المشكلة، وعلاجها أو التقليل من آثارها إن وقعت.

ولتحقيق هذه الأهداف قامت الباحثة بإتباع المنهج التاريخي، و المنهج الاستقرائي، والوصفي التحليلي مع استنباط بعض المبادئ والتوجيهات من النصوص المختلفة.

وقد خلصت الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات، من أهمها:

(١) إن الاستبداد يعنى التفرد والظلم والتجبر والتسلط على الآخرين، ولارتباطه بهذه المعاني فهو مذموم.

(٢) إن للاستبداد أسباباً عدة تمهد الأرضية لنشأته واستمراره، منها ما يرجع للمستبد، ومنها ما يتعلق بالمستبد بهم، من أبرزها ضعف الإيمان عند الطرفين.

(٣) إن المستبد يتبع عدداً من الأساليب التي تمكن لحكمه وسلطته وجبروته، تتراوح بين العنف واللين، والترغيب والترهيب، مستعيناً بعدد من الوسائل منها وسائل الإعلام، والمال، والجيش.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

(٤) إن للاستبداد آثاراً سيئة على الفرد والمجتمع، وعلى المستبد والمستبد بهم، من أهمها سوء العاقبة، وتدمير كيان الفرد، وانتشار الفساد والظلم، وتبذير الثروات، وتسهيل غزو البلاد وغير ذلك، ومبرراً أعماله بعدد من المبررات.

(٥) دعت التربية الإسلامية إلى الوقاية من هذه المشكلة من خلال إتباع عدد من الوسائل ومنها:- الإيمان ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والوحدة، وبث الوعي وغير ذلك.

(٦) لم تقتصر إسهامات التربية الإسلامية على الوقاية بل دعت إلى إتباع عدد من المبادئ والوسائل كالشورى والحرية والعدل وغيرها، والتي تمكن الفرد من مواجهة هذه المشكلة ، والتخلص منها أو التقليل من آثارها.

الكلمات المفتاحية: الاستبداد، التربية الإسلامية ، المنهج .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

المقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بالإيمان، وهدانا إلى صراطه المستقيم، والصلاة والسلام على المنقذ من الضلال، خاتم الأنبياء والمرسلين الذي أخرج الله به الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

خلق الله الإنسان واصطفاه ليكون خليفةً في الأرض، وكرَمه بذلك على كثير من خلقه، وأسجد له الملائكة وهم الأسبق وجوداً وخلقاً، وكان التفضيل للإنسان لحمل أمانة الخلافة.

ولكن ثمة عدد من العقبات التي تقف في طريق الإنسان، وتحول بينه وبين أداء واجبه، والقيام بالتكاليف، وتحقيق أهدافه وطموحاته، ومن هذه العقبات التي عانت منها البشرية قديماً وحديثاً، والتي أدت إلى حدوث خلل كبير في الجوانب الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والتربوية، والفكرية وغيرها ظاهرة الاستبداد التي تبين ما عليه حال الأُمم من استشراء التسلط، والقهر، والظلم، إلى جانب الجبن والأنانية، والجهل وغيرها، فهو من المشاكل التي عانت منها البشرية، واكتوت بنارها، على مدى تاريخها الطويل.

فالاستبداد ظاهرة ممتدة ومستمرة ما دامت عناصر إنتاجه مستمرة في كل زمان ومكان، هو ظاهرة خطيرة تصيب الأفراد والمجتمعات، وفي هذا العصر تظهر بشكل واضح حيث نرى أن بعض دول العالم تتحكم فيها فئة مستبدة ظالمة، ولا تكاد تخلو بعض المؤسسات التربوية أو بعض الأسر من مستبد يقهر الآخرين، ويتصرف حسب ما تمليه عليه مصلحته.

والاستبداد درجة من درجات السلوك البشري، يبلغها الممسك بزمام السلطة، فيمارس أبشع الأساليب، ويستخدم كافة الوسائل في سبيل إرواء ظمئه للقهر والظلم.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وإن المجرمين من مستبدي الأمم والشعوب، يتمتعون بنعم الحياة، ويشكلون طبقة منحرفة في عقيدتها، فاسدة في أخلاقها، وهم السبب الأول لحالة التخلف، وانتشار الرذائل.

ويتفق الأفراد في كل زمان ومكان على أن حل المشكلات الإنسانية أصبح ضرورة حضارية، لاسيما مسألة القضاء على الظلم الاجتماعي الذي يظهر في عبودية الإنسان لأخيه الإنسان، وخدمته له، وسوء توزيع الثروات، والتسلط على رقاب الناس، وعدم تطبيق مبدأ الشورى، وفرض الاستبداد في كافة المجالات.

ولمّا كان من أهم أهداف الإسلام مواجهة كل ما يمكن أن يكون عائقاً في وجه الإنسان، ومانعاً له من تحقيق التقدم، والتنمية المستمرة في كافة المجالات، وإنقاذ الشعوب المظلومة الكادحة من ظلم المستبدين الذين استلبوا الأفراد حقوقهم، وقضوا على إنسانيتهم، وأذلوا آدميتهم؛ مما أدى لانزلاق الفكر وانهيار الأسرة والدولة، وحصول خلل في العلاقة بين الأفراد، ولخطورة الاستبداد وكونه متعلقاً بكافة شؤون الحياة كان لابد من عرضه، والإحاطة بجوانبه وآثاره، حيث إنه من بين المشاكل التي تحظى بالأولوية في دول العالم، وأخذ يحظى بالمزيد من العناية والاهتمام في هذا العصر، فالدمار الذي يتركه الاستبداد لا يمكن تحاشيه، أو تلمس الأعذار له.

ونظراً لذلك كله تأتي هذه الدراسة لبيان منهج التربية الإسلامية في التصدي لهذه الأزمة الخطيرة –إذ إنها صاحبة السبق في ذلك–، ليندفع الفرد والمجتمع والأمة كاملة كُلٌّ في مجاله بقوة واقتناع إلى صنع تاريخها من جديد، وبناء حضارتها الإسلامية والإنسانية.

ونشير هنا إلى أن المعني بالحديث ليس مستبداً بعينه، أو نظاماً بذاته، وإنما هو الاستبداد كما عرفته البشرية، وألفت أشكاله خلال تاريخها الطويل بأشكال وأسماء متعددة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وأخيراً نسأل الله العلي العظيم أن يتقبل هذا العمل قبولاً حسناً، وأن يبارك فيـــه، وأن يجعله من الأعمال الصالحة التي يُتقرب بها إليه سبحانه.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تبرز مشكلة الدراسة من خلال ما يلحظ من ظهور مشكلة الاستبداد، وانتشارها فـــي مختلف الأوساط (الأسرة، والمجتمع، والدولة) ونظراً لما لهذه المشكلة من آثار سلبية مـــدمرة على الجميع أفراداً ومجتمعات، مستبدين ومستبد بهم؛ كانت الحاجة ماســـة للتعريـــف بهـــذه المشكلة من جميع جوانبها مع البحث عن وسائل للوقاية منها، وعلاجها من خلال ما جاء من مبادئ وتوجيهات في التربية الإسلامية، مع بيان أثر غياب البعد التربوي الإسلامي في ظهور هذه المشكلة وانتشارها.

ويمكن صياغة مشكلة الدراسة الحالية في السؤال التالي:-

ما منهج التربية الإسلامية في التصدي لمشكلة الاستبداد وقايةً وعلاجاً؟

والذي يتفرع عنه الأسئلة التالية:-

(١) ما مفهوم الاستبداد، وجذوره، وأشكاله؟

(٢) ما أسباب الاستبداد، وأساليبه؟

(٣) ما آثار الاستبداد على المستبد والمستبد بهم؟

(٤) ما منهج التربية الإسلامية في الوقاية من الاستبداد؟

(٥) ما منهج التربية الإسلامية في علاج الاستبداد؟

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

أهمية الدراسة

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من محورها الرئيس، وهو الاستبداد الذي يُعد آفة المجتمعات الإنسانية، واستمراره دليل على عدم بلوغ البشرية ونضجها وتطورها، وهو عدو الحق، ووجوده يعني غياب الحرية التي هي المناخ الصحي لتحقيق التقدم والإبداع والنهضة المنشودة، هو وباء دائم بالفتن، وجدب مستمر، وطريق موصول بالسلب والغصب، وخوف يقطع القلوب، وظلام يعمي الأبصار، مما يتطلب وقفة نقدية متأنية لهذه الظاهرة، ويمكننا الإشارة إلى أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:-

١- وضع مبادئ بين يدي المربين والموجهين تجعلهم يعملون على هدى وبصيرة في توعية الفرد والأمة بخطورة الاستبداد، وضرورة المواجهة لصد تلك الأخطار ، مما يؤدي للإصلاح الشامل، وتحقيق النهضة المنشودة في كافة الميادين، وذلك بحماية الأفراد والمجتمعات من الآفات الاجتماعية والنفسية. فهذا الموضوع وإن لم يكن جديداً في المجال الأكاديمي، ولكن حيوية البحث في هذا المجال، والآثار، والمعاناة اليومية التي تعيشها البشرية تحت نير الاستبداد، تتطلب الإلمام المتجدد بهذه الظاهرة، وإيجاد السبل الكفيلة بالقضاء عليها وتجليتها.

٢- الإسهام في تحقيق تغيير نوعي على جميع المستويات، حيث سيساعد على الوقاية من مشكلة الاستبداد وعلاجها، فالتربية الإسلامية وقائية وعلاجية في آن واحد حيث يتم تقديم الاحتياطات الكفيلة بمنع وقوع المشكلة، وكذا الحلول المناسبة للعلاج فالتزام وسائط التربية بهذه المبادئ وتكاملها في إنفاذها وتحقيقها، يقود إلى تحقيق النجاح الذي يرتقي بالفرد والمجتمع نحو الأفضل.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٣- الإسهام في سد النقص الملحوظ في المكتبة التربوية الإسلامية، حول هذا الموضوع فعلى الرغم من حساسيته وخطورته -فهو بالغ الحساسية لأنه موضوع يمس في الغالب أصحاب القرارات، وبالغ الأهمية لخطورته وفتكه بالمجتمع، مع عزوف كثير من الكتاب عن الحديث عنه بصراحة وجرأة- إلا أنه لم ينل حقه من الدراسة والبحث في مكتبتنا العربية بصفة خاصة، حيث أُهمل الحاضر الجاثم فوق الصدور، وبُحث في الغائب(الحرية) ، مع حاجتنا الملحة لدراسته بعمق، لأنه واقع ملموس يعيشه كل فرد من أفراد المجتمع سواء كان ابناً أم زوجة أم طالباً أم موظفاً أم فرداً عادياً، فجاءت هذه الدراسة لإبراز أثر الصبغة التربوية الإسلامية في الأسباب والوسائل، والوقاية والعلاج وعدم الوقوف عند العوامل المادية المجردة.

محددات الدراسة

تقتصر الدراسة في بيان المنهج على بيان وسائل التربية الإسلامية في التصدي لمشكلة الاستبداد وقايةً وعلاجاً.

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى محاولة توضيح مشكلة الاستبداد، وإبراز أثر غياب البعد التربوي الإسلامي في وجود هذه المشكلة واستمرارها، وأهمية هذا البعد في المساهمة في التصدي لها وقايةً وعلاجاً.

وانطلاقاً من هذا فإن الأهداف التي تتوخى هذه الدراسة تحقيقها تتمثل في:

١. التعريف بالاستبداد، وأشكاله، وجذوره.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٢. البيان لأسباب هذه المشكلة، والوسائل التي يستعين بها المستبدون لاستمرار تسلطهم، والمبررات التي يستعينون بها لتسويغ وجودهم.

٣. التعرف على آثار هذه المشكلة على كل من الفرد والمجتمع، وعلى المستبد والمستبد بهم.

٤. التعرف على التدابير الوقائية التي دعت إليها التربية الإسلامية للحيلولة دون وقوع هذه المشكلة.

٥. إيجاد تصور عام للمنهج الإسلامي في علاج هذه المشكلة الخطيرة، أو التقليل من آثارها إن وقعت.

منهجية الدراسة

تقوم هذه الدراسة على استخدام المنهج التاريخي، والاستقرائي، والوصفي التحليلي وذلك عن طريق:

١.تتبع مسيرة الاستبداد، وسير المستبدين في التاريخ.

٢.استقراء نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكتب التراث والإسلامي وغيرها من المصادر والمراجع المتخصصة وذات العلاقة.

٣.تحديد عناصر الموضوع ووصفها وتحليلها.

٤.استخدام الطريقة الاستنباطية في بيان الأسباب والآثار وطرق الوقاية والعلاج.

مصطلحات الدراسة:

- الاستبداد: حالة تسلطية يصاحبها قهر الآخرين، وظلمهم بهدف تحقيق المصلحة الفردية.
- التربية الإسلامية: علم إعداد الإنسان المسلم لحياتي الدنيا والآخرة إعداداً كاملاً من الناحية الصحية، والعقلية، والعلمية، والإعتقادية، والروحية، والأخلاقية، والاجتماعية، والإرادية، والإبداعية وغيرها في جميع مراحل نموه في ضوء المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي بينها[1].

- الوقاية: اتخاذ الأحكام الاحتياطية، والوسائل والإجراءات المناسبة لحماية الفرد والمجتمع، بالحيلولة دون وقوع المشكلة.

- العلاج: اتخاذ المبادئ والإجراءات للقضاء على المشكلة، أو التقليل من آثارها.

-المنهج: الطريقة والوسائل المتنوعة التي عالجت فيها التربية الإسلامية هذه المشكلة.

الدراسات السابقة

من خلال مراجعة الباحثة دليل الرسائل الجامعية في كل من جامعة اليرموك، والجامعة الأردنية، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة أم القرى، ومركز الملك فيصل للبحوث العلمية، لم يتم العثور على أية دراسة تشابه هذه الدراسة في العنوان والمضمون بشكل تفصيلي مباشر، فأغلب الدراسات العلمية تناولت موضوع الاستبداد من منظور سياسي بعيداً عن الناحية التربوية الإسلامية. وعلى الرغم من عدم وجود دراسة متخصصة في إبراز أثر غياب البعد التربوي الإسلامي في ظهور مشكلة الاستبداد والوقاية منها وعلاجها، إلا أن الباحثة لم تغفل ما تقدمه بعض الدراسات حول الاستبداد من إثراء لبعض مفردات هذه الدراسة، ومن تلك الدراسات.

١. ماهية الاستبداد مقاربات أولية لتحديد المصطلح[2]

هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بمصطلح الاستبداد في اللغة، وفي الفكر الغربي والعربي، مع الاستدلال بأقوال العلماء والفلاسفة، إضافة لبيان أشكاله.

---

[1] يالجن: مقداد، معالم بناء نظرية التربية الإسلامية، **بحوث المؤتمر التربوي، (نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة**، تحرير فتحي ملكاوي)، عمان-الشركة الجديدة للطباعة، ١٣١٢-١٩٩٩، ج٢، ص ٤٣٧.

[2] الطحان: محمد جمال، **ماهية الاستبداد مقاربات أولية لتحديد المصطلح**، بحث منشور، مجلة الاجتهاد، عدد ٢٣، ١٩٩٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-YarmoukUniversity
www.manaraa.com

وخلصت هذه الدراسة إلى أن الاستبداد يعني الإنفراد بالشيء، وأن ألفاظ الديكتاتورية والطغيان من المصطلحات المرادفة له، وبينت أن مساهمات العرب في فهم الاستبداد ومناهضته كانت قليله، ومتأخرة على الرغم من معاناتهم منه، وبينت الدراسة أن للاستبداد أشكالاً متعددة مثل الاستبداد الفكري، والاقتصادي، والسياسي.

تفيد الباحثة من هذه الدراسة بالتعريف بهذه المشكلة، وبيان أشكالها، إلا أنها أغفلت نظرة التربية الإسلامية لهذه المشكلة، وكيفية الوقاية من هذا الداء وعلاجه، وهذا ما حاولت الباحثة تسليط الضوء عليه في دراستها.

٢.الطغيان في سورة القصص[١]

هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بظاهرة الطغيان كما وردت في سورة القصص حيث اشتملت على دراسة للسورة ثم بيان ظاهرة الطغيان من حيث معناها، وأساليب الطغاة، ووسائلهم، وموقف القرآن الكريم منهم.

وخلصت هذه الدراسة إلى بيان خطورة الطغيان، وأن السلطة والتبعية ومعطيات الترف وكثرة المال من أسباب الطغيان، وأن أساليب الطغاة واحدة على مر العصور والأزمان، مع بيان أن سنة الله فيهم ثابتة وهي إنزال العقوبة الدنيوية والأخروية، كما بينت أن من سبل الخلاص من الطغيان الدعوة إلى الله، والتأسي بجهود الأنبياء في التبليغ والإصلاح والهجرة.

وتفيد الباحثة من هذه الدراسة بالتعريف بظاهرة الطغيان من حيث أسبابها، ووسائل الطغاة، والإشارة إلى بعض سبل الخلاص، إلا أن هذه الدراسة كانت بمثابة رسم خطوط

---

[١] طاهر: نفيسة بنت محمد، **الطغيان في سورة القصص**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، كلية الشريعة، ١٤٢٠-١٩٩٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

عريضة للموضوع، وقد حاولت الباحثة تتبع كل ماله علاقة بالموضوع من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وما جاء في كتابات العلماء الأقدمين، والمعاصرين، مع الاهتمام بالبعد التربوي، وتقديم توجيهات تساعد على الوقاية من هذا الداء وتعالجه، للانتقال من مرحلة التنظير إلى ميدان العمل والتنفيذ.

٣.طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد[١]

هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بالاستبداد، وبيان تأثيره على كل من الدين، والعلم، والتربية، والأخلاق، والمجد، والمال، والرقي، مع إعطاء خطوط عريضة عن بعض طرق العلاج كالشورى والحرية والعدالة والمساواة.

وخلصت هذه الدارسة إلى أن الاستبداد هو سبب ما يعانيه الأفراد والأمم من ذل وانحطاط فإن له تأثيرات واسعة على كافة ميادين الحياة ومجالاتها، وأن من بدائله الشورى والحرية والعدالة والمساواة.

وتفيد الباحثة من هذه الدراسة في بيان خطورة الاستبداد وآثاره، والإشارة إلى بعض سبل العلاج إلا أن هذه الدراسة اقتصرت على الناحية السياسية فحسب.

٤.الاستبداد والحرية[٢]

هدفت هذه الدراسة إلى بيان أسباب التخلف التي تعيشها المجتمعات، وبيان العلاقة بين الاستبداد والحرية. وخلصت إلى أن الاستبداد هو أحد أهم أسباب التخلف، وأن علاجه يتمثل في المناداة بالحرية وتطبيقها، وأن لا تبقى مجرد شعار، وهذا يقع على عاتق المثقفين والعلماء لأن ذلك سبيل تحقيق النهضة.

---

[١] الكواكبي، عبد الرحمن، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، كتاب منشور، بيروت-دار الشروق العربي، ط٣، ١٤١١-١٩٩١.

[٢] السماوي: أحمد، **الاستبداد والحرية**، كتاب منشور، تونس- دار محمد علي الحامي، ط١، ١٩٨٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وتلتقي دراسة الباحثة مع هذه الدراسة في بيان أحد آثار الإستبداد، وهو كونه أحد معوقات تحقيق الحرية، وبهذا يعيق حركة التقدم والنهضة، إلا أن هذه الدراسة لم تبين كيف يمكن استعمال الحرية للقضاء على الاستبداد وعلاجه، وهذا ما حاولت الباحثة بيانه.

٥- النهضة والاستبداد[١]

هدفت هذه الدراسة إلى بيان أثر الاستبداد في عدم تحقيق النهضة، ودور تياري النهضة الديني المستنير، والليبرالي العلماني وكفاحهما ضد الاستبداد بشكلية السلطوي والتقليدي.

وخلصت إلى أن الاستبداد هو أحد معوقات تحقيق النهضة، وأنه من أسباب التخلف والذل والانحطاط، وأن هناك بعض المحاولات للقضاء عليه.

وتلتقي دراسة الباحثة مع هذه الدراسة في بيان أثر الاستبداد في منع تحقيق النهضة، وهذا أحد الآثار التي تعرضت لها الباحثة.

٦- الاستبداد ودوره في انحطاط المسلمين[٢]

هدفت هذه الدراسة إلى بيان أسباب الذل والخنوع الذي أصاب الأمة الإسلامية، وبيان دور الاستبداد في ذلك، ومدى استعداد الأمة له، مع الإشارة لحال أعوان المستبد وأثرهم.

وخلصت إلى تأثير الاستبداد على الفرد والمجتمع في كافة الجوانب، وأن في النفس الإنسانية ضعفاً يجعلها تتقبل الاستبداد، وأن للاستبداد علاجاً يتمثل بالشورى والحرية،

---

(١) حنا: عبد الله، **النهضة والاستبداد**، كتاب منشور، دمشق-دار الأهالي، ط١، ١٩٩٤.

(٢) هلال: هلال نبيل، **الاستبداد ودوره في انحطاط المسلمين**، كتاب منشور، دمشق-دار الكتاب العربي، ط٢، ٢٠٠٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

والخروج على المستبد، إلا أن هذه الدراسة لم تبين تلك الآثار، وجاءت الإشارة لطرق العلاج بشكل إجمالي على خلاف ما سعت لهُ الباحثة من محاولة للإحاطة بالموضوع بشكل شمولي.

٧- الإسلام والاستبداد السياسي[١]

هدفت هذه الدراسة إلى بيان موقف الإسلام من الاستبداد مع الإشارة لآثار هذه المشكلة وبيان بعض وسائل العلاج، مع ضرورة أخذ العبرة من قصص السابقين.

وخلصت إلى أن الاستبداد وباء جارف، ومشكلة خطيرة، يعاني منها الأفراد والمجتمعات، وأن لهُ آثاراً على كافة ميادين الحياة، منها انتشار الأخلاق السيئة وغير ذلك، ولذا فلا بد من علاجه بالشورى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مستدلاً على ذلك بالآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة.

وقد أفادت الباحثة من هذه الدراسة في رسم خطوط عريضة في بيان خطورة الاستبداد، والإشارة لبعض طرق علاجه من خلال إيراد النصوص من الكتاب والسنة، مع عمل الباحثة على تحليل النصوص، وبيان المستفاد منها.

٨.الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة[٢]

هدفت هذه الدراسة إلى تنمية فهم مشترك أفضل لجذور الاستبداد، ومصادره، وآلياته، والعمل على تعطيل آليات إعادة إنتاجه في الحياة السياسية في الدول العربية.

---

(١) الغزالي: محمد، **الإسلام والاستبداد السياسي**، كتاب منشور، القاهرة-نهضة مصر، ط٦، ٢٠٠٥.

(٢) الربيعي: إسماعيل وبوزيد: بومدين والسيف: توفيق وفؤاد: ثناء وإبراهيم: حيدر وسليمان: خالد والعناني: خليل وعبد السلام: رفيق والنجفي: سالم والسعداوي: عاطف والعليان: عبد الله وكاظم: عبد الجليل، وعاشور: عزمي والدباغ: علي والطحان: محمد والخليفي: محمد وهمام: محمد ومحمد: نصر، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، كتاب منشور، بيروت-مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وخلصت هذه الدراسة إلى أن الاستبداد من أكثر ما يهدد الحياة، وأن له جذوره الدينية والتاريخية والثقافية، ولا بد من علاج هذا الداء، والقضاء على أسبابه وروافده.

وتفيد الباحثة من هذه الدراسة في بيان خطورة الاستبداد، وجذوره، وأسبابه، وإمكانية علاجه إلا أن هذه الدراسة لم تُشر لدور التربية الإسلامية وأثرها في ذلك، وهذه ما حاولت الباحثة بيانه وتوضيحه

٩. سُبل زوال الاستبداد الفكري بين المسلمين[١]

هدفت هذه الدراسة إلى بيان ما عليه واقع المسلمين من التخلف والانهزامية، بسبب انتشار الاستبداد وخاصة الفكري منه، مبيناً المقصود بالاستبداد.

وخلصت هذه الدراسة إلى أن الاستبداد لا يعني الانفراد فحسب بل هو ما يرافق ذلك من ظلم، وتجبر على الآخرين، وأن من أبرز أسبابه إغلاق باب الاجتهاد، مع الحث على ضرورة علاجه بالشورى، والمشاركة الفعالة من أفراد المجتمع جميعاً، وضرورة التعاون لتحقيق الجهود، وذلك لما له من آثار مُدمره.

وتفيد دراسة الباحثة من هذه الدراسة في بيان المقصود بالاستبداد، وأنه من أخطر ما يلحق بالأمة ويسبب لها التخلف والتراجع، مع رسم خطوط عريضة عن بعض وسائل العلاج.

بعد استعراض الدراسات السابقة خلصت الباحثة إلى مايلي:

١. تناولت معظم الدراسات السابقة مشكلة الاستبداد من منظور سياسي، مع الوقوف عند العوامل المادية المجردة.

٢. كانت تلك الدراسات موجزة مجملة في عرضها للموضوع.

---

[١] نزال: عمران سميح ، **سبل زوال الاستبداد الفكري بين المسلمين**، كتاب منشور، عمان-دار القراء، ط١، ١٤٢٨-٢٠٠٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٣. ركزت الدراسات المذكورة على تشخيص مشكلة الإستبداد، بـالتعريف بهـا، والعـرض الموجز لأسبابها، ووسائل المستبدين مع الإشارة لبعض سبل العلاج.

٤. تتفرد هذه الدراسة بإبراز البعد التربوي الإسلامي، وأثر غيابه في ظهور هذه المـشكلة، وقدمت الحلول العملية للوقاية منها وعلاجها، وهي محاولة لاستكمال جوانب النقص التي أغفلتها الدراسات السابقة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

الفصل الأول:- مفهوم الاستبداد وجذوره وأشكاله، وفيه مباحث:-

المبحث الأول:- مفهوم الاستبداد لغةً واصطلاحاً، وكما تم عرضه في الكتاب والسنة، وفيه مطالب:-

المطلب الأول:-الاستبداد لغةً واصطلاحا.

المطلب الثاني:- الاستبداد كما يعرضه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

المطلب الثالث:- مصطلحات ذات صلة.

المبحث الثاني:- جذور الاستبداد، وفيه مطالب:-

المطلب الأول:-الجذور التاريخية.

المطلب الثاني:- الجذور الثقافية.

المبحث الثالث:- أشكال الاستبداد وصوره، وفيه مطالب:-

المطلب الأول:- الاستبداد الفكري.

المطلب الثاني:- الاستبداد الاجتماعي.

المطلب الثالث:- الاستبداد الاقتصادي

المطلب الرابع:- الاستبداد السياسي.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

تمهيـــــد

قبل البدء باستعراض موضوع الاستبداد، لابد من التعرف على مفهوم هذا المصطلح لغةً واصطلاحاً، وكيف تم عرضه من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ولمصطلح الاستبداد مصطلحات ذات صلة مثل الطغيان، والديكتاتوريـــة، والتـــسلط، والتجبر، والاستعلاء، والاستكبار، والاستعباد، حيث سيتم – إن شاء الله تعالى – إيضاح مدى العلاقة بين هذه الألفاظ ولفظ الاستبداد اتفاقاً واختلافاً.

ولما كان لظاهرة الاستبداد جذور بعضها ضارب في أعماق التاريخ، وبعضها قـــابع في ثنايا الفكر والثقافة، فسيتم بحث هذه الجذور التاريخية والثقافية.

يلبس الاستبداد لبوساتٍ شتى، ويتبدى بصور مختلفة منها ما هو ذو طـــابع فكـــري، وآخر عبر الطابع الاجتماعي والاقتصادي، وغيره من خلال السلوك السياسي، ولذا يتناول هذا الفصل ذلك كله بالبيان والإيضاح.

ولقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: مفهوم الاستبداد لغة واصطلاحاً، كما تـــم عرضـــه فـــي القـــرآن والـــسنة، والمصطلحات ذات الصلة.

المبحث الثاني: جذور الاستبداد.

المبحث الثالث: أشكال الاستبداد وصوره.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الفصل الأول

مفهوم الاستبداد وجذوره وأشكاله

المبحث الأول

مفهوم الاستبداد

نظراً لارتباط فهم أي موضوع، والحكم عليه، وتحديد الموقف منه، ببيـــان مفهومـــه وتوضيحه، استهلت هذه الدراسة ببيان مفهوم الاستبداد، وكيف تم عرضه في القرآن الكـــريم والسنة النبوية الشريفة، وسيتم ذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول:-الاستبداد لغة واصطلاحاً

الفرع الأول: الاستبداد لغة

الاستبداد: اسم لفعل استبد من بدَ الشيء يبده بداً: تجافى به[1] وبدَ: الباء والـــدال فـــي المضاعف أصل واحد وهو التفرق وتباعد ما بين الشيئين [2].

يقال استبد فلان بكذا: أي انفرد به، استبد بالأمر يستبد به استبداداً: إذا انفرد به دون غيره [3] استبد الأمر بفلان: غلبه فلم يقدر على ضبطه، واستبد بأميره، غلب على رأيه فهو لا يسمع

---

(١) ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، **لسان العرب**، بيـــروت- دار إحيـــاء التـــراث العربي، ط٣، ١٤١٩-١٩٩٩، ج١، ص ٣٣٩.

(٢) ابن فارس: أبو الحسين أحمد، **معجم مقاييس اللغة**، بيروت – دار الفكر، (د، ط وت) تحقيق: عبـــد السلام محمد هارون، ج١، ص ١٧٦.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ٣٣٩/١ ،وانظر: اللجمي: أديب، وبن سلامة: البشير، والخوري: شحادة وعبيد: عبد اللطيف، والرزار: نبيلة، **معجم اللغة العربية**، بيروت – عالم المعرفـــة، ط١، ١٩٩٥، ج١، ص ٨٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

إلا منه[1]، استبد برأيه: لم يشاور أحداً[2]. فالاستبداد لغة هو الإنفراد، وترك المشورة.

الفرع الثاني: الاستبداد اصطلاحاً

إن المتأمل في ما ذكر من أقوال في تعريف مصطلح الاستبداد، يرى أنها تتركز حول فكرة الانفراد، والاستقلال، والعنف، واللامبالاة، وترك الشورى، وقمع الحريات، وغير ذلك، وقد تعرض المختصون في مختلف العلوم لتعريف هذه الظاهرة لكونها عامة وشاملة تمس حياة الفرد والمجتمع كاملة، ومما قيل في تعريف هذه الظاهرة:-

عند الإداريين:- يعرف بأنه:" قيادة المنظمات الإدارية التي تفرض سيطرة شديدة على الأشخاص العاملين فيها"[3]. فالمدير الديكتاتوري يقرر وحده سياسة العمل، ويملي الخطوات وأوجه النشاط، مع جهل الجماعة بالخطة، فالرئيس هو الذي يحدد الأعمال وزملاء العمل، ويبني انتقاءه على وجهة نظر شخصية لا موضوعية[4].

عند السياسيين:- إن الاستبداد كلمة تطلق عبر التاريخ لوصف أشكال متعددة من الحكم، على رأسها حكام لديهم سلطة لا قيد عليها، لا يخضعون لقانون، ولا دستور، ولا ينظرون إلى آراء المحكومين، ويتبعون أهواءهم الخاصة بدلاً من تحكيم المصلحة العامة، ويتميزون بسلطة غير محدودة، ويحكمون بطرق قاسية وقمعية وغير عادلة[5].

---

(1) مصطفى: إبراهيم، والزيات: أحمد، وعبد القادر: حامد، والنجار : محمد علي، **المعجم الوسيط**، طهران- المكتبة العلمية، د. ط، ١٩٠٠، ج١، ص ٤٢.

(2) وجدي: محمد فريد، **دائرة معارف القرن العشرين**، بيروت- دار المعرفة، ط٣، ١٩٧١، ج٢، ص ٦٥.

(3) غوشه: زكي راتب، **قاموس الإدارة العامة**، د، ن وت، ط١، ص ١.

(4) زيدان: محمد مصطفى، **معجم المصطلحات النفسية والتربوية**، جده (السعودية) – دار الشروق، ط٢، ١٩٨٤، ص ١٥٤، اختصار.

(5) انظر بدوي: أحمد زكي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، بيروت – مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٢، ص ٣، & الكيالي: عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨٥، ج١، ص ١٦٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وعرّفه الكواكبي بأنه "صفة للحكومة مطلقة العنان فعلاً أو حكماً، والتي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء، بلا خشية حساب ولا عقاب محققين [١]".

فالاستبداد قضية سياسية، هو ضد الحرية، لا يلتزم صاحبه بالشورى بل يسد أبواب المشاركة أمام الأفراد في إدارة شؤون حياتهم، مما يعني أنه "إلغاء الآخر، وتقليص كيانه في ذات لا تملك إلا أن تطيع"[٢].

وبشكل عام فهو تفرد في الرأي في شؤون تخص الجماعة، ومن ثم فهو احتكار واغتصاب لحق الجماعة في إبداء رأيها، وفي النهاية هو طغيان واعتداء على الآخر[٣]. انطلاقاً من أنه حالة من حالات احتكار المعرفة، وامتلاك الحقيقة، وادعاء كمال العلم، أو أنه إطلاق الذات ونسبية الآخر، وبناءً على ذلك، فالمستبد يتعامل مع الآخرين على أساس أنهم قاصرون يحتاجون لمن يدبر شؤونهم [٤]. فهو كما قال الكواكبي" تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعه"[٥].

تركز الأقوال السابقة على صفة غياب القانون، وترك المشورة وبيان دور ذلك في نشأة الاستبداد واستمراره، قال محمد الشافعي: "وتكون السلطة استبدادية ما دامت لا تخضع في تصرفاتها للقانون ، فالقانون في نظرها قيد على المحكومين لا عليها"[٦].

---

(١) الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، ص ٢٤.

(٢) عبادي: أحمد، **الإسلام وهموم الناس**، قطر -مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٦-١٩٩٦، ص ١١٩.

(٣) الدباغ: علي، الاستبداد في فكرة ولي الأمر وفقه الغلبة وولاية الفقيه في الوقت الراهن، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**،بيروت-مركز دراسات الوحدة العربية،ط١، ٢٠٠٥، ص ٤٩.

(٤) عارف: نصر محمد، الأبعاد الدولية للاستبداد السياسي في النظم العربية، **الاستبداد في نظم العربية المعاصرة**، ص ٥٣١.

(٥) الكواكبي، **طبائع الاستبداد** ، ص ٢٣.

(٦) أبو راس: محمد الشافعي، **نظم الحكم المعاصرة**،القاهرة-عالم الكتب،د-ط، ١٩٨٣، ص ٣١٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

إلا أن هذا ليس الجانب الوحيد في تفسير حقيقة هذه المشكلة الخطيرة مع أهميته ، فكثيراً ما يظهر المستبد ملتزماً بالقانون متبعاً مظاهر الشورى المزيفة، "وإن تميز فعل الاستبداد من غيره لا يكفي فيه مجرد النظر في ما إذا كانت تصرفات الحاكم تسير على مقتضى القانون أم لا، فنقول إن الحاكم المستبد هو الذي لا يلتزم بالقانون، حيث أن هذا الالتزام لا يكفي وحده لنفي هذه الصفة عن الحكم [1] " فأغلب المستبدين اليوم يقهرون الناس ويستعبدونهم استعباداً قانونياً ، تنفيذاً لحكم أصدره قضاة، وتطبيقاً لقانون وضعه مشرعون في نطاق دستور موضوع"[2].

ومن أمثلة ذلك ما نقله القرآن الكريم عن فرعون، حيث قال سبحانه: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (سورة الشعراء: آية ٣٤-٣٥)، قال سيد قطب رحمه الله تعالى: "وتلك شنشنة الطغاة حينما يحسون أن الأرض تتزلزل تحت أقدامهم، عندئذ يلينون في القول بعد التجبر ويلجأون إلى الشعوب، وقد كانوا يدوسونها بالأقدام، ويتظاهرون بالشورى في الأمر وهم كانوا يستبدون بالهوى، ذلك إلى أن يتجاوزوا منطقة الخطر، ثم إذا هم جبابرة مستبدون ظالمون[3]".

فالحاكم الديكتاتوري "المستبد" يلجأ إلى بعض الإجراءات لإظهار مشاركة الشعب في الحكم، وهذا بهدف إضفاء صفة الشرعية على حكمه، ومن ذلك الانتخابات العامة والاستفتاءات، سواء كان موضوعها رئيس الدولة أو أعضاء السلطة التشريعية، وهذا ليظهر

---

(١) الخليفي، جذور الاستبداد في الحياة السياسية العربية المعاصرة، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ص ٢٨٤.

(٢) سيف الدولة: عصمت، **الطريق إلى الديمقراطية أو سيادة القانون في الوطن العربي**، بيروت – دار المسيرة، ط١، ١٩٧٩، ص ٢٥.

(٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، بيروت – دار الشروق، ط ١٧، ١٤١٤-١٩٩٤، ج٥، ص ٢٥٩٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

موافقة الشعب على سياسته وقواعده وأعماله، ولو بصوره شكلية لأن نتيجة الانتخابات والاستفتاءات موضوعة مقدماً[1]. ومقررة عنده، وما يجري ما هو إلا وسيلة لخداع الشعوب.

فالاستبداد يقوم أساساً على مخالفة القانون، وقد يقوم على موافقته ولكن بصورة شكلية، فهو كما عرفه محمد عبده: "تصرف الواحد في الكل على وجه الإطلاق في الإرادة، إن شاء وافق الشرع والقانون، وإن شاء خالفهما، فيكون إتباع النظام مفوض إليه وحده إن أراد قام به وإن لم يرد لا يؤخذ عليه، وهو الاستبداد المطلق[2]"

والمستبد هو المستقل برأيه غروراً واستعلاءً، والمنغلق على نفسه، والمستكفي بذاته[3] الذي يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم، بهواه لا بشريعتهم، عدو الحق والحرية، هو إنسان مستعد بالطبع للشر[4]. إنه شخص شرير ظالم، دموي، يمارس حكم الناس دون رضاهم، ودون أن يكون خاضعاً لأي رقابة، ومن أي نوع كانت.

وقد ورد للاستبداد في القاموس العربي الإسلامي معانٍ أخرى منها:

١. "الحزم وعدم التردد في اتخاذ القرار وتنفيذه" [5] ومن هنا كانت العبارة الشهيرة "إنما العاجز من لا يستبد".

---

(١) طعمية: صابر، **الدولة والسلطة في الإسلام**، القاهرة – مكتبة مدبولي، د-ط، ٢٠٠٥، ص ٢٨٠، بتصرف.

(٢) عبده: محمد، **الأعمال الكاملة**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٧٢، تحقيق محمد عمارة، ج١ ،ص٣٥٠

(٣) حفني: عبد المنعم، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، القاهرة – مكتبة مدبولي، ط٢، ١٩٩٥، ص ٥١.

(٤) الكواكبي، **طبائع الاستبداد** ، ص ٢٧، باختصار.

(٥) الجابري: محمد عابد، **المستبد العادل --بديلاً للديمقراطية**، مجلة الاتحاد، سنة ٢٠٠٢، عن الموقع الالكتروني www.alittihad.co.ae.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

مما يعني أن المستبد هو "الشخص الحازم العادل، الذي يضع الأمور الموكولة إليه في حزم وعدل وقوة، دون تردد في اتخاذ القرار وتنفيذه[1].

٢.إن مفهوم الاستبداد في الخبرة التاريخية العربية الإسلامية كان يستخدم كمفهوم محايد يصف حالة من القدرة على فرض سيطرة الدولة على مختلف أرجائها، وقدرتها على القضاء على الخارجين على القانون، فكان يستخدم بمعنى القدرة على التحكم، بغض النظر عن طريقة هذا التحكم ونتائجه والقيم المحيطة به [2].

وبناءً على ما سبق ترى الباحثة أن معنى الاستبداد الذي سيتخلل ثنايا البحث، ويقوم عليه بنيانه، هو: الإنفراد مع الغرور والتكبر، والاستقلال بالسلطة، والظلم والجور، والتعسف، والطغيان، والتسلط في ممارستها، وغير ذلك من معاني يظهر أثرها من دراسة هذه الظاهرة.

المطلب الثاني:- الاستبداد كما يعرضه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

أولى الإسلام في مصدريه الأساسين: الكتاب والسنة موضوع الاستبداد اهتماماً كبيراً سواء من خلال بيان مظاهره وأشكاله، أو التحذير من الوقوع في غائلته، أو التحذير من المصير الذي ينتظر المستبدين في الدنيا والآخرة. والقرآن الكريم والذي مثل في جزء منه مسيرة البشرية خلال حديثه عن الأنبياء الكرام، رصد هذه الظاهرة في مواقف منها:

قال سبحانه وتعالى متحدثاً عن فرعون مع قومه ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ (سورة القصص: ٣٨).وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ

---

(١) العليان، عبد الله علي، الإسلام والاستبداد مقاربة نقدية لمقولة المستبد العادل، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ص ٣٤٠.

(٢) عارف: نصر محمد، الأبعاد الدولية للاستبداد السياسي في النظم العربية، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ص ٥٣٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ (سورة غافر: ٢٩) وقال تعالى عن مدين: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ٨٨).

كما دلت على ذلك السنة النبوية الشريفة، ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن أسيد بن حضير أن رجلاً من الأنصار قال: يا رسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلاناً، قال صلى الله عليه وسلم:(ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض[1])،الأثرة: يعني الإنفراد بالشيء المشترك دون من يشركه فيه[2].

ولم يأتِ ذكر لفظ الاستبداد في القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة، إلا أنه قد جاء ذكر لما يرادف هذا المصطلح أو يبين معناه، بل لعل أغلب السور القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، قد تعرضت لمعنى الاستبداد بصورة أو بأخرى، ويمكن الاستدلال على هذا المصطلح من خلال عدة أمور منها:

١. ذكر ألفاظ مرادفة للفظ الاستبداد من ذلك:

الطغيان، العلو ، الاستكبار ، التجبر، التسلط ، الاستعباد وسيأتي بيان العلاقة بين هذه المصطلحات ومصطلح الاستبداد عند الحديث عن المصطلحات ذات الصلة -بإذن الله-

---

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل، **الصحيح**، بيروت-دار ابن كثير، ط٢، ١٤٠٧-١٩٨٧، تحقيق مصطفى البغا، كتاب فضل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار اصبروا حتى تلقوني على الحوض، ج٣، ص١٣٨١، رقم٣٥٨١.

(٢) ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، بيروت- دار الفكر، د-ط، ١٩٩٦، ج٨، ص٥٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٢. ما يدل على منع الاستبداد:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (سورة الإسراء: ٧٠).وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سور الحجرات:١٣). ففي هذه الآيات تكريم للإنسان بصفة الآدمية، والتي تحرم كل أشكال الاستبداد، والقهر، والاستعلاء، والطغيان من الإنسان لأخيه الإنسان .

كما وجاءت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي توضح ذلك في مختلف الأحوال والمجالات، فمثلاً في موضوع الزواج لم يجعله الإسلام بيد أحد لينفرد به بل جعل الأمر شورى وأن لكل من الأب، والأم، والفتاه الحق في إبداء رأيه، وعدم استبداد أحد منهم بذلك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا نكاح إلا بولي"(١). وقال عليه الصلاة والسلام:"أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل (٢). وقال رسول الله

---

(١) الترمذي:محمد بن عيسى،بيروت–دار إحياء التراث،د–ط وت، تحقيق:أحمد محمد شاكر وآخرون **السنن**، كتاب النكاح، باب ما جاء لا نكاح إلا بولي، ج٣،ص٤٠٧، رقم١١٠١، وأبو داود: سليمان بن الأشعث، **السنن**،بيروت–دار الفكر،د– ط و ت، كتاب النكاح، باب في الولي، ج٢، ص٢٢٩، رقم ٢٠٨٥، وابن ماجه، **السنن**، كتاب النكاح، باب لا نكاح إلا بولي، ج١، ص٦٠٥، رقم ١٨٨٠،صححه الألباني، انظر الألباني، **صحيح الجامع الصغير**، ج٦، ص٢٠٢، رقم٧٤٣١.

(٢) الترمذي، **السنن**، كتاب النكاح، باب ما جاء لا نكاح إلا بولي، ج٣، ص٤٠٧، رقم١١٠٢، وأبو داود، **السنن**، كتاب النكاح، باب في الولي، ج٢، ص٢٢٩، رقم٢٠٨٣، نحوه، والنسائي:أحمد بن شعيب، **السنن الكبرى**، بيروت–دار الكتب العلمية،ط ١، ١٤١١–١٩٩٤،تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي، كتاب النكاح، باب الثيب تجعل أمرها لغير وليها، ج٣،ص ٢٨٥، رقم ٥٣٩٤، نحوه، وابن ماجه، **السنن**، كتاب النكاح، باب لا نكاح إلا بولي،ج١،ص٦٠٥، رقم ١٨٧٩، نحوه، صححه الألباني، انظر **صحيح الجامع الصغير**،ج٢، ص٣٩٣، رقم٢٧٠٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

عليه الصلاة والسلام: "آمروا النساء في بناتهن"[1]، أي شاوروهن في تزويجهن[2] وذلك تطييباً لخاطرهن، ولكون الأم أقرب إلى البنت من الأب.

وكذا ما ورد في منع الاستبداد بمعناه اللغوي في الحديث الشريف، قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يحقرن أحدكم شيئاً من المعروف، وإن لم يجد فليلق أخاه بوجه طليق،وإن اشتريت لحماً، أو طبخت قدراً، فأكثر مرقته، واغرف لجارك منه [3]" قال المناوي رحمه الله في فوائد هذا الحديث: "فيه إيماء إلى الحث على مواساة العيال والإخوان والجيران، ومنع الاستبداد وغيره"[4].

لقد منع الإسلام الاستبداد وحاربه، من خلال ما ورد من آيات قرآنية كريمة، وأحاديث نبوية شريفة؛ لما له من آثار سلبية على الفرد والمجتمع.

٣. الدعوة إلى ما يناقض الاستبداد من وحدة، وشورى، وعدل، وحرية، ومساواة:

فالقرآن الكريم حافل بالآيات التي تمنع الاستبداد، وتدعو إلى إحياء العدل والمساواة، وهناك آيات مباشرة تحض على الشورى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحذر من الاستبداد في الرأي كما نبه الحديث الشريف على ذلك ، وهذا ما سيأتي بيانه خلال الحديث عن منهج التربية الإسلامية في الوقاية والعلاج -بإذن الله-

---

(١) أبو داود، **السنن**، كتاب النكاح، باب في الاستئمار، ج٢،ص٣٢ ، رقم ٢٠٩٥، وأحمد بن حنبل، **المسند**، ج٢، ص ٣٤، ضعفه الألباني، انظر **ضعيف الجامع الصغير**،ج١،رقم ٦٠،ص ١٤

(٢) آبادي: أبو الطيب محمد شمس الحق، **عون المعبود شرح سنن أبي داود مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية**، بيروت – دار الفكر، ط٣، ١٣٩٩- ١٩٧٩، ج٦، ص ١١٩.

(٣) الترمذي، السنن، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في إكثار ماء المرقة، ج٤،ص٢٧٤، رقم ١٨٣٢، صححه الألباني،انظر صحيح سنن الترمذي، ج٢، ص١٦٤، رقم ١٤٩٦.

(٤) المناوي: عبد الرؤوف، فيض القدير، مصر – المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ، ج١،ص٢٨٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٤.بيان مصير المستبدين وجزائهم:

وردت العديد من الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، التي تبين ما ينتظر هؤلاء المستبدين الطغاة الظالمين من عقوبة وجزاء في الدنيا والآخرة وذلك ليكون رادعاً لهم ولغيرهم، حتى يبتعدوا عن هذه الأساليب، لكثرة آثارها وشدتها على الجميع، ومن تلك الآيات والأحاديث نذكر:

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة القصص: ٤٠)وقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (سورة القصص: ٤١)وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (سورة النازعات: ٣٧)وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (سورة النساء: ١٧٣)، ففي هذه الآيات الكريمة بيان لعقوبة المستبد الظالم ، وما هي نتيجة أفعاله في الدنيا والآخرة

ومن الحديث الشريف:- قال صلى الله عليه وسلم: "تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رحله فتقول قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً [1]". وقال عليه السلام: "ستكون أئمة من بعدي يقولون فلا يرد عليهم قولهم، يتقاحمون في النار كما تقاحم القردة"[2].

جاء الإسلام مكرماً للإنسان، محرراً له من كل الطواغيت، ومن أشكال العبودية، ومحرضاً على عدم الإكراه، فكان رحمةً لكافة الناس وبخاصة المستضعفين، هو دعوةً لمقاومة الطغيان والاستبداد بكل أشكاله.

مما تقدم يتبين لنا أن الإسلام لا يقبل بالاستبداد، ويحاربه نظراً لخطورته على الأفراد والجماعات حيث إنه يؤدي للفساد وشقاء الناس. وكما قال الشيخ محمد الغزالي: "إن الإسلام والاستبداد ضدان لا يلتقيان، فتعاليم الدين تنتهي بالناس إلى عبادة ربهم وحده، أما مراسيم الاستبداد فترتد بهم إلى وثنية سياسية عمياء [3]"ومن تتبع الشريعة الغراء، ونصوصها الواضحة، ووقف على حكمة تنزيل الكتب السماوية، وتدوين الأحاديث النبوية الشريفة، يرى أن الاستبداد المطلق ممنوع منابذ لحكمة الله في تشريع الشرائع، ومعاند كل المعاندة لصريح الآيات الشريفة والأحاديث الصحيحة، الآمرة بإتباع أحكام الكتاب والأخذ بالسنة، لأن الاستبداد فيه نبذ للدين وأحكامه وسعي خلف الهوى ومذاهبه وذهاب إلى خفض كلمة الله العليا وخرق لإجماع السلف"[4]

فإن القرآن الكريم والسنة المطهرة يرفضان رفضاً تاماً كل أشكال الحكومات المستبدة الجائرة

---

(١) البخاري، **الصحيح**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى وتقول "هل من مزيد"، ج٤، ص ١٨٣٦، رقم ٤٥٦٩ & مسلم، **الصحيح**، كتاب الجنة وصفه نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ج٤، ص٢١٨٦، رقم ٢٨٤٧.

(٢) أبو يعلى:أحمد بن علي بن المثنى، **المسند**،دمشق-دار المأمون للتراث،ط ١، ١٤٠٤-١٩٨٤،تحقيق حسين سليم أسد، ج٣، ص٣٧٥ رقم ٧٣٨٢ & الطبراني:أبو القاسم سليمان بن أحمد،**المعجم الكبير**،الموصل-مكتبة العلوم والحكم،ط٢، ١٤٠٤- ١٩٨٣،تحقيق حمدي السلفي، ج١٩ ، ص٣٩٣ ،رقم ٩٢٥، حسنه الألباني، انظر **صحيح الجامع الصغير**، ج٣، ص٢٠٤، رقم٣٦٠٩.

(٣) الغزالي: محمد، **الإسلام والاستبداد السياسي**، القاهرة – نهضة مصر، ط٦ ،٢٠٠٥، ص ١٧.

(٤) عبده ، **الأعمال الكاملة**، ج ٢، ص ٣٥١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

التي تظلم الفرد، وتقهره،وتطغى على المجتمع في مقومات نمائه ومسيرته الحية [1].

وقد نفى الله سبحانه وتعالى التجبر والتسلط عن الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه ومن ذلك قال سبحانه في شأن سيدنا محمد عليه السلام: ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ ﴾ (سورة ق: ٤٥) وقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾ (سورة الغاشية: ٢٢).

وهذا بعد أن بين سبحانه وتعالى أنه لم يجبر الناس على طريق ونهج معين، فقال سبحانه: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ (سورة يونس: ٩٩) وقال تعالى: ﴿ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ (سورة الأنعام: ١٤٩).

ولقد جاءت أقوال الصحابة رضوان الله عليهم، والعلماء رحمهم الله تعالى جليّة واضحة في رفض الاستبداد، والتحذير منه: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه "الرأي الفرد كالخيط السَحيل [2] والرأيان كالخيطين ، والثلاثة آراء كالثلاثة لا تكاد تنقطع"[3]وقال علي رضي الله عنه: "خاطر بنفسه من استغنى برأيه" وقال "من استبد برأيه هلك" وقال: "المستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل[4]" وقال بعض الحكماء:"إذا استبد الرجل برأيه عميت عليه

---

(١) حجازي: محمد عبد الواحد، **الدكتاتورية محنه الإسلام والعالم**، القاهرة – الزهراء للإعلام العربي، د-ط، ١٩٨٨، ض ٤٨.

(٢) السحيل هو: المبرم على طاق واحد، غير المفتول، ابن منظور، **لسان العرب**، ج٦، ص١٩٦.

(٣) الطرطوشي: أبو بكر، **سراج الملوك**، بيروت- دار صادر، ط١، ١٩٩٥، ص ١٨٥.

(٤) المجلسي:محمد باقر، **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، بيروت-مؤسسة الوفاء، ط٢، ١٤٠٣-١٩٨٣، ج ٧٢، ص ٩٨، ١٠٤ و ١٠٥.(مداحض: مزالق)

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المراشد [1]. وقال محمد عبده:"من أقبح ما يوصف به الرجال ملوكاً كانوا أم سوقه: الاستبداد بالرأي، وترك المشاورة [2]. وقال التونسي: "والمهم أن لا يطلق أمر الوطن لإنسان واحد كائناً من كان، وعلى أي حال كان [3]"وفي هذه الأقوال وغيرها كثير مما لا يتسع المجال لذكره هنا بيان لرفض الاستبداد، وخطورته، وأثره على المستبد والمستبد بهم.

وبهذا نرى أن الإسلام قد حارب الاستبداد، وعمل على التحذير منه، ومن مخاطره على النهوض والتقدم والحضارة، وعلى حياة الأفراد والجماعات، بل إن موقف الإسلام من الاستبداد كما يقول الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح هو موقفه من الكفر، وموقفه من الانحراف عن الطريق إلى الله لذلك كان لابد من تحرير فكرة السلطة إسلامياً، وتحويلها إلى سلطة تمكن الإنسان المسلم من إطلاق ملكاته وقدراته، حتى يصل إلى الغايات التي بينها الله سبحانه وتعالى وحددها للمسيرة الإنسانية[4].

المطلب الثالث:-المصطلحات ذات الصلة بمصطلح الاستبداد

ترد في النصوص الشرعية، وفي كلام العلماء أحياناً بعض المصطلحات التي تبدو مرادفة لمصطلح الاستبداد، مثل الطغيان، والديكتاتورية، والتسلط، والاستعباد، والاستكبار، والاستعلاء، والتجبر، فما العلاقة بين هذه المصطلحات، وبين مصطلح الاستبداد اتفاقاً واختلافاً؟ هذا ما سيتم إيضاحه من خلال هذا المبحث – بإذن الله –:

---

(١) النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، بيروت – دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٤-٢٠٠٤، تحقيق د. علي بو ملحم ، ج٦،ص٦٤ .

(٢) عبده ، **الأعمال الكاملة**، ج١، ص ٣٥٤.

(٣) التونسي: خير الدين، **مقدمة المسالك في معرفة أحوال الممالك**، بيروت – دار الطليعة، ط١، ص ١٣٠، تحقيق: معن زيادة،ص١٣٠.

(٤) أبو الفتوح: عبد المنعم، **الإسلام والنظام الديمقراطي**، عن الموقع الالكتروني www.islamonline.net

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الطغيـــــان

الطغيان لغةً: من طغى يطغى طَغياً ويطغوا طغياناً: جاوز القدر، وارتفع وغلا فـي الكفر، طغى فلان: غلا في العصيان وتجبر وأسرف في الظلم[1] فالطغيان لغةً هـو الغلـو، والتجبر، والإسراف، ومجاوزة الحد في الظلم وغيره.

وأما في الاصطلاح: " هو تجاوز الإنسان حده وقدره، وحد الإنسان هو ما حده الله له من حدود، لا يجوز أن يتجاوزها، وقدر الإنسان هو ما قدره باعتباره عبداً لله تعالى، فتلزمـه طاعة سيده ومولاه، وبقاؤه في نطاق العبودية له، فإن تجاوز ما حد الله للإنـسان وقـع فـي المعصية"[2].

قال تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (سورة البقرة،آيـة ١٥). أصـل الطغيـان: مجاوزة الحد في البغي، والعتو، والكفر، والضلال والعصيان[3] . وقال رسول الله صـلى الله عليه وسلم: "إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً، ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفراً [4]".

والطاغية: هو من تولى حكماً فاستبد وطغى، وتجاوز حدود الاستقامة، والعدل؛ تنفيذاً

---

(١) انظر ابن منظور، **لسان العرب**، ١٦٩/٨ & مصطفى وآخـرون: إبـراهيم ، **المعجـم الوسـيط**، ٥٦٥/٢.

(٢) زيدان: عبد الكريم، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد**، بيروت – مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٣-١٩٩٣، ص ١٨٩.

(٣) انظر الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل أي القـرآن**، بيـروت – الـدار الشامية، ط١، ١٤١٨-١٩٩٧، ج١، ص ١٣٤ & القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمـد، **الجـامع لأحكام القرآن**، بيروت – مؤسسة مناهل العرفان، د – ط وت،ج١، ص ٢٠٩ & ابن كثير: عمـاد الدين أبو الفداء، **تفسير القرآن الكـريم**، دمشق – دار الفيحاء، ط١، ١٤١٤-١٩٩٤، ج١، ص ٨٢ & أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، بيروت – دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩-١٩٩٩،ج١، ص ٦٦.

(٤) مسلم بن الحجاج، **الصحيح**، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، ج٤، ص ٢٠٥٠، رقم ٢٦٦١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

لمآربه في من تناوله حكمه، أو بلغت سلطته إليه[١]، ويتصف من يمارس الطغيان بعدد من الصفات هي:الوصول للحكم بطرق غير مشروعة كالمؤامرات، والقهر، والغلبة، وعدم الاعتراف بالقانون ، وتسخير جميع الموارد لتحقيق رغباته، وعدم الخضوع للمراقبة والمحاسبة[٢].

الصلة بين الاستبداد والطغيان:- وقد اختلف في الصلة القائمة بين مصطلحي الاستبداد والطغيان على أقوال، وهي:

١.**الترادف:**- فقيل هما مصطلحان مترادفان شاع استعمالهما لتلك الصورة القاسية من الحكم الفردي [٣] وقال أرسطو: "هما ضربان من الحكم يعاملان الرعايا على أنهم عبيد"[٤]، فالطغيان هو استبداد الحاكم الذي تقوم سياسته على العنف، فهي تشير إلى ما يفهم من الاستبداد ، ويثبت الواقع أن الاسمين يفضيان إلى معنى واحد هو الحكم اللاشرعي المقيد بمشيئة الحاكم فقط[٥]حتى قيل: "الطغيان عنوان الاستبداد[٦]" . وعرف البعض الطغيان بأنه: "تجاوز الحد المقبول من الظلم والاستبداد[٧]"فالطغيان محايث لفعل الاستبداد وليس شيئاً آخر.

٢. **الاختلاف:**- وهناك من فرق بين الاستبداد والطغيان بناءً على أسس معينة حكم من خلالها. إن المستبد من يتفرد برأيه ويستقل به وقد يكون مصلحاً، بينما الطاغية فيسرف في المعاصي والظلم، وقد يلجأ في طغيانه لاتخاذ القوانين والشرائع ستراً يتستر به، فيحصل على

---

(١) البستاني: بطرس، **دائرة المعارف**، بيروت – دار المعرفة، د- ط وت، ج ١١، ص ١٦٥.

(٢) إمام: إمام عبد الفتاح، الطاغية، القاهرة-مكتبة مدبولي،ط٣، ١٩٩٧، ص ٨٨.

(٣) **معجم العلوم الاجتماعية**، القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب، د- ط، ١٩٧٥، تصدير إبراهيم مدكور، ص ٣٦٨.

(٤) إمام، الطاغية، ص ٩٢.

(٥) الطحان، **ماهية الاستبداد مقاربات أولية لتحديد المصطلح**، ص١٥٣ و ١٥٩

(٦) الجيوسي: عبد الله، **الفساد**، مجلة مؤتة – الأردن، مجلد ٢٠، عدد ٥، سنة ٢٠٠٥، ص ١٨٥.

(٧) زيتون: وضاح، **المعجم السياسي**، الأردن – دار أسامه، ط١، ٢٠٠٦، ص ٢٤٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ما يريد بالظلم والجور[١]، فالمستبد قد يعدل إذا لم ينازعه أحد على الحكم، بيلما الطاغية يحكم دائماً بالحديد والنار، ويميل إلى العدوانية والعنف[٢] .

فالطغيان بناءً على ما تقدم يشتمل على عناصر القهر، والغلبة، والظلم، والجور، والعنف مما قد لا نجده في الاستبداد، وهنا نقول إن الواقع على خلاف ذلك. فإن هذه الصفات من أبرز صفات المستبد، قال أحمد عبادي: "قد يكون هدف المستبد في منطقة نبيلاً ولكنه يفقد نبله بسبب الممارسة القاتلة التي تصاحب عملية تحقيقه لهدفه[٣] فما من استبداد يستغني عن العنف لفرض مشيئته ما دام غير مراقب[٤].

وإن الأمر وإن كان كذلك "فليس العنف أو القهر أو عدمهما اللذان يعبران عن طبيعة الاستبداد، فيجعلان من فعل ما طغياناً، وانعدامها يجعلان منه استبداداً، فالعنف لا يغير جوهر الاستبداد، أي كونه طغياناً، فالطغيان صفه ملازمة لفعل الاستبداد سواء تم بالترغيب، أو بالترهيب، استخدم الجزرة أم العصا، فالعنف والقهر والجبر لا تعبر عن طبيعة فعل الاستبداد بل تشير إلى الوسيلة التي ينشئ بها المستبد فعله، والعنف أشكال ودرجات فأيها نعده طغياناً وأيها لا[٥] "وكلا المصطلحين يشير إلى أنظمة الحكم التي تسرف في استخدام القوة في إدارة السلطة والسيطرة السياسية التامة بواسطة حاكم فرد[٦] .

---

(١) البستاني، **موسوعة دائرة المعارف**، ج١١، ص ١٦٥، باختصار.

(٢) حفني، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، ص ٢٥ بتصرف.

(٣) عبادي، **الإسلام وهموم الناس**، ص ١١٩.

(٤) الطحان، **ماهية الاستبداد مقاربات أولية لتحديد المصطلح**، ص ١٥٣.

(٥) الخليفي، جذور الاستبداد في الحياة السياسية العربية المعاصرة، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ص ٢٨٥.

(٦) مرجع سابق، ص ٢٨٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- YarmoukUniversity
www.manaraa.com

وفرق بعضهم بينهما على أساس توافر القانون أو عدمه[1]. فالطاغية هو من يتدخل ضد القوانين ليحكم وفقاً للقوانين، والمستبد هو من يضع نفسه فوق القوانين نفسها، وهكذا يمكن للطاغية أن لا يكون مستبداً، لكن المستبد يكون دائماً طاغية"[2] ويقول جون لوك: "يبدأ الطغيان عندما تنتهي سلطة القانون، أي عند انتهاك القانون وإلحاق الأذى بالآخرين[3]". إلا أن كلا النظاميين يعارض القانون ويناقضه، ويرى كل من المستبدين والطغاة أن القانون قيد على المحكومين لا عليهم، فهم فوق القانون. فالمستبد هو الذي يمارس حكم الناس دون رضاهم، ودون التقيد بقانون أو رقابه، وهذا ينطبق على كل طاغية.

ومن خلال ما تم عرضه نلحظ أن الطغيان والاستبداد من المصطلحات المترادفة لإتحادها في الأساليب والأهداف والغايات، والآثار وغير ذلك فكلاهما أنظمة فاسدة لها آثارها على الجميع وفي كافة المجالات ، وهذا ما سيقوم عليه البحث – بإذن الله –.

الديكتاتورية

الديكتاتورية لغةً: مصطلح لاتيني لا أصل له في العربية.

واصطلاحاً:– فهي "حكومة الفرد يلي السلطة عنوه، ويستبد بالأمر [4] "إنها شكل من أشكال الحكومات، يمسك بزمام السلطة بشكل مطلق فيه فرداً أو هيئة أو جماعة، وهي نظام حكومي لا تحد سلطة الحاكم فيه قيود تشريعية، وقد خضعت أكثر الشعوب عبر التاريخ لهذا النظام[5].

---

(١) إمام، **الطاغية**، ص ٩٤.

(٢) روسو: جان جاك، **في العقد الاجتماعي**، بيروت – دار القلم، د– ط وت، ترجمة ذوقان قرقوط، ص ١٤٤.

(٣) إمام، **الطاغية**، ص ٨٠، نقلاً عن جون لوك، الحكم المدني، فقرة ٢٠٢.

(٤) حفني، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة** ،ص٣٥٦.

(٥) **الموسوعة العربية العالمية**، ج١٠، ص ٣٣٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فالديكتاتور هو الذي يخطط، ويرسم خطة العمل، ويوجه طريقة العمل، ويعاقب من يشاء، ويثيب من يشاء. فالسلطة مركزه في يده، يعتمد على مواهبه ونفوذه الشخصي وقوة أنصاره، ويعني بالدعاية لعهده[١] . ينفرد في الحكم ويتسلط على الآخرين، يسعى لتحقيق أهوائه ورغباته ويسخر جميع القوى لخدمته مستغلا لذلك جميع الأساليب والوسائل المتاحة.

الصلة بين الاستبداد والديكتاتورية:-

اختلف في الصلة القائمة بينهما على ثلاثة أقوال، هي:

١. **الترادف:-** فكلاهما يقوم على أساس انفراد شخص واحد بالسلطة، مع نفي المشاركة[٢] وكلاهما لا يستند إلى قانون. فهما بهذا مصطلحان يشيران لحالة واحدة.

٢. **الاختلاف:-** هناك من فرق بين الاستبداد والديكتاتورية بناءً على:

أ. إن الديكتاتور تولى السلطة بطريق القوة لا بالوراثة، بينما المستبد تولى السلطة من طريق الوراثة[٣].إلا أن الاستبداد كما قال الكواكبي مراتب أشدها حكومة الفرد المطلق الوارث للعرش، وأخفها الحاكم المنتخب المؤقت المسؤول فعلاً[٤] مما يشير إلى أن المستبد قد يتولى السلطة بالوراثة أو بالقوة أو غير ذلك.

ب. إن المستبد تظهر في سيكولوجيته الأنانية والفردية واللامبالاة وهو أكثر تعسفاً ودموية من الديكتاتور الذي يهتم بآراء الآخرين ويعتمد على جهاز دعائي قوي[٥]

---

(١) انظر طه، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، ص ٣٣٩، **ومعجم العلوم الاجتماعية**، ص ٢٦٦.

(٢) الجليل: عدنان حمودي، **النظم السياسية**، الكويت – مطابع اليقظة، د-ط، ١٤٠٢-١٩٨٢، ص ٩٧، بتصرف.

(٣) متولي: عبد الحميد، **أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث**، القاهرة – المكتب المصري الحديث، ط١، ١٩٧٥، ص ٤٧.

(٤) الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٢٥.

(٥) حفني، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، ص ٥١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٣. **المشاركة:**-فقد قيل إن للديكتاتورية أشكالاً وأساليباً متداخلة مع الاستبداد دون أن يكون مرادفاً لها[١] وأن الاستبداد هو المظهر الأبرز في الديكتاتورية [٢] بل إن كلمة استبداد تعني نوعاً من الديكتاتورية [٣] وهذا يشير إلى وجود عموم وخصوص بينهما.

وبذلك تتضح الصلة الوثيقة بين كل من الاستبداد والديكتاتورية، فهما يشيران لحالة واحدة، فالديكتاتور مستبد، والمستبد ديكتاتور.

التسلط

التسلط لغةً: من تسلط يتسلط تسلطاً. السين واللام والطاء أصل واحد وهو القوة والقهر [٤] التسليط: هو إطلاق السلطان وسلطان كل شيء: شدته وحدته وسطوته [٥] تسلط عليه، تحكم وتمكن وسيطر[٦]. فالتسلط لغةً هو: القوة، والقهر، والجدة، والسيطرة، والتحكم.

التسلط اصطلاحاً: "هو شكل من أشكال الحكم، تدير فيه البلاد فئة قليلة من الناس، ويسهم بقية السكان بقسط ضئيل في صنع القرار [٧]فهو الإسراف في ممارسة السلطة، واستعمال القوة، والإكراه، والبطش، والقمع،والعدوان بهدف السيطرة على الآخرين وتحقيق مصالح المتسلط ورغباته، مع عدم الاعتراف بقانون ولا بغيره.

قال تعالى:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَـٰتَلُوكُمْ ﴾ (سورة النساء: ٩٠). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط

---

(١) البيطار:فراس، **الموسوعة السياسية العسكرية**، عمان-دار أسامة، د-ط ، ٢٠٠٣،ج١، ص ٩٨.
(٢) المرجع السابق، ج٢ ، ص٩٧.
(٣) **الموسوعة العربية العالمية**،ج١،ص٦٢٥.
(٤) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٣، ص ٩٥.
(٥) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٦، ص ٣٢٧.
(٦) مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط** ، ج١، ص ٤٤٥.
(٧) **الموسوعة العربية العالمية** ،ج٦ ، ص٢٨٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

عليهم عدواً من سوى أنفسهم،فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو من قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضا [١].

الصلة بين الاستبداد والتسلط:- إن التسلط أسلوب يتمثل في الحكومات الاستبدادية والديكتاتورية حيث تقييد الحرية، والحد من دور السلطات المختلفة[٢]. بل إن التسلطية هي التعبير المعاصر للاستبداد التقليدي، فهي أسلوب في الحكم، ومنهاج في الحياة، وطريقة مسيطرة في التفكير[٣]. وإن مصطلح الاستبدادية يستعمل لوصف درجة تسلط الحاكم[٤].

وعليه يتبين أن هناك علاقة واضحة بين الاستبداد والتسلط في المعنى،من حيث أنهما أسلوبان للحكم يقومان على العنف، والظلم، ومصادرة الحريات.

التجبّـــــر

التجبر لغةً: جَبر يُجبر جَبراً وإجباراً. الإجبار: الإكراه، وسمي السلطان جبر لقهره الناس على ما يريده أولإصلاح أمورهم، والإجبار في الأصل حمل الغير على أن يجبر الآخر[٥]فالتجبر لفظ يحمل معاني التسلط،والقهر، والقسر، والتكبر، والإلزام.

---

(١) مسلم، **الصحيح**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ج٤، ص٢٢١٥، رقم ٢٨٨٩.

(٢) **الموسوعة العربية العالمية**، ج٦، ص ٢٨٥.

(٣) النقيب: خلدون حسن، **الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر**، بيروت – مركز دراسات الوحدة، ط١، ١٩٩١، ص٣٢٥.

(٤) المرجع السابق، ص ٢١.

(٥) الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، بيروت – دار المعرفة، د– ط وت، تحقيق محمد سيد كيلاني، ص ٨٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

والتجبر عن طريق السلطة هو الاستبداد[1].

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (سورة هود: ٥٩) جبار: هو متسلط عليهم معاند لا يسلم بحق[2]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليكتب جباراً وما يملك إلا أهل بيته"[3].

الصلة بين الاستبداد والتجبر:- يشير مصطلح التجبر إلى ما يفهم من الاستبداد، من استعمال العنف والقهر والظلم للآخرين، والتحكم بشؤون حياتهم وأحوالهم، فهما متقاربان في المعنى، متحدان في الوسائل، والأساليب،والأهداف.

الاستعلاء

الاستعلاء لغةً: من علا يعلو علواً. والعلو: "العظمة والتجبر وقيل التكبر في الأرض"[4]، استعلى فلاناً وعليه: "قهره وغلبه"[5]فالاستعلاء لغة هو: التجبر، والغلبة، والقهر، والظهور.

الاستعلاء اصطلاحاً: "هو العملية التي يوضع بمقتضاها فرد أو جماعة في مرتبة أعلى بالنسبة لفرد أو جماعة أخرى"[6].

---

(١) الزينات: سماهر، **المضامين التربوية لقصص الجبابرة في القرآن**، رسالة ماجستير الأردن – جامعة اليرموك، ١٤٢٤-٢٠٠٣، ص ٣٥.

(٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٤، ص ١٩٠٠.

(٣) الطبراني:أبو القاسم سليمان، **المعجم الأوسط**، القاهرة-دار الحرمين، د-ط، ١٤١٥، تحقيق طارق بن عوض الله و عبد المحسن الحسيني ، ج٦، ص ٢٣٢، رقم ٦٢٧٣.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٩، ص ٣٧٧.

(٥) مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، ج٢، ص ٦٣١.

(٦) بدوي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، ص ٤١٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (سورة يونس: ٨٣) أي إن فرعون غالب قاهر في أرض مصر، ومتجاوز الحد في الظلم والفساد، بالقتل، وسفك الدماء، أو في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية[١]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"... مثل أمة يأتون من بعدكم يستعلي سفهاؤها على علمائها [٢]".

الصلة بين الاستبداد والاستعلاء:- إن الاستبداد يبدأ بالاستعلاء، الذي هو من صفات المستبدين، وكما قال أحمد عبادي: إن المستبد يرى الآخرين أقل منه شأناً ودرجة ووعياً إما بدافع سيادة وتأله، أو بدافع غيرة، والنتيجة واحدة وهي نوع إحساس بالاستغناء عن الآخرين ونصحهم ومشورتهم، وتجاهل لإرادتهم وطموحهم، وهذا شعور يشكل المدخل الأوسع للطغيان[٣]

الاستكبـــــار

الاستكبار لغةً: من كَبُرَ كبرا وكُبراً وكبارة. الكبر: العظمة، استكبر الشيء: رآه كبيراً وعظم عنده والاستكبار: التعظم، وهو الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبراً[٤] فهو لغةً: التعظم، والتجبر، والترفع عن الانقياد وقبول الحق عناداً فقط.

واصطلاحاً: هو إحساس لدى الإنسان بأنه أعلى وأفضل من كل من حوله، وأنهم لا يستطيعون أن يفكروا أو يفعلوا كما يفعل هو، فيحتقر أفكارهم ويحاول السيطرة عليهم [٥]. قال

---

(١) الألوسي:شهاب الدين، **روح المعاني**،بيروت-دار إحياء التراث ، د-ط و ت، ج١١، ص ١٦٩.

(٢) الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد، **المعجم الأوسط**، القاهرة – دار الحرمين، د-ط، ١٤١٥، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، ج٥، ص ٣٣٧، رقم ٥٦٠٩.

(٣) عبادي، **الإسلام وهموم الناس**، ص ١١٩.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٢، ص ١٣.

(٥) حبنكه: عبد الرحمن، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دمشق – دار القلم، ط١، ١٣٩٩-١٩٧٩، ج١، ص ٧٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ (سورة فصلت: ١٥). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر[١] [٢]".

قال الألوسي رحمه الله: "الاستكبار هو طلب الكبر من غير استحقاق، لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله، بل بمعنى عد نفسه كبيراً، واعتقاده ذلك، وإنما عبر عنه بما يدل على الطلب للإيذان بأن مآله محض الطلب بدون حصول المطلوب[٣]" ولذلك فهو يشير إلى معاني: الزهو، والعظمة، والتجبر، وهو حالة مرضية حذر منها الإسلام لآثارها على نفسيات الأفراد.

الصلة بين الاستبداد والاستكبار:- إن الاستكبار وجه من وجوه التجبر في الأرض، فكل متجبر متعال مستكبر عن الحق، مستصغر ومحتقر للآخرين ومتطاول عليهم[٤].

إنه داء خطير يؤدي لإفراز شخصية تسلطية رافضة للحق والحقيقة[٥] وإن السياسة التسلطية تدفع المستكبرين إلى امتهان الناس وسلبهم هويتهم الإنسانية وشخصيتهم، لكي

---

(١) عُتُل: قيل فيه: الشديد الخصومة، ألفظ الشديد من كل شيء، الغليظ العنيف، الجافي عن الموعظة جواظ: المختال في مشيه، وقيل الفاجر وقيل الفظ الغليظ.
ا ابن حجر، **فتح الباري** ،كتاب التفسير، باب تفسير سورة ن والقلم، ج٩، ص ٦٢٤، رقم ٤٩١٨.

(٢) البخاري، **الصحيح**، كتاب الأدب، باب الكبر، ج٥، ص ٢٢٥٥، رقم ٥٧٢٣،& مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الجنة وصفه نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ج٤، ص ٢١٩٠، رقم ٢٨٥٣.

(٣) الآلوسي، **روح المعاني**، ج٦، ص ٤١.

(٤) الزينات ، **المضامين التربوية لقصص الجبابرة في القرآن الكريم**، ص ١٧.

(٥) خضر: قاسم توفيق قاسم، **شخصية فرعون في القرآن**، رسالة ماجستير، فلسطين – جامعة النجاح الوطنية ١٤٢٣-٢٠٠٣، ص ١٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يطوعوهم للانضواء تحت نيرهم ويصنعوا منهم أناسا عديمي الإرادة، فاقدي الفكر والتشخيص[١].

ويظهر مما تقدم أن الاستكبار هو أحد وجوه الظلم والتجبر، وأنه من أبرز صفات المستبدين، وخصائصهم التي تبرر لهم أفعالهم فهم يرون أنهم أرفع وأعظم من الآخرين ولذلك يتسلطون عليهم ويستبدون بهم.

الاستعباد

الاستعباد لغةً: من عبد يعبد عبوده وعبودية، فالاستعباد لغةً:- هو العبودية والاسترقاق، يعني جعل الآخرين عبيداً.

واصطلاحاً هو: "فقد الحرية الفردية والخضوع للآخرين [٢]"ويكون على صورتين:

١.عبودية الأبدان: وهو التي يقوم بها الجبابرة، بإخضاع السلاطين رعيتهم بالقهر.

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (سورة الشعراء: ٢٢)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر،ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره "[٣]، قال المناوي: رجل أستأجر أجيراً فاستوفى منه، ما استأجره لأجله من العمل ولم يعطه أجره لأنه استوفى منفعته بغير عوض، واستخدمه بغير أجرة فكأنه استعبده[٤].

---

(١) الزنجاني: عباس علي، **الإسلام وسياسة التسلط**، عن الموقع الإلكتروني www.alwihdah.com

(٢) بدوي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، ص ٤٤.

(٣) البخاري ،**الصحيح**، كتاب الإجارة، باب إثم من منع الأجير أجره، ج٢، ص٧٩٢، رقم٢١٥٠.

(٤) المناوي:عبد الرؤوف، **فيض القدير**، مصر-المكتبة التجارية، ط١، ١٣٥٦ ج٣، ص٣٤٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٢.عبودية القلوب والعقول: وهي التي يقوم بها الأحبار والرهبان الذين اخضعوا أتباعهم بالدين وادعاء القداسة تدليساً ودجلاً وتضليلاً[١].

فالاستعباد يعني الذل والخضوع، وفرض السيطرة بالقوة والقهر، وهو أمر تكرهه النفوس، وقد فعله فرعون بقومه، كما فعله غيره.

الصلة بين الاستبداد والاستعباد:- إن علاقة المستبد مع الأمة هي علاقة استعباد وسلب حرية، واضطهاد وقهر، قال تعالى مخبراً عن فرعون، عندما قال لقومه: ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ١٢٧).

وعليه، يتبين لنا أن هناك علاقة وثيقة بين الاستبداد والاستعباد حيث يقوم كلاهما على منع ممارسة الحرية بشتى صورها وأشكالها، وقمع الآخرين واستعمال مختلف الوسائل والأساليب لتحقيق الغايات، والمصالح الفردية.

ملخص للعلاقة بين المصطلحات المتقدمة

وبعد، فمن خلال هذا العرض للتعريفات الاصطلاحية لكل من مصطلح الاستبداد، ومصطلحات الطغيان، والديكتاتورية، والتسلط، والتجبر، والاستعلاء،والاستكبار، والاستعباد، ترى الباحثة أن هذه المصطلحات متقاربة في دلالاتها على معنى واحد، وإن كان هناك فارقاً فهو لا يكاد يرى، وعلى الرغم من أن تأصيلها اللغوي يختلف نسبياً بين مصطلح وآخر.

فهي تعبر عن حالة واحدة من الظلم، والتحكم بالآخرين، وانتهاك حقوقهم وحرياتهم، فلا شورى، ولا حرية، ولا عدالة، فهي تقوم على أساس التفرد المطلق، سواء تمثلت بفرد أم

---

(١) السيف: توفيق، **ضد الاستبداد أو الفقه السياسي الشيعي في عصر الغيبة**، بيروت – المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٩، ص ٢٦٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

بجماعة فكل منهم يرى أنه الوصي على الآخرين، يتصرف في شؤونهم كما يشاء، انطلاقاً من مسوغات ومبررات اجتهد في وضعها وإلقائها عليهم. لقهرهم واستغلالهم بغيه الوصول إلى تحقيق منافع شخصية، وأهداف وغايات فردية.

تقوم تلك الظواهر جميعها على مخالفة القوانين والدساتير الدينية والدنيوية، وتستعبد الجماهير التي تخضع لها طمعاً في القربى والثواب، وخوفاً من العقاب. تستخدم ضد من هم تحت سلطتها مختلف أساليب القمع والعنف، مما يقتل روح الأفراد وقدراتهم وإمكاناتهم وإبداعاتهم، يصبح منظر الدماء مألوفاً لدى الجميع جراء ما تقوم به من مذابح وحروب على مختلف المستويات، فمن استبداد وتجبر وتسلط الأب في بيته، والذي يقوم في بعض الأحيان بكافة الأعمال والانتهاكات لحقوق زوجته وأبنائه بالضرب والشتم والطرد مروراً بالمعلم الذي يقتل الحرية الفكرية لدى الطلاب ويصادر آرائهم وإبداعاتهم، وانتهاءً بالحاكم الذي ينفرد بأمور الحكم والسياسة لتحقيق ما يريد.

فهي مصطلحات وظواهر تشترك في الأساليب، والوسائل، والآثار، والأهداف، ولذا فإنها تطلق على مسمى واحد وبمعنى واحد في هذا البحث- بإذن الله-.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-YarmoukUniversity
www.manaraa.com

المبحث الثاني

جذور الاستبداد

إن مشكلة الاستبداد كغيرها لم تحدث صدفة أو فجأة، ولم تأتِ من كوكب آخر، بل هي ظاهرة متجذرة لها جذورها وأصولها التاريخية، والثقافية التي نشأت فيها، وفيما يلي بيان لهذه الجذور.

المطلب الأول:- الجذور التاريخية

عانت البشرية خلال التاريخ عدداً من المشكلات والكوارث التي كان لها دور بارز في التأثير على حضارة الأمم، وقد وصف مارك تورين تاريخ البشرية بأنه: "ما هو إلا سلسلة طويلة متصلة من المذابح، والمعارك، والحروب"[1] فالتاريخ كان ولا يزال في حالة صراع مستمر بين الاستبداد والحرية بين الظلم والعدل، بين الحق والباطل. فلقد امتلأت كتب التاريخ بالحديث عن المذابح والدماء التي حدثت إرضاءً للشهوة والأنانية التي يسعى أصحابها للملك المطلق، فكان التاريخ مظلماً إلا في بعض الفترات التي انبعثت فيها أنوار الحرية خلال الأنبياء والمصلحين[2].

ولقد كان من بين تلك المشكلات مشكلة الاستبداد التي شهدتها مختلف المجتمعات في مراحل تاريخها، وكانت معصية إبليس الناتجة عن استكباره وتجبره، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا

---

(١) الجار الله:عبد الكريم حسون، **تصدع البشرية من ضلال وويلات الاستبداد والعبودية**، بيروت – المكتبة العصرية، ط١، ١٩٦٩، ص ١١.

(٢) انظر معاش: مرتضى، **حركة التاريخ بين قدر الاستبداد وحرية الاختيار**، بحث منشور، مجلة النبأ عدد ٤٥، ١٤١٢-٢٠٠٠، ص ٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (سورة البقرة: ٣٤).

إن الاستبداد قرين الوجود الإنساني، حيث يوجد بالقوة في جميع التجمعات البشرية وبين جميع البشر عند اختلاف مصادر قوتهم، وإمكانياتهم، وموجود بالفعل عند توافر شروطه[١] فمنذ أن اتصف الإنسان بالطمع والجشع الذي يحثه على استغلال الآخرين واستعبادهم، وإذلالهم، والتحكم في مصائرهم، لتحقيق رغباته وأهدافه تشكلت صورة مخيفة مرعبة لهذه الظاهرة[٢]، فالإنسان متى ما امتلك السلطة واحتكرها لنفسه، وحرم الآخرين من ممارسة حقوقهم، تبدأ هذه المشكلة بالظهور.

انتشرت هذه المشكلة في مختلف الأنحاء والمجالات، ولقد عانى الإنسان طويلاً من الاستبداد، ابتداءً من استبداد الأب وانتهاء باستبداد السلطة[٣]، وانتشر بين المتعلمين، وفي الأسرة، وحتى بين الإخوة وقد نقل لنا القرآن الكريم قصة ابني آدم، حيث قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ

---

(١) عبد الله: ثناء فؤاد، آليات الاستبداد وإعادة إنتاجه في الواقع العربي، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ص ٥٣١.

(٢) انظر: الحسيني:علي ، **الاستبداد الديني محاولة لقراءة الفكرة عند النائيني**، عن الموقع الالكتروني www.kitabat.com

(٣) الغرباوي، **إشكاليات التجديد**، ص ١٦٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾

(سورة المائدة: ٢٧-٣١). بينت الآيات الكريمة قصة ابني آدم قابيل وهابيل، وكيف عدا أحدهما على الآخر فقتله بغياً عليه وحسداً له فيما وهبه الله من النعمة، وتقبل القربان، ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنة، وخاب القاتل[١].

إنها ظاهرة مستمرة ومتكررة ومن يراجع واقع الحضارات تفاجئه عظم المأساة التي عاشتها الإنسانية بسبب الاستبداد، فالحضارات السومرية، والبابلية،والفرعونية، وغيرها، لم تشيد إلا على جماجم الضعفاء[٢]، وكما يقول الأفغاني: "كأن القوة الفرعونية أخذت على الدهر عهداً أن لا تبرح وادي النيل، فكلما قضى فرعون تقمص آخر، وكلما انقرضت عائلة فرعونية ادعت ارثها عائلة أخرى، وجاءت ولو من وراء البحار، والتصقت بالنسب الفرعوني ولو بأقل شبهة من خلق الغطرسة والتأله على الناس"[٣]، فالفرعونية لا تتحدد بحقبه من الزمان، ولا تنحصر في بقعة أرض أو مكان، إنها طريقة حياة، نظام سياسي واجتماعي، هي بنية اقتصادية، ونظام قانوني، هي طريقة حكم كما أنها سلوك شخصي وأخلاقي، فهي نظام حياة يغطي المجتمع بأسره[٤].

---

(١) انظر ابن كثير:عماد الدين، **تفسير القرآن العظيم**، دمشق-دار الفيحاء، ط١، ١٤١٤ ج٢، ص ٥٨.

(٢) الغرباوي، **إشكاليات التجديد**، ص١٥٣، باختصار.

(٣) الأفغاني: جمال الدين، **الأعمال الكاملة**، بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د-ط، ١٩٧٩، تحقيق محمد عمارة، ج٢، ص ٣٣٢.

(٤) المودودي: أبو الأعلى، **فرعون في القرآن**، القاهرة – المختار الإسلامي، د – ط، ١٩٨٥، ترجمة احمد إدريس، ص ٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

لقد عاشت الأنظمة الديكتاتورية طوال عصور المجتمعات البشرية من بدايتها وحتى اليوم[١].

وعلى الرغم من اتسام الحياة العربية والإسلامية منذ بدايتها بالفردية إلا أنها قد سلمت من الاستبداد السياسي في العصر الأول، فقد اتسم عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، بأعلى مظاهر التطور الحضاري على الصعد الدينية والأخلاقية والسياسية، حيث سادت قيم الشورى، والحرية، والمشاركة في اتخاذ القرارات وتنفيذها، واختفت مظاهر التسلط والاستبداد، بل قد أصبحت الأمة قادرة على تحدي إرادة الحاكم عند أي خطأ[٢] ويروي لنا التاريخ العديد من القصص التي تبرهن على ذلك منها ما نقل عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي عرف بقوته وشجاعته وشدته، أخرج البيهقي في السنن الكبرى، خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وقال: ألا لا تغالوا في صداق النساء فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سيق إليه، إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال ثم نزل فعرضت له امرأة من قريب، فقالت: يا أمير المؤمنين أكتاب الله أحق أن يتبع أو قولك، قال: بل كتاب الله تعالى، فما ذاك، قالت: نهيت الناس آنفاً أن يغالوا في صداق النساء، والله تعالى يقول في كتابه (وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا) فقال عمر رضي الله عنه: كل أحد أفقه من عمر مرتين أو ثلاثاً ثم رجع إلى المنبر، فقال للناس: إني كنت نهيتكم أن تغالوا في صداق النساء، ألا فليفعل الرجل في ماله ما بدا له[٣].

---

(١) العفيفي: عبد الكريم، **مجتمعات تحت حصار الطغيان**، القاهرة – الزهراء للإعلام والنشر، ط١، ١٤١٢-١٩٩٢، ص٢٥.

(٢) انظر الغرباوي، **إشكاليات التجديد**، ص١٥٦.

(٣) البيهقي، **السنن الكبرى**، كتاب الصداق، باب لا وقت من الصداق قل أو كثر ج٧، ص ٢٣٣، رقم ١٤١١٤، وقال- هذا منقطع-.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

واتبعت الأمة نظام الشورى في جميع شؤون حياتها، فقد استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في العديد من المسائل والغزوات، ففي غزوة بدر، عندما اجتمع المسلمون للقاء العدو، قال الحباب بن المنذر يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي الحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأي، فنهض رسول الله عليه الصلاة والسلام ومن معه من الناس فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فغورت، وبنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه فملئ ماء، ثم قذفوا فيه الآنية[1]، وغير ذلك من أحداث ووقائع كما حصل في غزوة أحد، والخندق، وغيرها الكثير من شؤون الأفراد والمجتمع آنذاك ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تعداه حتى وصل للأمور الشخصية ومن ذلك ما حصل في حادثة الإفك، حيث دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله[2].

كل هذا كان له الأثر الأكبر في تقدم الأمة وعلو شأنها بين الأمم، فكما كان نظام الحكم والخلافة يقوم على الشورى، فقد كانت العلاقة بين أفراد الأسرة تقوم على هذا المبدأ، وإن كتب التراجم للصحابة والتابعين تشهد بذلك، إلا أن هذه الحالة قد تغيرت في الدولة الأموية، فصار الاستبداد ظاهرة سائدة ألفها الإنسان وتعايش معها نوعاً ما.

---

(١) ابن هشام:أبو محمد عبد الملك، **السيرة النبوية**، بيروت–دار الجيل، د–ط و ت، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ج٣، ص١٦٧–١٦٨.

(٢) انظر البخاري، **الصحيح**، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، ج٢، ص ٦٤٢، رقم ٢٥١٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ففي العهد الأموي بدأت الروح الديمقراطية بالزوال، وظهرت النزعة الاستبدادية وتوغلت[1]، وكان من صفات الخلافة الأموية: حكم الفرد، وترك الشورى، وعدم المسؤولية أمام الشعب، والاعتماد على القوة والبطش ومحاربة الخصوم[2]، وجاءت من بعدها الخلافة العباسية التي انتهجت نهجها وسارت على خطاها، فكان للسلطان صلاحيات مطلقة لا يخضع للمحاسبة، ولا يملك الشعب حق الحد من سلطته، لأن إرادته فوق الجميع.

ولم يقتصر الأمر على الاستبداد السياسي، بل إن الأشكال الأخرى قد ظهرت واشتد أثرها بصورة أوضح من السابق؛ وذلك لتأثير الاستبداد السياسي على عقول الأفراد ونفسياتهم، حتى قيل: "تضطهدنا الدولة، ويقهرنا الإرهاب فنضطهد أبناءنا ونرهبهم، حتى يلتزموا بقيم وأنماط سلوكية، لا تنبع من واقعهم الجديد، وإنما تنقل لهم من مجتمع قديم[3]".

ولا تزال الأمم تقبع في قيود الاستعباد، والاستبداد، والطغيان، والتي لم تكن ظاهرة جديدة، بل ترجع جذورها لعمق وجود الإنسان[4].

ولم يكن الاستبداد خاصاً بتاريخ المسلمين، فقد وجد فيه فترات شع منها بريق الحرية، والعدل، والشورى، وإن تاريخ الإسلام ليس سلسلة من أنظمة الجور.كما أشار لذلك الخليفي[5] بل أن الاستبداد ظاهرة عامة وشاملة لم يسلم منها أو من آثارها باستثناء ما قدمنا بيت ولا مجتمع ولا مؤسسة.

---

(١) انظر متولي، **أزمة الفكر السياسي**، ص٥٤.

(٢) الطحان: محمد جمال، قراءة تاريخية للاستبداد في الفكر والشعر العربيين، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ص٣٢١.

(٣) وطفه، **بنيه السلطة وإشكالية التسلط التربوي**، ص٢٣، نقلاً عن النقيب: خلدون، التنشئة الاجتماعية في عصر مضطرب، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الطفل والمجتمع: دراسات في التنشئة الاجتماعية للأطفال، تحرير محمد جواد رضا، (الكويت – الجمعية) ١٩٩٣، ص١٤٦.

(٤) الوالي، الاستبداد في الفكر الكلامي والفلسفي، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ٣١٤.

(٥) انظر الخليفي، جذور الاستبداد في السياسة العربية المعاصرة، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ص ٢٨٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثاني:- الجذور الثقافية

تعكس الثقافة طريقة حياة المجتمعات وأهم ما يميزها، وتتضمن وجهة نظر كل فرد في المجتمع عن السلوك الفردي، والعلاقات الاجتماعية، وبيان موقفه من الأنظمة، ومن غيره من الناس، واتجاهاته الفكرية نحو الأسرة، والأخلاق، والذوق، إضافة لما يملكه من حكم مأثورة [١].

وعن جذور الاستبداد، فإنه يعود للثقافة التي تهيئ الأفراد والمجتمعات لقبول الاستبداد، والتعايش معه، وقد تكون هي الغالبة كما أشار أحدهم إلى ذلك بقوله: "إن ثقافة الاستبداد هي الثقافة الغالبة في كل حنايا البناء الاجتماعي العربي على مستوى الحاكم والمحكوم" [٢]. فالاستبداد هو أحد العناصر، والمكونات، والإمكانات المتوافرة في الحياة الاجتماعية، ويعود هذا لأسباب منها:

١.هيمنه ثقافة الخضوع [٣] قال الأفغاني: "فقد أخنى الدهر على الشرق، ومرت عليه زلازل التعسف والجور، وأشكال الاستعباد، حتى تأصلت في نفوس أبنائه بذور الذل والاستكانة لكل قوي اكتسح بلاده [٤]" وقال الكواكبي: "نحن ألفنا الأدب مع الكبير، ولو داس رقابنا، ألفنا الثبات، ثبات الأوتاد تحت المطارق، ألفنا الانقياد ولو إلى المهالك، ألفنا أن نعتبر

---

(١) عبد الحي: تحسين، **الثقافة العربية بين الاسترخاء والتطور**، بحث منشور، مجلة الفيصل، عدد ١٢١، سنة ١١، ١٩٨٧، ص٥٩.

(٢) عبد الله: ثناء فؤاد، خلاصة تنفيذية قراءة في أوراق اللقاء الرابع عشر لمشروع الدراسات الديمقراطية، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ص١٧.

(٣) السيف: توفيق، تفكيك الاستبداد، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ص٢٤٩.

(٤) الأفغاني، **الأعمال الكاملة**، ج٢، ص٣٣٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

التصاغر أدباً، والتذلل لطفاً، والتملق حصافة، وترك الحقوق سماحة، وقبول الإهانة تواضعاً، والرضا بالظلم طاعة، ودعوى الاستحقاق غروراً، ومد النظر إلى الغد أملاً طويلاً، والإقدام تهوراً، والحمية حماقة، والشهامة شراسة، وحرية القول وقاحة، وحرية الفكر كفراً[١].

٢.ما تعانيه الثقافة العربية من انتشار العلاقات الاجتماعية التي تأخذ طابع القهر والتسلط والإكراه في البيت، والمدرسة، والحياة العامة، حيث يخضع الصغار للكبار، والأبناء للآباء، والإناث للذكور، والفقراء للأغنياء، فالفرد إما أن يكون آمراً أو مأموراً، تابعاً أو متبوعاً، قاهراً أو مقهوراً [٢] بل وإن جنون القتل، والتدمير، والتعذيب، والنهب، والسلب، كان شيئاً مألوفاً لدى بعض الأقوام في العصور القديمة كالحيثيين، والبابليين، والآشوريين [٣] فإن أزمة الحرية تمتد جذورها إلى الموروث الثقافي، وما فيه من تصور رأسي للعالم، فالأعلى يأمر والأدنى يطيع، مما يساعد على إيجاد المجتمع الأبوي المتمثل بشخصية سي السيد [٤].

كما وجد عند المسلمين تراث ثقافي يؤصل لبعض الانحرافات، ويصادر بعض الحريات، ومن ذلك ما أساء الطغاة فهمه من بعض القواعد الشرعية كسد الذرائع، والأخذ بالأحوط، وغيرها، حيث أصبحت إمامة المتغلب، وأهل الجور مشروعة، وأحكامهم نافذة فعاشت الأمة في ظل القوانين الطارئة مما عطل قواعد نظامها السياسي، وقد احتفظ الطغاة بالنظام القضائي لكونه الضمانة الأساسية لحفظ ضروريات الأمة التي لا تضر بسلطانهم [٥].

---

(١) الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص١٣٢.

(٢) وطفة، **بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي**، ص٢٤، وانظر نوفل، **دراسات في الفكر التربوي**، ص٥٢.

(٣) مكاوي: عبد الغفار، **جذور الاستبداد (قراءة في أدب قديم)**، الكويت- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د-ط، ١٤١٥-١٩٩٤، ص١٠.

(٤) حنفي، **الحرية والتحرر**، ص١١٠.

(٥) النجار، **دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين**، ص١٣-١٨ باختصار.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ومن أقوالهم في الرضا بإمامة أهل الجور: _إمام عادل خير من مطر وابل، وإمام غشوم خير من فتنة تدوم، وإن الحاكم الظالم خير من انعدامه أصلاً، وإن الحاكم لو كان ظالماً لخير من الفتنة وانحلال المجتمع [1]. بل قد شاعت بعض الألقاب التي قدمها بعض النخب، والتي تساعد على ذلك وتؤيده، ومنها: المعلم الأول، المفكر الكبير، الإمام الأكبر، عميد الأدب، ضمير الأمة، عقول البشرية، وكأن بقية الناس لا عقل لهم ولا ضمير. كما نسب البعض عصراً كاملاً إلى أديب أو عالم أو فيلسوف [2].

وحول شيوع الاستبداد العلمي، قال ابن الجوزي: "وقد لبس إبليس على أقوام من المحكمين في العلم والعمل من جهة أخرى، فحسن لهم الكبر بالعلم، والحسد للنظير، والرياء لطلب الرياسة، فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لهم، وتارة يقوي حب ذلك عندهم فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطأ، وقد يدخل إبليس عليهم بشبهة أخرى، فيقول: طلبكم للرفعة ليس بتكبر، لأنكم نواب الشرع، فإنكم تطلبون إعزاز الدين ودحض أهل البدع، وإطلاقكم اللسان في الحساد غضب للشرع، إذ الحساد قد ذموا من قام به، وما تظنونه رياء فليس برياء لأن من تخاشع منكم وتباكى اقتدى به الناس [3].

ونلمس الاستبداد في الفكر في:- واقع الحركات الإسلامية: حيث مارست بعض الحركات الإسلامية على أتباعها نوعاً من مصادرة الحرية في الرأي بالحجر عليهم فيما

---

(١) عضيبات: عاطف العقلة، **الدين والتغير الاجتماعي في المجتمع العربي**، القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب، د-ط ، ١٩٩٩، ص٢٦.

(٢) حرب: علي، **تواطؤ الأضداد الآلهة الجدد وخراب العالم**، الجزائر- منشورات الاختلاف، ط١، ١٤٢٩-٢٠٠٨، ص١٦٢.

(٣) ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، **تلبيس إبليس**، الأردن – دار الفكر، د- ط وت، تحقيق آدم أبو سنينه، ص١٤٨-١٤٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يتعلمون، ويقرؤون حيث تحدد لهم مادة المعرفة، والأعلام الذين يتلقون عنهم [١] وكان هذا كرد فعل لما مارسته الحكومات ضدها، مما أثر في تعاملها مع الآخر المسلم وغيره، فنشأت موجات تكفيرية امتدت لتصل لبعض مناهج التدريس [٢].

وأما الاستبداد الاجتماعي، وبخاصة على الإناث، فإن مما أدى إلى شيوعه وانتشاره، انتشار بعض الأفكار التي تعتبر البنت معرة في جبين الأسرة وأنها عبء اقتصادي، لا يتوقع منها أن تزيد أو تساهم في دخلها [٣]، وانتشار فكرة أن المرأة هي الحلقة الأضعف فتبقى تابعة للرجل مادياً، أو اجتماعياً، أو عاطفياً، مما قد يتخذه البعض مبرراً لما يقوم به من أعمال عنف ضدها [٤].

وإن الأنظمة العربية لم تستطع تجاوز الاستبداد كشكل تسلطي أو سلوك يومي في المؤسسات، وحتى كثقافة وقيم، بل إنه يوجد حتى في الأحزاب المعارضة المطالبة بالديمقراطية [٥] حيث أصبح التسلط مكوناً من مكونات الشخصية العربية، ومن أشكاله المنتشرة، سلطة التراث، سلطة الأب، والشرطي، والمعلم، والموظف، سلطة الخوف والحزن، الفقر أو قلة مستوى الدخل، المتحدث في الندوات أو المؤتمرات أو المحاضرات يتبوأ مقعده

---

(١) النجار، **دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين**، ص٧٥.

(٢) الدباغ، الاستبداد في فكرة ولي الأمر وفقه الغلبة وولاية الفقيه في الوقت الراهن، **دراسات في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ص٦٣.

(٣) إسماعيل: محمد عماد الدين، ومنصور: رشدي فام، وإبراهيم: نجيب اسكندر، **كيف نربي أطفالنا التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية**، القاهرة – دار النهضة العربية، ط٢، ١٩٨٢، ص٣٨٩.

(٤) أبو حجله: همسه سمير، **العلاقة بين الرضا عن الزواج والعنف ضد الزوجة في قصبة الكرك**، رسالة ماجستير غير منشورة – الأردن، جامعة مؤتة، ٢٠٠٤، ص١٣.

(٥) بوزيد: بومدين، الوجه الباطني للاستبداد والتسلط، **الاستبداد في نظم الحكم العوبية المعاصرة**، ص١٥٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الاستبداد ويزعم بأن الرأي الذي يقدمه هو في غاية الوضوح والدقة [1].

هكذا يمضي الحديث عن الثقافة العربية تحديداً للقول بأنها تحتوي على ما يعادي الديمقراطية صراحة، أو لا يعطيها أهمية مركزية في منظومة القيم، والمعايير السائدة في مجتمعاتنا، إن ينابيع ثقافتنا المعاصرة تهيئ الأفراد والجماهير لقبول الاستبداد، والتعايش معه، حيث يستند لركيزتين: الحكم وأنظمته والجماهير العربية، وكلا الركيزتين هو نتاج الثقافة العامة التي نشأ عليها الحكام والمحكومين [2].

فظاهرة الاستبداد متجذرة في الثقافة العربية، ولها مظاهرها وأشكالها المتعددة، وأسبابها، والتي سيأتي الحديث عنها – بإذن الله – في المباحث التالية.

---

(١) الوالي، الاستبداد في الفكر الكلامي والفلسفي، **دراسات في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ص٣١٥.

(٢) إبراهيم: سعد الدين، **المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي**، القاهرة – دار قباء، د-ط، ٢٠٠٠، ص٦٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثالث

أشكال الاستبداد

يرجع ظهور الاستبداد على سطح الكرة الأرضية كما قدمنا إلى عمق وجود الإنسان، وانتشر في مختلف مجالات الحياة، فلم يتخذ شكلا واحداً ولا صورة واحدة، بل تعددت أشكاله وتنوعت لتشمل جميع الأنظمة والمجالات، فهو مرض عام تظهر آثاره على قطاعات المجتمع ونظمه العامة والخاصة. "فالسلطة ليست في مكان واحد، إنها الحارس الذي يراقب السجن بحرص شديد، في صاحب الفرن الذي يبيع الخبز للسجان، ويشعر بالفرح لأن السجن موجود" [١] فالاستبداد من الفرد المستبد إلى العائلة المستبدة، وإلى الاستبداد الحزبي، واستبداد الدولة [٢]، إن الطغيان وعائلته كالاستبداد والتسلط والحكم الفردي المطلق والديكتاتورية والشمولية لا تقتصر على حاكم أو نظام معين، بل إنه يمد ظلاله إلى مختلف وجوه حياتنا وتفكيرنا وسلوكنا وتعليمنا وإدارتنا [٣].

وانطلاقاً من ذلك فإننا نعيش حالة مستشرية من الاستبداد في كافة المجالات ، حيث لا يقتصر على الجانب السياسي، بل يتوسع ليشمل أشكالاً أخرى، كالاستبداد الفكري والاجتماعي والاقتصادي، فكل أعلى يستبد بمن هم دونه.وفي هذا المبحث بيان لأبرز تلك الأشكال

المطلب الأول:- الاستبداد الفكري

ويطلق عليه الاستلاب

---

(١) نور الدين: محمد عباس، **التمويه في المجتمع العربي السلطوي**، المغرب – المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٠، تقديم هشام شرابي، ص٧.

(٢) النجفي: سالم، الاستبداد في نظام الحكم في العراق متضمنات الماضي ورؤية المستقبل، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ص٤٥٧.

(٣) مكاوي، **جذور الاستبداد**، ص١٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

يعد الفكر أثمن المواهب الإنسانية إذ أنه وسيلة لاكتساب العلوم والمعارف، وهو الأداة التي تعبر عن حرية الإرادة، والتي يتمكن الإنسان من خلالها من التمييز بين الخير والشر، ولهذا كان انطلاق الفكر في عصر ما، دليلاً على مدنيته وحضارته ورقي أفراده، وتقييده سبب في انحطاطه وجهل أبنائه[١] فهو أساس العقل، إن سلم صح ما يحمله من أفكار، وإلا فلا.

ويعرف الاستبداد الفكري بأنه: عدم قدرة الأفراد على التعبير عن آرائهم بحرية، مما يعني غياب الحرية الفكرية[٢]، فهو التفرد بالرأي، وفرضه على الآخرين وتجاهل آرائهم واستبعادها، بل العمل على منعهم من إبدائها والتعبير عنها ابتداءً أو مناقشتها، فلابد من تقبل الأوامر والتعليمات، والتسليم بها دون جدال أو مناقشة. فالمستبد كما يقول الكواكبي رحمه الله تعالى: "يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم، ويحاكمهم بهواه لا بشريعتهم، ويعلم من نفسه أنه الغاصب المتعدي، فيضع كعب رجله في أفواه الملايين من الناس، يسدها عن النطق بالحق، والتداعي لمطالبته"[٣]، بل إن هناك فئة من النخب يطلق عليهم النرجسية تريد أناساً يصفقون لها، ويقفون منها موقف الثناء والتبجيل، فهم يريدون قطعاناً بشرية يمارسون عليها، ويفكرون عنها أو يقودونها ويستبدون بها[٤].

يشمل الاستبداد الفكري كل استبداد باسم الدين أو العلم أو التربية، حيث يتم التحكم في عقول الناس، عن طريق عدة وسائل منها الإعلام، وقد تمارسه فئة حاكمة مسيطرة[٥].

---

(١) طعمية: صابر، **الدولة والسلطة في الإسلام**، القاهرة – مكتبة مدبولي، د-ط، ٢٠٠٥، ص٥٧٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٩.

(٣) الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص٢٧.

(٤) حرب ، **تواطؤ الأضداد الآلهة الجدد وخراب العالم**، ص١٦٢. (النرجسية أحد أنماط الشخصية يتميز صاحبها بحب الذات، والشعور بالعظمة، والحساسية للنقد)

(٥) الطحان، **ماهية الاستبداد**، ص١٧٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل ظهر هناك ما يسمى بالفكرة المتسلطة والتي هي عبارة عن "عرض مرضي يتمثل في ثبوت فكرة شاذة في ذهن المريض، لا يستطيع استبعادها كالوسواس والهذاء، وغيرها[1] . ومن الأمثلة على هذا الشكل: فرقة المعتزلة، ونختار من تاريخها حادثين:نشأتها، ومسألة خلق القرآن.

إن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء، وكان ممن يحضرون مجلس الحسن البصري العلمي، فثارت تلك المسألة التي شغلت الأذهان في ذلك العصر، وهي مسألة الحكم على مرتكب الكبيرة، فقال واصل مخالفاً الحسن: أنا أقول إن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن بإطلاق، ولا بكافر بإطلاق بل هو بمنزلة بين المنزلتين، ثم اعتزل مجلس الحسن واتخذ له مجلساً آخر في المسجد[2] هذه القصة تبين الاستبداد في الفكر، وكأن الرأي الذي يطرحه الشخص لا جدال فيه، ويمثل الحقيقة[3] ويظهر ذلك في ترك واصل لمجلس الحسن لمخالفته في رأيه. أما مسألة خلق القرآن الكريم فقد ارتبط ذكرهم بها، فهم الذين أثاروها في العصر العباسي، وحملوا الفقهاء والمحدثين على القول بخلق القرآن تحت القهر والغلبة وقوة السلطة، وتدرجوا في عقوبة المخالف ابتداءً من الحرمان من مناصب الدولة إلى الإعدام، وقد ذاق كثير من الفقهاء والمحدثين السجن، والتعذيب، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وغيره كثير[4]

وأخيراً فإن إشكالية الاستبداد بالرأي وقمع الآخر، ، قد أصبحت ظاهرة منتشرة ومألوفة، وعقبة في طريق تحقيق وحدة شاملة للأمة لكونها عائقاً عن ممارسة الحرية والفكر.

---

(١) طه:فرج، **موسوعة علم النفس والتحليل النفسي**، الكويت–دار سعاد، ط١، ١٩٩٣، ص٦٤٠.

(٢) انظر أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، بيروت – دار الفكر العربي، د–ط، ١٩٨٧، ج١، ص١٢٤.

(٣) الوالي، الاستبداد في الفكر الكلامي والفلسفي ، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ص٣١٠.

(٤) انظر أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، ج١، ص ١٤٩–١٥٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ولأن الطغيان والفكر الحر لا يجتمعان أبدا، فوجود الطغـاة يعنـي مذبحـه الفكـر والمفكرين[1] لذا فقد ترتب على هذا الشكل من الاستبداد العديد من الآثار التي منعـت وحـدة الأمة وتقدمها ونهضتها.

المطلـب الثـــاني:- الاستبـــداد الاجتمـــاعي

والمراد هنا العلاقة القائمة بين الأشخاص الموجودين في محـيط واحـد، أو دائـرة واحدة، يتأثرون ويؤثرون ببعضهم بعضا.

والاستبداد الاجتماعي هو: التصرف المطلق القائم على الإنفـراد والعنـف والقمـع للآخر، يقوم به فرد تجاه فرد آخر أو جماعة من الواقعين تحت سلطته، ويبرر ذلك بعدد من المبررات، ونجده في الأسرة، والمدرسة، والمؤسسات بمختلف أشكالها، الأحزاب، وغير ذلك.

فما من خيط من خيوط شبكة العلاقات الاجتماعية إلا وهو منصبغ بالاستبداد الـزوج مع زوجته، والأب والأم مع أبنائهم، والذكور مع الإناث، والكبير مع الصغير، والغنـي مـع الفقير، والمدير مع الموظف، والحاكم مع المحكوم، والقوي مع الضعيف والمعلم مع المـتعلم، فهو موجود في كل مكان[2] وعند غالبية الأفراد فالرجل، والمـرأة، والأبنـاء مـع الآبـاء، وبالعكس، الإخوة، الصديق مع أصدقائه الطالب في مدرسته، قائد الحزب وسط بقية الأحزاب، قائد الدولة، الدولة بين الدول، بين العلماء وطبقات المثقفين.

فالعلاقات الاجتماعية في غالب الأحيان تقوم على أسس الإكراه،والقهـر، والتـسلط، على مستوى العائلة، والمدرسة، والحياة العامة، وبموجب هذه العلاقـات يخـضع الـصغار

---

(١) مؤنس: حسين، **تاريخ موجز للفكر العربي**، القاهرة – دار الرشاد، ط١، ١٤١٦-١٩٩٦، ص٢١.

(٢) عبادي: أحمد، **الإسلام وهموم الناس**، ص١٢٠، وانظر الطحان،**ماهية الاستبداد** ،ص١٧٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

للكبار، والأبناء للآباء، والإناث للذكور، والفقراء للأغنياء، فالمجتمع العربي مجتمع أبوي يشكل فيه الأب محور السلطة، فالفرد إما أن يكون آمراً أو مأموراً، تابعاً أو متبوعاً، قاهراً أو مقهوراً، حيث تغيب العلاقات الأفقية[1].

إن الاستبداد على نطاق الأسرة ينطلق في بعض الأحيان من حالة تسمى هوس التسلط والتي عرفت بأنها سلوك يمليه النزوع إلى التسلط، وعدم القابلية للاستشارة، تصاحبه نزعة إلى الخضوع للأشخاص ذوي السلطة من خارج الأسرة[2].

ونلحظ الاستبداد في الأسرة في عدد من العلاقات، منها:

علاقة الزوج مع زوجته:- يمارس بعض الأزواج مع زوجاتهم استبداداً يتمثل في إصدار القرارات، وفرضها فلا يستمع غالباً لرأي المرأة، ويجردها من صفات العقل،يسيطر عليها مادياً،وقد يحرمها من بعض حقوقها كالمهر، بل ويمارس ضدها، العنف بقسميه النفسي والجسدي، وهذا ما يظهر واضحاً للعيان عند مراجعة المحاكم الشرعية، والاستماع إلى أسباب حالات الطلاق المتعددة، بل إن الرجل حتى عند استحالة الحياة الزوجية بينهما يلجأ لأسلوب العنف والقسوة بهدف دفع المرأة للتنازل عن مالها من حقوق، هذا الأمر الذي جاء الإسلام الحنيف بالنهي عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ (سورة البقرة: ٢٣١)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ (سورة الطلاق: ٦).

إن المرأة لا زالت تعاني في بعض المجتمعات من السيطرة عليها، ومعاملتها بالعنف والقسوة والضرب والإهانة، والسيطرة على المصادر المالية، وقمعها ومنعها من إبداء رأيها، أو المشاركة وغير ذلك.

---

(١) وطفة، **بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي**، ص٢٤.

(٢) **معجم علم النفس والتربية**، ،ج١، ص٤٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ومن الأمثلة على ذلك: ما فعله فرعون مع زوجته من تعذيب لها، ومعاملتها بالشدة والقسوة حتى تكفر، وترجع عن دينها، قال أبو العالية: اطلع فرعون على إيمان امرأته فخرج على الملأ، فقال لهم: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها، فقال لهم إنها تعبد رباً غيري، فقالوا له: اقتلها فأوتد لها أوتاداً، وشد يديها ورجليها، فقالت (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة)، ووافق ذلك حضور فرعون، فضحكت حيث رأت بيتها في الجنة، فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها: إنا نعذبها وهي تضحك فقبض روحها[1]

علاقة الأب مع أبنائه:- فالأب هو المحور الذي تنتظم حوله العائلة، فالعلاقة بين الأب وأبنائه علاقة هرمية، فإرادته هي الغالبة والنافذة، ويتم التعبير عنها في العائلة والمجتمع بنوع من الإجماع القسري المبني على الطاعة والقمع[2]، ويدل على ذلك أن الأم تلجأ إلى التخويف بالأب كي ينام الطفل أو يطيع ويهدأ[3] ومن الأعمال الدالة على مثل هذه العلاقة.

قيام بعض الآباء بتأخير زواج بناتهم، طمعاً فيما عند البنت من مال تكسبه من عملها[4] وتحديد التوقيت والزوج المناسب لكل من الأبناء والبنات. وفرض دراسة تخصص معين على الأبناء، وهذا ما يفسر حالة الفشل التي يعاني منها بعض الطلاب في دراستهم. ومنع التعبير عن الذات. والسيطرة على الأبناء فيما يخص الناحية المادية، بالامتناع عن النفقة أو التقصير فيها. واستعمال العنف والقسوة والضرب، والتهديد والاستهزاء تجاه ما يقومون به من أعمال. فالأب في أحايين كثيرة يرفض الاستماع لأبنائه أو أن يحاورهم أو يناقشهم، بل

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٨، ص٢٠٣.

(٢) صفوان: مصطفى، **صناعة القهر علاقة التعليم بالإبداع في المجتمع العربي**، بحث منشور، مجلة الناقد، عدد ٧١، سنة ٦، ١٩٩٤، ص ٤٣.

(٣) زيعور: علي، **التحليل النفسي للذات العربية أنماطها السلوكية والأسطورية**، بيروت – دار الطليعة، ط٣، ١٩٨٢، ص٤٥.

(٤) الجليل: عبد العزيز بن ناصر، **وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم**، السعودية – دار طيبة، ط١، ١٤١٩-١٩٩٩، ج٤، ص٨٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

تقوم العلاقة بينهم على أساس القمع والقهر ومصادرة حرية الرأي.

ويعد الاستبداد الأبوي من أخطر أنواع الاستبداد، لأنه ضمن هذه الدائرة تتشكل مكونات الفرد العقلية والنفسية والمجتمعية، وبوجود الاستبداد تهدم شخصيته ومن الأمثلة على هذا الشكل من أشكال الاستبداد:- قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه، عندما أراد نصحه لترك ما هو فيه من عبادة الأوثان، ودعوته إلى عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ (سورة مريم: ٤٦)، حيث استخدم سلطته الأبوية في نهي إبراهيم عليه السلام عن ذكر الأوثان بسوء، وهدده بالعقاب والشتم والمقاطعة.

وكذا ما كان يفعله بعض الآباء في الجاهلية من وأد البنات، حيث قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (سورة النحل: ٥٨-٥٩).

ولا تقتصر ممارسة الاستبداد داخل الأسرة على الأب، فقد تكون الأم هي من تقوم به، ومن الأمثلة على ذلك. ما حصل بين سعد بن أبي وقاص وأمه، أخرج مسلم في الصحيح عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن، قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله وصاك بر والديك وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها، فجعلت تدعو على سعد ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة العنكبوت: ٨) [١].

علاقة الذكور بالإناث:- فإن السلطة المطلقة في الأسرة تتحدد على أساس الذكورة والسن، فأكبر أفراد الأسرة من الرجال هو مرجعية السلطة ومحتكرها وممارسها، له الطاعة والولاء، فإن عارض الأصغر تعرض للعقاب، فلا يحق للأصغر مشاركة أو مراقبة أو محاسبة الأكبر[٢]، وقد أجريت دراسة على المجتمع المصري أثبتت ذلك، وأشارت إلى أن السلطة لا تحدد بناءً على ما يسهم به الفرد من نشاط أو ما يتحمله من مسؤوليات مما يؤدي لإنتاج شخصيات جامدة متسلطة، وبينت أن الأب هو مركز السلطة أو بديله مما يعمل على إيجاد جو أوتوقراطي يعطي تنمية قدرات الفرد المختلفة، ويدعم السلبية[٣]. وهذا ما يفسره أيضاً ما نلحظه داخل المجتمع بل داخل الأسرة الواحدة من التميز بين الذكر والأنثى، ومنح الذكر العديد من الامتيازات.

الاستبداد التربوي

إن التسلط التربوي صورة من صور التسلط الاجتماعي[٤].

ويشهد الواقع استبداداً تربوياً يتمثل فيما تمارسه كثير من المؤسسات التربوية من انتقاء للمادة العلمية التي تؤدي لنوع من الحجر على عقول الأفراد، وحرمانهم من الاطلاع على المعطيات المعرفية، وكذا الأساليب والمناهج المتبعة في كثير من المؤسسات التربوية، مثل منهج التلقين والحشو الذي يصادر حرية إبداء الرأي فيما يعرض من مادة التعليم، وهذه

---

(١) مسلم بن الحجاج، **الصحيح**، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص، ج٤، ص ١٨٧٧، رقم ١٧٨٤.

(٢) إبراهيم، **المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي**، ص ٧٠.

(٣) إسماعيل: محمد عماد الدين وآخرون، **كيف نربي أطفالنا: التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية**، ص ٣٩١.

(٤) وطفه، **بنيه السلطة وإشكالية التسلط التربوي**، ص١٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ظاهرة مستمرة في جميع المراحل التربوية[1]. ففي المدرسة يتلقى الطالب المعرفة دون أن يسأل، ويحفظها دون أن يفحصها، أو ينقدها، وهو يمتثل للمعلم ويحترمه ويبجله[2].

ففي الميدان التربوي نلحظ الاستبداد في:

علاقة المعلم بطلابه:- فالعلاقة بين المعلمين والطلاب تقوم في أحيان كثيرة على التسلط والقهر والقمع،حتى أن الأم تلجأ لتخويف الابن بالأب، ثم تلجأ لتخويفه بالمعلم[3] ويقسم المعلمون حسب شخصياتهم إلى ثلاثة أنماط هي:معلم شوري، ومعلم متسلط، ومعلم متسيب. والمعلم المتسلط الديكتاتوري هو الذي لا يسمح لأحد بإبداء رأيه أو مناقشته، إلا في نطاق محدود، ولا يرى أهمية لمشاركة الطلاب، بل يعاملهم بقسوة وحزم مبالغ منه، فلا يسمح بهمسة ولا بسمة ولا حركة داخل الفصل، فهو معتز برأيه، متعالٍ بشخصه، فيحمل عبء العمل وحده دون مشاركة الطلاب[4].

فالعلاقة بين المعلم والطلبة تكون غالباً علاقة تسلطية استبدادية، حيث يتلقى الطلبة المعلومات التي يطرحها المعلم على وجه التسليم والطاعة المطلقة، دون نقاش أو جدال إلا في أحيان يشهد الواقع بأنها قليلة جداً.ومن أبرز من يمثل ذلك الصوفية

فقالوا في تحديد هذه العلاقة: والصحبة مع الأستاذ بإتباع أمره ونهيه، وهي من حيث الحقيقة خدمة لا صحبه، فإن القيام بخدمة الأستاذ واجب، ولابد من الصبر تحت حكمة، وترك مخالفته ظاهراً وباطناً، وقبول قوله، والرجوع إليه في جميع ما يعرض له، والتعليم لحرمته ومجانبة

---

(١) النجار، **دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين**، ص٧٤.

(٢) انظر إبراهيم، **المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي**، ص٧٠.

(٣) زيعور، **التحليل النفسي للذات العربية وأنماطها السلوكية والأسطورية**، ص٤٥.

(٤) محجوب: عباس، **طرائق تدريس العلوم الإسلامية**، الأردن – عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٦، ص ١٣٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الإنكار عليه سراً وجهراً، وقيل الشيخ في قوله كالنبي في أمته، وقيل من قال لأستاذه لـم؟ لا يفلح أبدا[1].

فعلى الطالب أن يلغي ذاته أمام المعلم، وأن يعترف بأن الفرق حاسم العلاقة بينهما وأن يقر بأن إرضاء الشيخ فريضة دينية لأن ما يوجد في الشيخ لا يوجد في غيره، فالقول بكمال الشيخ يفرض على التلميذ أن يتخلى طائعاً عن حريته وأن يلغي فكره، ويأخذ المعارف بلا سؤال أو فضول[2]. وهذا كلام غير صحيح، فمع ما للأستاذ من مكانه، وما يجب على الطلبة من احترامه وتوقيره، إلا أنه لا بد أن يكون للطالب شخصيته المستقلة، وأن يسأل ويناقش بأساليب علمية مهذبة مقبولة.

علاقة المدير بالمعلمين:- إن قول المدير يعد في معظم المدارس بمثابة القانون، فهو يمثل دور الحاكم المطلق، ولا يعطي الآخرين حرية المشاركة في الشؤون التي تخص المدرسة.

فالإدارة التربوية في بعض بلدان الوطن العربي تتميز بطابع التسلط وكثيراً ما تأخذ شكل المركزية الشديدة[3]فالمدير هو صاحب السلطة المطلقة ، الآمر الناهي في المدرسة.

علاقة المعلم بالمشرف:- والتي تقوم على التحكم والخضوع بدلاً من التفاعل والثقة المتبادلة وقد بين البعض طبيعة هذه العلاقة، واصفاً لها بقوله: "إن الموجهين ظل يغلب على ممارساتهم طابع التفتيش، ويظهر ذلك في الزيارات المفاجئة التي يقومون بها، ولذا بقيت اتجاهات المعلمين نحو الإشراف سلبية حيث يرونه تفتيشاً تسلطياً لا يهتم بمشكلاتهم الحقيقية،

---

(١) انظر السهروردي: أبو النجيب ضياء الدين، **آداب المريدين**، القاهرة – المكتبة الأزهرية للتراث، د-ط و ت، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ص٥٧-٥٨.

(٢) دراج، **استبداد الثقافة**، ص١٣.

(٣) السورطي: يزبد عيسى، **السلطوية في التربية العربية المظاهر والأساليب والنتائج**، بحث منشور، المجلة التربوية، عدد ٤٦، ١٩٩٨، ص٢٥٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ولا يهدف لمساعدتهم[1] فالمشرف يرى بأنه صاحب السلطة على المعلمين، يصدر لهم أوامره وتوجيهاته، يعاملهم بشدة وعنف غالباً، والمعلم يتلقى الأوامر والتعليمات وينفذ دون مساءلة أو مشاورة، بل إن بعض المعلمين يعانون من مشاكل معينة لا يستطيعون البوح بها للمشرفين نظراً لأساليبهم في معاملتهم.

وهكذا تمر تربية الأفراد على أساليب قمعية ابتداءً من البيت، ومروراً بالمدرسة وانتهاءً بالجامعة، وباقي المؤسسات، حيث يتم التعامل مع الفرد في بعض الأحيان بطرق عنيفة وجامدة، تقوم على إصدار القرارات وفرضها دون مشورة[2] مما أثر سلباً على الأفراد والمجتمعات.

وبنفس هذه الأساليب نرى العلاقة بين الطلاب بعضهم مع بعض، والإخوة داخل الأسرة، الموظف،والمسؤول، المدير والوزير،المثقفون الحاكم والمحكوم، وكل من يربطهم ببعضهم علاقات تمكن أحدهم من الاستبداد بالآخر.

المطلب الثالث:- الاستبداد الاقتصادي

ويطلق عليه الاستغلال[3].

ويعرف الاستبداد الاقتصادي بأنه: الانفراد في وسائل الإنتاج والاستثمار والتملك، مما يعني استغلال الآخرين وبالتالي السيطرة عليهم، لكونه يؤدي لتجمع الثروة بأيدي فئة معينة تتحكم في أقوات وأرزاق الآخرين، ويقول حسن حنفي بأن ما لا يزيد على ١% من البشر

---

(١) انظر الرابي: محمد سليم، **أثر الإشراف التربوي باستخدام المنحى التكاملي متعدد الأوساط في سلوك المعلمين التعليمي واتجاهاتهم نحو الإشراف التربوي**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية التربية، قسم الإدارة، ١٤٠١-١٩٨١، ص٢.

(٢) عبد الحي، **الثقافة العربية بين الاسترخاء والتطور**، ص٥٩.

(٣) الطحان، **ماهية الاستبداد**، ص ١٧٣، ويعرف الاستغلال بأنه: قيام بعض رجال الصناعة والتجار منتهزين فرص الحروب أو ندوة بعض السلع بتحقيق أرباح فاحشة عن طريق الأسعار الناهضة بدوي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، ص٣٣٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

يستولون على مقدرات وأرزاق ٩٩% منهم[١]. ففي الناحية الاقتصادية تكون العلاقة بين الغني والفقير هي علاقة القوي بالضعيف[٢]، حيث تتحكم الشركات الكبرى في اقتصاديات الدول الفقيرة وتسيطر عليها. ولا ينكر أحد دور سلطة رأس المال، حين يمكن لمجموعة ما أن تستغل المجتمع عن طريق الاستبداد بالثروة، حيث يشتري الأثرياء حياة الفقراء بإرباكهم الدائم بالركض وراء لقمة العيش[٣].

وقد كان هذا الشكل من الاستبداد سبباً في إيقاع الرشيد بالبرامكة، قال ابن خلدون: وإنما نكب بالبرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة، واحتجافهم أموال الجباية، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه، فغلبوه في أمره وشاركوه في سلطانه، ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه، فعظمت آثارهم وبعد صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم[٤].

ويمكن ملاحظة التسلط الاقتصادي في جميع مراحل العقد (أثناء تكوينه، أو تنفيذه أو إنهاؤه) بل إن هناك من العقود ما هو مجال خصب لممارسة الهيمنة تجاه الطرف الأخر[٥].

- ففي مرحلة إبرام العقد:- يظهر التسلط بفرض شروط أو أثمان غير عادلة، لا يقبل بها الطرف الآخر إلا مكرهاً فيفرض صاحب الهيمنة شروطاً عقدية تمنحه مزايا تفوق ما للآخر.

- وفي مرحلة تنفيذه:- يظهر في التعسف في تحديد أو تعديل أحد عناصر العقد.

---

(١) حنفي، **الحرية والتحرر**، ص ١١٦.

(٢) عبد الله: ثناء فؤاد، آليات الاستبداد وإعادة إنتاجه في الواقع العربي، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ص٣٩٣.

(٣) الطحان، **ماهية الاستبداد**، ص ١٧٣.

(٤) ابن خلدون: عبد الرحمن، **المقدمة**، القاهرة – دار الفجر للتراث، ط١، ١٤٢٥-٢٠٠٤، تحقيق حامد احمد الطاهر، ص ٣١.(احتجافهم: سلبهم واحتكارهم).

(٥) انظر سليم: محمد محي الدين إبراهيم، **التسلط الاقتصادي وأثره على التوازن العقدي**، القاهرة – دار المطبوعات الجامعية، د-ط، ٢٠٠٧، ص١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

-وفي مرحلة إنهائه:- يظهر في فسخه، فقد يستغل أحد الطرفين ماله من قدرة اقتصادية وهيمنه على الآخر، فينهي العقد بطريقة وتوقيت لا يناسبان الطرف الآخر[١].

ويستعمل هذا الاستبداد كل القيم الإنسانية بما في ذلك الجمال لتحقيق الثراء لمصلحة رب المال[٢].ومن الأمثلة على هذا الشكل من الاستبداد:-**قارون** كان من قوم موسى فبغى عليهم، وتجاوز حده في الكبر والتجبر، فقيل: إنما بغى على قومه بكثرة ماله[٣] وقيل إنه استخف بالفقراء ولم يرع لهم حق الإيمان ولا عظمهم[٤].

استعان قارون بأمواله لتحقيق منزلة رفيعة بين الناس، فأحاط نفسه بالخدم والحشم، واتخذ أنواع الزينة الفاخرة ليلفت الناس إليه، ويصبح محط أنظارهم، وموضع إعجابهم، وتقديرهم، فإن كثرة المال قد حجبت عيني قارون عن رؤية الحقيقة والاعتراف بفضل الله عليه، وكذا حال الكثير من أصحاب الأموال في عصرنا الحاضر الذين لا يرون حقاً لأحد في إملاء شيء عليهم[٥]بل قد وصل به الأمر إلى استعمال أمواله في ظلم رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام، واتهامه بالباطل والفحشاء، فقد أخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عباس قال: لما أتى موسى قومه أمرهم بالزكاة فجمعهم قارون، فقال لهم: جاءكم بالصلاة وجاءكم بأشياء فاحتملتموها، فتحملوا أن تعطوه أموالكم، فقالوا: لا نحتمل أن تعطيه أموالنا فما ترى فقال لهم: أرى أن أرسل إلى بغي بني إسرائيل فنرسلها إليه فترميه بأنه أرادها على نفسها، فدعا موسى عليهم فأمر الله الأرض أن تطيعه، فقال موسى للأرض خذيهم فأخذتهم...

---

(١) المرجع السابق، ص١٥-١٦، و٨١، و١١٨.

(٢) حنفي، **الحرية والتحرر**، ص١١٧.

(٣) الطبري ، **جامع البيان عن تأويل أي القرآن**، ج٦، ص٤٩.

(٤) الفخر الرازي: فخر الدين محمد بن عمر، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، بيروت – دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٥-١٩٩٦، ص ١٣.

(٥) انظر طهماز: عبد الحميد، **من موضوعات سور القرآن الكريم**، بيروت – الدار الشامية، ط١، ١٤١٧-١٩٩٦، ص ٥٨ و ٦١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

إلى آخر الحديث[1]. وقد ورد أنها اعترفت لسيدنا موسى عليه السلام بعد ان أحلفها بالله، فقالت: أشهد أنك بريء وأن قارون أعطاني مالاً[2].

وبهذا يظهر لنا أن هذا الاستبداد له العديد من الأساليب والآثار التي تظهر على أفراد المجتمع وحياتهم، وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد-بإذن الله-.

المطلب الرابع:- الاستبداد السياسي

اتخذ الاستبداد صوراً وأشكالاً مختلفة، من أشدها، وأقدمها، وأكثرها ظهوراً الاستبداد السياسي، الذي يعرف بأنه: "نعت من نعوت الحكم المطلق، المشوب بالظلم، الذي لا يراعي القائمون عليه وازعاً أخلاقياً، ولا قيوداً قانونية، ويتبعون أهواءهم الخاصة بدلاً من تحكيم مقتضيات المصلحة العامة، ويخلو حكمه من الرقابة والمحاسبة"[3] فهو نمط من أنماط الحكم يتميز فيه القائد بالحرية المطلقة في تصرفه في كل ما يخص الجماعات البشرية الواقعة تحت سيطرته وسلطته، ولا يخضع لقانون ولا لغيره، بل يسعى لتحقيق رغباته وأهدافه، مهما كان الثمن.

وقد عَدَّ ابن خلدون هذا الشكل هو الطور الثاني من الأطوار التي تمر بها الدولة فقال: إن الطور الثاني هو طور الاستبداد على قومه، والانفراد دونهم بالملك، وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة، ويقوم صاحب الدولة باصطناع الرجال، واتخاذ الموالي والصنائع، والاستكثار من ذلك لجدع أنوف عصبته وعشيرته، فهو يدفعهم عن الأمر ويصدهم عن موارده، ويردهم على أعقابهم، حتى يقر الأمر في نصابه، ويفرد أهل بيته بما يبني من

---

(١) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب التفسير، باب سورة القصص، ج٢، ص ٤٤٣، رقم ٣٥٣٦، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٣، ص٣١١.

(٣) البيطار ، **الموسوعة السياسية والعسكرية**، ج١، ص ٩٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

مجده[1]. إنه هدم لمبدأ المساواة الذي تقوم عليه الحياة الاجتماعية السياسية السليمة، فاستبداد فرد أو مجموعة بالحكم يعني استبعاد الشعب عن المشاركة.

إنه نوع من الحكم الفاسد الذي يحول بين الدولة وبين تحقيق أهدافها، ويوجد نوعاً من السلبية لدى الأفراد، مما يدمر انجازاتهم[2] بل إن قبضة الدولة امتدت إلى حيث يكتسب الناس أرزاقهم، فتقرر ما يأكلون ويشربون ويقرؤون ويتعلمون ويعملون ويلهون، فأصبحت العلاقة بين الفرد والدولة تتطلب مواجهة يومية حيث السيطرة بدأ من الراتب الشهري ثم الترقية في العمل والحياة. مما يبين أن الفرد تحت سيطرة الدولة، وسلطة المسؤولين في جميع أمور حياته[3].

ومن المصطلحات المرادفة لمصطلح الاستبداد السياسي:- الحكم المطلق، والشمولية، والأوتوقراطية، والكليانية، فهذه المفردات جميعها تعني الانفراد بالسلطة، والتصرف المطلق في شؤون الجماعة.

ويرتبط هذا الشكل من الاستبداد بشكل آخر يعبر عنه بالاستبداد الديني، وعن العلاقة بينهما قيل: إن السياسي متولد من الديني، وقيل هما إخوان أبوهما التغلب وأمهما الرياسة، وقيل هما صنوان قويان بينهما رابطة الحاجة على التعاون لتذليل الناس، والمشاكلة بينهما أنهما حاكمان أحدهما في مملكة الأجسام والآخر في عالم القلوب[4]، ومما يدل على هذا الشكل من الاستبداد، ما أخرجه الترمذي في قصة إسلام عدي بن حاتم ودخوله على النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال:

---

(1) انظر: ابن خلدون، **المقدمة**، ص ٢٢٦ – ٢٢٧،

(2) عارف، الأبعاد الدولية للاستبداد السياسي في النظم العربية، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ص ٥٣٠.

(3) النقيب، **الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر**، ص ٢٠٢.

(4) الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٣١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

يا عدي اطرح عنك هذا الوثن، وسمعته يقرأ في سورة براءة (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه[1].

ومع تعدد صور الاستبداد وأشكاله كما قدمنا، إلا أن الاستبداد السياسي أشدها، وأخطرها، وأكثرها شيوعاً وانتشاراً والذي يكثر الحديث عنه، وكما يقول الطحان: إن الكلام يجري على الاستبداد السياسي فقط، ولم يتم فهمه إلا بهذا المعنى وترك المعنى الفكري والاقتصادي والاجتماعي من غير تفصيل حتى مع أوائل القرن التاسع عشر، فالحديث عن الاستبداد،سرعان ما يفضي للحديث عن السياسي منه خاصة[2]وهذا يرجع إلى عدد من الأسباب، منها:

أ- **أهمية السياسة وأثرها:** قال شفالية: كنت قد رأيت أن كل شيء يتوقف جذرياً على السياسة، وأيا تكن طريقتنا في تناول الأمور، فما من شعب سيكون ذات يوم إلا ما طبيعة حكومته ستجعله يكون[3] .

ب-**أهمية الجماعة السياسية في حياة الإنسان:**- فقد بيّن أديب إسحاق أن مما قضى على الشرق، جهل عامته واستبداد خاصته، وخيانة زعمائه، وتعصب رؤسائه[4] وذلك لكونهم قدوة لغيرهم، ولأنهم هم من يملك وسائل ممارسة الاستبداد وإبرازه إلى أرض الواقع[5].

---

(1) الترمذي ، **السنن**، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، ج٥، ص٢٧٨، رقم ٣٠٩٥،وقال حديث غريب، حسنه الألباني، انظر صحيح وضعيف سنن الترمذي، ج٧، ص٥٩، رقم ٣٠٩٥.

(2) الطحان، ماهية الاستبداد، ص ١٦٠.

(3) شفالية: جان جاك، **المؤلفات السياسية الكبرى**، بيروت- دار الحقيقة، ط ١، ١٩٨٠، ترجمة الياس مرقص، ص ١٤٥.

(4) إسحاق: أديب، **الدرر**،بيروت-المطبعة الأدبية، د-ط، ١٩٩٠، ص ١٤٤.

(5) انظر عبادي، **الإسلام وهموم الناس**، ص ١٢٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ج- إن أضراره كثيرة، ومظاهرة هي التي جعلت الإنسان أشقى كائن على وجه هذه البسيطة[1].

د- أضف إلى ما تقدم أن أشكال الاستبداد الأخرى لا تملك قوة تنفيذية إلا بمقدار ما يسمح به الاستبداد السياسي.

ومع خطورة هذا الشكل من الاستبداد وتركيز الاهتمام عليه، إلا أنه ليس الشكل الوحيد كما قدمنا، لأن الاستبداد موجود في جميع مجالات الحياة ونشاطات الإنسان، وقد وجد من قال بخطورة الاستبداد الفكري أو الاجتماعي، وانه اشد من السياسي، إلا أننا نخلص إلى تحديد العلاقة بين أشكال الاستبداد، حيث ترتبط فيما بينها ارتباطاً قوياً، فكل منها مؤثر ومتأثر في البقية، وتبقى الغلبة للاستبداد السياسي لخطورته وآثاره، وكونه يساعد على نشأة الأخرى.

الخلاصة:- أجاب هذا الفصل عن السؤال الأول من أسئلة الدراسة وهو: ما الاستبداد؟ وما جذوره ؟ وما أشكاله ؟

وخلص إلى أن الاستبداد يعني الانفراد مع الظلم والتجبر والتسلط، وهذا ما دلت عليه المصطلحات الأخرى ذات الصلة بمصطلح الاستبداد كالطغيان، والديكتاتورية، والتسلط، والتجبر، وغيرها.

وإن من أشكاله الفكري، والاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، ولكل منها أدواته وميادينه، والمنفذين له، والأمثلة الدالة على وقوعه في مختلف مراحل التاريخ.

كما تبين أن لهذه المشكلة جذورها التي تضرب في عمق التاريخ والثقافة، مما يبين قدمها واستمرارها وانتشارها.

---

(1) الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٢٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الفصل الثاني:- أسباب الاستبداد وأساليبه ووسائله ومسوغاته،وفيه مباحث:-

المبحث الأول:- أسباب الاستبداد، وفيه مطالب:-

المطلب الأول:- أسباب الاستبداد من جهة المستبد بهم.

المطلب الثاني:- أسباب الاستبداد من جهة المستبد.

المبحث الثاني:- أساليب المستبدين، وفيه مطالب:-

المطلب الأول:- العنف.

المطلب الثاني:- إثارة الحروب.

المطلب الثالث:- إغلاق باب الاجتهاد.

المطلب الرابع:-سياسة فرق تسد.

المطلب الخامس:- الإغراء بالمال والمنصب.

المبحث الثالث:-وسائل المستبدين، وفيه مطالب:-

المطلب الأول:- وسائل الإعلام.

المطلب الثاني:- الجيش والشرطة وقوات الأمن.

المطلب الثالث:- المال.

المبحث الرابع:- مسوغات الاستبداد،وفيه مطالب:-

المطلب الأول:- الستار الديني.

المطلب الثاني:- دعوى امتلاك الحقيقة والحجة.

المطلب الثالث:- دعوى بناء دولة الأمن والاستقرار.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الفصـــــــل الثـــــــاني

تمهيـــــد

إن الاستبداد كغيره من الظواهر التي عانت منها البشرية، لم ينشأ صدفة، بل اجتمعت العديد من الأسباب التي ساعدت ومهدت لنشوئه، وانتشاره في مختلف الأماكن والأزمان.

وما توانى المستبدون يوماً في استخدام كافة الأساليب، والوسائل التـــي تحقـق لهـم أهدافهم، وتشبع رغباتهم، مهما كانت النتائج، والآثار المترتبة على تلك الأساليب والوســائل، ومهما كانت تكلفتها، وهنا أشير إلى التفريق بين الأسلوب والوسيلة، فالوسيلة هي الأداة التـــي تنقل الأسلوب وتوصله للناس، فهي ما يستعان به على تحقيق الأهداف، والأسلوب هو الطريقة المتبعة لتحقيقها، وهذا ما سيسير عليه البحث –بإذن الله– ولذا فقد تم إفراد كل من الأســاليب والوسائل في مبحث مستقل.

ومع علم المستبدين ويقينهم، بأن العنف وحـده لا يكفـي لإدارة شـؤون الأفـراد، والمحافظة على كرسي الحكم، والذي يبذلون الغالي والنفيس في سبيل المحافظة عليـه، فقـد لجاؤوا إلى عدد من المبررات التي يبررون بها وجودهم، وتعطيهم الشرعية أمـام الآخـرين حسب اعتقادهم.

وفي هذا الفصل سيتم –بإذن الله– بيان ذلك، حيث تم تقسيمه إلى أربعة مباحث، وهي:

المبحث الأول: أسباب الاستبداد.

المبحث الثاني: أساليب المستبدين.

المبحث الثالث: وسائل المستبدين.

المبحث الرابع: مسوِغات الاستبداد.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الفصل الثاني

أسباب الاستبداد وأساليبه ووسائله ومسوغاته

المبحـــــــــث الأول

أسبـــــــــاب الاستبـــــــــداد

إنّ الاستبداد لم ينشأ اعتباطاً، بل هو نتيجة تفاعـل عـدد مـن الأسـباب الداخليـة والخارجية، دينية، ونفسية، واجتماعية،واقتصادية، وتربوية، أسباب لدى طرفي هذه الظاهرة المستبد والمستبد بهم، مما ساهم في نشوء هذه الظاهرة، وتشكلها عبر الأزمنة المختلفة، وفي مختلف الأماكن، وعلى جميع المستويات، وهذا ما سنحاول بيانه في هذا المبحث -بإذن الله-

المطلب الأول:- أسباب الاستبداد من جهة المستبد بهم

يلعب المستبد بهم دور بارز في نشوء هذه الظاهرة، وتشكلها، واستمرارها، فإن المواقف السلبية من الأفراد تجاه المسؤول يعد من أقوى العوامل المؤدية إلى تكوين المستبد، وما هذا إلا نتيجة لتوافر عدد من الأسباب، منها:

الفرع الأول: ضعف الإيمان وما ينشأ عنه من خوف، وجهل.

إن من أبرز ما يؤدي إلى الاستبداد، والقهر، والظلم، ضعف الإيمان بـالله، واليـوم الآخر، والحساب والجزاء، عند المستبد بهم، وما ينشأ عن ذلك من تداعيات وآثـار علـيهم، حيث يؤدي بهم إلى الاستسلام لهذا الظلم والقهر؛ نتيجة الخوف على الحياة والرزق من تسلط المستبدين، وجبروتهم، وهما من أكثر القضايا التي تشغل بال الإنسان في كل زمان ومكـان، وتؤديان لقبوله الذل، والهوان، والخضوع للغير في سبيل المحافظة عليهما، وهذا ناشئ عـن

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

شعور الإنسان بأن الأقوياء هم من يملكون زمام الأمور بين الناس، وبيدهم الموت والحياة، الغنى والفقر، فمن أطاعهم حافظ على حياته ودام رزقه وازداد، ومن خالفهم فقد حياته وانقطع رزقه.

قال تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ (سورة نوح: الآية ٢١)، "إن ضعف النفس، وشحها، وحرصها يخيل إليها أن وسائل الحياة والرزق مرهونة بأرض، ومقيدة بظروف، ومرتبطة بملابسات لو فارقتها لم تجد للحياة سبيلاً، وهذا التصور الكاذب لحقيقة أسباب الرزق، وأسباب الحياة والنجاة، هو الذي يجعل النفوس تقبل الذل والضيم، وتسكت على الفتنة في الدين، ثم تتعرض لذلك المصير البائس، مصير الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم[1]".

وقال سبحانه مخبراً عن كفار قريش: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة القصص: الآية ٥٧)، يخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية عن اعتذار بعض الكفار في الامتناع عن إتباع الهدى، محتجين بأنهم يخشون من إتباع الهدى، ومخالفة من حولهم، أن يقصدوهم بالأذى والمحاربة.

إن سيطرة الخوف على نفوس الناس لفترة طويلة من الزمن، يجعلها تألف الخضوع، والاستسلام، والطاعة، وتتعايش مع الذل، غافلةً عن شرفها وعزها وأمجادها، إنَّ طاعة المستبد حاصلة من قبل أتباعه بفعل الخوف المتولد في النفوس جراء ما يقوم به من الوحشية

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٢، ص ٧٤٥، بتصرف.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

والقهر. وكما أن الاستعمار يخدع الضعفاء، كما أشار لذلك مالك بن نبي، بقوله: "ويخلق في نفوسهم الرهبة ويشلهم عن مواجهته بكل قوة، فينتقل هذا الداء إلى شعبه، فيتملكون الشعوب الضعيفة ويحتلونها، فيحاولون إطفاء نور النهار على الشعوب المتيقظة، ويدقون ساعات الليل عن غرّة الفجر، وفي منتصف النهار، لترجع تلك الشعوب للعبودية[1]".

وكما لا تخلو حياة الرعية من الخوف من سلطانهم، فكذا حياة بعض الأبناء وخوفهم من الوالدين، وواقع بعض الزوجات مع أزواجهن، والطلاب مع أساتذتهم، فالتعليم لا يخلو من الاستبداد غالباً، خاصة في وضع الدرجات، حيث يفقد الطالب القدرة على انتقاد أستاذه أو محاسبته، فيخاف من المطالبة بحقه، وقد يكون مظلوماً، خوفاً من وقوف الأستاذ ضده، وتدريسه إياه في مقررات أخرى.

وشعور الأفراد بالخوف قد يدفعهم إلى صنع المستبد، ليحتموا به ويسيروا خلفه، ويعتبرونه أباً لهم يسلمون له قيادتهم، وإرادتهم، ويتخلصون من أية مسؤولية تناط بهم، فالمستبد قادر على فعل كل شيء، ومقابل ذلك يتحملون قهره، وتسلطه، وجبروته.

ينشأ خوف الناس هذا بسبب جهلهم بحقيقة الأمور ونتائجها، حتى قيل: لا يخفى على المستبد مهما بلغت درجة غبائه أنه لا استعباد، ولا اعتساف ولا قهر، إلا ما دامت الرعية حمقاء تخبط في الجهل والتيه[2].وقال محمد عبده: "إن فساد الأوضاع السياسية يرجع لسبب رئيس هو فساد تربية الحاكم والمحكوم معاً، حتى جهل الأول مسؤولياته تجاه الأمة، وغاب عن الثاني حقوقه على الحاكم[3]".

---

[1] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، دمشق-دار الفكر، د-ط، ١٤٠٦-١٩٨٦، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي، ص ١٥١، بتصرف.

[2] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٤٧.

[3] غليون، **الوعي الذاتي**، ص ٦٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فالجهل سبب لكل معصية، يؤدي للخضوع والطاعة المطلقة، فهو الذي هيأ الظرف

المناسب لاستفحال القهر والاستبداد، إنه منبع ومنشأ كل الشرور، هو الذي يحمل الإنسان على عبادة الأصنام، وإشراك الطواغيت مع الخالق في أسمائه وصفاته، وبوجوده يغفل الإنسان عن حريته، ويعتبرها أمراً موهوماً فيجتهد في سفك الدماء، ونهب الأموال؛ لإرضاء السلطان، فهو أم الشرور وأصلها. إنه من أكثر وأكبر عوامل التخلف، فالجهلة لا يملكون من المعرفة الأساسية ما يبصرهم بحقوقهم، وخاصة حق المشاركة في إصدار القوانين، وتسيير شؤون البلاد، مما يؤدي لاستبداد شخص أو فئة بهم ، مستغلة جهل هؤلاء بما لهم وما عليهم، وما يستتبع ذلك من خوف على النفس والمال، فالجهل سبب كل داء.

الفرع الثاني: القابلية للاستبداد

إن من أبرز أسباب نشوء ظاهرة الاستبداد، واستمرارها، وجود القابلية عند المستبد بهم، فلدى بعض الأفراد قابلية للخضوع، والخنوع، والاستسلام، والطاعة، فكما أن النبات لا يخرج إلا من الأرض التي فيها القابلية للإنبات فكذا الاستبداد، لا بد من وجود أرضية مُهيأة، ونفوس قابلة له. فهو كالنبتة الخبيثة لا تنبت إلا في التربة السيئة، ولذا فإنه لا يمكن لأمة أن تستعبد لولا استعدادها للعبودية. فالقابلية للاستبداد هي الأصل، وذات الأثر الكبير، وتعني: "الخضوع لمواقف الغير بغير حق، وبدون مقاومة، وهي استعداد للاستسلام عند المستبد بهم، بالخضوع للآخرين دون معارضة"[1].

---

[1] انظر نزال: عمران سميح، سبل زوال الاستبداد الفكري بين المسلمين، عمان-دار القراء، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨، ص ٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وإن التاريخ ينقل لنا كما يذكر متولي أن كثيراً من الشعوب ترحب بقيام الأنظمة الديكتاتورية وترى الخير في قدومها[١]. فقالوا لقد وضعنا آمالنا في الرجل الوحيد الذي بيده سعادة الشعب ورخاؤه[٢].

إن الحاكم لا يمكن له أن يستبد إلا إذا وجد في رعيته من يعينه على الاستبداد، بل إن من استكبر من الفراعنة والجبابرة ما استكبروا إلا لأنهم وجدوا من الرعية من يسارع لإجابة أهوائهم ونزواتهم فعتوا في البلاد، ولو أنهم وجدوا من يتصدى لهم، ويرد عليهم عند إصدارهم الأوامر لتريثوا طويلاً قبل أن يأمروا، فالفراعنة ما تأثروا إلا لأنهم وجدوا جماهير تخدمهم بلا وعي، والأحبار والرهبان تألهوا لأنهم وجدوا رعايا تمنحهم الثقة، وتلغي وجودها أمامهم، فالشعوب الضعيفة هي التي تصنع المستبدين[٣]. وإن هذه القابلية لدى المستبد بهم ناتجة عن عدد من الأمور، منها:

أولاً: عدم الثقة بالنفس:- إن النفس عندما يتملكها الشعور بعدم الثقة، تبحث عن شخص تجد فيه القوة التي تفتقدها، لتمجده وتحتمي به، وتبجله، وتجد فيه الزعيم الذي يخلصها مما هي فيه، حتى قال أحد المصلحين: "أخرجوا المستعمر من أنفسكم يخرج من أرضكم"[٤].

فالشعوب هي التي تترك القيود تكبلها، أو قل إنها تكبل أنفسها بأنفسها فالشعب هو الذي يقهر نفسه بنفسه، ويشق حلقه بيده، هو الذي يملك الخيار بين الرق والحرية، فترك الخلاص وأخذ الغل[٥].

---

[١] انظر متولي، **أزمة الفكر السياسي والإسلامي في العصر الحديث**، ص ٥١.

[٢] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ص ١٥٥.

[٣] انظر الغزالي:محمد، **الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية**، القاهرة-نهضة مصر، ط٣، ٢٠٠٣، ص ٦٠-٦١.

[٤] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ص ١٥٥.

[٥] المرجع السابق، ص ٧٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ثانياً: العدوانية والاتكالية، والاعتماد الشامل على الآخرين أو السماح لهم بتولي مسؤولية حياة الأفراد والشعوب، وتسخيرها لخدمته:- وسبب هذا كله يتمثل في غياب التربية السليمة المتوازنة، لقد خلق الله في الإنسان الاستعداد لكل شيء، وكانت التربية هي العامل المساعد للفطرة، فبحسب نوع التربية يتوجه الفرد نحو الخير أو الشر، الصلاح أو الفساد، الحرية أو الاستبداد، ولهذا يترتب على التربية واجب إعداد الفرد وتأهيله من جميع الجوانب الدينية، والنفسية، والعقلية، وغيرها. ليكون إنساناً سوياً قادراً على العمل والبناء، وإثبات دوره في هذه الحياة الدنيا إلا أن التربية قد انحرفت في بعض الأزمان والأماكن عن الخط المستقيم الذي وضع لها، فباتت تعمل على المتناقضات، فإمّا تربية فرد متسلط، طاغ، مستبد، أو إنسان خاضع مطيع طاعة عمياء مطلقة، يطلب السلامة والبعد عن كل ما يثير الآخرين عليه.

فعلى نطاق الأسرة نجد غالباً أن أساس العلاقة بين الزوجين تقوم على وجوب طاعة الزوجة لزوجها، فهو الآمر الناهي، فلا حوار ولا نقاش وإن خالفت الزوجة الأوامر، فإنه يلجأ إلى السب والشتم والضرب، وقد يلجأ لبيت الطاعة، ومع ما لطاعة الزوجة لزوجها من أهمية وضرورة، وهو مما حث عليه ديننا الحنيف، إلا أنه لا بُد من الحوار والنقاش، مما يمنح الحياة الزوجية استقراراً وهدوءً وأمناً. كذلك تكون العلاقة بين الأبناء والآباء غالباً.

تهيئ الأسرة الأبناء للطاعة، فطبيعة العلاقات القائمة غالباً بين أفرادها، إضافة للوسائل التربوية المستخدمة لا تعده للحوار والمناقشة، وإنما تنمي فيه وجوب الطاعة، والاعتماد على الآخرين، تمارس معه أسلوب التلقين الذي يقتل لديه روح الإبداع والابتكار والقدرة على مواجهة الواقع، فمنذ الطفولة يُطلب منه ترديد الأصوات والكلمات التي يلفظها الوالدان، وتقليد ما يرونه فحسب[1]. فيحيون لدى الأبناء روح التقليد والتبعية، هذا الأسلوب

---

[1] انظر نور الدين، **التمويه في المجتمع العربي السلطوي**، ص ٤٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

المنتشر والمسيطر منذ قرون، بل هو كما قيل: بطل الأمة الوحيد الذي حمى جور السلاطين، ومطامع الأعداء، وعطل التجديد[1].

لقد منع التقليد الكثير من الأفراد والأقوام من الإيمان بالله، لأنهم وجدوا ذلك فيمن سبقهم من الأهل والعشيرة، فعن قوم إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة الأنبياء، آية ٥١-٥٤)، "هذا هو الجهل بعينه، والعمى عن طريق الحق والخير، طريق التقليد الأعمى، وهذا الجواب يدل على تحجر العقول والقلوب في قوالب التقليد، مقابل حرية الإيمان، وانطلاقه للنظر والتدبر، وتقويم الأشياء والأوضاع بقيمتها الحقيقية[2]". وغير هذه الأمثلة من أحوال أقوام الأنبياء الصالحين كقوم سيدنا نوح، وسيدنا هود، وسيدنا موسى وسيدنا محمد وغيرهم عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وإذا ما انتقل الطفل إلى المدرسة، وجد نفس المصير، فالمطلوب منه طاعة الأستاذ، وأخذ المعلومات، وحفظها دون نقاش، والسير على الخط الذي رسمه الأستاذ له، وإن ابتعد قليلاً كان شخصاً غير مهذب وجب عقابه وتأديبه، فأسلوب التعليم لا يسمح بالحوار والمناقشة الحرة المستقلة، وإنما يفترض في الطالب أن يكون شخصاً مُطيعاً، يستمع باحترام وإذعان،

---

[1] انظر نعمان:عصام، **هل يتغير العرب**، بيروت-شركة المطبوعات، ط١، ٢٠٠٣، ص ٢١٠.

[2] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص ٢٣٨٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ويردد ما يتلقاه، ويحفظه، فالكتاب المقرر مكانة مقدسة، بل إن تقييم التلاميذ يعتمد على تكرار ما حفظوه. إن قبول الطلبة لما يعرضه المعلم المتسلط المستبد هو قضية إيمان أكثر منها اقتناع، ولذا يلحظ عدم قدرة الأستاذ على تنمية فردية طلابه، وتعزيز قدراتهم على اتخاذ المواقف الفردية، فيسود جو الطاعة، وتختفي المناقشات[1].

وكذا الحال في مؤسسات المجتمع الأخرى، التي لا تمد الطفل بما ينمي فكره، بل تحرص على أن يكون مُطيعاً خاضعاً مستسلماً للأوامر المفروضة عليه، الطاعة: هذه الصفة التي يراد من الإنسان الاتصاف بها في جميع الميادين وفي كافة المراحل العمرية، فأسلوب التنشئة في البيت، والمدرسة، ومؤسسات المجتمع، يعمل على تكريس هذه الصفة لدى الأفراد، فكل من يفرض الطاعة على من دونه يجد نفسه مضطراً لطاعة من يعلوه، فالأب يفرض الطاعة على أبنائه وعليه طاعة مرؤوسيه، والمعلم يفرض الطاعة على طلابه، وعليه طاعة المدير، والمدير يفرض الطاعة على المعلمين وعليه طاعة الوزارة، وهكذا الحال، فلا أحد يتنازل عن أي فرصة تسمح له بفرض أوامره وسيطرته على الآخرين.

الفرع الثالث: الفرقة والتفكك

إن الاستبداد كغيرة من الظواهر المتعلقة بالإنسان تصنعه أوضاع المجتمع، وممارسات الأفراد وسلوكاتهم، ومن ذلك حالة الفرقة والتفكك.

إن الإنسان يعيش في فترات من الضعف والانحطاط نتيجة الانقسام والتنافس الشديد بين الأفراد، وكما أن هذه النزاعات من أكبر ما يساعد على السيطرة الخارجية، كذلك فإنها تشجع سيطرة الطغاة المستبدين وتسلطهم على الأفراد، وقهرهم، وممارسة أشد أشكال العنف ضدهم، فإن الفرد أضعف من أن يقف وحده أمام تلك الأجهزة، والممارسات العنيفة المتسلطة،

---

[1] انظر سارة: ناثر، **التربية العربية منذ عام ١٩٥٠**، عمان-منتدى الفكر العربي، د.ط، ١٩٩٠، ص ١٦٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد حثت الشرائع السماوية كافة على الوحدة والتماسك، لمالها من آثار إيجابية، ولما للفرقة والتفكك من أثر في إضعاف الأفراد والمجتمعات. فإنها خسارة في الدنيا، وعذاب في الآخرة، قال تعالى:- ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ الأنفال: ٤٦، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٠٥).

إننا نعيش حالة مستشرية من الفرقة والتفكك، بدءً من العلاقات الأسرية، وحتى داخل الدولة، في وسط متآلف من عدة أجناس، ومتأثر بالعديد من الثقافات، مما أدى للانزلاق في المتناقضات، بسبب التفكير القاصر المحدود الذي لم يتناول إلا جزئية واحدة من الموضوع[١]. حالة تفكك لا تعطي التصور الواضح والمتكامل عن الأسباب والآثار، فتؤدي بالنهاية إلى قصور في تقدير كيفية العلاج.

والفرقة والاستبداد كلاهما سبب ونتيجة معاً، فالفرقة تؤدي للاستبداد، والاستبداد يؤدي للفرقة، وإن ما عانته الشعوب وتعانيه حتى الآن من استبداد حاجز على حرية الرأي محتجاً بإرادة الوحدة، وعدم شق الصف، يكمن خلفه شروخ في جسم الأمة كالكبت، والاستبداد يقلب أفراد المجتمع إلى بواطنهم حيث الغيظ والحقد والكراهية، ولا باب للتعبير عن الرأي إلا بالانفجار كالبراكين، فيتفرق المجتمع[٢].

---

[١] انظر مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ص ١٥٨.

[٢] عبادي، **الإسلام وهموم الناس**، ص ١٤١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الفرع الرابع: الفقر

المال هو ما تميل إليه النفس، لتحقيق ما تريده من متاع وملذات، وتصل إلى أهدافها وغاياتها، ومما جاء في القرآن الكريم من آيات كريمة تبين حب الإنسان للمال، قوله تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (سورة الفجر، آية ٢٠)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (سورة العاديات، آية ٨).

فهو وسيلة على الإنسان استثمارها لتحقيق الاكتفاء الشخصي، وتسهيل ما يواجهه من مصاعب، وإن فقد المال (الفقر) يؤدي للرضوخ والخضوع والطاعة المطلقة العمياء للمستبد الذي يعتبره الفقراء ولي نعمتهم، ومالك أمرهم، والسلطان الذي لا بد لهم من الاستسلام له وطاعته، فالفقر ابتلاء للإنسان من الله، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (سورة البقرة، آية ١٥٥).

ونظراً لآثاره على الإنسان، فقد تعوذ منه رسول الله ﷺ فكان يقول في دعائه: "وأعوذ بك من فتنة الفقر[1]". إنّه يملأ النفس أحقاداً، ويزرع فيها بذور التمرد، ويسوق إليها دواعي الضياع، فتستسهل بيع الجسد والكرامة، ويؤدي للقنوط والشعور بالنقص، وتضخم الحسد والكبت، وكذا يؤدي للطمع الذي يقضي على المحبة، وأسباب التعاون بين الأفراد، فيلوث البيئة بأسرها بأنماط من التخلف لا تزيده إلا ضعفاً.

---

[1] البخاري، **الصحيح**، كتاب الدعوات، باب التعوذ من المآثم والمغرم، ج٥، ص ٢٣٤١، رقم ٦٠٠٧، ومسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر الفتن وغيرها، ج٤، ص ٢٠٧٨، رقم ٥٨٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنه بيئة ملائمة لنمو القهر والسلطوية، فسوء الوضع الاقتصادي يشكل خطراً حقيقياً على الحرية، يقول هارولد لاسكي: إذا بدأ الاقتصاد في مجتمع يتأزم ويتدهور فهنا تصبح الحرية في خطر، فالفقر يولد الخوف، والخوف يربي الشك، وهنا يبدأ الحاكمون بالخشية من الحرية، لأنهم يشعرون بأن المحكومين لم يعودوا في يسر، وأنهم لم يعودوا يؤمنون بأساليبهم في الحكم، وأنهم يتطلعون إلى شيء جديد، ويتوقون إلى أوضاع تمكنهم من القضاء على الحاجة. (١).

وقد يؤدي الفقر للرفض والمعارضة، يقول أحد الفقراء:" نحن ضحايا الحقرة واللامساواة، وما تحوّل بعضنا إلى إرهابيين إلا تعبيراً عن هذا الوضع المتسم بالتردي في أشياء كثيرة، وانغلاق جميع السبل أمامنا، ماذا عسانا أن نفعل؟ صبرنا كثيراً من أجل أسرنا وبلادنا لكن لن نصبر أكثر على من يتحمل مسؤولية فقرنا وإذلالنا(٢).

إن العلاقة بين الفقر والاستبداد علاقة قوية، وكل منهما يؤدي للآخر، ويستغل وجوده، فالفقر يؤدي لإنشاء أفراد مستبدين إذا ملكوا يوماً، كما أنه أرض قابلة لإنبات الاستبداد فيها، حيث الطاعة المطلقة غالباً وإن وجد بعض المعارضة فهذا يبرر للسلطة استعمال المزيد من القهر والعنف والظلم ضدهم. يستغل المستبد أموال الآخرين، ويبذلها في تحقيق رغباته وأهدافه، ويسعى لإفقار الشعوب لتنشغل بذلك، ولا تفكر في حالها ووضعها وما تعانيه من قهر وظلم. فملخص العلاقة بين الفقر والاستبداد أنها قائمة على الخوف.

---

(١) عرسان: علي عقلة، **حرية الإبداع في المجتمع العربي**، المجلة العربية للثقافة، سنة ١٠، عدد ١٨٠، ١٩٩٠، ص ٦٩، نقلاً عن لاسكي، الحرية في الدولة الحديثة.

(٢) قيرة: إسماعيل، **مجتمع التهميش، إلى أين؟ مهمشو المدينة العربية نموذجاً** ، مجلة المستقبل العربي، سنة ٢٥، عدد ٢٩٠، ٢٠٠٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

قال الكواكبي: "المستبد يخاف من الفقراء خوف النعجة من الذئاب، ويتحبب إليهم في بعض الأعمال التي ظاهرها الرأفة، يقصد غصب قلوبهم التي لا يملكون غيرهـا، والفقـراء يخافونه خوف دناءة ونذالة، خوف البغاث من العقاب فهم لا يجسرون على الافتكار، فـضلاً عن الإنكار، كأنهم يتوهمون أن داخل رؤوسهم جواسيس عليهم، وقد يبلغ فساد الأخلاق فـي الفقراء أن يسرهم رضاء المستبد عنهم بأي وجه كان"[1].

المطلـب الثـانـي:- أسبـاب الاستبـداد من جهـة المستبـد

وكما يسهم المستبد بهم في نشوء هذه الظاهرة واستمرارها، فإن للمستبد دور بارز في تشكيلها وتغذيتها، نتيجة لعدد من الأسباب، منها:

الفرع الأول: ضعف الإيمان وما ينشأ عنه من كبر، استغلال السلطة، خوف

إن لضعف الوازع الديني عند المستبد أثر واضح في سلوكه سبيل الظلم والاستبداد، قال الغزالي: "إن مخالفة الإسلام عن تعمد وإصرار طرحت أرضاً البديهيات الأولـى مـن تعاليمه، وقام في بلاد الإسلام حكام تسري في دمائهم جراثيم الإلحاد والفسوق والمنكـرات، فخرجوا سافرين عن أخلاقه وحدوده[2].

فضعف الإيمان وما ينشأ عنه من كبر، وهوى، واستغلال للسلطة، وخوف، عند بعض الأفراد يدفعهم إلى الاستبداد وظلم الآخرين وقهرهم، والتسلط عليهم، وبيان ذلك:-

أولاً: الكبر:-إن عدم الإيمان أو ضعفه سبب للتكبر الذي هو أول خطوة في طريـق الاستبداد ، حيث قال تعالى في شـأن فرعـون: ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ (سورة القصص: آية ٣٩).

---

[1] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٨١.

[2] الغزالي، **الإسلام والاستبداد السياسي**، ص ٣٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ (سورة غافر، آية ٢٧)، فإن من يؤمن بالله، وبيوم يحاسب الناس فيه، ويحشرون حفاةً عراةً، لا تسوّل له نفسه فعل ما لا ينبغي فعله.

إنّ الكبر آفة تؤثر في النفوس والقلوب، وسمة عامة للشخصية المتجبرة، فيتجبر الفرد ويتسلط على الآخرين لأنه صاحب مال، أو قوة وسلطان أو لديه أولاد، وإن الحاكم إذا ابتلي بالكبر أياً كان سببه، فإنه يطمس بصره وبصيرته عن الإيمان بالله وحده، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ (سورة الأعراف، آية ٧٦)، والكبر كما عرفه سيدنا محمد ﷺ هو: "بطر الحق وغمط الناس"[١]. وكما قال الغزالي: "إن الكبر يتضخم إلى جبروت، ومن أول خصائص الحكم المطلق الكبرياء والتعالي"[٢].

إنه سمة للنفوس الضعيفة، ضعيفة الإيمان بالله، ضعيفة الثقة بالنفس، سمة لمن يسيره هواه ورغباته ويهدف لتحقيق مصالحه وأهدافه دون النظر إلى حال الآخرين ورغباتهم. ، فهو يقود صاحبه إلى عدم رؤية الحق والحقيقة، وينكره، بل ويمنعه من إبصار حقائق الأمور،

ثانياً: استغلال السلطة:-إن السلطة هي الفرصة المتاحة لمن يتولاها لتنفيذ مطالبه، وتحقيق أهدافه، ومواجهة من يتصدون له أو يعارضونه، فهي تمنح الفرد القدرة على فرض إرادته على الآخرين، وتوجيههم الوجهة التي يريدها، دون إعطاء أي أهمية لحالهم وحقوقهم، وإن الناظر في تاريخ الاستبداد و المستبدين، يلحظ كيف استغل كل فرد ما لديه من سلطة

---

[١] مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ج١، ص ٩٣، رقم ٩١.

[٢] الغزالي، **الإسلام والاستبداد السياسي**، ص ٣٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

لبسط نفوذه وسيطرته على الآخرين، وقد يُسيء تفسير النصوص الواردة، أو قد يلجأ إلى وضع النصوص لتضليل الأمة عن سبيل الحكمة، يريدون بذلك إطفاء نور العلم، وتقديم التبرير لما يقومون به أو يفعلونه تجاه الأفراد الآخرين، لتحقيق ما يسعون إليه.

فنرى استبداد الأب والأم، والزوج، والأستاذ، والكبير، والذكر، والحاكم، وصولاً إلى الشخص الذي لا يجد ما يستبد به سوى الأشياء فيقطع الأشجار، ويتلف مصابيح الشوارع، وغير أولئك ممن يتولون السلطة يسيئون استخدامها في أحيان كثيرة محتجين ببعض النصوص، والحقوق التي غالوا في تفسيرها بما يتناسب مع أهوائهم ومصالحهم، فالأب والأم يستغلون حق الطاعة الذي أعطاهم الله إياه. قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (سورة الإسراء، آية ٢٣-٢٤)، ويستغل الأب نفوذه المالي، وقوته الجسدية، ومكانته المعنوية، إضافة لوجوب طاعته، وقد يمارس تجاه أبنائه دور الحاكم، وما التفكك الأسري الشائع في أحيان كثيرة إلا نتيجة حتمية لغياب الحرية والشورى في العلاقات الإنسانية.

ويستبد الزوج بزوجته، تحت شعار الطاعة الزوجية، وبما يملك من حقوق منها، حق القوامة، قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ (سورة النساء، آية٣٤).

يقهر زوجته، ويظلمها، ويمنعها من حقوقها التي جعل الله لها، فيقصر في النفقة عليها، ويمنعها من إبداء رأيها، أو الخروج لزيارة أهلها، بل ويمارس معها أشد أنواع الإيذاء الجسدي والنفسي، وقد يسيء في استخدام حقه في الطلاق، حيث يكون دون سبب بقصد الإضرار فقط، مستدلاً ببعض النصوص الضعيفة، كقوله ﷺ: "لا يُسأل الرجل فيما ضرب امرأته"[1]. متناسين النصوص التي جاءت تحث على حسن معاشرة الزوجة ومعاملتها، والتي تبين كيفية هذا الضرب وزمانه وأداته، وأنه يكون عند نشوز الزوجة، وهو آخر طرق العلاج التي يُلجأ إليها في علاج النشوز، وليس الأمر على إطلاقه، مما لا يترك أثراً جسدياً ولا نفسياً، فترى البعض يجتزئ النصوص، ويأخذ منها ما يخدم أهدافه.

ويستبد المعلم بطلابه تحت شعار وجوب احترامه وتقديره وتبجيله، لأنه يمتلك من المعرفة الشيء الكثير، وكما يقول المثل من علمني حرفاً كنت له عبداً، فهذا المثل يؤكد تقديس المعرفة وحاملها، ويبرر شكلاً من العبودية، فالمعرفة التي يملكها المتقدمون في العمر تشكل أداة سيطرة على من يحتاجها[2].فاحترام المتقدمين في العمر لا يرتبط بالعمر فقط.

---

[1] أبو داوود، **السنن**، كتاب النكاح، باب في ضرب النساء، ج٣، ص٢٤٦، رقم ٢١٤٧، ابن ماجه، السنن، كتاب النكاح، باب ضرب النساء، ج١، ص ٦٣٩، رقم ١٩٨٦، ضعفه الألباني، انظر الألباني، **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، ج٦، ص ٩٢، رقم ٦٣٦٥.

[2] دراج، **استبداد الثقافة**، ص ٩-١٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ويستبد الكبير بالصغير، حيث انتشر المثل القائل: "أكبر منك بيوم أخبر منك بسنة"، فهذا دليل واضح على الاستبداد، إذ لا عبرة بالموقع العلمي الذي وصل إليه الصغير، لأن الأكبر أكثر خبرة حتى ولو كان جاهلاً ولم يقرأ في حياته سوى بعض صفحات من الجرائد والمجلات. فالرجل الشرقي يحتل مكانة عالية ويملك كل شيء، والصغير جاهل لا يملك شيئاً أمامه.

كما يستغل بعض الحكام مكانتهم بين أقوامهم، وأنهم يملكون الحقيقة، وما على القوم سوى إتباعهم وطاعتهم، مستدلين ببعض النصوص التي توجب طاعتهم، وتمنع الخروج عليهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ (سورة النساء، آية ٥٩)، وقال رسول الله ﷺ: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصا الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني[1]). فيجعلون الطاعة واجبة بإطلاق، وإن أي نقد أو تساؤل أو اعتراض يدخل في نطاق المحرمات، ولذا يلجأون لوضع القوانين، والتشريعات البشرية التي تمكنهم من التدخل في حياة الأفراد على جميع المستويات، ودون حدود. كما يستدلون على وجوب وجود الحاكم بعدد من النصوص، منها قوله ﷺ: "من مات وليس في عنقه بيعه مات ميتة جاهلية[2]"، وغيره.

ثالثاً:- الخوف:-وإن حال المستبد كالمستبد بهم في خوف دائم على سلطته وحكمه وجبروته، مما يدفعه لمزيد من القهر والعنف والتسلط، فيكون دائم الشك والحذر من كل من

---

(1) مسلم، **الصحيح**، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء، ج٣، ص ١٤٦٦، رقم ١٨٣٥.

(2) مسلم **الصحيح**، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة، ج٣، ص ١٤٧٨، رقم ١٨٥١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

حوله، فيزداد حرصاً وخوفاً، فبقدر شعوره بالضعف والخوف يرفض الآخرين، ويمنع استقلالهم عنه، مستخدماً كافة الأساليب والوسائل المتاحة، فهذا فرعون يقتل الذكور من بني إسرائيل خوفاً على ملكه، لأن بعض الكهنة أخبروه أن نهاية حكمه ستكون على يد أحد هؤلاء، قال تعالى: ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ (سورة القصص، آية٤).

فالخوف حالة مشتركة بين كلا طرفي هذه الظاهرة، يقول الكواكبي في وصف ذلك: إن خوف المستبد من نقمة رعيته أكثر من خوفهم بأسه، لأن خوفه ينشأ عن علمه بما يستحقه منهم، وخوفهم ناشئ عن جهل، خوفه عن عجز حقيقي منه وخوفهم عن توهم التخاذل فقط، خوفه على فقد حياته وسلطانه وخوفهم على لقيمات من النبات وعلى وطن لا يألفون غيره، خوفه على كل شيء تحت سماء ملكه، وخوفهم على حياة تعيسة فقط، وكلما زاد المستبد ظلماً واعتسافاً زاد خوفه من رعيته، وحتى في حياته وهواجسه وخيالاته[١].

الفرع الثاني: القابلية للاستبداد

إن في النفس الإنسانية استعداداً للخير والشر، الحق والباطل، الحرية والاستبداد، فبعض الأفراد لديهم استعداد وقابلية للاستبداد والطغيان، الذي ما هو إلا حالة سياسية اجتماعية تعكس غرائز مستقرة في النفس الإنسانية. فالمستبد كما عرّفه الكواكبي: "إنسان مستعد بالطبع للشر"[٢]. هو شخص يملك شخصية مسيطرة، تتطلب خضوعاً من الآخرين، وانقياداً تاماً ودائماً[٣]، إنها شخصية محبة للسلطة، حرفية في تنفيذ القوانين، تميل للسلطة، واستخدام أساليب العنف، والتحكم ضد الآخرين.

---

[١] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٥٠ بتصرف.

[٢] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٢٧.

[٣] انظر **معجم علم النفس والتربية**، ج١، ص ١٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

إن الاستبداد ينبع غالباً من داخل الإنسان، فكل فرد يحمل استعداداً لأن يكون فرعون، متى سمحت له الفرصة الانفراد بالسلطة فلن يضيعها، فيمكن لأي شخص أن يتحول إلى مستبد إذا امتلك القوة، ووسائل الإخضاع. ومن الأسباب التي تدفع الفرد للاستبداد:-

أولاً: الأمراض النفسية:- فلدى المستبد عقدة نفسية، تتمثل بالإحساس بالضعف الذي يتحول إلى قوة. فالميل للاستبداد في بعض الأحيان تعويض عن إخفاق أصاب الفرد، الذي ينتقم من الآخرين لأنهم لا يحبونه، أو يستخفون به، ويعدونه قذراً، فنزعة الاستبداد الشريرة لا تكمن إلا في ذات خربة تعاني أمراضاً نفسية قاهرة لا يمكن معالجتها، فهي بئر مهجورة لا قرار لها، ولا هم لها إلا تحقيق الأهداف والمصالح.

إن معظم الطغاة في العالم عانوا في طفولتهم من الاضطهاد، والعوز، والدونية، والتفكك العائلي، فعاشوا طفولة معذبة، أضف إلى أن أغلبيتهم كانوا قصيري القامة مما شكل لديهم عقداً، وجعلهم أفراداً غير أسوياء، منحرفين وحاقدين على الجميع تتحكم فيهم هواجس من العنف والرغبة في الانتقام[1].

ثانياً:- حب الرياسة وجنون العظمة والرغبة في إثبات الذات:- إن لدى المستبد إحساساً بأن شأنه لا يقل عن الآخرين من القادة العظام، لذا يأمر بنصب التماثيل له، ونقش اسمه، والتغني بأمجاده، وغير ذلك من أمور، فهو يسعى للتملك والخلود، فأغلبهم مصاب بعقدة السيادة، وكما أخبر فروم: "إن نزعة السادية موجودة عند البشر جميعاً أسوياء ومنحرفين، وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة، فالمستبد يمارس استبداده، ويعبر عن نزعته السادية، أي التلذذ بإيقاع الأذى بالآخرين، التي تؤدي للسيطرة الكاملة على الشخص الآخر،

---

[1] انظر الربيعي، **سلطة الاستبداد والمجتمع**، ص ٢٠، ودوفرجية، في الدكتاتورية، ص ٣٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

لأن متعة السيطرة التامة على شخص آخر هي الدافع السادي[1]. فلديهم حب التحكم وإخضاع الآخرين، واستضعافهم، وسرقة خيرات الشعوب.

ثالثاً:-عدم الثقة بالنفس:- فالمستبدون أفراد غير واثقين بأنفسهم يشكون بذواتهم وهويتهم، فإن الفرد عندما يعجز عن إقناع الآخرين برأيه، يلجأ إلى فرضه بالعنف، وهذا ما يفسر حال كثير منهم، بل إن الاستبداد ما هو إلا ظاهرة تعويضية تتوافر في الأشخاص فاقدي الثقة بأنفسهم، الذين لم ينجحوا في تكوين شخصياتهم، يدفعهم النقص الذي يعيشونه إلى محاولة تعويضه في العالم الخارجي، فاستعمالهم العنف يكون للدفاع عن ذواتهم الفاقدة للاستقرار[2].وما هذا إلا بسبب انحراف التربية عن مسارها المتوازن، وإسهامها في إيجاد الشخص المستبد المتسلط فالتربية الأسرية والمجتمعية تسهم بشكل كبير في وجود الاستبداد، لأنه سلوك يتعلمه الفرد من خلال ما يكتسبه من قيم وتقاليد خلال مراحل حياته.

إن الأسرة العربية تعمل على غرس قيم تسلطية تتنافى مع مقومات الوجود الإنساني، وتخرج الإنسان من دائرة إنسانيته إلى الموت والعبودية، فهي تقتل في الفرد مقومات إنسانيته، وتجعل منه جلاداً لا يرحم، وقد يأخذ أقرب الناس بسيفه[3].

الفرع الثالث: السلطان والقوة

إن من أبرز أسباب استبداد الفرد، وتجبره، وظلمه للآخرين؛ غروره بقوته وسلطانه، حيث يكتسب المنصب والمال عن طريقهما، ويوظفهما لخدمته، قال الأفغاني: "لأن بالقوة المطلقة الاستبداد، ولا عدل إلا مع القوة المقيدة"[4].

---

[1] انظر إمام، **الطاغية**، ص ٣٣٥.

[2] انظر سيف الدولة، **الاستبداد الديمقراطي**، ص ٧.

[3] وطفة، **بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي**، ص ٢٦، بتصرف.

[4] الأفغاني، **الأعمال الكاملة**، ج٢، ص ٣٢٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

لقد بدأ الإنسان حياته في مجتمعات بشرية تشكلت وفقاً لمبدأ القوة، فالقوي يفوز وينتصر، ويمتلك الغنائم والممتلكات، وعندها ظهرت العلاقة بين القائد والرعية، المنتصر والمهزوم، فالقائد قوي يتمتع بإرادة وعزم وبأس، ولذا لا بد من أن يحكمهم جميعاً، وما على الضعيف إلا أن يخضع وتذوب إرادته وكرامته في إرادة الأقوى وكرامته،وبذلك نشأت فكرة الطبقات بين البشر، وكلما زاد عدد العبيد، زاد ما يمتلكه الأقوياء من الأرض والنفوذ والحرس[1].

وممن استبد بسبب قوته:- قوم عاد، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (سورة فصلت، آية ١٥). فإن القوة حين تكون بعيدة عن الحق، وحين تنبعث من النفوس المستعلية تصير سبباً من أسباب الطغيان، حيث تحمل أصحابها فتنسيهم أول البديهيات، وهي أنهم خلقوا ليموتوا، فبقدر ما تجدهم يبنون في الدنيا متفاخرين، فإنهم يهدمون بنيانهم الإنساني حيث يصبح البطش طبيعة لهم، ولا تزداد قلوبهم إلا قسوة، ولذا فهم أبعد عن التأثر بنصح أحد حيث تعميهم القوة عن كل شيء، ولقد كان هود عليه السلام يبذل كل ما في وسعه ليستأصل القسوة من قلوبهم، ويزيل الجفوة بينهم وبين الحق، فالركون للقوة المادية والتعويل عليها وحدها، والاعتزاز بها يدفع صاحبها للاستبداد والطغيان[2].

---

[1] العفيفي، **مجتمعات تحت حصار الطغيان**، ص ٢٠ باختصار.

[2] عباس: فضل حسن، **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**، عمان-دار الفرقان، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص ١٠٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالمستبد يسيطر على كل عناصر القوة في المجتمع، ولا يسمح لأحد أن يصل لأي مصدر من مصادرها، لأن في هذا تهديداً لسلطانه، ويزداد قوة وممارسة للعنف ضد الآخرين فيقوم بالاعتداء عليهم، وتسخيرهم في خدمة مصالحه، بسبب ضعف القوة المادية أو العددية عندهم. ولأن الطباع البشرية تميل لطاعة الأقوياء، والاحتماء بهم، واللجوء إليهم، فإن الناس إن لم يتمكنوا من الوصول لمصادر القوة، فإنهم يتوجهون لمن تظهر عنده. وإن الفرد عند توليه الحكم، فإن نفسه غالباً ما تحمله على الاستبداد للاستئثار بالمال والقوة والقدرة،

ونشير هنا إلى أن السلطة بذاتها ليست مفسدة ما دامت منسجمة مع قواعد الشريعة الإسلامية، ولها أهمية كبرى في حياة الفرد والجماعة، ومما قيل في ذلك: قال الغزالي:"الدين والسلطة توأمان، ولهذا قيل الدين أس والسلطان حارس، ومالا أُس له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع [1]". وقال الماوردي:" إن من طباع العقلاء التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم، ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم ولولا الولاة لكانوا فوضى مهملين وهمجاً مُضاعين [2]".

ومقابل تلك الأهمية، إلا أن السلطة قد تغري البعض، قال جوستاف لوبون: "إن للسلطة نشوة، تلعب بالرؤوس كنشوة الخمر"[3]. فيسيئون استعمالها ويستغلونها لمصالحهم الخاصة، مما يؤدي بهم للاستبداد بوساطتها، فصاحب السلطان ما عليه سوى إصدار الأوامر، وعلى الآخرين الطاعة، فالكلمة له، والحق دائما معه، ولذا فصلاحياته غير محدودة، وواجبة التنفيذ، ولا يحق لأحد مناقشته ولا معارضته.

---

[1] الغزالي: أبو حامد، **الاقتصاد في الاعتقاد**، بيروت-دار الهلال، ط١، ١٩٩٣، قدم له وعلق عليه د. علي أبو ملحم، ص ٢٥٥.

[2] الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، بيروت-دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص ٥.

[3] متولي، **أزمة النظام السياسي الإسلامي في العصر الحديث**، ص ٥١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فالقانون يسن لمن لا يستطيع عصيانه، والنظام يقام لمن لا يقوى على هدمه مع أن المواطنين سواء أمام القضاء، إلا أنهم ليسوا سواءً في إيصال أصواتهم إلى مسامع القضاة، فصاحب الرأي هو صاحب المنصب، لذا فالكرسي هو الذي يتكلم قبل أن يجري لسان صاحبه في فمه، عندها توزن كلماته بموازين الذهب والجوهر، ويهرول له الإذاعيون والصحفيون، حريصون على سماع كلماته وتسجيلها وتبادلها وإذا ذهب عنه المنصب تذهب عنه رجاحة العقل، وإصابة الرأي وبلاغة الكلام[1].

الفرع الرابع: الغنى

إنّ المال قد يحمل صاحبه على الاستبداد وظلم الناس وقهرهم واضطهادهم إذا تحول من وسيلة إلى غاية، يسعى إليها الفرد، فيصبح حريصاً على اكتنازه، وادخاره، ومنع الآخرين من الانتفاع به، فعندها يصبح مذموماً، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ (سورة العلق، آية ٦-٧). وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (سورة الشورى، آية ٢٧)، وقال رسول الله ﷺ: "فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم[2]". فالمال يوفر للفرد أرضية تجعله قادراً على تحصيل دعم قطاعات كثيرة، فيشتري

---

(1) انظر محمود: زكي نجيب، **تجديد الفكر العربي**، بيروت-دار الشروق، ط٩، ١٩٩٣، ص ٢٩٦.

(2) البخاري، **الصحيح**، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، ج٤، ص ١٤٧٣، رقم ٣٧٩١، ومسلم، الصحيح، كتاب الزهد، والرقائق، ج٤، ص ٢٢٧٣، رقم ٢٩٦١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المستبد كثيراً من النفوس، ويكسر المعنويات بما يوفره من إغراءات، لقد أصبح أكبر صنم صنعته البشرية واتخذه البعض إلهاً.

ومن أمثلة من استبد بسبب ماله: قارون، قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ (سورة القصص، آية ٧٦) وأصحاب الجنة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَٰٓئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ ﴾ (سورة القلم، آية ١٧-٣١).

وصاحب الجنتين، قال تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا (سورة الكهف، آية ٣٢-٣٦).

وغير هؤلاء من أصحاب المال الذين حملهم الغنى على الاستبداد، وظلم الآخرين، وقهرهم

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثاني

أساليب الاستبداد

سلك المستبدون، ويسلكون في كل زمان ومكان لتكريس طغيانهم واستبدادهم عدداً من الأساليب التي تكفل لهم البقاء في ما هم فيه من السلطة والسيطرة، وانتزاع الطاعة من بقية الأفراد وإن كانت في مجملها تقوم على أساسين: الترغيب والترهيب، العصا والجزرة، بهدف تطويع المواطنين، وتعطيل اهتماماتهم العامة، لتحقيق أهدافه، ومن الأهداف التي يسعى المستبدون لتحقيقها في مختلف الأزمان استمرار سلطانهم والحفاظ على عروشهم التي توفر لهم جميع السبل لتحقيق مصالحهم، قال متولي: "إن غاية كل طغاة التاريخ هو بقاؤهم الدائم في الحكم، واحتفاظهم بالسلطة، لا يتركون فرصة لغيرهم، ويحاربون كل من يشعرون بأنهم طامعون في عروشهم، ويعملون على الحيلولة دون تمكن أحد من الرعية أو الأعوان من سلوك طريق يمكنه من مزاحمته[1]". فهذا فرعون يقرر قتل الذكور من قوم موسى والإبقاء على النساء لأن المنجمين أخبروه أن ملكه يذهب على يد واحد من هؤلاء المستضعفين[2].

فالعرش والسلطان هما غاية حياة الطواغيت، يرتكبون كل جريمة بلا تحرج في سبيل المحافظة على طاغوتهم وسلطتهم[3]. إن العرش معز لأبعد الحدود، فعندما تجمع كل السلطات بيد شخص فإنه يحتكرها ولا يتركها أبداً، وهو مستعد لإتباع مختلف الأساليب في سبيل تحقيق ذلك،حتى قيل: "ما سُلّ سيف في الإسلام كما سُل من أجل الإمارة"[4].

---

(1) انظر متولي:محمود، **طغاة التاريخ**،القاهرة-مكتبة نهضة الشرق،د-ط و ت، ص ٨.

(2) انظر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص ٥٠٤.

(3) انظر سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص ١٣٥٠.

(4) الشياب:محمد خالد، **الدولة العربية المعاصرة وأيديولوجية الاستبداد والتفتت**،عمان-دار ورد، ط١، ٢٠٠٧، ص ١٠٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالمستبد يسعى للوصول إلى الملك والسلطة، ويريد تحقيق إتباع الشعب لـــه بحيـــث يؤمن بما يؤمن به من غير مناقشته، فالرأي رأيه، والقرار له وحده، وهذه هي بعض أهداف المستبدين التي يعملون جاهدين لتحقيقها، بكل الأساليب، والتي منها:

المطلـــب الأولـــ :- العنـــــف

العنف بكل ما فيه من (إكراه، وتهديد، وتعذيب، وسجن، وقتل) وغيرها، حيث يمارس الحاكم المستبد باستمرار الكبت، والاضطهاد، والعنف، والقضاء على كل ما مـــن شـــأنه أن يشكل نقطة ضغط على حكمه وسلطته، ولا يرحب بالأفكار التي تدعو إلى الحرية وممارســـة النقد السياسي، بل إنه يستخدم العنف والقمع ابتداءً للمحافظة على هيبته ومكانته بين النـــاس، كما يستخدمها عند فشله في تحقيق سياساته وخططه وأهدافه فقد يضحي بأرواح الكثيرين في سبيل ملكه وسلطته وحكمه.

فالمستبد ليس المنفرد برأيه فقط، وإنما الذي يكون منه المبادرة والضرب والتفريـــق لمن يعارضه في انفراده برأيه[1]. فهو لا يرى ألم الآخرين ولا يسمع شكواهم، ولا يـــصغي لآرائهم وأفكارهم، ويسيطر سيطرة كاملة على كل عناصر القوة الموجودة، فمن أبرز صفاته القسوة التي هي تبلد المشاعر، وعدم الإحساس بالألم والمرارة عند تألم الآخرين، وازدياد هذه القسوة كلما قويت سبل تنفيذها وضعفت سبل مقاومتها[2].

فيمارس المستبد مع مواطنيه أساليب العنف والقمع، ويصطنع خوفهم وبؤسهم لتحقيق أهدافه المرضية من حب السيطرة واستعباد الآخرين مستغلاً ما لديه من قوة مادة أو معنوية، متبعاً كافة أساليب العنف الممكنة، ومن الأقوال الدالة على ذلك، يقول كروميل: "تسعة

---

[1] نزال:عمران، **سبل زوال الاستبداد الفكري بين المسلمين**، عمان-دار القراء،ط١، ١٤١١-١٩٩٤ص ١٩.

[2] انظر العفيفي، **مجتمعات تحت حصار الطغيان**، ص ٢٤، ٣١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

مواطنين من أصل عشرة يكرهونني! ما أهمية ذلك إن كان العاشر وحده مسلحاً [1]".

فلا يحبذ المستبد سوى لغة العنف والقسوة، ويرفض لغة الحوار لأنها تحد من سلطاته فهو لا يتوانى عن التنازل عن كل الثوابت الوطنية بل عن الوطن كاملاً ليحافظ على سلطته، حتى قيل:- إن الاستئثار بالسلطة سيئة من السيئات التي حاز عليها بعض الأفراد، فاستسهلوا من أجله الحزن واستهانوا في سبيله بالصعاب، ووصفوا طيبات الدنيا بأنها الجلوس على السرير والسلام عليك أيها الأمير، وأورد في أمثالهم أن الملك عقيم، ومعناه أن الملك لا يعرف ابناً ولا أخاً، فإن نازعك أخ أو ابن أو قريب، فعليك أن تتخلص منه بقتله[2].

وابتكر الاستبداد كل سبل القمع والتخويف والترهيب للبقاء في السلطة، لقد وقع العنف على مر التاريخ، ومما يؤيد ذلك ما ورد في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (سورة آل عمران: آية ١٨٦) وقال تعالى عن فرعون: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ (سورة البقرة، آية ٤٩)، وغير ذلك من الآيات القرآنية الكريمة التي بينت وقوع العنف بكافة صوره على عباد الله، كما جاءت العديد من الأحاديث الشريفة والتي سيأتي ذكرها -بإذن الله-.

فالاستبداد يبدأ بانتزاع السلطة غالباً بالعصا أو الجزرة أو كلتيهما، ولتكريسه يتم استخدام عدة أساليب كالإكراه، والتهديد، والتعذيب، والسجن، والقتل، وهي ما سنبينه في هذا المطلب -بإذن الله-.

---

[1] دوفرجيه، **في الديكتاتورية**، ص ٢٣.

[2] الشالجي:عبود، **موسوعة العذاب**، بيروت-الدار العربية للموسوعات، د.ط وت، ج٥، ص ٤٠٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

أولاً: الإكراه:-الذي هو إجبار الآخرين على القيام بما يُملى عليهم دون رضا ولا قناعة ولا رغبة، يستعمل المستبد هذا الأسلوب لإجبار الأفراد على تلقي الأوامر بالطاعة المطلقة، وتنفيذها دون نقاش ولا حوار، وأن يتنازلوا عن حقوقهم أمام حق الحاكم، وإن كانت تحمل بين طياتها إلحاق الأذى بهم، والدمار لشخصيتهم، والأمثلة على ذلك عديدة منها ما فعله المشركون مع عمار بن ياسر لينطق بكلمة الكفر، وهذا المأمون يحاول إكراه الناس على القول بمسألة خلق القرآن بالقوة، وغير هذا من الأمثلة، فالمستبد وبال على شعبه لأنه يقهره بالإرهاب والجاسوسية والسجن والتعذيب بحمله حملاً إجرامياً على تنفيذ سياسته التي يعتقد أنها تجعل من شعبه أقوى الشعوب[1]

ثانياً:التهديد:- لم يكتف المستبدون بالإكراه، بل تعدوا إلى تهديد الأفراد بحياتهم ومستقبلهم ومصادر رزقهم بعدد من العقوبات، ولم يسلم أحد من ذلك، فها هو أبو جهل يهدد ويضرب النبي ﷺ، وقد تم التهديد بعدد من العقوبات، منها:التهديد بالضرب والرجم، بالنفي والتشريد، بالسجن، بالقتل وكذا التهديد بالتضييق بالرزق، ومصادرة الأموال، وغير ذلك.

ثالثاً: التعذيب:-يعيش المجتمع بأسره تحت حالة قاسية من الاستبداد، يكون فيه كل فرد معرضاً للبطش والاعتقال والتنكيل، ففي أي بادرة من الأفراد للتصرف على خلاف ما يرضي السلطة، يستحقون عندها أشد التعذيب والعقاب.

فالتعذيب وسيلة يتخذها المستبدون ضد الأفراد العاديين عند عجزهم عن إقناعهم أو التغلب عليهم بالإكراه والتهديد، ويستعملون في ذلك صوراً شتى منها:الضرب بالسياط والأيدي والأرجل، وإجبار الأفراد على السير على المسامير والزجاج وإن توقف يضرب بالسياط، وقلع الأظافر والشعر، وصب الماء في الجوف، والكي بالنار، والتعذيب بالكهرباء،

---

[1] حجازي، **الدكتاتورية محنة الإسلام والعالم**، ص ٤٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

والإغراق، وإطعام ما ليس بطعام أو وضع الملح على الجروح أو في الأنف، والتعرض للجوارح ، وقتل الشخص ووضع رأسه في حجر أقرب الناس إليه[١]، وغير ذلك من صور قاسية.

ومن الأمثلة على ذلك:- ما فعله أهل مكة مع المستضعفين من المسلمين، حيث وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فأصبحوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ليفتنوهم عن دينهم[٢]، فهذا بلال بن رباح رضي الله عنه، كان أمية بن وهب يخرجه إذا حميت الظهيرة في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى[٣]. وغيره

وكذا ما فعله أبو جعفر المنصور من اضطهاد للإمام مالك، لقوله في مسألة الخروج مع محمد بن عبد الله بن الحسن، قال ابن الجوزي: ضرب الإمام مالك سبعين سوطاً، لأجل فتوى لم توافق غرض السلطة[٤].وهذا الحجاج اعتقل فيروز أكبر مولى بالعراق قدراً، أمر به فشق له قصب، ثم شدّ عليه، وجعل يسله قصبة قصبة، ثم صب عليه الخل والملح حتى مات[٥].

فالضرب والتعذيب أسلوب اجتماعي شائع، ومألوف في حياتنا يستخدم يومياً، وهكذا نجد الحاكم يعذب المحكوم، والغني يعذب الفقير، والقوي يعذب الضعيف، والكبير يعذب

---

[١] انظر الشالجي، **موسوعة العذاب**، ج٤، ص ٥-٢٢٧.

[٢] انظر ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١، ص ١٥٩.

[٣] انظر المرجع السابق ، ج١، ص ١٦٠.

[٤] أمين: أحمد، **ضحى الإسلام**، القاهرة-مكتبة النهضة المصرية، ط٨، ١٩٧٤، ج٢، ص ٣٣.

[٥] ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، **المعارف**، بيروت-دار الكتب، د.ط، ١٩٦٠، تحقيق ثروت عكاشة، ص ٣٣٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الصغير، والرجل يعذب المرأة، وغير ذلك، ويمارس كل شخص عدة صور من التعذيب والضرب والشتم، لتحقيق أهدافه ومصالحه.

رابعاً: السجن:-تدفع المستبدون قوتهم إلى تخويف الأفراد بالسجن، واعتقالهم بغية الحفاظ على سلطتهم، فالعلاقة بين الاستبداد وظهور السجون والمعتقلات وكثرتها علاقة قوية، فبظهور الاستبداد تظهر السجون إذ إنها إحدى الوسائل التي تساعدهم على الحفاظ على مكانتهم، وتحقيق أهدافهم، فما من مستبد إلا ويتخذ عدداً من السجون والمعتقلات، ويجعلها مسكناً لمن يخالفه في رأيه، أو يعارضه، أو يحاول تغيير واقعه.

ولا يخفى أن حياة السجون في القديم والحديث حياة مُرعبة مفزعة، لما فيها من انعدام الإنسانية في التعامل، وفي كل شيء، يخطر على بال الإنسان، فبعض السجون لا يرى الشخص فيها النور، ولا يستطيع التمييز بين الليل والنهار، ولا معرفة أوقات الصلاة، أو طلوع الشمس من مغيبها، وبعض السجون تكون مأوى لهوام الناس[1].

لقد ابتذلت حقوق الأفراد وحرياتهم عند الحكام المستبدين الذين لم يهمهم يوماً إلا مصالحهم ورغباتهم، فاسترخصوا السجن والقتل والتعذيب وغيره، فهذا فرعون يقول لسيدنا موسى عليه السلام. كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ (سورة الشعراء، آية ٢٩). ونقل الأصمعي عن قحذم قوله أطلق سليمان بن عبد الملك في غداة واحدة واحداً وثمانين ألف أسير كانوا في سجن الحجاج، وقيل إنه لبث في سجنه ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة، وعرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثون ألفا[2].

---

[1] أبو فارس، **الابتلاء والمحن في الدعوات**، ص ٨٣، بتصرف.

[2] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٩، ص ١٤٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ولعلم المستبد أن السيطرة على وسائل الإعلام، ومحاولة تغيير الرأي العام، والإكراه والتهديد والتعذيب لا يكفي لمحاصرة الآراء والأفكار، فإنه يلجأ لاعتقال الشخصيات المؤثرة في الآخرين حتى ينقطع تأثيرها ويأمن على نفسه منها. هذا ما يفعله المستبدون في كل زمان ومكان، لأنه وسيلتهم لإسكات لسان الأفراد عن النطق بالحق وتبصير الناس بحقوقهم، التي يجد فيها المستبد تهديداً لحكمه وسلطته، والناس يخضعون للسلطة بسبب التسلط وأجهزة العنف التي تملكها، وخوفاً من السجن والاعتقال.

خامساً: القتل:-يميل المستبد لإزهاق أرواح الناس المظلومين، بحجة معارضتهم وامتناعهم عن تلبية الأوامر والتوجيهات أضف إلى ذلك أنه يستمتع برؤية الدماء، ويطرب لصرخات المعذبين ويرى في ذلك وسيلة ردع لبقية الأفراد.

خطب عبد الملك بن مروان الناس يوماً فقال: أما بعد، فلست بالخليفة المستضعف ولا الخليفة المداهن، ولا الخليفة المأمون، ألا وإن من كان قبلي من الخلفاء، كانوا يأكلون ويظلمون من هذه الأموال، ألا وإني لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم، والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه[1]. ما أرخص حياة الفرد، وما أشد جبروت الحاكم، الذي لا يجد بأساً في إزهاق الأرواح التي حرم الله سبحانه وتعالى التعرض لها، وهذا لا لشيء إلا بقصد الحفاظ على سلطته وجبروته ومصالحه، فهو مستعد لإزهاق روح الأفراد لأبسط الأمور، يقول لينين: "إن موت ثلاثة أرباع الشعب الروسي ليس بشيء، المهم أن يصبح الربع الباقي منهم شيوعيين[2]".

---

[1] السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص ٢١٨.

[2] كامل: مجدي ، **من يصنع الطغاة**، القاهرة- دار الكتاب العربي، ط١، ٢٠٠٨، ص١١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وهذا الحجاج يقول: والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب المسجد فخرجوا من باب آخر لحلت لي دماؤهم وأموالهم[1].وقد أخرج الترمذي عن هشام بن حسان قال: أحصوا ما قتل الحجاج صبراً فبلغ مائة وعشرين ألفاً[2]. حتى قيل إن الحجاج في سيفه رهق، يقتل النفس التي حرم الله بأدنى شبهة. وبلغ بالبعض استعمال هذه الصورة من العنف مع الأهل والوالدين والأقارب ومن ذلك:

نيرون الذي قرر قتل أمه، ففكر في السم وفشل، فشرع في قتلها إغراقاً ولكنها نجت، فلم يبقى إلا أن تقتل بالسيوف، فأرسل رجاله يطاردونها حتى قتلوها، وألحق بأمه زوجته أكتافيا التي قطع رأسها، وألقيت بين أحضان يوبيا عشيقته تحقيقاً لرغبتها[3].

ومن ذلك ما قيل أيضاً في سبب وفاة الهادي، فإن أمه الخيزران كانت تستبد بالأمور دونه، وتسلك به مسلك المهدي، ثم طلبت منه حاجه لأحدهم فرفض، وهددها بضرورة عدم استقبال أحد، وأن تجد ما يشغلها، وقيل إنه بعث لها بأزر، وقال قد استطبتها فكلي منها، فقيل لها أمسكي حتى تنظري، فجاءوا بكلب فأطعموه، فسقط لحمه لوقته، فأرسل إليها كيف رأيت الأرز؟ قالت طيباً. قال: ما أكلت منه ولو أكلت لاسترحت منك، متى أفلح خليفة له أم؟ وقيل: كان سبب أمرها بقتله أنه حاول خلع الرشيد، والبيعة لابنه جعفر، فخافت على ابنها الرشيد، فوضعت جواريها عليه لما مرض فقتلنه بالغم والجلوس على وجهه[4].

ونشير أخيراً إلى أن العنف ليس مقتصراً على علاقة الحاكم بشعبه، بل هو وباء عام

---

(1) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٩، ص ١٣٢.

(2) الترمذي، **السنن**، كتاب الفتن، باب ما جاء في ثقيف كذاب وخبيث، ج٤، ص ٤٩٩، رقم ٢٢٢٠، قال الألباني صحيح الإسناد، انظر الألباني: محمد ناصر الدين، **صحيح سنن الترمذي**، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ج٢، ص ٢٤٤، رقم ٢٣٣٣.

(3) انظر حسين:محمد، **موسوعة تاريخ مصر**،القاهرة-دار الشعب، د- ط و ت، ص ٢٤٢-٢٤٣.

(4) انظر ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، **الكامل في تاريخ**، بيروت-دار الكتاب العربي، ط٦، ص ١٤٠٦-١٩٨٦م، ج٥، ص ٧٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ينتشر بين جميع الفئات والأفراد ومن ذلك: العنف الواقع على الوالدين ، الأبناء، الزوج، الزوجة، الطلاب.

المطلب الثاني:- إثارة الحروب

إن حرص المستبد على تحقيق أهدافه وغاياته، والحفاظ على سلطته وجبروته والمستوى المرموق الذي وصل إليه، يجعله لا يجدُ بأساً في استعمال كافة السياسات والسبل المتاحة بين يديه، مهما كان أثرها على الأفراد، ومهما جلبت من مشاكل وحوادث، فهو إنسان أناني بالطبع لا يهتم إلا بمصلحته وحياته وأهدافه، ومن تلك الأساليب التي قد يلجأ إليها المستبد إثارة الحروب، وكما ثبت أنه لم تتحول سلطة من النظام الاستبدادي إلى غيره دون ثورة، فإن المستبد يلجأ للثورة وإثارة الحرب، لتحقيق أهدافه بتثبيت أركان عرشه وجبروته.

فالحرب والمؤسسات والقواعد المتصلة بها هي الموضوع الوحيد الذي ينبغي للأمير أن يصرف إليه أفكاره وعمله، وعليه أن يجعله مهنته، فهو المهنة الحقيقية لكل من يحكم، به يستطيع الذين ولدوا أمراء، والذين ولدوا رعايا بسطاء، أن يصبحوا أمراء في كثير من الأحيان، وأن يحافظوا على ذلكن فقد شاهدنا عواهل يفقدون دولهم لأنهم أهملوا السلاح وفضلوا عليه لذائذ الاسترضاء فمن يستخف بالحرب يخطو الخطوة الأولى لخرابه، ومن يملك أسرار هذا الفن يمتلك امتلاكاً تاماً وسيلة الارتقاء إلى السلطة[1].

وعن أهمية الحروب للمستبد، ننقل بعض الأقوال التي تبين ذلك، ومنها:قالت ماريا برنيري:- "إن النظم المستبدة لا يمكنها أن تعيش، إلا إذا جعلت من الحرب مؤسسة دائمة[2]". وقيل على الحاكم استعمال القوة أي شن الحرب، لأنها المهنة الحقيقية لأي حاكم، فمن يحتقر

---

[1] شوفالية: جان جاك، **أمهات الكتب السياسية من ميكافيلي إلى أيامنا**، دمشق- منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط، ١٩٨٠، ترجمة جورج صدقي، ج١، ص ٣٢، نقلاً عن ميكافيلي/ الأمير.

[2] الربيعي، **سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور**، ص ٥١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ويجهل الفن الحربي يركض على هلاكه[1].وهذا الاهتمام بالحرب، لأنها تساعد المستبد على:

١. جعل الشعب في حاجة دائمة لقائد ورئيس حربي.

٢. افتقار الرعايا من خلال دفع ضرائب باهظة، فيضطرون لزيادة ساعات العمل، فيشغل أوقاتهم، مما لا يدع وقتاً عندهم للتآمر عليه.

٣. ظهور الفروق الطبقية بين أفراد المجتمع مما يفرق الأفراد، ويحول دون وحدتهم ،ويشغلهم عما يمارس ضدهم من أعمال.

٤. التخلص من معارضي سياسته، بتقديمهم للصفوف الأولى[2].

لقد كان المستبدون وما زالوا تجار حروب، استعبدوا الشعوب وأنهكوها في سبيل الحفاظ على ملكهم وبقائهم، هم أشرار غيروا استعمال الذرة إلى الشر والدمار، فعملوا على بناء القنابل الذرية، وغيرها لتدمير الشعوب والسيطرة عليها، بدلاً من استعمالها لتحقيق النفع والفائدة والخير.

المطلب الثالث:- إغلاق باب الاجتهاد والحرية

ومن الأساليب التي يتخذها المستبدون إضافة لما تقدم، لتثبيت أركان حكمهم وسلطتهم، وتحقيق مصالحهم، أسلوب إغلاق باب الاجتهاد وحرية الرأي، الذي هو منع إعمال الفكر والنظر، غايتهم من ذلك منع الأفراد من الفكر المتأمل المتدبر الذي يبصرهم بحالهم، وما هم فيه من ظلم واضطهاد وتعسف، يعيشونه في ظل سيطرة المستبدين على الحكم، ولا يعرفون حكم المقاومة، أو كيفية الخلاص من هذا الحكم المستبد الظالم، فيبقون سادرين في جهلهم وخائفين، لا يخالفون الأوامر ولا يفكرون في ذلك ابتداءً. فإغلاق باب الاجتهاد وحرية الرأي،

---

(١) انظر الأصبحي:أحمد محمد، **تطور الفكر السياسي**،عمان-دار البشير،ط١، ٢٠٠٠، ج١، ص ١٩٦.

(٢) انظر أرسطو طاليس، **السياسة**، الرياض-منشورات الفاخرية، د-ط، ١٩٨٠، ص ٤٤٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وسيلة تساعد على إيجاد الاستبداد والتسلط، كما يستعملها المستبد لتحقيق أهدافه، فيما بعد.

حيث يبدأ بإغلاق باب الاجتهاد أمام الباحثين، واحتكار فهم الدين، ومصادرة رأي الأمة، بحجة الجهل أو عدم القدرة على فهم الدين، ولا يتورعون عن توظيف الفتوى ضد الآخرين وتكفيرهم عندما يصرحون برأي آخر، يتقاطع مع فهمهم، أو يختلف مع الرأي السائد[1]. فإن تدخل الحكومات في كافة شؤون الأفراد والمجتمعات يحول بينها وبين ممارسة الاجتهاد، وإبداء الرأي في المشاكل القائمة بحرية وموضوعية، ويعلم المستبد أن اتخاذ الآراء واجتماع الأفكار بين علماء المسلمين المنتمين إلى البلاد الإسلامية يعطيهم وزناً ومكانه لا ينتزعها حاكم مستبد ولا سلطان جائر[2].

ففي ظل الحكم الاستبدادي غاب الأفراد القادرون على سياسة أمور الدولة بحنكة واقتدار، بسبب ممارسات المستبدين، فأصيب عقل الأمة بالوهن، وهذا ما يسعى له المستبد لإحكام سلطته وسيطرته عليهم.

فالمستبد حريص على إبعاد جميع الأفراد عن ميدان عمله، وسلطاته، فتراه يحظر الحديث عن السياسة، كما يمنع ممارستها في عدد الأماكن كالمدارس والجامعات والمساجد وغيرها، خوفاً من تبادل الآراء والأفكار بين الأفراد والذي قد يؤدي إلى إلحاق الضرر به، ويهدد منصبه وسيطرته.

إنه يسعى لبقاء الأمة جاهلة، وغافلة، سادرة في سباتها العميق الذي لا تملك معه إلا لطاعة المطلقة لهذا الحكم وهذه السلطة، فهو حريص على إبعاد كل ما من شأنه إيقاظ الدولة، ومنعها من التفكير بواقعها وحياتها، للحيلولة دون الوعي الذي يقظ حكمه وسلطانه، ولذا حضر على الأمة التفكير المتأمل، وأدى به الأمر إلى توجيه التهمة بالكفر والزندقة لكل من

---

[1] انظر الغرباوي، **إشكاليات التجديد**، ص ١٦٢.

[2] الغزالي، **الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية**، ص ١٠٨ بتصرف.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

يمارس نوعاً من التفكير يخالف مصالحه، وأن على العلماء إيجاد ما يؤيد السلطان فقط. وإلا تعرضوا لنقمة الحاكم وعقابه.

فتقوم الأنظمة المستبدة على التغييب الكامل للصوت الآخر، والرأي الآخر، والفكر الآخر، والرؤية الأخرى لتبقى لها السيطرة التامة، فيسيطر المستبد على وسائل الإعلام، ويلغي كافة المنابر الدستورية، ويصادر حرية الأفراد في التعبير عن آرائهم وأفكارهم وإعلانها، لما لها من أثر على منصبه ووجوده.

المطلب الرابع:- سياسة فرق تسد

ويُعرف هذا الأسلوب بأنه: "سياسة تدعو إلى خلق خلافات بين من تسيطر عليهم حتى لا يتحدوا ضدك لتضمن استمرار سيطرتك عليهم"[١].

فتتضمن هذه السياسة مبدأ تسلطياً قديماً، يقضي بإضعاف الخصوم والأعداء بشق صفوفهم، وإثارة الخلافات والانقسامات فيما بينهم، والحيلولة دون توحدهم بتجزئة قواهم، وإثارتهم ضد بعضهم البعض، وهذا المبدأ ينطبق على سياسة الدول الكبرى القوية التي تفرض هيمنتها، وتبسط نفوذها على مناطق أخرى، فهو صالح كذلك كتكتيك يستخدم داخل المؤسسات، وفي السياسات الداخلية للكيانات والدول[٢].

إنها سياسة تقوم على بث الفرقة بين الناس في المجتمع، وإثارة النزاعات بينهم، حيث يسهل التحكم بهم والسيطرة عليهم، لأن الأمة قوية ما دامت مجتمعة متحدة ولذا عمد المستبدون على تفتيتها وتقسيمها إلى فئات متعددة، فهي سياسة استعملتها الدول المستعمرة للتفرقة بين الفئات والطبقات الاجتماعية داخل البلد الواحد، لتمزيق صفوف الدولة وإضعاف

---

[١] جماعة من كبار اللغويين العرب، **المعجم العربي الأساسي**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د-ط وت ، ص ٩٢٩.

[٢] انظر الكيالي، **موسوعة السياسة**، ج٣، ص ٣٨٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

منافستها، بهدف الحفاظ على سلطتها.

والتاريخ شاهد على تلك السياسة واستعمالها من قبل القوى المستعمرة، فهذا الاستعمار الإنجليزي والفرنسي والإيطالي الذي انتهج هذه السياسة، فقسموا البلاد، وجاء من بعدهم من استجاب لهذه التقسيمات واستغلها لمصلحته. فقد اتبعت بريطانيا سياسة إثارة النعرات الدينية والإقليمية والقبلية بين السكان لمنع توحدهم، من أجل مصالحها المشتركة في مقاومة الوجود والاستغلال الاستعماري وتقوم أحياناً بتغذية الخلاف الموجود ودفعه باتجاه الصدام ومنع التعايش، لتستطيع قطف ثمار التفرقة بين أبناء الشعب الواحد أو الإقليم الواحد، ففي الهند ساعدت بريطانيا على تصعيد التناقض الديني لدرجة الانقسام إلى عدة دول نشأت من خلال الحروب مع أبناء الإقليم الواحد، وفي قبرص ساعدت على إيجاد تناقضات دينية-عنصرية وتفجيرها واستغلالها مدة طويلة من الزمن[1] وغيرها.

وبهذا نجحت القوى الاستعمارية في تمزيق الأمة الإسلامية إلى خمسين دولة أو تزيد، وأقامت الحدود بينها على نحو يشكل جواً من التوتر والقلق، وتعمل على تغذية هذه الأجواء وشحنها بين فترة وأخرى، بتدبير المؤامرات والمكائد لاستمرار حالة الفرقة والنزاع والتفكك، وهذا هو حال كل دولة من تلك الدول حيث تعاني من التفكك والانقسام الداخلي، مما يؤدي لمزيد من الخلاف والنفور كل هذا يخدم أهداف المستبد ومصالحه. وإن حال بلاد المسلمين والعرب، وما فيها من تقسيمات للوطن وللناس والنسبة لإقليم أو أرض أو قبيلة إنما هو تنفيذ لهذه السياسة.

ولأن المستبد كالمستعمر الخارجي في خوف دائم على مصالحه، ولديه رغبة هائجة في تحقيق أهدافه، فإنه يسعى لبث بذور الفرقة والعداء والنفور المفضية للتفكك، ولخشيته من

---

[1] انظر المرجع السابق، ج٣، ص ٣٨٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

وحدة الأفراد وتجمعهم، فإنه يعمل على تغييب وتضليل هذه الجماهير، وحرمانها من المشاركة السياسية، لأنها القادرة على اقتلاعه والتصدي له.

فالمستبد يعمل على تدمير روح المواطنين، وزرع الشك، وانعدام الثقة فيما بينهم، وجعلهم عاجزين عن عمل أي شي[1]. حيث يقسمون الأمة أحزاباً ثم يضربون حزباً بحزب ويفرقونها شيعاً ثم يسلطون شيعة على أخرى[2]. وهذا يعمل على التقليل من فرص الاتصال بين الأفراد وإشغالهم بالملهيات والملذات والحروب، فلا يكون بينهم تماسك، ولذا فهم غير قادرين على الوحدة التي يخافها المستبد.

وهذا ما فعله فرعون مع بني إسرائيل، حيث قال تعالى مخبراً بذلك: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (سورة القصص، آية ٤).

قال البيضاوي: فرقاً يشيعونه فيما يريد، أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته، أو أصنافاً في استخدامه، أو أحزاباً بأن أغرى بينهم العداوة فلا يتفقوا عليه[3]. وقال المراغي: وفرقهم فرقاً مختلفة وأحزاباً متعددة وأغرى بينهم العداوة والبغضاء، كيلا يتفقوا على أمر ولا يجمعوا على رأي، ويشتغل بعضهم بالكيد لبعض، وبذا يلين له قيدهم، ولا يصعب عليه استسلامهم[4].

---

[1] انظر إمام، **الطاغية**، ص ١٤٧.

[2] انظر الغزالي، **الإسلام والاستبداد السياسي**، ص ١٨٣.

[3] البيضاوي: ناصر الدين بن سعيد عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، بيروت-دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ج٢، ص ١٨٦.

[4] المراغي: أحمد مصطفى، **تفسير المراغي**، بيروت-دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٧٤، ج١٩، ص ٣٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من أثر على الجميع، وهو صورة من العذاب الطويل الذي توعد به الله من انحرف عن نهجه، فقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (سورة الأنعام، آية ٦٥) قال ابن جرير: يعني يجعلكم فرقاً متخالفين[١].

وقد استعاذ النبي ﷺ من ذلك، أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص، قال: أقبل رسول الله ﷺ ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية، فدخل فركع فيه ركعتين، فصلينا معه، ودعا ربه طويلاً ثم انصرف إلينا، فقال: سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين، ومنعني الثالثة، سألته ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها[٢]

المطلب الخامس:- الإغراء بالمال والمنصب

إن النفس البشرية تميل إلى التملك والسيطرة والنفوذ، وقد تنهار بعض النفوس بسهولة أمام الإغراءات والوعود بالمناصب والأموال الوفيرة، ونظراً لمعرفة المستبد أن الأفراد يريدون الخلاص من وضعهم البائس، وتحقيق وضع أفضل يساعدهم في تحقيق آمالهم وطموحاتهم، فإنه يستغل هذا الأسلوب لإحكام سيطرته عليهم، والحفاظ على مصالحه عندهم،فالمال والمنصب بريق يبهر الأبصار، مما يجعل الأفراد على استعداد للتنازل وترك أي شيء في سبيل الحصول عليهما.

---

[١] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص١٩٤.

[٢] مسلم بن الحجاج، **الصحيح**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض،ج٤، ص٢٢١٦، رقم٢٨٩٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ولينجح المستبد في مهمامّه فإنه يستقطب بعض الأفراد من ضعاف القلوب والنفوس لمعاونته ومساعدته في السيطرة على مقاليد الأمور، ويختارهم من الأراذل الذين يسهل شراؤهم بالمال والمنصب، لذا قيل دولة الاستبداد، دولة الأوغاد، وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم الكواكبي اسم المتمجدون، فقال:"المتمجدون يريدون أن يخدعوا العامة، وما يخدعون إلا أنفسهم، بأنهم أحرار في شؤونهم لا يُزاح لهم نقاب، ولا تُصفع لهم رقاب، فيحوجهم هذا المظهر الكاذب، لتحمل الإساءات والإهانات التي تقع عليهم من قبل المستبد، بل للحرص على كتمها، وإظهار عكسها، بل ومقاومته من يدعي خلافها، وتغليظ أفكار الناس في حق المستبد، وإبعادهم من اعتقاد أن من شأنه الظلم، وهكذا يكون المتمجدون أعداءً للعدل، أنصاراً للجور، وهذا ما يقصده المستبد من إيجادهم، والإكثار منهم، حيث يتمكن بواسطتهم من التغرير بالأمة على إضرار نفسها تحت اسم منفعتها فسيوفها مثلاً لحرب اقتضاها محض الاستبداد[1].

وهذا فرعون استخدم أسلوب الترغيب بالمنصب والمال مع السحرة فقال تعالى مخبراً عنه: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (سورة الأعراف، آية ١١٣-١١٤).

وغير ذلك من أمثلة وصور يتضمنها هذا الأسلوب وسيتم عرضها عند الحديث عن المال باعتباره أحد وسائل المستبدين -بإذن الله-.

---

[1] انظر الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٦٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثالث

وسائل المستبدين

اعتمد المستبدون على عدد من الوسائل والأدوات لتساعدهم في تحقيق أهدافهم، ومصالحهم، وكان من أبرز تلك الوسائل ذات التأثير الكبير والأقوى على الأفراد والجماعات، ما سيأتي الحديث عنه في هذا المبحث -بإذن الله-، ومنها:

المطلب الأول:- وسائل الإعلام

إن لوسائل الإعلام دوراً أساسياً في نشر المعرفة، وتشكيل الرأي العام، وتجنيده لصالح أهداف وقضايا محددة، وإن أحد مؤشرات قياس مدى ديمقراطية أي نظام هو مساحة الهامش الذي يسمح به لتلك الأدوات بالبث والتأثير بصورة حرة دون معيقات ولا تدخلات[1]، فالإعلام أداة سياسية، وقوة اقتصادية، ومحرك ثقافي، وأداة تكنولوجية، ووسيلة تربوية. وهو سلاحٌ ذو حدين، فإمّا أن نَقطع أو أن نُقطع به، فاستخدام هذه الوسائل لا يخرج عن نطاق المصالح، فكل طرف يُسيره لخدمة مصالحه بعيداً عن مصالح الآخرين.

أما عن علاقة الاستبداد بالإعلام:- فإن الدولة تسعى للهيمنة على وسائل الإعلام، وتكريسها لفرض أفكارها وآرائها، ومنع المخالفين والمعارضين من استخدامها، بل ووضع العوائق أمام نشر الأفكار التي لا تخدم السلطة، وقد عمل الاستعمار على تسخير الإعلام وتوظيفه لإحداث عملية التغيير الفكري لدى الشعوب، مما يسهل أعمالهم ويضمن عدم قيام أي معارضة.

فالسلطة يعضدها إعلام هو في حقيقته أداة للتعبئة والشحن العاطفي، عن طريق

---

[1] انظر محسن: سميح، وسعد:عاطف، وأبو رمضان: محسن، ونبهان: فاتن، **حرية الرأي والتعبير التجربة الفلسطينية**، فلسطين-مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، د.ط، ٢٠٠٣، ص ١٧، ٩٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

تزييف الوعي وإفساده، وتستعين به لتحقيق أهداف منها:

أولاً:- نشر ثقافتها لا ثقافة المجتمع، والعمل على الدعاية لأنظمتها، وتبرير ما تقوم به على كافة الأصعدة، وتمجيده، والتضييق على الآخرين في التعبير عن أفكارهم[1].

ثانياً:- تشكيل رأي عام مساند لقراراتها[2].

فالدكتاتور "المستبد" يحتاج لوسائل إعلام قوية تنتشر بين المدن والقرى والمدارس وغيرها، ويصبح من وظائف الإعلام عندهم، إيهام الناس وإقناعهم بأن القائد هو البطل وهو وحده القادر على صنع الرخاء، وسحق الأعداء، ولذا فلابد من التمسك بأوامره وتنفيذها، وطاعته، ونشر ذلك في كافة الوسائل، فيصبح المجتمع كله مغموراً بالممجدين لهذا البطل، المعددين لصفاته وبطولاته، حيث تصوره بأنه المنقذ الوحيد للبلاد والعباد، ويبرر أخطاءه، ويغطي على جرائمه، ويدافع عن مصالحه، ويشوّه صورة الخصوم المعارضين، ويصورهم بأنهم أعداء الوطن وأمنه واستقراره، فهو وسيلة لتمجيد أعماله والتستر على أخطائه. فوسائل الإعلام تصور الحاكم بأنه مصدر الحكمة ومنبع القرار السديد، لذا فعلى المواطنين أن يوكلوا إليه أمورهم، ويعتمدوا عليه، فهو الذي يفكر بالنيابة عنهم، ويعرف مصلحتهم خيراً منهم[3].

كما تعمل على تضليل الأفراد، والتلاعب بوعيهم، وإفقادهم القدرة على التفكير، والفهم، والتحليل، والنقد، والقدرة على الاعتراض عليه، فيعمد المستبد إلى الكذب، وإخفاء الحقوق؛خشية إثارة الانتقادات والكراهية ضده؛ وذلك لأن حكم المستبد بالأفراد يزداد عند إحكام قبضته على عقولهم، فلها دور كبير في اختراق وعي الأفراد، والوصول بهم لدرجة لا

---

[1] انظر الخميسي: السيد سلامة، **التربية وتحديث الإنسان العربي**، القاهرة-عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨، ص ٧٣.

[2] انظر الدليمي: عبد الرزاق محمد، **إشكاليات الاتصال والإعلام في العالم الثالث**، عمان-مكتبة الرائد العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢، ص ١٥٥.

[3] زكريا، **خطاب إلى العقل العربي**، ص ٨٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يقدرون بعدها على تصور نظام آخر يحكمهم.

وتعمل على إقناع الأفراد بأن الأوضاع القائمة من استبداد وظلم هي الأوضاع السليمة التي يجب بقاؤها، ودعمها، والمحافظة عليها، ونشرها، واستمرارها، وأن دعاة الإصلاح الذين ينادون بتغيير المنكر، ومقاومة الفساد، ومحاربة الشرور ليسوا إلا مخربين ينبغي ملاحقتهم، واجتثاث شرورهم، وسحقهم، قال تعالى مخبراً عن فرعون لقومه: ﴿ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾ (سورة غافر: آية ٢٦)[١].

ومن وظائفها أيضاً غرس بعض القيم والقواعد في نفوس الأفراد، وجعلها ثقافة سائدة بينهم، ومنها: أن الجماهير لا قيمة لها بغير زعيم يقودها، ولا جدوى لزعيم دون تأييد الجماهير، فالزعيم أكثر قدرة على كسب المحبة، وحشد الأفراد تجاه ما يتبناه من قضايا، وما على وسائل الإعلام سوى الدوران في فلكه. ومن الأساليب التي يستعملها الإعلاميون أتباع السلطة لتحقيق أهدافهم:

أولاً:- **الإلهاء** بتشجيع النشاطات الرياضية، والفنية، لشغل وقت فراغ قطاع كبير من الشباب، وتشجيع انتشار التلفاز، وتنويع برامجه خاصة الغربية، والتي تركز على إبراز النزعات الفردية، مما يؤدي لإضعاف الروابط الاجتماعية، وتحويل العقل من جهاز إرسال واستقبال إلى جهاز استقبال فقط[٢].

فشتتوا انتباه الأفراد، وصرفوهم إلى مسائل هامشية تستنفذ قواهم وأوقاتهم وتصرفهم

---

[١] انظر أبو فارس، **الابتلاء والمحن في الدعوات**، ص ٤٦.

[٢] عنبتاوي: منذر، دور النخبة المثقفة في تعزيز حقوق الإنسان العربي، **الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي**، ، ص ٢٨١ بتصرف.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

عن التفكير في وضعهم القائم على الظلم والاضطهاد من قبل السلطة، فيتبعون معهم سياسة العصفورة، حيث يشغلونهم بما يقوي الشهوات ويزينها ويلهي الناس بالمتاع الشخصي، فيبقوا سادرين في غفلتهم غارقين في شهواتهم، لا يهتمون بطغيان، ولا يسألون عن انحراف، ولا يقاومون ظلماً أو عدواناً، فتعمل على تخديرهم وإغراقهم في الأحلام.

ثانياً:- التنفيس وذلك بتمكين الصحافة وغيرها من وسائل الإعلام بالتعبير عن رأيها تجاه قضايا محددة، تحددها السلطة، كالحديث عن العدو الخارجي،وتوجيه النقد لبعض الأنظمة شريطة عدم التخصيص[١].

ثالثاً:- بذر الشقاق والنميمة بين الأفراد، وإثارة حقد أفراد الشعب[٢]، ليبقوا على حالهم من الفرقة والتفكك التي تخدم مصالحه، وليحول بينهم وبين الوحدة التي تؤرق وجوده.

رابعاً:-استعمال الإثارات العاطفية أو الثورية لكسب تأييد الأفراد لأن الشعب هو القوة الحقيقية المحركة لمجاوزة المعوقات، وهو وسيلته للتحصن ضد المخاطر التي تهدد سلطته ومصالحه[٣].

ومن أكثر وسائل الإعلام انتشاراً وأشدها تأثيراً المسجد، وذلك أن المسجد أول وسيلة للاتصال بالجماهير، وتبصرة الناس، إلا أنه قد يستخدم في غير دوره، حيث أصبح أداة للتضليل السياسي، يستخدمه المستبد في ترويض الناس، وإشغالهم فبينما تحتشد جيوش الأعداء حول البلاد ويتهددها الخطر من الداخل والخارج، يتحدث الخطباء للناس عن أحكام النكاح والنقاب وغيرها، ونظراً لحرص المستبد على تضليل الرعية، ومنعها من الحقيقة، فإنه يعين على منابر المساجد خطباء أقل ما يوصفون به الجهل، وقلة الذمة، فيدعون له بطول العمر،

---

[١] عنبتاوي، **دور النخبة المثقفة في تعزيز حقوق الإنسان العربي**، ص ٢٨١ بتصرف.

[٢] انظر أرسطو، **السياسة**، ص ٤٤٣.

[٣] انظر الأنصاري، **قصة الاستبداد أنظمة الغلبة في تاريخ المنظمة العربية**، ص ٩٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ويعدون مناقبه ومآثره، ويزينون لجموع الغافلين واقعهم، ويجلبون إليهم المعاناة والفاقة، على أنها الطريق إلى الجنة، وكل مستبد يعلم خطورة تأليب الجماهير ضده، فلو ثارت كانت كالطوفان لا يمكن إيقاؤها، ولذا كان حرصهم على الاستيلاء على وسائل الإعلام كافة لخدمتهم وتحقيق رغباتهم[١]، فكثيراً ما تحولت المساجد عن وظائفها كمراكز للعبادة، والتقرب من الله والتطهر، إلى مراكز إعلامية للدعاء للحاكم، والترويج له والتسليم لإرادته[٢]، ومن ذلك في عهد فاروق الأول صدرت الأوامر لأئمة المساجد بالدعاء له على المنابر، قائلين اللهم إنا نسألك أن تنصر عبدك المخلص في طاعتك، وكان كثير من الناس يؤمن على الدعاء وهولا يدري ما يقول ولا ما يقال[٣].وقد يصدر الفقهاء المأجورون الفتاوى التي تثبت المستبد على عرشه، بزعم الشرعية الثورية أو شرعية الانتساب، بل يفتون بإعفائه من الحساب والمساءلة يوم القيامة[٤].

ومن الأمثلة الدالة على تأثير وسائل الإعلام على الأفراد،: ها هي الصحافة المصرية في حقبة الستينات كانت تخضع لسيطرة الدولة وتوجيهاتها، فالتزمت بأداء دورها كأداة لتعبئة الجماهير، ومعالجة قضايا التنمية من وجهة نظر واحدة، مع عدم السماح لها بالنقد أو تقديم بدائل لسياسات النظام الحاكم، وظلت الصحافة فترة طويلة أداة للتنمية الحكومية ، وغاب دورها في مراقبة ممارسات الحكم وسياساته[٥].

وتستعمل هذه السلطة مع وسائل الإعلام أسلوبي الترغيب والترهيب، فمن صور

---

(١) انظر هلال، **الاستبداد ودوره في انحطاط المسلمين**، ص ٤٤-٤٥.

(٢) انظر الأنصاري، **قصة الاستبداد**، ص ٦٩.

(٣) انظر الغزالي، **في موكب الدعوة**، ص١١٣.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص ٨٣ بتصرف.

(٥) انظر إبراهيم: محمد سعد، **الإعلام التنموي والتعددية الحزبية**، القاهرة-دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٢، ج١، ص ٦١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الترغيب: إنفاق المستبد ملايين الدولارات من أموال الشعب على الدعاية والإعلام في الخارج واستئجار المرتزقة لتلميع صورته لكسب المزيد من المؤيدين لنظامه من بسطاء الناس وللتحدث عن مناقبه ومكارمه[١].

ومن الترهيب، قيام سلطة الاستبداد بشن حملات أمنية على محلات التسجيلات لمصادرة الأشرطة لمنع إذاعة ما هو ضد السلطة، لمنع تأثيرها في وجدان أفراد المجتمع ويتم هذا بين فترة وأخرى[٢]. وقد تستخدم العنف مع من يخالفها ويتنكر لها.

المطلب الثاني:- الجيش والشرطة وقوات الأمن

من الوسائل التي يستعين بها المستبد على تحقيق أهدافه ومصالحه، الجيش تلك القوة المنظمة التي يقوم بإنشائها، وتجهيزها بأحدث الآلات والمعدات ويعمل على أن يغرس في نفوس أفراده وجوب طاعته، والتحذير من عصيانه ، والاستعداد لبذل الغالي والنفيس في سبيل حمايته، وحماية مصالحه.

فالجيش وسيلة للتحكم والسيطرة على الشعب، وأداة للديكتاتورية وظيفته الدفاع عن السلطة، ونظام الحكم، وأداة قمع ضد الشعب، وتصفية الخصوم الأساسيين، هو قوة لا بد من وجودها للسلطان، يقول ميكافللي: "كم يستحق الأمراء الذين ليس لهم جيش قومي وطني اللوم؟"[٣].

إن القوة العسكرية هي وجه آخر للإقطاع، وليست بديلاً عنه، فكلاهما نظام قائم على مبدأ تحكيم القوة وليس للأغلبية[٤]. قال الكواكبي: إن في خدمة الدين وسيلتان هما: جهالة

---

[١] الربيعي، **سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور**، ص ٣٥، بتصرف.

[٢] المرجع السابق نفسه، ص ٨٧ بتصرف.

[٣] شوفالييه، **أمهات الكتب السياسية من ميكافيلي إلى أيامنا**، ج١، ص ٣٣، نقلاً عن مكيافللي، الأمير.

[٤] انظر الصادق النيهوم، **محنة ثقافة مزورة**، ص ١٧٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الأمة والجنود المنظمة، وقد بليت البشرية بشدة الجندية الجبرية تلك الشدة التي جعلتها أشقى حياة من الأمم الجاهلة وألصق عاراً بالإنسانية، من أقبح أشكال الاستبداد، وحتى صح أن يقال: إن مخترع هذه الجندية هو الشيطان، الذي انتقم من آدم في أولاده أعظم ما يمكنه أن ينتقم[1].

فالمستبد يعمل في القضاء على كل تفوق، ويحظر التعليم، ويمنع الاجتماعات، وكل ما يساعد على تنوير الأفراد، أو ما يؤدي بهم إلى الشجاعة والثقة بالنفس وغيرها من أمور، بهدف الحفاظ على سلطانه ومصالحه، ويعمل على بقاء الأفراد في حالة جهل، ويحرص على العلم بكل ما يقال ويفعل من جانب الرعايا، فيتخذ الجواسيس، وكل ما من شأنه أن ينقل له أخبار الرعية، وما من سبيل لتحقيق ذلك إلا بواسطة القوات الأمنية والعسكرية، السرية والعلنية، التي تعمل على امتصاص خيرات المجتمع، وتخريبه، وتفريقه؛ لتحقيق أهداف المستبد، فهم الوسيلة التي تنفذ كل ما يُطلب منها، ويقومون بإخضاع الأفراد بالإكراه تحت التهديد بالسجن والقتل، كما أنهم أداة للتعذيب، ويستعين بهم الحاكم على مصادرة أموال المعارضين والحجز على ممتلكاتهم المختلفة، والتخلص منهم بكافة الوسائل.

وتحت دعوى الحفاظ على الأمن تتعلق الأجهزة الأمنية، وتترسخ شجرة الإرهاب، ويتم قمع الناس، ومصادرة حرياتهم، فيعتقل المواطن على الشبهة بتقرير كيدي، وتسود حالة الأحكام العرفية[2].

ومن خلال مراجعة سير المستبدين الظالمين المتجبرين نجد أنه ما من أحد منهم إلا وقد قام بتنظيم جيش يتولى تنفيذ أمره ويطيعه، فهذا فرعون اتخذ من السحرة جنوداً له، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ (سورة

---

(1) الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٢٥.

(2) حافظ: هشام علي، وسعيد: جودت، وحلبي: خالص، **كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الاستبداد**، بيروت- دار الرياض، الريس، ط٢، ٢٠٠٢، ص ٢١٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

الأعراف، آية ١١٣)، وهذا هتلر قام بتنظيم جيش خاص أسماه جلود العاصفة[١]. وغير هؤلاء من المستبدين.

المطلب الثالث:- المال

الوسيلة التي يستخدمها غالباً كل من يحمل فكراً أو رأياً لإقناع الناس به، وكسب النصرة والتأييد، لقد أصبح المال هو الروح السارية في جسم المجتمع البشري، والحافز الأكبر للناس على أعمالهم ونشاطهم، يدفع المخترع إلى الاختراع، والصانع إلى صناعته، فهو المركز الذي تدور حوله الحياة.

وبالنسبة لعلاقة الاستبداد بالمال، قال الكواكبي: "الاستبداد لو كان رجلاً وأراد أن ينتسب لقال: أنا الشر، وأبي الظلم، وأمي الإساءة، وأخي الغدر، وأختي المسكنة، وخالي الذل، وابني الفقر، وابنتي البطالة، وعشيرتي الجهالة، ووطني الخراب، أما ديني وشرفي وحياتي فالمال المال المال"[٢]. وقال المنصور في إحدى خطبه: "والله لولا أن المال حصن للسلطان، ودعامة للدين والدنيا، وعزهما، ما بت ليلة واحدة وأنا أحرز منه ديناراً ولا درهماً، لما أجد من بذل المال من القوة، ولما أعلم في إعطائه من جزيل المثوبة[٣]".

ولكون المال غاية أساسية للمستبد، فقلما نجد مستبداً لا ينهب أموال الأمة، وقد يستعين بأجهزة الدولة لتحقيق ذلك، ففي إيران تكفل بنك الدولة بتهريب ٢٥ بليون لحساب الشاه وعياله، وهو مبلغ يزيد على ميزانية إيران نفسها، جمعه الشاه من عمولاته على النفط بعد إسقاط مصدق، وسخر البنك المركزي في تحويله شهرياً إلى مصارف سويسرا والولايات المتحدة، وعندما قامت الثورة الإسلامية وجاء الإيرانيون لاسترداد أموالهم من سويسرا طلبت

---

[١] انظر البيطار، **الموسوعة السياسية العسكرية**، ج٣، ص ١٠٦٥.

[٢] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٦٩.

[٣] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٠، ص ٤٨٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

منهم إثبات أن الشاه لم يكسب أمواله من عرق جبينه، وفي الفلبين بلغ حجم مسروقات الرئيس ماركوس وزوجته حوالي ثلاثة بلايين دولار، قام بنك الفلبين بتحويلها، باعتبارها عوائد لشركات أجنبية [١].

فالمستبد لص يسرق السلطة والنفوذ ابتداءً، وينهب أموال الأمة انتهاءً، فالمال والنفوذ هما غاية استبداد المستبد[٢]. فالاستبداد يجعل المال في أيدي الناس عرضة لسلب المستبد وأعوانه وعماله غصباً أو بحجة باطلة، ويضطر الناس لإخفاء نعمة الله، والتظاهر بالفقر، ولهذا ورد في الأمثال أن حفظ درهم من الذهب يحتاج إلى قنطار من العقل، وأن العاقل من يخفي ذهبه وذهابه ومذهبه، وأن أسعد الناس الصعلوك الذي لا يعرف الحكام ولا يعرفونه[٣].

وإن المستبد يسخر جمع الموارد المالية للدولة لخدمة سلطته، فيغدق المكافآت والهدايا على المدافعين عن نظامه، ويضيق على القسم الأعظم من السكان للتحكم فيهم، ويغرس مفاهيم العمل والإنتاج في ذهنية المجتمع لتحقيق أكبر قدر من الموارد المالية للدولة[٤].

ويقوم بغرس بعض الأفكار في عقول الأفراد، مثل اعتباره ولي نعمتهم، ومصدر رزقهم، والمدخل الوحيد لتأمين طموحاتهم، وحاجاتهم الشخصية، وتراوحت تلك الإجراءات بين إعطاء الأولوية في بعض مستويات الأعمال لمنتسبي الحزب الحاكم، وبين اشتراط حصول طالب العمل في القطاعين على شهادة حسن سلوك من الأجهزة الأمنية[٥]. ويستطيع بالمال شراء الأعوان، الذين سماهم الكواكبي بالمتمجدين، وقال عنهم: "فالمستبد يدر عليهم المال ويعينهم عليها، ويعطيهم الألقاب والرتب، وشيئاً من النفوذ، والتسلط على الناس لينشغلوا

---

[١] انظر الصادق النيهوم، **محنة ثقافة مزورة**، لندن–دار رياض الريس، د.ط، ١٩٨٧م، ص ٣٣.

[٢] هلال، **الاستبداد دوره في انحطاط المسلمين**، ص ١٣٧.

[٣] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٨١.

[٤] انظر الربيعي، **سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور**، ص ١٩.

[٥] انظر عنبتاوي، **دور النخبة في تعزيز حقوق الإنسان العربي**، ص ٢٨٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

بذلك عن مقاومة الاستبداد"[1]،ويقوم بشراء ذمم الكتاب والمثقفين لإضفاء حالة من القدسية عليه، وتبرير سلوكه، وتسويق خطاباته، وتسفيه أفكار المعارضين.

وقد بيّن سبحانه وتعالى موقف الكفار في إنفاق أموالهم للصد عن سبيله حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ (سورة الأنفال: آية ٣٦).

كما تقوم باستعمال أسلوب الترهيب، فمن لا يصلح معه الترغيب يصلح بالترهيب ولذا يحرص المستبد على إمساك الثروة بيده، ويتفاخر بذلك، قال تعالى عن فرعون: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (سورة الزخرف، آية ٥١).

فيقومون بالتضييق في الرزق على مخالفيهم ليلقوا في روعهم أن حياتهم ستنتهي إن بقوا على مخالفتهم، ولم يخضعوا لهم في كل ما يريدون، والإنسان عند ما يجد نفسه محاصراً في رزقه تسد أمامه كل السبل، وقد يضطر للرضوخ لمطالب المتحكمين خاصة إن كان مسؤولاً عن عائلة تحتاج لمن يرعاها، فها هي قريش تُجمع على مقاطعة المسلمين، وتوثق ذلك في صحيفة، تعلقها في جوف الكعبة.

ويظهر أسلوب التهديد في الرزق واضحاً في القرن العشرين، حيث يطلع أولياء الشيطان، يهددون الفرد في رزقه وعمله بصراحة، تبلغ إلى حد القول بأن الانتظام في جماعة إسلامية مثلاً أمر غير مشروع، وإن من يثبت انتسابه إليها لا يسمح له بالعمل في أي جهاز من أجهزة الدولة العامة والخاصة، فهم يتوعدون ويهددون بأن من ينتسب لأحد تلك

---

[1] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٦٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الجماعات، بأنهم سيقفون في طريق تعيينه في أي عمل من الأعمال، وسيطاردونه في رزقه في جميع الأحوال، زاعمين أن الرزق بأيديهم إن شاؤوا أوصوا بالتعيين فعُين الشخص بفضلهم وكرمهم، وإن أوصوا بالرفض رفض الشخص، وحيل بينه وبين الرزق[1]. وإن ضعف النفس وشحها يُخيل إليها أن وسائل الحياة والرزق مرهونة بأرض، ومقيدة بظروف معينة، وهذا التصور لحقيقة أسباب الحياة والرزق يجعل النفس تقلب الذل والضيم وتسكت على الفتنة، وتتعرض للمصير البائس[2].

فالمال وسيلة المستبد لامتلاك روح الأفراد وتفكيرهم، يرغبهم فيحترمونه ويبجلونه، ويتلقون أوامره، ويطيعونه، ويرهبهم فيزداد احترامهم خوفاً على أنفسهم وحياتهم، به يشغلهم ويحافظ على سلطته وجبروته، فيشتري الذمم، ويضغط على من تحت يده، ينفقه في تحقيق أهدافه ومصالحه، عن طريقه يشتري وسائل الإعلام، ويسخرها لخدمته وحده، ومنع معارضته، فيسيطر عليها مادياً وسياسياً، ويمنعها من بث ما يخالف آراؤه وسياساته، أو يبصر الشعب بحالهم، وينور طريقهم وفكرهم، ويشجعهم على الثورة، والعمل على استعادة الحرية المفقودة، وعن طريقه كذلك يستطيع إعداد الجيوش وتشكيلها، فيعطي الرواتب للجنود، ويمدهم بأحدث الأسلحة والمعدات وما ذلك إلى للمحافظة على سلطته وجبروته، كما أن الحرب كما قال نابليون" تحتاج إلى ثلاثة المال ثم المال ثم المال[3]".

---

(1) أبو فارس، **الابتلاء والمحن في الدعوات**، ص ٨٨، بتصرف.

(2) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٢، ص ٧٤٥.

(3) القرني: عائض، **الضحك على الذقون**، عن الموقع الإلكتروني www.cuarab.com

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الرابع

مسوِغات الاستبداد

انتشرت الأنظمة الاستبدادية في مختلف بقاع العالم، وسادت لغة القوة والغلبة، ولما كان لا يمكن للاستبداد أن يظهر عارياً عن مبررات تكفل له القبول والاستمرار، ولأنّ المستبد يعلم في قرارة نفسه أن القهر والعنف لن يكفيه لتثبيت عرشه، وتبرير سلطته، فهو بحاجة لمساندة ما وإن كانت وهمية، أو باطلة.

إنْ الشرعية هي أهم مشكلة يواجهها النظام الاستبدادي لتثبيت أركان سلطته، فمهما امتلكت السلطة من قوة وإرهاب فإنها تبقى قلقة تبحث عن الأمان والاستقرار، من هنا ظهرت حاجة المستبدين للبحث عما يسوغ وجودهم ويمنحهم الشرعية بما يضمن لهم البقاء، عبر تبريرات دينية أو سياسية أو أخلاقية أو أيديولوجية، لقد تنوعت المسوغات التي اتخذوها، وتعددت في سبيل خدمة أغراضهم، فمنهم من اعتمد على الدين وآخرون ادعوا امتلاك الحقيقة، وآخرون استغلوا حاجة الناس للعدل والأمان.

فالمستبدون لا يقتصرون في تبرير وجودهم على القوة والبطش والقهر وإنما يلجأون إلى أمور أخرى عديدة، ومنها:

المطلب الأول:- الستار الديني

يلجأ المستبدون إلى الدين لإضفاء الشرعية على سلطتهم، وحكمهم، وذلك لما له من أثر على الأفراد والجماعات، وفي ذلك قال الكواكبي: "ما من مستبد سياسي إلا ويتخذ لنفسه صفة قدسية يشارك بها الله، أو تعطيه مقام ذي علاقة مع الله"[1].

---

[1] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٣٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يلجأ المستبد لاستخدام غطاء الدين لإضفاء الشرعية على نظامه، وترسيخ الاعتقاد لدى الناس بالإثم ومعصية الخالق إن هم عصوه وخالفوه، ولم يستجيبوا لأوامره، فكل ما يقوم به إنما هو مشيئة ربانية، فلا يكاد يوجد مستبد لم يتخذ شكلاً من أشكال القدسية أو مقاماً يشارك به الله، فيتصرف كما يشاء دون حساب ولا عقاب، ونظراً لذلك فلا خيار للرعايا غير الخضوع والطاعة المطلقة وتنفيذ ما يؤمرون به.

ونعني بالستار الديني، كما يقول طباره: إن الحاكم في الحكومة الثيوقراطية يستمد سلطته من عند الله سواء أكان فرداً أم جماعة، فجذورها ترجع إلى الأفكار الدينية القديمة حيث كان رجال الدين والملوك يدعون لأنفسهم بأن سيادتهم مستمدة من الله، فيشرعون للناس قوانين حسب أهوائهم[1].

فإن مطلق الاستبداد هو اعتبار المستبد نفسه خليفة الله في الأرض، فإنه وإن كان يحكم بالشريعة إلا أنه يستخدمها برؤياه الخاصة، وينتقي من النصوص ما يلائم مصلحته، ويدعم نظامه، فهو يزعم أن سلطته مستمدة من الله ولا رقيب عليه سوى هو، وأنهم ليسوا مسؤولين أمام أحد أو هيئة أو قانون سوى الله.

إن هذا الحق الإلهي في السلطة لا يمنحه لنفسه سوى مغتصب السلطة، فيحاول أن يسبغ على نفسه هالة سماوية يبرر فيها سلطته، وأنه ليس لأحد معارضته فالحاكم هو السلطة المطلقة الذي يملك كل شيء، وليس مسؤولاً أمام أحد، فهو يشعر بعلوه على من حوله، وملكيته لهم، فيطلب منهم الطاعة والانقياد، فيتقمص صفات القاهر الجبار، وتتضخم ذاته خاصة مع خضوع الآخرين له حتى يصل إلى درجة الاعتقاد بالألوهية، كما فعل فرعون مع

---

[1] طباره: عفيف، **روح الدين الإسلامي**، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٣، ١٣٩٦- ١٩٧٦، ص ٢٩٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

قومه عندما أخبرهم بأنه إلههم، قال تعالى: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ (سورة النازعات، آية ٢٤)، وقال الله تعالى: ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ (سورة الأنبياء، آية ٢٣).

ويلجأ المستبدون إلى الدين لاعتبارات منها:

أولاً: أثر الدين على الأفراد:- فالدين يحتل مكانة جوهرية في شخصية كل إنسان، فهو مكون أساسي للفرد، يوجه سلوكه ويضبطه، وينظم حياته.وإن الدين يدعو البشر إلى الاستسلام لقوة هائلة تعلم كل شيء ويخافها البشر[١].

ثانياً: العلاقة بين الدين والسياسة:- إن العلاقة المتميزة بين السلطة والدين هي العنصر الرئيس في إضفاء الشرعية على القوة القهرية التي تقوم عليها الدولة، وكذا هي العنصر الحاسم في توليد الاحترام، والتقديس للقانون الذي يمنح الأفراد القوة والجبروت.

لقد اتجه التفكير أولاً إلى تأسيس السلطة على أساس إلهي، فقيل بأن السلطة مصدرها الله يختار من يشاء لممارستها، وما دام الحكم يستمد سلطته من مصدر علوي، فهو يسمو على الطبيعة البشرية، وبالتالي تسمو إرادته على إرادة المحكومين، إذ هو منفذ للمشيئة الإلهية، وفي الأصل كان الحاكم يُعد من طبيعة إلهية، فهو لم يكن مختاراً من الإله بل كان الله نفسه، وقد قامت المدنيات القديمة عموماً في مصر وفارس والهند والصين على أساس هذه النظرية، وكان الملوك ينظر إليهم باعتبارهم آلهة[٢]، وإن خير من مثل ذلك هو فرعون كما مر معنا.

فإرادة الملك تعد مشروعة لا لسبب إلا لأنها صادرة من صاحب السيادة: الملك مما يؤدي إلى السلطة المطلقة التي لا تعرف حدوداً ولا قيوداً، أي تؤدي للاستبداد[٣].

---

[١] حنفي، **الحرية والتحرير**، ص ١١٣.

[٢] انظر بدوي: ثروت، **النظم السياسية**، القاهرة-دار النهضة، د.ط، ١٩٧٠، ج١، ص٩٣.

[٣] متولي، **أزمة الفكر السياسي**، ص ٢٨٦، نقلاً عن دوجي، مطول القانون الدستوري، ج١، ص ٥٥٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

لقد تم توظيف الدين في ترويض المسلمين وامتلاك أمورهم، وإحكام القبضة على

رقابهم وأفواههم، فأفهموا الناس أن طاعة أولي الأمر واجبة على إطلاقها، وأن الخروج على المستبد غير شرعي، وأن الخليفة هو ظل الله في الأرض وعلى الناس طاعته، وأن البؤس الذي يغرقهم فيه استبداد ولي النعم هو قدر الله، ولا يجوز تقييم الخليفة بأعماله بل تكفي نيته[1]. فأصبحت نظرية الحق الإلهي أو الحق المقدس للملوك نظرية معترفاً بها منذ العهد العباسي، فملوك بني العباس يستمدون سلطانهم من الله لا من الناس، وأنهم محاسبون أمام الله لا من الناس[2].

خطب أبو جعفر المنصور الناس قائلاً: "أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه ورشده، خازنه على فيئه، أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه وقد جعلني الله عليها قفلاً، إذا شاء أن يفتحني فتحني لأعطياتكم، وإذا شاء أن يقفلني عليه أقفلني، فارغبوا إلى الله أيها الناس وسلوه في هذا اليوم أن يوفقني للصواب، ويسددني للرشاد، ويلهمني للرأفة بكم، والإحسان إليكم، ويفتحني لأعطياتكم وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم إنه سميع مجيب[3].عينهم الله، وسلمهم زمام السلطة، فهم القائمون بتنفيذ الأوامر الإلهية فيما يتعلق بحياة الأفراد، ولذا فقد حرموا الخروج عليهم، ورموا من يفكر بذلك بالكفر، وكانت ذريعتهم بعض النصوص التي فسروها على غير مقاصدها، أو النصوص التي وضعوها ونسبوها للرسول الكريم ﷺ. كما عملوا على تطويع بعض النصوص وإخراجها من سياقها لإيجاد شرعية لأعمالهم واستبدادهم.

---

(1) هلال، **الاستبداد ودوره في انحطاط المسلمين**، ص ٢٠.

(2) هيكل: محمد حسين، **الحكومة الإسلامية**، القاهرة–دار المعارف، د.ط وت، ص ٣٧.

(3) المرجع السابق، ص ٢٦٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ولا بُد هنا من الإشارة إلى أن هذا ليس تاريخ الإسلام، وإنما هو وقائع فردية واجتهادات شخصية قام بها بعض الأفراد بهدف الوصول إلى تحقيق أهدافهم ورغباتهم.

وقد يتهم المستبد الناس بتهم كبيرة ترفضها الجماهير، كأن يتهمهم بتغيير الدين وكتاب الله، وهي تهمة لا يقبلها الناس، وإن قبلوا الجوع والظلم بهدف الخلاص منهم، فقد اتهم الحجاج عبد الله بن الزبير بأنهُ غير كتاب الله، فقال عبد الله بن عمر ما سلطة الله على ذلك، ولا أنت معه ولو شئت أقول كذبت لفعلت[1].

المطلب الثاني:- دعوى امتلاك الحقيقة والحجة

إنّ من أهم الأقنعة التي يستخدمها المستبدون ويبررون بها وجودهم، وأعمالهم، فكرة المستبد العالم والشعب الجاهل، ويعنون بذلك " أن الأشخاص العاديين يفتقرون إلى الشروط والمواصفات الضرورية في ممارسة الحكم، وأن الأقلية التي تمتلك مستوى رفيعاً من المعرفة والفضيلة، يمكن العثور عليها وإعدادها، وهذا يبرر المطالبة بممارسة الحكم، وهو جانب غير متوفر في السواد الأعظم من الناس"[2].

والاستبداد ما هو إلا حالة من حالات احتكار المعرفة، وامتلاك الحقيقة، والإدعاء بكمال العلم بظاهر الأمور وباطنها، أو هو تجسيد لحالة من إطلاق الذات ونسبية الآخر، فالمستبد برأيه هو من لا يرى في آراء الآخرين وأفكارهم وجهاً من وجوه الحقيقة، ومعنى من معاني الصحة، ولذلك لا يتعامل مع الآخرين إلا على أساس أنهم قاهرون يحتاجون إلى وصي

---

[1] انظر المرجع السابق ، ج٩، ص ١٢٥.

[2] انظر دال: روبرت إيه، **الديمقراطية ونقادها**، عمان-دار الفارس، د.ط، ١٩٩٥، ترجمة عباس مظفر، ص ١٠٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

أو ولي أمر يقرر لهم، ويتصرف في شؤونهم تصرف الوصي في شأن المحجور عليه عقلاً والقاصر سناً[1].

فالمستبد يجعل من نفسه وصياً على الناس، يصادر حرياتهم، وطاقاتهم، باعتبارهم غير قادرين على الاستفادة الجيدة منها، ويرى في نفسه أنه أب للجميع يعاملهم كما يعامل أبناءه، على أنهم غير بالغين أو قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم، فيتصرف عنهم تصرفاً مطلقاً، وكما يشيهم على طاعتهم، فله الحق في عقابهم إذا انحرفوا لجهلهم بمصلحتهم الحقيقية والصحيحة.

إن عملية ممارسة الحكم في دولة معينة، يجب أن تقتصر على المؤهلين للقيام بالحكم فقط لأنهم من يمتلك المعرفة والفضيلة المطلوبتين لخدمة مصالح الشعوب والأفراد، وذلك أن ممارسة الحكم، وتولي السلطة كبقية الأنشطة تحتاج إلى متخصصين هم هؤلاء القادة، وذلك كما قلنا لأن الكثير من الناس يفتقرون لفهم مصالحهم واحتياجاتهم، بل وطريقة تلبيتها وتنفيذها ومن ذلك: تعاون الأمريكيين على مدى ثلاثة قرون بشكل فاعل وجاد في تدمير بيئتهم الطبيعية غير آبهين بأهميتها لخيرهم ورفاهيتهم، وهذا دليل قاطع أن الكثير من الأفراد غير قادرين على اكتساب فهم حاجاتهم ومصالحهم، أو أنهم غير راغبين في ذلك، فإذا كانوا عاجزين عن تحقيق مصالحهم الشخصية، فمن باب أولى عجزهم عن حكم أنفسهم كالأطفال، وإن عجزوا عن حكم أنفسهم، فإنهم عاجزون عن حكم غيرهم[2].

---

[1] انظر عارف، الأبعاد السياسية للاستبداد السياسي في النظم العربية جدلية الداخلي والخارجي، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ص ٥٣١.

[2] دال، **الديمقراطية ونقادها**، ص ١٠٧ بتصرف.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-YarmoukUniversity
www.manaraa.com

وبما أن النفس الإنسانية بحاجة لمعرفة الحقيقة على مختلف المستويات، وفي كافة المجالات لتحيا حياة هادئة بعيدة عن المشاكل والصعوبات، ولأن الإنسان في سعي دائم لتحصيل ذلك، فقد اتخذ المستبد هذا ذريعة ليبرر وجوده وأفعاله.

فعند الديكتاتور "المستبد" إيمان راسخ لا يتبدل بأنه بطل مغوار مهيب لا يخطئ وأن على رعيته أن تشعر أنها في حاجة لوجوده وعبقريته، أكثر مما يحتاجه هو، فإحساسه هذا طاغٍ لا يمكن مناقشته فيه أو تحويله عنه، فهو العبقري الوحيد بين رعيته الذي يفكر ويخطط ويدبر[1]. فالمستبد عقائدي يرى في استبداده خلاص الناس من حكم البشر تحقيقاً للحاكمية، وتطبيقاً للشريعة الإسلامية، فهو المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وهو الفقير الذي يريد إن يتحول إلى غني عن طريق الاستبداد لا الكسب المشروع، وهو الذي يريد أن يشرع للاستبداد بالقانون[2]. فينصب نفسه وحاشيته أوصياء على أفراد الشعب قاطبة بعد سلب حقوقهم وحرياتهم ومحاولة صرف أنظار الشعب عن تسلطه عليه، وانتهاك حرياته بشعارات براقة تثير عواطف الجهلاء وتمنيهم بالوعود.

المطلب الثالث:- دعوى بناء دولة الأمن والاستقرار

إضافة إلى الدين، وإدعاء امتلاك الحقيقة وجد المستبدون في حاجة الأفراد إلى بناء دولة تكفل لهم الأمن والاستقرار، اللذين هما من حاجات الإنسان الأساسية التي يسعى لتحقيقها، لضرورتها وأثرها في قيام حياته،واستقرارها، مبرراً لوجودهم.

فالمستبد يطرح نفسه أنه المانح المانع، وأنه المسؤول عن كل خيرات ونعم البلاد فأول ما يقتل في الناس شعورهم بالمسؤولية، فالمواطن في المجتمع الاستبدادي لا يشعر بأية

---

[1] انظر العفيفي، **مجتمعات تحت حصار الطغيان**، ص ٣١.

[2] طعيمة، **الدولة والسلطة في الإسلام**، ص ٢٨٠ بتصرف.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

مسؤولية تجاه المجتمع وقضاياه بكافة مستوياتها، ولكونه يعيش أصلاً على الهامش لا رأي له، واعتاد على كلمة نعم، مما يقتل لديه روح المحاكمة العقلية، يتبلد ذهنه لوجود من يتخذ القرارات عوضاً عنه[١].

كما يزعم بقدرته على إيجاد قوى شعبية ترتبط بها المنافع والقمع، وأن القوى المعترضة عليه والرافضة لها لا تملك القدرة على تغييرها، فيرى أنه المنقذ لهذه البشرية مما هي فيه، وكما جاء في كتاب تصدع البشرية من ضلال وويلات الاستبداد والعبودية "إن الاستعمار يردد حتى اليوم شعار جئنا محررين لا فاتحين[٢]".

وبما أن الدولة الحالية في معظم بيئاتها ما زالت مشروعاً ولم تصل بعد مرحلة النضج، فيخبر المستبد بأن السلطة هي التي تبني الدولة ومؤسساتها وأجهزتها خاصة في هذه المرحلة حيث لا دولة، فالسلطة في الوضع العربي هي حاضنة الدولة لا العكس أو كما يجب أن يكون لذا فالقضاء على الحاضنة يتضمن تهديد وليدها بالخطر وربما الموت[٣]، فالسلطة المطلقة في كل شأن هي التي تمنح المجتمع مقومات الحياة، لذا فالسيد هو من يعود له تقرير ما هو الخير والشر والظلم والعدل، ومالك ومالي، وكذلك القيام بدور الشرطة الفكرية المتعلقة بالآراء والمذاهب، وكذلك الشرطة الروحية، وذلك بالقدر الذي تتطلب فيه حاجات السلام امتلاك هذه الحقوق، فيكون سيد القانون والملكية والآراء[٤].

---

(١) شحرور: محمد، **دراسات إسلامية معاصرة في الدولة والمجتمع**، سوريا-دار الأهالي، ط١، ١٩٩٤، ص ٢٦٩، بتصرف.

(٢) الجار لله، **تصدع البشرية من ضلال وويلات الاستبداد والعبودية**، ص ٢٤.

(٣) انظر الأنصاري: محمد جابر، **تكوين العرب ومغزى الدولة القطرية**، بيروت-مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٤، ص ١٨٦، و ١٨٩.

(٤) شوفالييه، **تاريخ الفكر السياسي**، ص ٣٣١ بتصرف.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وبعد بناء الدولة وتأسيسها يقدم المستبد نفسه للناس على أنه المنقذ الذي يعيد الأمن والنظام والاستقرار، ويرى أن ممارسته للاستبداد حل حازم لكثير من المشكلات الاقتصادية، والاجتماعية، وغيرها لاعتماده على القوة التي توفر السبل لتحقيق ذلك.

ففي الدولة يتحد الجمهور في شخص واحد يمثلهم جميعاً، أجازوا له استعمال قوة وثروات الجميع بالشكل الذي يراه مناسباً لتأمين سلامهم في الداخل والدفاع المشترك عنهم ضد الأعداء في الخارج[1]. فالمستبد فرد يمتلك إرادة مطلقة، بواسطته يستتب الأمن ويتحقق النظام والاستقرار، حسب رأيه.

يجعل من نفسه أميناً على البشرية، يتباكى عليها، ويعمل جاهداً لتحقيق مصالحها فهو يريد تحريرهم ورفع مستواهم، ويعتبر نفسه صمام الأمان الذي يكفل بقاء الدولة واستمرارها والحفاظ عليها.

وانطلاقاً من ذلك يبرر لنفسه أفعاله، فيرى أن في ممارسته للتعذيب على الأفراد العاديين وسيلة مشروعة تساعد في تحقيق الأمن لبقية الناس بانتزاع اعترافات مهمة منهم يؤدي لتحقيق السلام، فيربط وسائله التي تؤدي بحياة الكثير من الأفراد بقيمة وطنية تجعل الأفراد يقبلون به، ولذا فقد يتهم الناس بأنهم يتآمرون على قوى الشعب العامل، أو أنهم يريدون قلب نظام الحكم، وأنه ضبطت معهم أسلحة فتاكة لضرب الآمنين وقتل الأطفال[2].

وقد يلجأ إلى إشاعة الفوضى، وتدبير الانفجارات؛ لإيهام الشعب أنه وحده القادر على حماية البلاد، وفي نفس الوقت يتخذ منها وسيلة وذريعة لزج معارضيه وخصومه في السجون، والخلاص منهم[3]، مستعيناً ببعض السماسرة.

---

[1] انظر المرجع السابق ، ص ٣٢٦.

[2] هلال، **الاستبداد ودوره في انحطاط المسلمين**، ص٥١ بتصرف.

[3] المرجع السابق نفسه ، ص٥٦ بتصرف.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يزيد من ذلك موقف الشعوب واستسلامها، وخضوعها، مما يجعل المستبد يغالي في ظلمهم وقهرهم للحفاظ على ما هو فيه، فهذا نيرون عندما استلم العرش، استقبلت مصر والإسكندرية القيصر الجديد كعادتها مع الفراعنة والملوك، بالإكرام وإقامة الأعياد والاحتفالات، وتصفه البردية التي ورد فيها إعلان جلوسه على العرش، أنه روح العالم الطيب والإمبراطور المرتقب من الدنيا، ومناط أملها، ومصدر كل البركات، وأنه يتعين على الجميع أن يرتدوا الأكاليل وينحروا الثيران لجميع الآلهة عرفاناً بالجميل ويوصف في بعض مسكوكات الإسكندرية بأنه "منقذ المعمورة"[1].

ونقول لهم إنّ المعروف عن الاستبداد أنه تصرف واحد من الجماعة بدمائهم وأموالهم ومذاهبهم بما يوجبه هواه، وما يقضي به رأيه سواء كان ما يجريه مخالفاً لمصلحتهم أو موافقاً لها[2]. فأين هي مصلحة المواطنين؟ والواقع يثبت أن الأمر في ظل الاستبداد هو عكس ذلك كله، فالبنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تدمرت بشكل كامل مع الاستبداد، وأن الفرد لا يأمن على نفسه من القتل في ظل سلطة لا تُبالي بسفك الدماء لتحقيق مصالحها.

الخلاصة:- جاء هذا الفصل ليجيب عن السؤال الثاني من أسئلة الدراسة وهو: ما أسباب الاستبداد؟ وما أساليب المستبدين ووسائلهم؟ وما هي مسوغاتهم؟

وخلص إلى أن هناك العديد من الأسباب التي تسهم في إيجاد هذه المشكلة واستمرارها، منها ما يرجع إلى المستبد بهم كضعف الإيمان، والفرقة، والقابلية للاستبداد، والفقر، ومنها ما يرجع إلى المستبد كالكبر، والغرور واستغلال السلطة، وغير ذلك مما ينجم عن ضعف الإيمان، والقابلية لهذا المرض، والغنى، وامتلاك السلطان والقوة.

---

[1] حسين، **موسوعة تاريخ مصر**، ص ٢٤٠ بتصرف.

[2] إسحاق، **الكتابات السياسية والاجتماعية**، ص ٩٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وإن المستبد يتبع عدد من الأساليب التي تحكم سلطته وسيطرته، تتراوح بين الترغيب والترهيب، يتبعون سياسة العصا والجزرة، بإتباع العنف تارة، والإغراء تارة أخرى، مستعيناً في سبيل تحقيق ذلك بعددٍ من الوسائل كالجيش، والمال، ووسائل الإعلام، ولا يخفى ما لهـذه الوسائل من الأثر والمساهمة في دعم كيان المستبد ووجوده وسلطانه.

ويبرر المستبد وجوده، وأعماله بعدد من المسوغات منها: الـستار الـديني بإدعـاء التفويض من الله بالخلافة عنه، أو مدعياً امتلاك الحقيقة الكاملة التي لن يصل إليها العامة إلا من خلاله، وكثيراً ما يلجأ لإدعاء بناء الدولة، وتوفير العدل والحرية والأمن وغيره مما يحتاج له الأفراد، إلا أن واقع حياته وأعماله تبطل تلك الإدعاءات

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

الفصل الثالث: آثار الاستبداد ونماذج لبعض المستبدين، وفيه مباحث:

المبحث الأول: آثار الاستبداد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار الاستبداد على المستبد بهم، وتتمثل في:

١. تدمير مقومات الشخصية.

٢. الإحباط وما ينتج عنه من تبعات: قلة الإبداع، وإعاقة التنمية، والهجرة، والجريمة، والانتحار.

٣. بروز ظاهرة الصنمية.

٤. الفساد.

٥. الظلم

٦. زعزعة الأمن.

٧. تبديد ثروات الأمة.

٨. تسويغ العدوان الخارجي.

المطلب الثاني: آثاره على المستبد، وتتمثل في:

١.الكراهية بين الحاكم والمحكوم

٢.الخوف وفقدان الثقة بالآخرين.

٣.سوء العاقبة.

المبحث الثاني: نماذج لبعض المستبدين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فرعون.

المطلب الثاني: أتاتورك.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

تمهيد:

كثيرة هي الآثار التي يخلفها الاستبداد، سواء على المستبد بهم أو المستبدين أنفسهم، حيث تتراجع الأمم، ويتوقف عطاء الإنسان ونموه، إذ أن ما يسجله التاريخ في ظل فترات الاستبداد ليس عطاءً إنسانياً، ولا مؤلفات حديثة، ولا علوماً مزدهرة، إنما يسجل مذابح ومجازر، وحروباً، ومجاعات، فالاستبداد داء ينخر كيان الأمة على جميع المستويات، فهو أسوأ أنواع السياسة، وأكثرها خطراً على الإنسان، وتأخيراً للعمران، وتمزيقاً للأوطان، وإنما يجري التركيز على استبداد الحكومات لعموم آثاره، وشمولها، فأثره لا يقف عند خط معين، بل يتخطى المسموح والمعقول.

كما أن الاستبداد يفتك بالمنضويين تحت لوائه، الممارسين لسياسته، المتبعين نهجه،فيقودهم إلى مدارج الهلاك في الدنيا والآخرة، إذ تسيطر عليهم المخاوف من كل ما يحيط بهم، بل حتى أحلامهم، وهواجسهم؛ لخطورة ما يقومون به، تلاحقهم نظرات الحقد، والكراهية، والبغضاء من جميع الناس.

ولقد رصد لنا التاريخ حياة عدد من المستبدين الذين تجبروا، واستبدوا، فهلكوا وأهلكوا، وظلموا، فلاحقتهم اللعنة في السر والعلن، ومن هذه الشخصيات اخترنا الحديث عن فرعون وأتاتورك، هذه الشخصيات المستبدة، ذات الخطر العظيم في حياه أممها.

وسيتم في هذا الفصل –بإذن الله– تفصيل ذلك كله، حيث سيتم تقسيمه إلى مبحثين، هما:

المبحث الأول: آثار الاستبداد على المستبد بهم، وعلى المستبدين.

المبحث الثاني: نماذج لبعض المستبدين.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الأول

آثار الاستبداد

إن الاستبداد مرض إنساني، واضطراب نفسي، له آثار واسعة على المستبد والمستبدين، حيث يشوِّه فطرة البشر، ويعصف بمكتسبات الحضارة الإنسانية، إنه مصدر لكثير من المفاسد الفردية والجماعية، وهذا ما سيتم بيانه في هذا المبحث -بإذن الله-.

المطلب الأول:- آثار الاستبداد على المستبد به

يسير الاستبداد ضد تيار الحياة الإنسانية، حيث يفقد الإنسان بفقدان حريته العزة، والكرامة، والعلم، والأخلاق، ولا تستطيع الأمة تحقيق ذاتها، وتجاوز أزماتها، إلا بعد أن تكون قادرة على امتلاك زمام أمورها، والتصرف بحرية، والتخلص من القمع، والقهر.

إن آثار الاستبداد مدمرة وشاملة، حيث يفرض على المستبد بهم الكسل، والانحطاط، والجمود، والفرقة، ويحطم الأمم، ويصادر حقوق الأفراد، إنه نزوع تدميري لذات الإنسان، وقدراته، ينشر الرذيلة والفساد على جميع المستويات.

قال الكواكبي في بيان آثار الاستبداد: "الاستبداد وباء دائم بالفتن، وجدب مستمر بتعطيل الأعمال، وحريق متواصل بالسلب، والغصب، وسيل جارف للعمران، وخوف يقطع القلوب، وظلام يعمي الأبصار، وألم لا يفتر، وصائل لا يرحم، وقصة سوء لا تنتهي"[1].

ويروى أن كونفوشيوس قد مَرَّ على مقربة من جبل تاي فأبصر امرأة تقف إلى جانب أحد القبور تبكي بمرارة وحرقة، فسارع المعلم إليها، وبعث تلميذه يسألها: إنك لتبكين يا امرأة وكأنك احتملت من الأحزان وفوق الأحزان، فردت المرأة تقول: وكذلك الأمر فقد قتل نمر من

---

[1] الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص٢٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

قبل والد زوجي في هذا الموقع، وقد قتل زوجي أيضاً، وها هو ولدي قد مات الميتة نفسها أيضاً، فقال المعلم؛ ولماذا....لماذا لم تتركوا هذا المكان؟ فردت المرأة:ليست هنا حكومة ظالمة، فقال المعلم آنذاك: تذكروا قولها يا أولادي إن الحكومة الظالمة أشد فظاعة من النمر، نعم إن الحياة في غابة أفضل من الحياة في مجتمع بدون قانون[1]، وبهذا يظهر أن المستبد أخطر على حياة الأفراد من مختلف المصاعب، والجرائم، والويلات التي تلحق بهم.

وفيما يلي بيان تفصيلي للآثار المدمرة التي يتركها الاستبداد على الأفراد والشعوب الذين يسطو عليهم هذا الداء العضال:

١.تدمير مقومات الشخصية:- إن الشخصية من المفاهيم والألفاظ المتداولة، والتي حصل اختلاف كبير حول بيان المقصود منها وتحديدها، ويمكن تعريفها بأنها كل ما يختص به الإنسان من خلق، وجبلة، ونمو، وفكر، ومعتقد، ومشاعر، ودوافع، وسلوك، وعلاقات متبادلة مع البيئة، وبما يميزه عن غيره من البشر، فهي وحدة متكاملة ناتجة عن تفاعل شديد بين الجسد والروح[2].

إنها تشكل دوافع الفرد وعواطفه، وميوله، واتجاهاته، وما يتخذه من أهداف، ومثل، وقيم، وإن فهمها يساعد على فهم الإنسان نفسه، وتحديد قدراته بغية مساعدته على التكيف النفسي، والاجتماعي، وبناء الاتجاهات الايجابية عن الذات، وعن الآخرين، وغرس القيم النبيلة.

يتجاهل المستبد آراء الآخرين، ولا يسمح بإظهارها ابتداءً، فتفسد نفوس الناس، وتتراجع إرادتهم، ويشل حركة التقدم، مما يقود إلى الصمت والخضوع، حيث يصبح الهم

---

[1] حافظ وآخرون، **كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الاستبداد**، ص ٢٤٣.

[2] النل: شادية، **الشخصية من منظور نفسي إسلامي**، الأردن- دار الكتاب الثقافي، ط، ١٤٢٧- ٢٠٠٦، ص٦٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الوحيد للناس هو النجاة من العذاب، والسجن، والقتل. إنه يميت القلب والإرادة، ويقضي على الاستقلال والعزة، يحول دون وعي الناس، ويبعدهم عن أداء دورهم الطبيعي، فيجعل الإنسان في حالة إحباط، وركود، وحالة من السلبية والتشاؤم، التي تحول المجتمع بأسره إلى مجتمع ميت سياسياً، فقير اجتماعياً واقتصادياً، قليل الفاعلية والتأثير.

إنه ينتج جيلاً لا يدرك سبب وجوده، ولا غاية خلقه، جيلاً ضعيفاً، محبطاً، لا يقوى على مواجهة التحديات التي تواجهه، ضعيف القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب، فاستبداد المعلم مثلاً يؤدي لإعداد طلبة ضعاف القدرة والكفاءة، جامدين لا يعرفون إلا ما أودعه المعلم في عقولهم، وهذا حال الفرد الذي يوجد في أسرة مستبدة، والزوجة، والمواطن، والموظف كذلك.

قال حنفي: "المستبد بهم لا حراك فيهم، هم أشبه بسكان القبور لا أموات، ولا أحياء، شقاء مرير، بعيداً عن مفاخر الإبداع، وشرف القدوة، نوم ويأس، غباء وجهل، فقدان للثقة بالنفس، وضياع للحزم، ندب وبكاء، حرص على الراحة، وتباطؤ في السعي، رضا وخنوع، وإلقاء للمسؤولية على الأقدار، انحناء وخضوع، ذل وخنوع[1]" وقال المرزوقي: "فرعايا الدولة الاستبدادية كركاب باخرة تتقاذفها العواصف، وهم بين يدي ربان معتوه، وبحارة تبدأ مهارتهم وتنتهي عند تقديم الخمر والأفيون والمنشطات للربان، يدخل الاستبداد آنذاك في حلقة مفرغة لا تنتهي، إلا عندما يخرب التسلط المطلق من عقاله كل مقومات حياة المجتمع والدولة[2]". إنه من أخطر معاول هدم الشخصية، وتدمير كيانها، وزعزعة أمنها واستقرارها.

يفقد الفرد في ظل الاستبداد الرضا، مما يجعله أقل انتماءً، كما ويؤدي به للحيرة والتردد، الذي يصيب كل جوانب الحياة بالتناقض، والتخبط، فتضيع الثوابت وتنقلب

---

[1] حنفي، **الحرية والتحرر**، ص ١٢٤

[2] المرزوقي: منصف، **عن أية ديمقراطية تتحدثون**، دمشق-دار الأهالي، ط١، ٢٠٠٥، ص ٤١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المعايير[1]. فهو يؤدي لانهزام الذات، وفقدان الثقة بالنفس وبالآخرين كـرد فعـل للهزيمـة الخارجية، والإنسان المهزوم داخليا إنسان عاجز يحتاج إلى وقت طويل ليـتمكن مـن إدارة أموره، وتدبير أمور حياته. فيلحق بالنفس العديد من الأسقام بسبب الكبت، والإذلال، وسـوء المعاملة. فتتصف النفس الإنسانية في ظل النظام الاستبدادي، بما يلي:

١.الإتكالية وانعدام المسؤولية:- فالابن يتكل على والديه حتى بعد بلوغه، والموظف يتكل على رئيسه في كل قراراته، وكذا الشعب يتكل على الحاكم لأنه يفكر عنـه. مـستدلين بمقولة: "طالما وجد من يفكر عنك، فلا داعي أن تفكر أصلاً[2]". وقال أحدهم: "لسنا أنانيين إلى هذه الدرجة، ولكننا نرى السفينة تسير دون حاجة إلى رأينا أو معاونتنا، وإن التفكير بعد ذلك لن يجدي شيئاً وربما جر وراءه الكدر وضغط الدم[3]".

يسلم الفرد إرادته، ونفسه، وماله، وأهله لهذا المستبد، ويمنحه حق التصرف المطلق، مع العفو عن جرائمه سلفاً، ويصبح هو كائناً ذليلاً تنفيذيا شأن الأنعام حيث يفقده الاستبداد أهم خصائص إنسانيته، وما هذا إلا كما قال شحرور:" المستبد يطرح نفسه على أنه المانح المانع، وأنه المسؤول عن خيرات البلاد، فيقتل في الناس شعورهم بالمسؤولية، وينظـرون لأنفـسهم أنهم يعيشون على الهامش لا رأي لهم، ولا حق في المشاركة، يعتادون على كلمة نعـم ممـا يقتل لديهم روح المحاكمة العقلية وتتبلد أذهانهم لوجود من يتخذ القرارات عنهم[4]".

٢-الخوف وفقدان الثقة بين الناس:- يود المستبد أن تكون رعيته كالغنم دراً وطاعة،

---

[1] الزهار: محمود، **إشكاليات مجتمعنا المعاصر**، د-ن و ط، ٢٠٠٠،ص ١٠٨.

[2] شحرور ، **دراسات إسلامية معاصرة في الدولة والمجتمع**، ص٣٢٩.

[3] إمام: إمام عبد الفتاح، **أفكار ومواقف**، القاهرة- مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٦، ص ٥٩٩، نقلا عـن نجيـب محفوظ، الثرثرة، ص ٥٦.

[4] شحرور، **دراسات إسلامية معاصرة في الدولة والمجتمع**، ص ٢٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وكالكلاب تذللاً وتملقاً[1] فالخوف سيف سلط على الرقاب، حيث الفزع والرعب لهما الكلمة العليا، القلق يعربد يخلع الأفئدة، والعدل صريع في الطرقات، والشرفاء مجبورون على الانحناء[2].

إن الخوف من المستبد وأعماله هو أساس حياة الأفراد في ظل هذا النظام الظالم، وهو السمة الأساسية الغالبة المميزة لهم عن غيرهم، وينتج عنه: - الحركات السرية: فبسبب الخوف يسود السرية والتخفي كافه جوانب الحياة، ففي عهد فرعون كتم أحدهم إيمانه، قال تعالى مخبراً عنه﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ (سورة غافر، آية ٢٨).

فالخوف من بطش المستبدين أساس نشوء الحركات السرية الحاقدة على النظام.

كما يؤدي للانسحاب الطوعي من المجتمع، ومن الحياة بأسرها، والانزواء عن الناس، فيحول دون مشاركة أفراد المجتمع في الحياة الفكرية الفاعلة، وكذا مشاركة مؤسساته في الحياة الاجتماعية المدنية الصادقة، حيث الشعور بالنقص، والسطحية، والجبن، وعدم الكفاءة، إنه يؤدي لغياب التفكير، المنتج، والمخالف، ولم يعد الفرد يهتم بقضايا البلاد وتحدياتها المستقبلية، فغاب الإحساس بالمسؤولية، وخملت العقول عن إيجاد الحلول العملية لمختلف مشاغلنا، وإرساء أسس سليمة تمكننا من العيش براحة وطمأنينة.

إن شعور الفرد بأنه عاجز عن التأثير أو المشاركة الفعلية في صنع القرار السياسي، وأن السلطة مستقلة هي التي تتخذ القرارات بما يحقق مصالحها، يؤدي إلى رفض القيم، والأهداف التي تسير عليها العملية السياسية، والاعتقاد بأن عمليات الانتخاب وغيرها من

---

[1] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٢٨.

[2] متولي: محمود، **طغاة التاريخ**، القاهرة- مكتبة نهضة الشرق، د-ط و ت. ص ١١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

العمليات السياسية، والإجرائية ليست سوى ممارسات صورية لا تؤثر في مضمون السياسية وليس لها دور في تشكيل السياسة العامة للبلاد[1]. والأخطر من ذلك أن عدم الثقة بالنفس يؤدي إلى الطاعة العمياء، كما ينزع الناس إلى التقليد الذي هو تأسي بالآخرين من غير دليل، فيسلم الفرد قيادة أموره كلها لأمثاله من الناس، مما يعني مصادرة شخصيته، وإعدام عقله، وتعطيل فكره، مما يكون له أثره الواضح في تكوين الشخصية الضعيفة، القلقة، الخائفة، ومن ذلك: قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ سورة البقرة، آية ١٧٠،

٣-**استمراء الذل والاستكانة، وإفساد الفطرة:**- إن الشورى والعدالة تمثل الأساس لكل عمل مبدع، كما أن المنع والقمع يجعل من الإنسان كائنا مائلاً إلى الخضوع، والتقوقع على ذاته، فيدخل في صراع بين ما يرغب فيه وما هو محظور عليه، وتتشتت أفكاره، فيصبح عالة على المجتمع بدلاً أن يكون فرداً فاعلاً منتجاً.

فالاستبداد يجعل الفرد يألف الخضوع والذل، لأن الركون إلى الدنيا والحرص عليها، واعتبار الرزق مرهوناً بيد المستبد لا بيد الله، أو الخوف من الموت، وكأن المستبد يحي ويميت، وما هذه إلا أعراض للضعف الذي أصاب قطاعاً كبيراً، من الأمة مما يجعلها مكبلة الإرادة تقبل الذل والاهانه، بفقد إرادة الحياة، والرغبة في المساهمة بالرأي، فيتحول الشعب بأكمله إلى شعب مثقل بهمومه السياسية، والمعيشية، ومخاوفه الأمنية اليومية ليس قادراً على مواجهة مشاكله التنموية، من هنا نلحظ حالة الاستسلام العربي أمام الإذلال اليهودي في بعض مناطق الوطن العربي.

---

[1] اسكندر: نبيل رمزي، **الأمن الاجتماعي وقضية الحرية**، الإسكندرية- دار المعرفة الجامعية، د-ط، ١٩٨٨، ص ٢١٤-٢١٥ باختصار.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يكبل الاستبداد الناس بالقيود ويحرمهم من الانطلاق الحر على وجه البسيطة، والتعامل مع مكنوناتها، وإنتاج ما يخدم دينهم وأمتهم، يمارس عليهم سلطة العبيد، ويسعى إلى تدمير الحياة العامة، عازلاً لهم عن أي نشاط، ويقضي على الحياة الخاصة، فيشعر الفرد أنه لا جدوى له في هذه الحياة، فالموجودون في ظل الاستبداد لا يملكون حق التفكير، والمناقشة، والحوار،فيتم التعامل مع الناس على أساس الترهيب، والتخويف فيتحول الإنسان إلى مسخ لا كيان خارجي له، قال جيمس سكوت: "إن ممارسات السيطرة والاستبداد غالباً ما تؤدي إلى توجيه المزيد من المهانة، والإذلال للكرامة الإنسانية لتجعل منها ممارسة اعتيادية يعتاد عليها المجتمع[1]".

إن استسلام الأمة للذل، والمهانة، والخضوع يجعلها لا تصلح لأن تسوس نفسها فضلاً عن أن ترد بأس عدوها، إن الشعوب التي يراد لها أن تعيش مكممة الأفواه مطأطأة الجباه، مسلوبة القدرة على الاتجاه، مبلدة الإحساسات، عديمة الانتباه إن مثل هذه الأمم لن يكون لها دور إيجابي في الحياة[2]، ومن شأن هذا أن يقود إلى الصبر المذل والعقلية القدرية، فعلى حين نجد قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ سورة الرعد، آية ١١، نجد شعار المستبد بهم ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ سورة التوبة، آية، ٥١، وإن حالة الضعف هذه، والرضى بالذل، والمهانة، والاعتياد على الظلم، والاضطهاد يجعل من الصعب الخلاص من هذا الداء، قال محمد رشيد رضا، "إن الشعوب التي تنشأ في مهد الاستبداد، وتساس بالظلم والاضطهاد تفسد أخلاقها، وتذل نفوسها، ويذهب بأسها، وتضرب عليهم الذلة والمسكنة، وتألف الخضوع، وتأنس بالمهانة والخنوع، وإذا طال عليها

---

[1] الربيعي، **سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور**، ص ٩١.

[2] عباس، **القصص القرآني**، ص ٣٢٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

أمد الظلم تصير هذه الأخلاق موروثة مكتسبة حتى تكون كالغرائز الفطرية، والطبائع الخلقية، وإذا أخرجت صاحبها من بيئتها، ورفعت عن رقبة نيرها اللعينة ينزع بطبعه إليها، ويتفلت منك ليقتحم فيها، وهذا شأن البشر في كل ما يألفونه

ويجرون عليه من خير وشر وإيمان وكفر[1].

وبالنظر إلى واقع المسلمين في الوقت الحاضر فإن منهم من ألف الذل، والعبودية؛ نتيجة خضوعهم وطاعتهم لقادةٍ مستبدين مستكبرين، نشروا الرعب والهول بين الناس بواسطة أعوانهم المتمثلين بأجهزة المخابرات المدنية والعسكرية، ورجال الجيش وغيرهم، فلا يوجد من أفراد الشعب من يجرؤ على قول كلمة الحق، ولا تجد صحيفة تستطيع أن تنتقد وضعاً خاطئاً، لقد دفع المسلمين ثمن هذه العبودية، حيث استطاعت شرذمةٌ من بني إسرائيل أن تهزمهم، وتقف أمامهم جميعا رغم عددهم الهائل، ظنا منهم أن طلب الحرية والدفاع عنها سيكلفهم ما لا يطيقون، فعندها يستمرؤون حياة الذل، قال سيد قطب: "بعض النفوس الضعيفة يخيل إليها أن للكرامة ضريبة باهظة لا تطاق، فتختار الذل والمهانة هربا من هذه التكاليف الثقال، فتعيش عيشة رخيصة، مفزعة، قلقة تخاف من ظلها، يحسبون كل صيحة عليهم، وإنهم ليؤدون ضريبة أفدح من تكاليف الكرامة، إنهم يؤدون ضريبة الذل كاملة، يؤدونها من نفوسهم، من أقدارهم، من سمعتهم، من اطمئنانهم، وكثيراً ما يؤدونها من دمائهم وأموالهم وهم لا يشعرون[2]".

وقد ينعكس هذا الاستبداد على نفسية الفرد، فيكون خاضعاً لمن فوقه مستبداً بمن تحته، وإذا كان الناس على دين ملوكهم، وإذا كان هؤلاء الملوك مستبدين أدركنا أن أي مواطن في ظل سلطتهم سيتحول إلى مستبد، فالأب، والزوج، والمعلم، والمسؤول، مستبدون.

---

[1] رضا، **المنار**، ج٦، ص ٣٣٧.

[2] سيد قطب، **دراسات إسلامية**، بيروت، دار الشروق، د-ط، ١٩٧٣، ص ١٢٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد يميل الفرد للعنف والانتقام حين يجد الفرصة مناسبة للتعبير عن مشاعر الغضب والانتقام في نفسه، وما ذلك إلا بسبب ما يفرضه الاستبداد على حياتهم وواقعهم، حيث يتناول جميع مكونات شخصية المستبد بهم فيضعفها ويدمرها، ويؤدي لإنتاج شخصية سلبية يعتريها الضعف، والقصور، وروح الهزيمة، والجبن، ليكون ذلك كفيلاً له باستمرار حكمه، وسلطته، وتحقيق رغباته، وأهدافه.

٢-الإحباط:-

يؤدي الاستبداد لإنتاج أفراد سلبيين محبطين، تنعدم لديهم القدرة على المبادرة، ذوي شخصية يعتريها الخوف الدائم، المتمثل بمخاوف مرضية تجعله في حالة إنسانية ذات طابع مأساوي.فشعور الفرد بالعجز عن تغيير واقعه، وحالة الشعور بالنقص والدونية وعدم القدرة على تحقيق الذات، والخوف من الإخفاق في خوض التنافس، وعدم مشاركة الفرد في الحراك الاجتماعي، وأداء دوره المطلوب يؤدي به لحالة من الإحباط والعزلة، والإحساس بعدم أهميته، وينتج عن ذلك انتشار ظاهرة الزهد في الحقوق، وفتور الهمة في طلبها أو الدفاع عنها، ومثال ذلك أن المواطن الواعي لا ينشط لممارسة حق الاقتراع في الانتخابات لعلمه أن نتائجها مقررة مسبقاً، أو لأن الانتخابات لا تخرج عن مرشح وحيد لا منافس له في الساحة، وبيده مقاليد الأمور.

إن القهر والاستبداد يؤديان لإحباطات نفسية، ومعنوية تشكل المناخ العام لحالة من الخوف، والتوتر، والقلق، التي يعانيها المتربون، والتي تستمر خلال الزمن،وتؤدي إلى نوع من العطالة النفسية، والفكرية، وإلى حالة من الاستلاب،وعدم القدرة على التكيف والمبادرة، بسبب شعورهم بعقدة الدونية. وينتج عن هذه الحالة من الإحباط عددٌ من الآثار السلبية على الفرد والمجتمع، ومنها:

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- YarmoukUniversity
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١-قلة الإبداع وإعاقة التنمية:- تعاني المجتمعات الرازخة تحت حكم الاستبداد من الأمية، والقهر، والظلم، والاضطهاد، مما يؤدي لحالة من الانحطاط، والتفسخ، وبالتالي حدوث خلل في مسيرة حياتها، إن شعوبها تعاني التخلف الذي يعانيه طفل يسير وراء أبيه، أو تلميذ وراء أستاذه، إنها شعوب لم تبلغ سن الرشد، سن الإنتاج والاستقلال، فالأفراد في ظل الاستبداد في ضياع تام، مما يؤدي بهم للتراجع في كافة مرافق الحياة، وتعطيل الطاقات، وهدرها، فيصاب الفرد بالقلق، وتقتل حوافزه، وطموحاته، وتنتشر الأوبئة والانحرافات، ويخلق التزييف، إنه طريق الانحطاط، والتأخر، والفناء حيث يعيق مسيرة المجتمع نحو الحضارة، ويمنعها من الاستفادة من إمكانيات أفراده البشرية، والاقتصادية، والثقافية الخلاقة.

ولأن الإبداع كغيرة من الأنشطة يتأثر بالظروف الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، السائدة في المجتمع، والأهم تأثير النظام السياسي عليه، فالنظام الذي يحمي حقوق الإنسان، ويكفل حريته، يمكن أن تظهر آثاره في نشاط الإنسان، وتنعكس على انجازاته وبالتالي ظهور الإبداع عنده، أما النظام الذي يضع قيوداً على تفكير الفرد، والمتصف بالاستبداد، والتسلط، فإنه يحد من حرية التعبير، وإن أنواع الرقابة التي تفرضها على الأفراد تحول بينهم وبين الإبداع، وتؤدي بالتالي إلى انحطاط في المجالات كافة، ومن العوامل التي تمنع ظهور الإبداع في ظل النظام المستبد:

١. انعدام الحرية: حيث يُسلب الناس أفضل ما وهبهم الله من الحرية، فيتحولون إلى قطيع، وذلك لأن القهر يحجب نشاط الإنسان وذكاءه[1] فالشعور بالأمن والحرية من الحاجات الأساسية للفرد، لتحقيق التعلم، ثم إلى ظهور الإبداع.

٢.الخوف الذي يحيط بالناس يحول بينهم وبين التفكير والإبداع.

---

[1] انظر عيد وعبد الجبار، الديمقراطية بين العلمانية والإسلام، ص ٩٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٣.اختلال مبدأ العدالة والمساواة، وما ينتج عن ذلك من عدم تكافؤ الفرص، وانتفاء مبدأ تساوي الحقوق، وإلغاء مبدأ وحدة المجتمع.

٤.العنف: حيث يؤدي إلى تمزيق المجتمع إلى فئات متناحرة مما يشغل الأفراد عن التفكير والإبداع[١].

٥.إغلاق باب الاجتهاد، وهذا من الوسائل التي يلجأ إليها المستبد لتثبيت أركان حكمه، فإن هذا يعني إلغاء العقل، وقتل الملكات الإنسانية، والتحول بالإنسان من كائن مكلف مستقل بإرادته وتفكيره إلى كائن يتحرك بغريزته دون تفكير ولا تقدير[٢].

إن التنمية تنمو في أجواء الحوار والحرية، فعمادها الإنسان الذي يعمل وينتج، والاستبداد يعمل على إضعاف قدرة العقل على التفكير، والابتكار، فيضعف البحث العلمي مما يوقف النهضة والتقدم.

٢.**الهجرة**: إن الاستبداد يدفع الفرد إلى الهجرة، وترك البلاد، والانتقال منها إلى أماكن يجد فيها الحرية والعدالة، والقدرة على المشاركة في صنع القرار وتنفيذه، وقد أكدت الدراسات أن ٤٧% من الكفاءات العلمية الأرجنتينية التي هاجرت إلى الولايات المتحدة كانت البيئة السياسية هي السبب الأهم في ذلك، وأوغندا فقدت نحو ٥٠% من كفاءاتها فترة حكم عيدي أمين[٣] وإن الشعب الألماني تدفق من ألمانيا الشرقية عبر حدود النمسا والمجر مهاجراً

---

[١] انظر المرجع السابق نفسه، ص ٩٩.

[٢] انظر الخطيب: عبد الكريم، **سد باب الاجتهاد وما يترتب عليه**، بيروت- مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٥-١٩٨٤، ص١٢٤.

[٣] الفيل : محمد رشيد، **الهجرة وهجرة الكفاءات العلمية العربية والخبرات الفنية أو النقل المعاكس للتكنولوجيا**، الأردن-دار مجدلاوي، ط١، ١٤٢١-٢٠٠٠، ص ١٠٧-١٠٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

إلى ألمانيا الغربية مضحياً بالأرض، والديار هرباً من جحيم الدكتاتورية في أكبر وأغرب حركة هجرة في الوقت الحاضر[1].

وهذا عام في جميع الأفراد والمجتمعات، إلا أن الحديث يتركز حول هجرة الكفاءات العلمية لخطورتها وأثرها البالغ على البلاد والعباد، فإن أهم مشكلة تواجه الأمة هي هجرة أبنائها إلى الغرب بحثاً عن الحرية والأمان، فاستفاد الغرب منهم بشكل كبير وخسرتهم بلادنا، فنظراً لإدراك المستبد خطورة العلم على ملكه وسلطانه، فإنه يطارد رجاله، قال الكواكبي "إن المستبد يطارد رجال العلم، وينكل بهم، فالسعيد منهم من يتمكن من مهاجرة دياره وهذا سبب أن كل الأنبياء العظام، وأكثر العلماء الأعلام والأدباء تقلبوا في البلاد وماتوا غرباء[2]. فبهجرة الكفاءات تعطل عجلة التقدم والتنمية، ويسود التخلف كافة الميادين، مما يؤثر على الإنتاج القومي.

إن انعدام الحرية، وعدم احترام حقوق الإنسان، يجعل الفرد يشعر أنه مقيد من قبل المؤسسات الحكومية، وأن مجرد تعبيره عن رأيه سيجعل النظام يزجه في السجن، أو القتل، فلا يتمكن الفرد من استعمال أبسط حقوقه، ففي ظل الاستبداد تصادر الكلمة، مما يهدد مفاهيم حرية الإنسان، ودعامات استقراره النفسي، فالحرية للباحث بمثابة الرئتين للجسد.

وفي الميدان التربوي مثلاً يلحظ أن التسلط من أبرز الأسباب لتسرب الطلبة وتركهم لميدان التعليم، وقد أشارت دراسة أجريت في إحدى الدول العربية حول التسرب أن ٦٢% من الطلبة المتسربين عبروا عن كرههم للمدرسة بسبب سوء التدريس والإدارة وسوء معاملة

---

[1] جبارة: عبد المنعم سليم، **في كل مكان الدكتاتوريات تتهاوى**، مجلة لواء الإسلام، عدد ٨، سنة ٤٤، ١٤١٠-١٩٨٩، ص ١١.

[2] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٥٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المعلمين لهم، وتعرضهم للعقاب، وأن ٧٥% من المعلمين يعاقبون الطلبة بالضرب[١]، مما أدى إلى إشعال حالة الحقد والكراهية بين المعلمين والمتعلمين، ولم يجد المتعلمون من سبيل للخلاص مما هم فيه سوى الهرب من المدرسة.

ومن الأمثلة على الصعيد السياسي في كوبا مثلاً ترك مئات الآلاف من الكوبيين أوطانهم وهاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، والدول الأخرى ذات الأنظمة الديمقراطية التي يغدو بالإمكان إيجاد المأوى المناسب والعيش الكريم في ظل الأمن والاستقرار والحرية[٢].

٣- **الجريمة:-** يرجع ارتكاب الجريمة إلى الوسط الذي يعيش فيه المجرم، والذي يؤثر على سلوكه ويوجهه نحو ارتكابها، فمناخ الاستبداد، والتسلط وما فيه من قمع وقهر وعنف يسهم في إنتاج الجريمة بكافة أشكالها، ومن أهم الأسباب التي تسهم في ظهور الجريمة وتطورها عامة وفي ظل النظام المستبد خاصة:- عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي، والذي ينتج عن عدم توزيع الثروة، والدخول بين الأفراد بعدالة، وكذا الصراع حول السلطة، فإن احتكارها في يد فئة معينة يؤدي لأخطر الجرائم، لأن للحكم بريقاً يلعب بالرؤوس.

فالجريمة ضرب من ضروب السلوك الإنساني الدارجة في كل مجتمع، وترتبط ارتباطاً قوياً بظروف كل حياة اجتماعية، وان الاستبداد يحمل أبناء المجتمع الرافضين له على التفكير بأساليب عنيفة في مواجهته، وهذا يفتح الباب أمام العنف، والعمل المسلح لحل المشكلة الأساسية المتمثلة بوجود السلطة الإرهابية التي كان لها السبق في استخدام العنف في التعامل مع الناس فان نظام الحكم يعد سبباً مباشراً للجريمة، حين يكون فاسداً، حيث يوجد

---

[١] انظر وطفة، **بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي**، ص ٥٨.

[٢] الفيل ، الهجرة **وهجرة الكفاءات العلمية العربية والخبرات الفنية**، ص ٤٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ظروفاً تشجع على السلوك الإجرامي، إضافة إلى فقدان العدالة، والمساواة، وتكافؤ الفرص، وحالة التسيب والفساد المنتشرة بجميع أشكالها، والترهل في الأجهزة الإدارية وغيرها.

إن شعور الفرد بالإحباط، وأنه ممنوع من تحقيق أهدافه، وإشباع حاجاته يزيد من استجاباته العدوانية، فالإحباط يقود إلى العنف، والعنف يؤدي إلى الجريمة، فإن معاملة الأولاد بالقسوة والتأديب والضرب الشديد والتوبيخ والتقريع، وجعله هدفاً للتحقير والازدراء والسخرية، يجعل ردود الفعل تظهر في سلوكهم ويؤول بهم الأمر إلى مقاتلة أبويهم، أو ترك البيت تخلصا مما يعانونه من القسوة والمعاملة الأليمة، وهذا يدفعهم إلى الانحراف فيقبلون على تعاطي المخدرات كملاذ يخدرون أحاسيسهم تجاه واقعهم[١].

ففي ظل النظام المستبد نلحظ انتشار الجرائم، وارتكابها من قبل المستبد والمستبد بهم، ومن ذلك:- انتشار جرائم القتل السياسي التي تنفذ بدقة وإحكام في سبيل إسكات فكر الجهة المعارضة، فإن الانقلاب على الحاكم المستبد تحفل به كتب التاريخ، حيث أن نظام الحكم هدف للحرية في كثير من الأحيان، وإن مجموع الانقلابات العسكرية التي تمت في البلدان العربية من عام ١٩٣٥-١٩٨٧ كانت ٧٨ محاولة نجح منها ٤٧ محاولة [٢]. فالشخص الذي يقوم بعملية الاغتيال، يعتقد أنه بإزالة الشخص المعني، وتصفيته، فإنه يقوم بإزالة معوق سياسي يقف في طريق تحقيق أهدافه؛ لتصوره بأن النظام الذي يريد تغييره متجسد في هذا الشخص، وإن حوادث الاغتيال تنشط في البلدان التي تتواجد فيها قوميات منظمة، أو أقليات تعاني القهر، حيث توجد نسبة عالية من الإجرام؛ لأن الفوضى السياسية أحد مظاهر ذلك المجتمع، فتتمثل أهداف الاغتيال بإحداث تغيير سياسي أو التدخل في مجرى الأحداث[٣].

---

(١) علوان : عبد الله، **تربية الأولاد في الإسلام**، بيروت-مكتبة الضياء، د-ط، ج١، ص١٢٦.

(٢) انظر النقيب، **الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر**، ص ١١٠.

(٣) عبده: سمير، **التحليل النفسي للجريمة**، دمشق- دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨٩، ص ١٩٠-١٩١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

إن الجريمة تشيع في الأسرة، أو المدرسة، أو المؤسسة، أو الدولة التي يسودها النظام المستبد، تنشأ كرد فعل على ما ينتشر فيها من جرائم فساد، ورشوة، وإضرار بالمال، والنفس وغير ذلك.

٤-**الانتحار:**- إن الحياة قيمة عظيمة، ونعمة من الله لا تقدر بثمن، إلا أن الاستبداد يؤدي للاكتئاب و الإحباط نتيجة ما يقوم به المستبدين من أعمال، مما يجعل الأفراد يفقدون المعنى لحياتهم ووجودهم فيؤثرون الموت خلاصاً مما هم فيه.

فالاستبداد وما فيه من أحداث، وما ينتج عنه من آثار في مختلف الميادين والمجالات، من ظلم، وفقر، وبطالة، وعنف، وقمع هو أحد أهم أسباب الانتحار وقد أثبت مكتب المحيط الهادئ أن ألف ومائة حالة انتحار تقع يومياً في المنطقة التي تضم سبعة وثلاثين بلداً من أصل مليون شخص ينتحرون سنوياً في العالم بسبب تغير المكانة الاقتصادية[1]، التي هي أحد نتائج الاستبداد.

فالانتحار حالة يائسة لاسترجاع الحرية المفقودة الضائعة، وإن الشعور اليائس الذي يجد في الموت مخرجا أشبه شيء بسجين يريد فك الحصار عنه بأي ثمن، والانتحار مخرج يتيح له الإفلات من الجحيم.

وبهذا يتبين أن الاستبداد يؤدي لإيجاد شخصيات كئيبة محبطة، لا تقوى على مساعدة الآخرين فضلاً عن مساعدة نفسها، بما يؤدي إليه من انتشار الجرائم والانتحار والهجرة وإعاقة الإبداع وما ينتج عن ذلك من وصد باب التقدم والنهضة على كافة المستويات.

---

[1] عياش:أحمد، **الانتحار(نماذج حية لمسائل لم تحسم بعد)**، بيروت-دار الفارابي،ط١، ٢٠٠٣، ص٩٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

٣.بروز ظاهرة الصنمية

ونعني بالصنمية إضفاء نوع من العصمة والتقديس على القادة مع الخضوع المطلق لهم بحيث يصيرون أصناماً تعبد، ويكون هذا على مستوى الأسرة، والمدرسة، والمؤسسة، والمجتمع، والقيادة، ويعد هذا من بين الميول المكنونة في الإنسان، فإذا وجد لدى أحد الأشخاص ميزة وتفوق، وكان ضمن مجتمع ضعيف فإن هذه النزعة تتحرك عنده.

إنها تخلي الأفراد والجماعات عن حرياتهم في التفكير، والتعبير، والاختيار، وعن ممتلكاتهم التي رزقهم الله إياها من أجل مخلوق أخر ثم التوسل إليه ليرد بعضاً منها لهم[1].

ففي دولة الاستبداد ليس هناك كبير أو شخصية محترمة سوى السيد الأوحد، أما بقية الأفراد فإنهم عبيد له، لا كرامة ولا اعتبار ولا قيمة إلا لذاته العُليا، ويُسهم هؤلاء الأفراد في صناعة هذا الصنم لعبادته، فيتحول هذا المستبد إلى قائد لهم، يملك جميع الطاقات السحرية، ويفهم ويجيد كل شيء، فهو الزعيم الأوحد، والمنقذ الأعظم، مبعوث العناية الإلهية، لا يخطئ أبداً، وأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، يأمر فيطاع، ومن يخالفه تحل عليه اللعنة وعلى الجميع أن يروا رأيه ويتبعوا فكره، سواء وافق الدليل أم لا، وسواء كان في ذلك مصلحتهم أم لا، إنه البطل والمثال، يرونه الوحيد القادر على القيادة، ويرون أفكاره مبادئ لا غنى عنها، هو في أعينهم ملاك طاهر، لا يستطيعون العيش إلا في وجوده، فتتحول إرادته إلى قانون، ومعارضته نوع من الكفر والارتداد فيبنون حوله سوراً يمنع الآخرين من النقد، ويسود الآخرين حالة من العطالة الفكرية والسياسية، فيفقدون القدرة على المحاسبة والتقويم.

في ظل الاستبداد يتم اختزال الوطن في النظام السياسي الحاكم، ثم اختزال هذا النظام في الحاكم الفرد الذي يصعب نقده أو تغييره، وسبب ذلك كما قال ابن خلدون: "إن

---

[1] الكيلاني ، **مناهج التربية الإسلامية**، ص ١٧٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

النفس تعتقد الكمال فيمن غلبها، وانقادت إليه، أما النظرة بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أولما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب، ولذا تـــرى المغلـــوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه، وفي سائر أحواله، ففي كل قطر من الأقطـــار يغلب على أهله زي الحامية، وجند السلطان لأنهم الغالبون لهم، إذ الملك غالب لمن تحت يده، والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه، اعتقاد الأبناء بآبائهم، والمتعلمين بمعلميهم[1].

ومن أنواع هذا القيادات الصنمية:

قيادة دينية:قال تعالى ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ سورة التوبة، آية ٣١.وأخرج الترمذي عن عدي بن حاتم قوله: أتيت النبي صلى الله عليـــه وســـلم، وفي عنقي صليب من ذهب، فقال يا عدي: اطرح عنك هذا الوثن، وسمعته يقرأ فـــي ســـورة براءة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه[2]

فيتخذ بعض الأفراد عالماً معيناً على أنه صاحب القول السديد، والرأي الحق الذي لا باطل فيه، يأخذون أقواله على أنها مُسلمة غير قابلة للنقاش والنقد، ومنهم من يعطي للنص، أو فهم العالم الذي يحبونه، والإمام الذي يتبعونه مرتبة النص نفسها، ويعدون من خالف فهمهم مخالفاً للنص، ولا يخفى ما في هذا الأمر من البعد عن الحق والصواب، ولهذا السبب ضـــلل أقواماً أقواماً، وفسق أناس أناساً، وزعم بعض الناس أنهم وحدهم أهل التوحيد الخالص[3].

---

(1) ابن خلدون، **المقدمة**، ص ١٧٦-١٧٧.

(2) الترمذي، **السنن**، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، ج٥، ص ٢٧٨، رقم ٣٠٩٥، حسنة الألباني، أنظر الألباني، **صحيح سنن الترمذي**، ج٣، ص ٥٦، رقم ٢٤٧١.

(3) الأميري: أحمد البراء، **فن التفكير رؤية إسلامية**، الرياض- مكتبة العبيكان، ط١٤٢٤،٧-٢٠٠٤، ص ٦٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ولهذا كان تحذير النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين من أن يغالوا فيه كما غالت النصارى في عيسى عليه السلام إذ يقول صلى الله عليه وسلم: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله"[1]

قيادة سياسية:- قال تعالى مخبراً عن فرعون قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ سورة القصص، آية ٣٨

ومن هذه الصنمية نلحظ إضافة عبارات التبجيل والتوقير وتكثر في الخطابات الرسمية عبارة (بناءً على التوجيهات الحكيمة والرؤية السديدة لفلان بعد سرد أوصاف رنانة وألقاب كثيرة، مما يوسع الأسطورة لهذا المستبد، ويلحظ كذلك احترام المستبد وتقديمه على أنفسهم، والامتناع عن منافسته في الانتخابات وغيرها بل وحمل صوره والقيام بالدعاية الانتخابية له مع ما يحملون له في قلوبهم من حقد وكراهية.

قيادة اجتماعية:- قال تعالى عن سلطة الرؤساء: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ سورة الأحزاب، آية ٦٧. وقال سبحانه عن سلطة التراث ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ سورة الزخرف، آية ٢٣. حيث يصار إلى تقديم شخصيات تاريخية كرموز مقدسة لا يمكن مناقشتها، ومواجهتها وأفكارها، مما جمد النصوص في دائرة ضيقة.

إن هذه الصنمية شكلت تاريخنا كتاريخ أفراد بالمطلق وليس تاريخ شعوب ومجتمعات، وربطت كل أعماله وتحولاته المفصلية بأسماء الخلفاء والحكام، لافتتان الشعوب

---

[1] البخاري، **الصحيح**، كتاب الأنبياء، باب "واذكر في الكتاب مريم..."، ج٣، ص١٢٧١، رقم ٣٢١٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

بالزعماء الذين نجحوا في تسويق أمجاد وهمية، وانتصارات كلامية، والترويج للشعارات والأمنيات سبيلاً، وأسلوباً للحكم، لتعميم خطاب سياسي وإعلامي تسطيحي معتمد على فرضيات لفظية، من خلال الأناشيد، وعبر المنابر، وكتابات مرتزقة تملقيه للتبشير بالزعيم الملهم الخارق للقوانين، والقادر على صنع الأمجاد واختراع المعجزات.

إنها داء عضال يؤدي إلى عبادة الأشخاص، وتعطيل العقل، وشل الفكر، بامتلاك الصنم القدرة الخارقة التي تجعله إلها، وتمنحه الحصانة، إنها تعمي القلوب وتجعل الفرد أسير الصنم لا يفكر إلا بما يفكر به صنمه ولا يتكلم إلا بما يتكلم به، هي كما قال الكيلاني: مرض يفسد فطرة الإنسان، فيتلذذ الطغاة في انتهاك إنسانية المستضعفين، ويستمرئ المستضعفون اغتصاب حرياتهم، وسلب ممتلكاتهم، وتدمير إنسانيتهم، وهم دائمو التغني بمديح المستبد الطاغية[1].

ونظراً لهذه الآثار، فقد أرسل الله الرسل والأنبياء بدعوة الحق لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وبيان خطورة هذا الأمر وآثاره الواسعة.

فإن من يحاولون إخماد الرأي الآخر، وينكرون صحته هم غير معصومين من الخطأ وليس لهم الحق في حسم الأمر نيابة عن البشرية بأسرها، واستبعاد الحكم الصادر عن أي شخص مع رفضهم الإصغاء لأي رأي آخر لثقتهم بزيفه ويرون أن لديهم اليقين المطلق وإن أي محاولة لإسكات المناقشة يتضمن الزعم بالعصمة[2].

---

[1] الكيلاني، **منهاج التربية الإسلامية**، ص ١٧٤.

[2] مل: جون استيوارت، **أسس الليبرالية السياسية**، القاهرة- مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٦، ترجمة وتقديم إمام عبد الفتاح إمام وميشيل متياس، ص ١٣٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٤-الفساد

الاستبداد أصل كل فساد، إذ يضغط على العقل فيفسده، يلعب بالدين فيفسده، ويغالب المجد فيفسده[١]. إن الاستبداد هو أس الفساد وأصله، وهو بيت الداء لجميع الأمراض، فمناخ أي مجتمع يغدو ساماً بوجود الاستبداد لأنه يقتل الطاقات والكفاءات ويحطم التجمعات المخلصة، فهو تشويه لتركيبة المستبد، والمستبد بهم، والبيئة التي يعيشون فيها قال المرزوقي: "إن الفساد الذي يصاحب الاستبداد هو بمثابة البكتيريا التي تحلل الأنسجة، وتفكك الروابط التي تجعل من الأنسجة أعضاء، ومن الأعضاء جسماً سليماً، إن أخطر ما فيه ليس كمية الأموال المسروقة أو عدد التجاوزات الأخلاقية، بقدر ما هو القدوة السيئة، فالناس على دين وطبائع ملوكهم، فإذا كان هرم السلطة فاسداً، فإن الفساد يتسلل كالسرطان إلى كل خلايا المجتمع لتقضي تدريجيا على كل القيم والقوانين[٢]..

إن الفساد نتيجة مباشرة للاستبداد، بل هو الابن الشرعي له، فما أن يحل بأرض حتى يحل بها الفساد، وذلك بسبب ضعف أو غياب الشفافية، والقدرة على التعبير عن المعلومات الخاصة بالدولة والمال العام، والنشاطات الاقتصادية وغيرها، فتضعف المساءلة الحقيقية للمسؤولين، كما أن الفساد يضاعف من خطورة الاستبداد، فالمستبد لا يعيش إلا في مجتمع مريض، مفكك، متصادم الأهواء والمصالح، مجتمع تسوده الكراهية والعدوانية، ولذا يعمدون إلى سياسة فرق تسد، ويعملون على نسف الأسر والقيم.

والفساد خلل يصيب الحياة في جانب أو أكثر، في الدين، والسياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والإدارة، والأخلاق، وإنه لتهديد لتصورات الناس، وحياتهم في مختلف المجالات وترتبط أشكال الفساد فيما بينها ارتباطاً قوياً، ومن تلك الأشكال:

---

[١] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٥٥.

[٢] المرزوقي، **عن آية ديمقراطية تتحدثون**، ص ٤٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

١-**الفساد الديني:**-فالاستبداد يعادي التدين الصحيح الذي ينير العقول، ويبين الحقوق، ويقيم العدل، ويرفض الظلم ويربي المؤمنين على قول الحق، ومقاومة الباطل ويحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعتبر أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، ويبارك التدين المغشوش تدين الموالد والقبور وحلقات الدراويش، قال القرضاوي: "أثبت التاريخ الحديث أن الدعوة إلى الإسلام إنما تضمر وتنكمش حين يطغى الاستبداد[١]..

٢-**الفساد السياسي:**- وهو الأساس لبقية أنواع الفساد، ففساد السياسة أفسد كل شيء، ويعرف بأنه: "استغلال السلطة العامة لتحقيق مكاسب خاصة[٢]"، فمتى استبد المسؤول وطغى حصل الفساد، ويظهر ذلك من خلال عدد من الأمور منها:

قدرة الحاكم على تزوير الانتخابات العامة، وجعل الكذب عملة متداولة شائعة ينظر إليها الكبار والصغار، وقلوبهم منكرة، وألسنتهم معقودة، فيستقر الإفك، وينهار الخلق، وتمتلئ الحياة بالوصوليين من أهل الجراءة[٣].. وتصبح عملية الانتخابات شكلية، فهذا سليمان بن عبد الملك يجبر الناس على أن يبايعوا على مظروف مختوم، فلما حضرته الوفاة دعا بقرطاس فكتب فيه العهد ودفعه إلى أحد رجاله، وقال أخرج إلى الناس فيبايعوا على ما فيه مختوماً، فخرج فقال: إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هذا الكتاب، قالوا: ومن فيه؟ قال: هو مختوم لا تخبرون من فيه حتى يموت، قالوا لا نبايع، فرجع إليه فأخبره، فقال: انطلق إلى صاحب الشرطة، والحرس فاجمع الناس ومرهم بالبيعة فمن أبى فاضرب عنقه، فبايعوا[٤].

---

[١] انظر القرضاوي: يوسف، **هموم المسلم المعاصر**، القاهرة-مكتبة التراث الإسلامي، د-ط و ت، ص ١٣٥.

[٢] كليتجارد: روبرت، **السيطرة على الفساد**، عمان-دار البشير، د-ط، ١٩٩٤، ص ٤٤.

[٣] الغزالي، **الفساد السياسي**، ص ٥٣.

[٤] السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص ٢٢٦-٢٢٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- YarmoukUniversity
www.manaraa.com

لقد صار الفساد الحكومي ظاهرة عالمية، قديمة جديدة، فالسلطة تؤدي إلى الفساد، وفي تاريخ الجنس البشري نجد الملوك، والأباطرة، وقادة الجيوش، ورجال الكنيسة قد ساد الفساد بينهم، ومن الأمثلة على هذا النوع فرعون وما فعله في قومه، قال تعالى مخبراً عن حاله: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ سورة الفجر، آية ١٠-١٢.

٣. **الفساد الإداري:-** هو الناشئ عن سوء التخطيط، وتغليب المصالح الفردية، فهو استغلال النفوذ الإداري في تحقيق مكاسب شخصية على حساب المال العام، فالسلطة المطلقة التي يتمتع بها رؤساء مجالس الإدارة في المؤسسات والهيئات المختلفة تجعلهم يرتكبون تجاوزات عديدة مستغلين النفوذ السياسي في تحقيق أرباح اقتصادية على حساب الدولة، والمال العام، فالفساد الإداري في عهد الاستبداد آفة متفشية في القطاعين العام والخاص، وفي

٤-**الفساد الاقتصادي:-** "حرص التمول القبيح يشتد كثيراً في رؤوس الناس في عهد الحكومات المستبدة، حيث فيها تحصيل الثروة بالسرقة من بيت المال، وبالتعدي على الحقوق العامة، وبغصب ما في أيدي الضعفاء[١]. لقد صار الدرهم والدينار قبلة الناس، ولعبتهم، فخرجوا وهم لا يشعرون بأي وثنية حقيقية تتسلل إلى نفوسهم مع أنفاسهم، كل يوم يعيشون في ظلال الخوف، والقهر حتى ينتهي بهم الأمر إلى عبادة فرد أو أفراد أو إلى إسقاط كل القيم الموضوعية التي ترتبط بها في حياة الأحرار، والموقف، والأفكار[٢]". فالاستبداد يؤدي

---

[١] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٧٩.

[٢] أبو المجد: كمال، **حوار لا مواجهة، دراسات حول الإسلام والعصر**، الكويت-مجلة العربي، عدد٧، ١٩٨٥، ص ١٧٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

لانتشار الفقر وبالتالي تنافس الناس لتوفير الحاجات الأساسية، مما يؤدي لانتشار الفساد الاقتصادي.

٥-**الفساد الاجتماعي:**- وهو خلل في القيم الاجتماعية، والأسرية، ينعكس أثره على العلاقات التي تربط المجتمع بعضه ببعض بنشر الرذيلة[١]

فالاستبداد يعيق تعميق العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، فلا أحد يأمن جانب أحد، وتنتشر ظاهرة غياب المسؤولية حتى بين أفراد الأسرة الواحدة، ويقل فعل الخير وتتشوه المثل العليا، ويصبح الذي يحصل على المال دون عمل (فهلوياً)، والذي يتحايل على القانون (شاطرا)، وتنمو ظاهرة الغنى غير المنتج مما يزيد الأحقاد بين الناس، كما تنتشر ظاهرة الاعتماد على الحظ[٢]

٦-**فساد فكري:**- هو استغلال ما أمكن من الوسائل للعبث بفكر الأمة، وصرفها عن وجهتها الأصلية، أو هو ما يخرج بالأمة عن ثوابتها ويعمل على تفكيك هويتها[٣]

فالمستبد والفكر لا يجتمعان، وإن صاحب الفكر يعيش مشرداً مطارداً، يخشى الناس من الاقتراب منه، ويؤدي لانتشار حركات التكفير، فيعمل الاستبداد على حذف الفكر، والمعارضة الفكرية، تحت اسم الزندقة، والردة، والخروج، أو الاعتزال، وما حصل لأئمتنا كأحمد بن حنبل، وابن تيمية وغيرهم رحمهم الله رحمة واسعة، أمثلة على خنق الفكر.

ولا يخفى ما لهذا من أثر، فإن مختلف الأزمات التي تعاني منها الأمة هي نتاج لما أصاب فكرها من جمود وتبعية، فالأمة حين خالطتها الانحرافات أصابت منها موضع الفكر فاختل الميزان، واضطربت الأولويات، وسادت الفوضى، وانحلت عرى الترابط وذابت قدرات

---

[١] الجيوسي، **الفساد**، ص ١٩٤.

[٢] شحرور،**دراسات إسلامية معاصرة في الدولة والمجتمع**، ص٢٧٠.

[٣] الجيوسي، **الفساد**، ص١٩٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

العطاء مما أدى إلى تدهور المؤسسات وانحطاط مستوى ما بقي منها، فأصبح انحطاط فكر الأمة سبباً يحول دون نجاح محاولاتها الإصلاحية[١]

٧-فساد أخلاقي:- تصاب الأخلاق في ظل النظام المستبد بفساد كبير، حيث يتخلى الناس عن الأخلاق الفاضلة إرضاءً للحاكم، واتقاءً لشره، ورغبة في التقرب إليه لنيل بعض المناصب قال الكواكبي: "أقل ما يؤثره الاستبداد في أخلاق الناس، أنه يرغم حتى الأخيار منهم على ألفة الرياء، والنفاق، وإنه يعين الأشرار على إجراء غي نفوسهم، آمنين من كل تبعه، فلا اعتراض ولا انتقاد، لأن أعمال الأشرار تبقى مستورة حيث يلقي عليها الاستبداد داء خوف الناس من تبعة الشهادة على ذي شر[٢]

وإن المتأمل لأي نظام مستبد يجد انتشارا لجميع الرذائل، حيث يدمر الشخصية الإنسانية ابتداءً ولا أخلاق دون شخصية إنسانية متكاملة، قال شبلي شميل[٣] واصفاً ما فعله ملوك الشرق في أخلاق مواطنيهم: "إن ملوك الشرق مازالوا فوق شرائعهم، فأماتت حكوماتهم من الأمة عواطف الشهامة والإقدام، بما أثقلت على كواهلهم من الإذلال وقوت فيهم كل الصفات الدنيئة الهادمة لصروح الاجتماع بما أخمدت من قوى العقل بإطفائها نور العلم[٤]

ومن الأمثلة على الفساد الأخلاقي الذي يعززه الاستبداد:- الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك أتى بأربعين شيخاً فشهدوا له ما على الخلفاء من حساب ولا عذاب[٥] فيصدر الفقهاء المأجورون الفتاوى التي تثبت عرشه وجبروته.

---

[١] المعهد العالمي للفكر الإسلامي، **إسلامية المعرفة**، ص ١٥.

[٢] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٨٩.

[٣] صحفي لبناني من طلائع النهضة العربية.

[٤] مبيض، **موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية**، ص ٤٦.

[٥] هلال، **الاستبداد ودوره في انحطاط المسلمين**، ص ٨٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

إن فساد الأخلاق هو الذي حول ثيرون إلى طاغية، إنه النفاق، والضعف، والتملق وما وضع في روعهم أنه سيدهم، لقد اتجهت أنظار الجميع إليه، والأشراف يتملقونـــه، ورجـــال الدولة يطلبون وده[1].تحت حكم الاستبداد أصبح الأمين في عمله، والمستقيم في سلوكه شاذاً أو مغفلاً، ولذا كان على الفرد التخلي عن الأخلاق، وارتداء قناع الرذيلة ليستطيع العيش صالحاً آمناً على نفسه، وماله، وأهله.

وبهذا يتبين أن الاستبداد يفتح أبواباً واسعة لفساد لا حد له، ينتهز فيه المستبد الفرص للكسب غير المشروع من موقعه الوظيفي، يتحول الإنسان إلى فم يأكل ويمدح، ولسان يشي، ويدين تصفقان، ويظهر أن مجالات الفساد وميادينه مكملة لبعضها البعض، والاتصال بينهـــا قائم، وإن الفساد بمختلف مجالاته هو من أكبر أسباب التخلف.

٥-الظلم

إن الظلم نقيض العدل، وهو وضع الشيء في غير مكانه، إنه بغيض إلى الله تعـــالى، الذي أعد للظالمين العقوبة في الدنيا والآخرة، لما له من آثار وخيمة على الفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ سورة الحشر، آية ١٧، وقال ابن تيمية: "وإضرار العبد في دينه ودنياه هو ظلم الناس، فالظلم للغير يستحق صاحبه العقوبة في الدنيا لا محالة لكف ظلم الناس بعضهم عن بعض، ثم هو نوعـــان أحدهما منع ما له من الحقوق وهو التفريط،والثاني فعل ما يضر بهم وهو العدوان[2]"

---

[1] متولي، **طغاة التاريخ**، ص ١٩.

[2] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، د-ن، ط١، ١٣٩٨، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد الحنبلـــي، ج١٠، ص ٣٧٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالظلم بكافة أنواعه، وأشكاله غاية في البشاعة، وهو عدو العلم، والتقدم، والمحبة، والدافع للجهل، والتخلف، والكراهية، ولذلك فقد نفاه سبحانه وتعالى عن نفسه في أكثر من موضع في كتابه الكريم، فقال سبحانه﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ سورة ق، آية ٢٩. وفي الحديث القدسي، قال رب العزة: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا[١]).

إن تطبيق القانون على الجميع دون محاباة يبعث في النفس الطمأنينة، ويجعل الضعيف يوقن أنه في مأمن من ظلم القوي وغدره، لأن الدولة معه ممثلة بقانونها الذي تطبقه بعدل وجدية على الجميع، ومن كانت معه الدولة وقانونها فهو أقوى من غيره مهما كان هذا الغير صاحب نفوذ وجاه وسلطان، فإذا اختل هذا أو لم يطبق القانون على الجميع، كان ذلك من الظلم الذي تباشره الدولة أو تعين على وقوعه، أو تسكت عنه فلا تمنعه، فتلتبس الدولة بالظلم وتغشاها ظلمته فيقوم فيها سبب الهلاك فتهلك[٢] وإن الاستبداد يؤدي إلى الظلم، قال الكواكبي: "الاستبداد المشؤوم لم يرض أن يقتل الإنسان الإنسان ذبحاً ليأكل لحمه أكلاً كما كان يفعل الهمج الأولون بل تفنن في الظلم، فالمستبدون يأسرون جماعتهم ويذبحونهم مضداً بمضد الظلم، ويمتصون من دماء حياتهم بغصب أموالهم، ويقصرون أعمارهم باستخدامهم السخرة في أعمالهم بغصب ثمرات أتعابهم، وهكذا لا فرق بين الأولين والآخرين في نهب الأعمار، وإزهاق الأرواح إلا في الشكل"[٣].

---

[١] مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج٤، ص ١٩٩٤ رقم ٢٥٧٧.

[٢] زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص ١٢٣.

[٣] الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص ٧٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وللظلم صور كثيرة، منها ما ذكره ابن خلدون، حيث قال: "إن الظلم ليس أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب؛ بل هو أعم من ذلك، فكل من أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقاً لم يفرضه الشرع فقد ظلمه، فجباة الأموال بغير حقها ظلمة، والمعتدون عليها ظلمة، والمانعون لحقوق الناس ظلمة، وغصاب الأملاك على العموم ظلمة، ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لإذهابه الآمال من أهله[1]. فأي إضرار يقع على الناس في أديانهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم سواء بمنع ما يجب لهم من الحقوق أو العدوان عليهم إنما هو ظلم لهم.

وللظلم تأثيره على نفوس الأفراد، يتمثل هذا بخيبة أملهم في الدولة، وزعزعة ثقتهم بها، وتسلمهم هذه الحالة إلى حالة عدم الاهتمام بها، وضعف الولاء لها، وعدم الحرص على بقائها ولا الدفاع عنها، وقد يقود هذا إلى رغبتهم في هلاكها واضمحلالها[2]. وإيجاد أنماط من البشر مصابة بعدم التوازن النفسي، يعانون الإحباط، والتردد، واليأس، والخوف كما يشيع بين الأفراد سوء الظن، وفقدان الثقة، ويؤثر على عقولهم حيث يتم إفراز أفكار التطرف، والجمود، والتكفير، والهجرة، كما لا يخفى أثره على المستوى الاجتماعي حيث يفرز أنماطاً من الأفراد إن كانوا قادة طغوا واستبدوا، وإن كانوا في موقع التبعية تصاغروا واستضعفوا، واستكانوا للذل والهوان[3].

كما أن من أبرز آثار الظلم: فقدان الرأي والعزيمة، وقتل روح الإقدام والمبادرة، والعجز عن مواجهة التحديات، ويتسبب في فقدان المناعة حيث يستطيع أي شخص التسلل إلى

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٢١.

(2) زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص ١٢٤.

(3) انظر الكيلاني: ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية دراسة مقارنة بالفلسفات التربوية المعاصرة، الأردن- دار الفتح، ط١، ١٤٣٠-٢٠٠٩، ص ١٩٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

مراكز القيادة، وممارسة سلطاته المطلقة، واغتصاب الحريات، وهدر الكرامات دون مساءلة، أضف إلى إفساده الأخلاق الخاصة والعامة لكونه يهدم مبدأ تكافؤ الفرص، والعدالة وغيرها مما ينعكس على سلوك الأفراد، وانتشار الفساد الأخلاقي بينهم، وهذا يعرض الأمم للهمجية الخارجية، وفقدان الاستقلال أمام عدوها الخارجي[1].

ففي عهد الاستبداد يلجأ الظالمون إلى تقييد حرية التعبير، ومن أجل ذلك يحاربون المفكرين حرباً قاسية دون شفقة، فيتعبونهم، ويذيقونهم السجن والتعذيب، ويعملون على إخراجهم من أوطانهم، وهم في مواجهتهم هذه يندفعون كالحيوانات المفترسة التي تثيرها مناظر الدم، فتحرك طبائعها الوحشية، وهم لا يرتاحون إلا بعد تحطيم المفكرين وأقلامهم، وإذلالهم، وما ذلك إلا لعلمهم بمكانة العلم وأثره على مناصبهم وسلطتهم.

٦ -زعزعة الأمن

لا يخفى على أحد أهمية الأمن في حياة الفرد والأمة، فقد دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه بأن يحقق الأمن، قال تعالى يخبر عنه قوله:﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ سورة البقرة، آية ١٢٦، وقد امتن سبحانه على عباده بنعمة الأمن فقال سبحانه ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ سورة قريش، آية ٣-٤.

ولتحقيق الأمن الفردي والجماعي، الداخلي والخارجي، لابد من السلطة التي يقع على عاتقها المحافظة على حريات الأفراد الذين وضعت لحمايتهم، والتي تتجسد مع شخصية الحاكم وتحتفظ بها بمقدار ما يملك من قوة ونفوذ، إلا أن الأمن على مدى التاريخ مهدد من قبل المستبدين، فالنظر إلى أنهار الدموع، والدماء، والاعتداء على النسل والحرث والعقل،

---

[1] المرجع السابق، ص ١٩٧-١٩٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

والإنسانية قاطبة، يرجع إلى الاستبداد الذي يؤدي للضياع، وزعزعة الاستقرار، وانتشار الخوف فالابن والطالب والموظف وغيرهم من المستبد بهم يخشون المطالبة بحقوقهم، وإن كانوا مظلومين بسبب ما استقر في الأذهان من موروثات اجتماعية تشجع حالة الخضوع والاستسلام.لقد أصبح المواطن يمشي خائفاً متوجساً أن يقع له ما وقع لجاره أو صديقة أو أحد أقاربه.

يؤثر الاستبداد على الأمن بكافة أشكاله الفكري، والاجتماعي، والأخلاقي، والصحي، والبيئي، والسياسي حتى أمكن القول أن محاولة الجمع بين الاستبداد والأمن كمحاولة الجمع بين الماء والنار.

إن ما ينتشر في ظل النظام المستبد من ضعف المشاركة الشعبية، وضعف السلطة التنفيذية، وعدم الاستقرار، وكثرة الصراعات، وتناقض الأهداف، وعمق الشعور بعدم الانتماء والولاء، إضافة لأسباب أخرى في بقية المجالات، مثل وجود تنافس بين مختلف قوى الدولة، والظلم الاجتماعي، وانتشار الفساد وسط قوى الأمن، وانخفاض المستوى التقني في المجال الأمني العسكري، والفقر وانخفاض مستوى المعيشة، وارتفاع نسبة البطالة، وانتفاء العدالة في توزيع الثروة، وقلة الإنتاج في المجال الاقتصادي،وتدني مستوى التعليم، والصحة، والإدارة، والاغتراب والهجرة العشوائية، والفوارق الطبقية، واستخدام الحرب النفسية في المجال الاجتماعي[1]، هذه وغيرها من الأسباب تؤدي لاختلال الأمن بشكل عام، وفي ظل النظام المستبد خاصة.

إن الاستبداد وما ينتج عنه، وما يستعمله المستبد من أساليب يسلب الإنسان نعمة الأمن والأمان، ويتركه يتخبط في حياته قلقاً حائراً لا يستقر على حال، فهو أول خطوات الخوف

---

[1] أنظر نمري: علي، **الأمن والمخابرات رؤية إسلامية**، السودان- مركز الدراسات الإستراتيجية، ط١، ١٩٩٦، ص ١١-١٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العام، لأن غياب العدل، وفشو الظلم دعوة صريحة للعنف المضاد فدفع الظلم غريزة متأصلة في الإنسان، ولا يقنع بالظلم إلا من ماتت فيه تلك الغريزة، ولأن الأنظمة الاستبدادية تغلق منافذ التعبير والتغيير السياسي، والاجتماعي في وجه المضطهدين، يلجأ هؤلاء إلى ركوب سفينة التغيير بالثورة والانقلاب، والعمل المسلح بما فيه من إراقة الدماء، وتدمير البلاد، وتحطيم مقدراتها فالمواطن الذي يعيش في الرعب الدائم، وفي بيئة الظلام الاستبدادي يكون قنبلة مهيأة للتفجير في أية لحظة، ومحاولة الشعب التخلص من الأنظمة الاستبدادية بغض النظر عن النتائج الدموية التي يفرزها هذا، وبذا يكون الاستبداد خطراً على أمن البلاد بكافة أشكاله.

٧- تبديد ثروات الأمة.

يحتاج المستبد للمال من أجل تسهيل مهامه وأعماله، يدعي ملكية البلاد كلها، قال تعالى مخبراً عن فرعون: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ سورة الزخرف، آية ٥٢، فالمال له وعباد الله أرقاء عنده، إنه لص ينهب أموال الأمة، ويرى أنه وحده المتصرف في أموالها، إذ يراها أموال الله في الأرض خولَه سلطة التصرف في أرواح العباد وأموالهم، فالمال عرضة لسلب المستبد وأعوانه غصباً أو بحجة باطله، ولقد أثبتت بعض الدراسات أن الدولة في الوطن العربي أصبحت هي المالكة لمعظم الثروة القومية، ولكن فائدة ومردودية هذه الثروات لا تعود على الجماهير، بل تستغله طبقات طفيلية من البرجوازية الجديدة[1].

---

[1] انظر الجابري: محمد، **حول الأوضاع العربية الراهنة**، مجلة المستقبل العربي، سنة ٥، عدد ٤٥، ١٩٨٢، ص ١١٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وتتسم أعمال المستبد بالسفه المالي، فلا يرى فرقاً بين ماله الخاص، وبين أموال بيت مال المسلمين، فكلها أموال الله يستبيحها كيف يشاء، ويعطي نفسه حق التصرف في أموالهم دون مساءلة، سواء أنفقها في سبيل الله، أم أعطاها هبة لمادحيه من الشعراء، أو اشترى بها الغلمان[1] قال الغزالي: "إن من خصائص الحكم المطلق السرف الشديد على شخص الحاكم، وعلى كل ما يمت إليه بنسب أو مواليه بنصر، فترى شهوات الغي في البطون والفروج مشبعة، ومضلات الهوى مسيطرة على المشاعر والنهى، وعبء هذه النزوات يقع على عاتق الخزانة العامة وحدها، فالاستبداد السياسي لا يبالي من أين يأخذ المال ولا أين يضعه[2]".

ومن المجالات التي ينفق فيها المستبد أموال الأمة:

١. حماية أمنه والتنكيل بخصومة في الداخل، وتدبير المؤامرات لأعدائه في الخارج.

٢. الدعاية لشخصه ونظامه، وتضليل الرعية بشأن ما يقوم به من أعمال.

٣. تحقيق ملذاته بإقامة النصب التذكارية وغيرها، وتمويل مغامراته لإرضاء طموحه فهذا فرعون يأمر ببناء صرح ضخم لتثبيت عظمة الذات، قال تعالى مخبراً عن ذلك: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ سورة غافر، آية ٣٦-٣٧، فلصدام مثلاً أربعة آلاف تمثال بالإضافة لملايين الصور الموزعة في كل مكان[3]، وغيره كثير.

---

[1] هلال، **الاستبداد ودوره في انحطاط المسلمين**، ص ٢٧.

[2] الغزالي، **الإسلام والاستبداد السياسي**، ص ٤٤.

[3] كامل، **من يصنع الطغاة**، ص ٩٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤. الملابس، والاحتفالات، والأعراس، وبناء القصور وغيرها، قال الكواكبي: "يزينون الشوارع بملايين من المصابيح لمرورهم فيها أحياناً متراوحين بين الملاهي والمواخير، ولا يفكرون في ملايين من الفقراء، يعيشون في بيوتهم في ظلام[١]".

٥. الإنفاق على بطانته وعماله، أتباعه ومنافقيه، قال حسن أيوب: وكم للمباحث في ظل هؤلاء الحكام من جرائم لو جمعت لكانت أهراماً من جماجم الشعب، وبحاراً من دمائه، وتلالاً من أمواله، ذهبت هدراً، وضاعت هباءً بسبب حاكم ظالم لشعبه، ذليل لعدوه، ومباحث، ومخابرات، ومنافقين، وسفلة منحطين، وطغاة أفاكين أعانوا الظالم ومكنوا له حتى قضى أو كاد على معنويات الشعب، وحريته، وإنسانيته، وكل كرامه بقيت له[٢].

ويتذرع بمختلف المسوغات لتبرير إنفاقه للأموال، ووضعها في غير مواضعها فبحجة بناء الأحياء المحترمة في روما لجأ المستبد نيرون إلى فرض المزيد من الضرائب الباهظة، والاستيلاء على الأموال والنهب العلني داخل إيطاليا وفي البلدان التابعة أو الحليفة، وخص نفسه ببناء قصر مذهب مكان أحد قصوره التي أتى عليها الحريق[٣].

ونختم الحديث عن تبديد المستبد للثروات، بكلام الكواكبي حيث قال: "إن الاستبداد يجعل المال في أيدي الناس عرضة لسلب المستبد، وأعوانه، وعماله غصباً، أو بحجة باطلة، أو عرضة لسلب المعتدين من اللصوص والمحتالين الراتعين في ظل أمان الإدارة الاستبدادية، وحيث المال لا يحصل إلا بالمشقة فلا تختار النفوس الإقدام على المتاعب مع عدم الأمن على الانتفاع بالثمرة، إن حفظ المال في عهد الاستبداد أصعب من كسبه، لأن ظهور الثراء على

---

[١] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٧٢.

[٢] أيوب: حسن، **السلوك الاجتماعي في الإسلام**، القاهرة-دار التوزيع، د-ط، ١٤١٧-١٩٩٦، ص ١٠٨.

[٣] متولي، **طغاة التاريخ**، ص ٢٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

صاحبه مجلبة لأنواع البلاء عليه، ولذلك يضطر الناس زمن الاستبداد لإخفاء نعمة الله، والتظاهر بالفقر والفاقة، ولهذا ورد في أمثال الأسرار أن حفظ درهم من الذهب يحتاج إلى قنطار من العقل، وإن العاقل من يخفى ذهبه، وذهابه، ومذهبه، وإن أسعد الناس الصعلوك الذي لا يعرف الحكام ولا يعرفونه[1]".

٨- تسويغ العدوان الخارجي.

يؤدي الاستبداد لتفكك الأسر والمجتمعات، وإلغاء توازنات الحياة البشرية، وانهيار كل أسس العلاقات السليمة بين الأفراد، وإن الأمة التي تقع في الاستبداد سرعان ما تقع فريسة لغيرها، لأن مناعتها الخاصة قد ذابت، وانتهكت بسبب ما يقع عليها من ظلم داخلي.

تسقط قوة الدولة ويتجاسر عليها من يجاورها- فالمواجهات الداخلية تضعف قوة الدولة، وبالتالي تفقد الأمة هيبتها وتخسر كافة معالم قوتها وتكون مدعاة للتداعي عليها؛ فالاستبداد الداخلي يقود إلى العدوان الخارجي ، فالاستعمار لا يمكن أن ينجح باختراق دفاعات المجتمع، وإخضاعه لهيمنته دون تجنيد كل وسائل الاستبداد الممكنة وترسيخ آثارها، فاستبداد الملوك واستئثارهم بالمنافع هو علة سقوط دولهم، واختلال أمورها، وتلاشي أحوالها، لولاه لما دانت فارس للروم، ولما كانت الهند من توابع جزيرة بريتوس، ولما صارت دولة بني عثمان آلة بيد الدول تتحرك بإرادتهم فتفعل ما يقولون وتصدع بما يأمرون، إنه يؤدي لفقدان الدولة عناصر الهيبة والمقاومة فتلين قناتها للغزو، قال الأفغاني بعد ذكر حال الأمة المستبد بها: "تمتد إليها أنظار الطامعين، وتضرب الدول الفاتحة بمخالبها في أحشاء الأمة[2]"

يمهد الاستبداد النفوس لقبول الاستعمار، والتعايش معه، وكذا فللاستعمار دوره في تثبيت وتشجيع الاستبداد وخاصة في الجوانب الثقافية والفكرية، لقد اعترفت الولايات المتحدة

---

[1] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٨٠_٨١ باختصار.

[2] الأفغاني، **الأعمال الكاملة**، ج٢، ص٣٢٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- YarmoukUniversity
www.manaraa.com

على لسان رئيسها جورج بوش الابن أن أمريكا دعمت الدول والأنظمة المستبدة في الشرق الأوسط لمدة تزيد عن ستة عقود من القرن الماضي، وتدعي اليوم محاولة الإصلاح الاجتماعي والسياسي في الشرق الأوسط بالتعاون مع الدول الصناعية الثمانية، وتمارس في الوقت نفسه أقسى أنواع الاستبداد الفكري على والمسلمين، وتلوح بتهمة الإرهاب ضد معارضيها[1].

فبسبب الاستبداد تسلط على الأمة العدو الخارجي، وأصبحت الجيوش بدل أن تخرج لتحرير الشعوب من عبودية كسرى وقيصر، تنطلق من الجزيرة العربية أكبر حملة استعمارية يشهدها العالم كاحتلال أفغانستان والعراق وغيرها.

فإن الاستعمار يعمل على الاستفادة من نقائص الدول، وما ينتشر فيها، ومن أهم ما يساعد الاستعمار على فرض وجوده، وجبروته على الدول الأخرى:

١-**الفرقة والانقسام:**- إن حالة الفرقة عبارة عن ضعف يصيب الأمة، يتجرأ عليها عدوها بسببه فيهاجمها ويحتل أراضيها ويستعبد أبناءها ويمسخ شخصيتها، فإن الدول الاستعمارية تلجأ دائماً كما يشهد التاريخ بذلك إلى تقسيم الدول إلى دويلات، وطوائف عاجزة عن حماية نفسها وشعوبها، وأصبحت قاعدة ينطلق منها العدو لاحتلال بلدان أخرى، ومن الأمثلة على ذلك السياسية الإسرائيلية بالنسبة للعرب فإنها تقوم على أساس تقسيمهم إلى طوائف عنصرية، ودينية، وقبلية، وذلك بغية تفتيتهم والسيطرة عليهم، ولتوسيع هذه السياسة وإدخالها ضمن الإطار العربي الاجتماعي تتوسع في تنميتها في مناهج التعليم بينهم، وتصورها أنها أساسية في بناء المجتمع العربي من العصور التاريخية القديمة، والمنتشرة في

---

[1] انظر نزال، **سبل زوال الاستبداد الفكري بين المسلمين**، ص ٢٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

كافة ديارهم[١]. إن حالة التمزق والفرقة داخل الدولة تدفع الدول المجاورة للتدخل المباشر في الصراع، وتغذيه لتحقيق مكاسب إقليمية على حساب الشعب ذاته، ويستفيد الطرف الخارجي الأقوى

٢-انتفاء مقومات الحرية، والعدالة، والمساواة:- إن الاستبداد وما ينتج عنه من ظلم يؤدي إلى خراب البلاد في جميع المجالات مما يؤدي إلى زهد الناس في العمل والإنتاج، فهم في سعي دائم إلى الفرار والهروب مما يضعف الدولة اقتصادياً، وعسكرياً، فتصبح ضعيفة أمام المستعمرين مع استبدادها بمواطنيها الضعفاء، وهذا يغري الدولة القوية لتهجم عليها، وتستولي على خيراتها وتلحق الأذى بها[٢].

فالقابلية للاستبداد التي يتربى عليها الأبناء في الأسرة، والمدرسة، والمسجد، والشارع، والسوق، وفي كل زمان ومكان، ينتج عنها أشخاص لا يملكون حق التفكير في مقاومة المستعمر طالما لا يملكون حق التفكير في ذواتهم، لا يسعون إلى مقاومة المستعمر لأنهم لا يفكرون في الاجتهاد أولاً، ولا يملكون حق اختيار دينهم وعقيدتهم[٣].

يرافق الاستبداد انتهاك لحقوق الإنسان، وسحق للحريات السياسية إضافة للتخلف الاقتصادي، وتدني مستوى المعيشة، وارتهان اقتصاديات هذه البلدان بالدول الرأسمالية والصناعية الكبرى، وهدر الثروات العامة، وارتفاع معدلات المديونية الخارجية.

وعند هذا يأتي الاستعمار باسم تأمين المساواة، والعدالة، ولا يزال يردد حتى اليوم شعار "جئنا محررين لا فاتحين[٤]"، لقد أدى الاستبداد لقبول الحل الخارجي للخلاص منه بل

---

(١) الكيلاني: ماجد عرسان، **التعليم ومستقبل المجتمعات الإسلامية في التخطيط الإسرائيلي**، جده- السعودية، ط٢، ١٩٨٥، ص ١٤٣.

(٢) انظر زيدان، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في ظل الشريعة الإسلامية**، ص ١٢٥.

(٣) انظر نزال، **سبل زوال الاستبداد الفكري بين المسلمين**، ص ٣٤-٣٥.

(٤) الجار الله، **تصدح البشرية من ضلال وويلات الاستبداد والعبودية**، ص ٢٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

أصبح التدخل الخارجي وكأنه ضرورة لا بد منها لتحقيق الأمن، والعدالة قال باقر إبـراهيم: باسم درء أخطار عودة نظم الاستبداد مجدداً صار يقبل بقاء قنوات الأجنبـي الطـامع فينـا، وصار من الحق الموافقة على أن تستقر قواعد عسكرية، تغطي أرض الوطن، تحمـي مـن يخاف عودة الاستبداد الداخلي، أنه يؤدي للاستسلام لفكرة الغزو، وأن للاستعمار حق العـودة دون إعلان، لقد أثر الاستبداد على النفوس حتى قال البعض: فليخلصنا الغازي وفيمـا بعـد نصرفه، ونقول له شكراً أديت المهمة فاخرج من بلادنا [1]، كما بين أديب إسحاق أن الجهـل والاستبداد والخيانة قد قضت على الشرق وجعلته هدفاً لسهام الأعداء الأجانب الذين يبررون ذلك بحجة الغيرة على الإنسانية، ومنهم من يتطرق إليه بدعوى إقامة أمر المدينة، وقد أيـدت بقاء الاستبداد في جميع تلك البلاد استبقاءً لأهلها على حال يسهل معها أخذ أوطانهم واستخدام أبدانهم[2].

ومن الأمثلة على واقع الاستبداد المفضي إلى الاستعمار:- ما حصل في تونس حيـث حاول رجال الدولة إزالة الاستقلال الإداري عنها فأرسلوا النصراء إلى فرنسا، مما جعلها تلجأ للدول الأجنبية لتلمس المساعدة، ورجاء الحماية فيسومونها بذلك ما يرومون، فلا تعصي لهم أمراً ولا تخالف لهم رأياً ثم أبطلوا ما لها من حقوق وامتيازات ثم لجـاءوا إلـى المماطلـة، فتعطلت المصالح، وتأخر الإصلاح، مما دفع لتدخل الأجنبي فيما لا ينبغي لـه التـدخل مـن أحوال داخلية وغيرها[3]. كما أن اليمين الأمريكي المتعاون مع الصهيونية يسعى لاسـتغلال

---

[1] إبراهيم: باقر، **الغزو عدوان واستبداد وتعميق للشقاق**، مجلة المستقبل العربـي، سـنة ٢٨، عـدد ٣١٦، ٢٠٠٥، ص ١٥٣-١٥٤، بتصرف.

[2] انظر إسحاق، **الدرر**، ص ١٤٤.

[3] إسحاق، **الكتابات السياسية والاجتماعية**، ص ١٨٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

نضال الشعوب ضد الاستبداد، واستغلال طموحها للديمقراطية بإيقاعها في وهم اللجوء إليه كمنقذ ومخلص، ولطمس الحقيقة بأنه أشد خطراً[1].

وبهذا يظهر أن بين الاستبداد الداخلي، والوهن الخارجي علاقة وجودية فالأمة التي يستعبدها حاكمها تكون مهيأة لئن تستعمرها، وتستعبدها الأمم الأخرى دون إبداء أي قدرة على الدفاع عن نفسها وأرضها، فالهزيمة التي يشعر بها المستبد بهم تدفعهم لتقليد الدول المتقدمة، وبالتالي يسهل احتلالها، والسيطرة عليها، والاستعمار بكافة صوره وأساليبه المتمثلة بإيجاد عملاء من أبناء الشعوب الضعيفة يقومون بدور المستعمر ويمثلون مصالحة، ويسهلون مهامه ودوره.

ومن أوضح الأمثلة وأبرزها في الدلالة على ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التي تجد عند العرب ما يخيفها على حاضرها ومستقبلها، وإن عندهم ما لا يستحقون فتحسدهم عليه، ولذا عمدت إلى مراقبة البلاد وزراعة العوائق أمام تقدمها، سواء كان ذلك بزرع كيانات مستبدة، أو زرع كيانات غريبة عنها في قوميتها، ومخالفة لها في دينها وعقائدها تنازعها الهوية في حضارتها، وتحاربها على أرضها ومائها وسمائها، وعمدت إلى تكرار الاحتلال، وزرع قواعد عسكرية برية، وبحرية، وجوية للسيطرة عليهم وهي تدعى أنها تحارب الاستبداد لنشر قيم الحرية والمساواة، فإنها تحتل الدول بدعوى إزالة الكيانات السياسية المستبدة، وتفرض بدلاً عنها كيانات مصطنعة لا حول لها ولا قوة ولا قدرة لها في البقاء سلطة على شعبها إذا حاولت التحرر من نفوذه[2].

فالاستعمار يعزز الاستبداد ويغذيه، والاستبداد يستقدم العدوان الخارجي ويوفر له مقومات النصر، العدوان الخارجي يقدم للمستبد ذريعة وطنية لقمع أي شكل من أشكال

---

[1] انظر إبراهيم، **الغزو عدوان واستبداد وتعميق للشقاق**، ص ١٥٤.

[2] انظر نزال، **سبل زوال الاستبداد الفكري بين المسلمين**، ص ١٦٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

المعارضة، وأي مظهر من مظاهرها، ووصم معارضيه بالعمالة، والخيانة الوطنية، والاستبداد يقدم الذرائع للعدوان الخارجي ثم يقدم له البلاد لقمة سائغة، وكلما زادت التبعية للأجنبي تصاعد الاستبداد الداخلي بحيث يكون المواطن هو عبد العبد، والأجنبي هو سيد السيد.

المطلب الثاني:- آثار الاستبداد على المستبد

إن الاستبداد وباء فتاك مُدمر على مختلف الصعد والمجالات، وكما أن له آثاره المدمرة على المستبد بهم، فإن المستبد هو أول ضحية لأعماله التي يقوم بها تجاه الآخرين ويليه بطانة الفساد والشر المحيطة به، فإنه يجر عليه الويلات والمصاعب مما يجعله خائفاً حريصاً على إحاطة نفسه بالجيوش المدربة، القادرة على حمايته مما يتهدده من الأخطار في كل زمان ومكان، يتخبط في حياته ولا يستقر على حال، يجني ما زرعته يداه من بذور الفساد والفتنة، وغالباً ما ينتهي أمره بالخلع أو القتل.

فانفراد المستبد برأيه وامتناعه عن المشورة يؤدي لإصابته بعثرات كثيرة، ومصائب عديدة، لأن الإنسان مهما بلغ من الذكاء، والفطنة، والنباهة، والعلم يبقى محتاجاً للآخرين فهو لا يحيط بكل شيء علماً،قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:- "المستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل"، وكذلك"من استبد برأيه هلك"، وقال كذلك "خاطر بنفسه من استغنى برأيه[1]".ومن أبرز الآثار التي تلحق بالمستبد نتيجةً لأعماله، وأخطرها نذكر:

١-الكراهية بين الحاكم والمحكوم:

إن فترات حكم المستبد عذاب لا ينسى، ولحظات سلطانه ذكريات لا تمحى، إلى درجة يمكن القول معها إن الشيطان رأى لنفسه أستاذاً بين بني البشر، لذا كان من أبرز الآثار التي تلحق بالمستبد كراهية الآخرين له، فالقلوب تكره المستبدين والألسنة تدعو عليهم، والشعوب

---

[1] المجلسي، **بحار الأنوار**، ج٧٢، ص٩٨و١٠٤و١٠٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

تترقب يوم الخلاص منهم، فتفشي الاستبداد يسبب ضيقاً لدى الفرد الذي يضار منه، فترتفع بذلك شحنات العداء مستهدفة المستبد، الذي يعلم أن سمعته مضغة في الأفواه، وأنهم لن يتركوا إلا أسماء سيخجل من حملها الأبناء والأحفاد.

قال أرسطو: "إن الكراهية تتعلق دوماً بالطغاة، أي بشخصهم لكن الاحتقار الذي يتعرضون له في أحوال كثيرة هو الذي يؤدي إلى سقوطهم، فهم إذ يعيشون في المتع والملذات إنما يصبحون عرضة للازدراء الرخيص، ويقدمون لأعدائهم عدة مناسبات وفرص للانقضاض عليهم[1]". وقال توماس فريدمان: "يظهر في عيونهم الحقد الدفين، يعبرون من خلاله عن كل الأشياء التي لا يستطيعون قولها جهراً، وما يحسون به في داخلهم،يضعونها في أعينهم على شكل نظرات ثاقبة تنم عن حقد دفين[2]". فمن الصفات الملاصقة للمستبد لعنة شعوبهم التي تلحقهم في مماتهم بصوت عالٍ كما لحقتهم بصوت منخفض في حياتهم.

يكره الناس المستبد، ويكرهون القانون (قانون القمع والتجاوزات، قانون الاستثناءات الخاصة والتعقيدات البيروقراطية التي لا مرجعية لها سوى الضرورات الأمنية، وليس القانون العادل، إنهم يكرهون القانون الذي يضفي صفة الشرعية على القمع، والتحكم بالحريات وتضييق الهوامش، وشل حركة الاقتصاد، والتضييق على الاستثمارات، ويكرهون القانون الذي يسن لتقييد حركة الناس وافتقارهم وتلبية مصالح الديكتاتور وحاشيته وأقربائه، ويترتب على ذلك كراهيتهم لرجال الدولة في مختلف المواقع (رجل الشرطة، ورجل الجمارك، ومحصل الضرائب) بل وتمتد هذه الكراهية لأوطانهم فتتراجع قيم الانتماء، ويتحول الوطن إلى ساحة مستباحة من الانتهازية، والفساد، والإثراء غير المشروع، فيتحول إلى مكان يسامون فيه الذل ويتجرعون مرارة الفقر، وموت قيم المحبة والتسامح بدل أن يكون واحة

---

[1] انظر خنافر، **في الطغيان والاستبداد والديكتاتورية**، ص ١١٥.

[2] الربيعي، **سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور**، ص ٦٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

للتنافس الشريف والبناء المخلص وينتج عنها كارثة أخلاقية، ووطنية يتجلى فيها الدمار الحقيقي[1]. كما يتعلم الناس كراهية كل ما يمت إلى جهاز الحكم أو يسوق شعاراته ويبرر أخطاءه ويغطي على جرائمه.

إن حالة الخضوع تبذر في وجدان الشعب المقهور أنماطاً مختلفة من الكراهية، والحقد، وما حالات الانتقام العشوائي من رموز السلطة الاستبدادية حال انهيارها إلا تعبير عن حالة البركان الخامد الذي يتفجر فجأة ويدمر كل شيء[2]. فحكم المستبد يمثل العبودية المذلة للإنسان في أقبح صورها، هي مرحلة عذاب ودموع في حياة الشعوب تتمثل في الاستبداد أو بسلب قيم العدل والحرية. والعنف يولد الأحقاد والأعداء، وهو ما يتطلب رفع مستوى الحيطة والحذر عن المتسلط المستبد، فالعنف والقمع يلعب دوره في زرع الرعب والخوف عند الأغلبية ويجبرها على الخضوع.

إن أساليب المستبد وآلياته التي يمارسها لفرض سيطرته، وإحكام قبضته على المجتمع وقواه، يجعل الذاكرة تمتلئ بالثارات الشخصية، وتعبأ النفوس بالأحقاد المتراكمة، قال عبد الملك بن مروان: "يا معشر قريش إنكم لا تحبوننا أبداً وأنتم تذكرون يوم الحرة، ونحن لا نحبكم أبداً ونحن نذكر مقتل عثمان[3]" وقال الغزالي: "إن هناك حكاماً حفروا خنادق بينهم وبين جماهير الأمة، فشهواتهم جامحة لا يؤتمنون على دين الله، ولا دنيا الناس وقد عاشوا آماداً طويلة والشعوب تدعو عليهم، ولا تراهم إلا حجارة على صدرها توشك أن تهشمه، انتفع بهم الاستعمار في إفساد البيئة حتى لا تثبت فيها كرامة فردية ولا حرية اجتماعية[4]".

---

[1] انظر منصور: محمد، **الصندوق الأسود للديكتاتورية**، دمشق-دار كنعان، ط١، ٢٠٠٥، ص ٤٨-٥٢.

[2] انظر الربيعي، **سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور**، ص ٦٩.

[3] السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص ٢١٥.

[4] الغزالي، **الفساد السياسي**، ص٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فتعسف السلطة، وممارسة الحكم بما يخدم مصلحة الحـاكم لا مـصلحة المحكـوم، والتحلل من جميع القوانين والتفلت من قيودها، ومجاهرة الحاكم بأفعاله باعتماد سبل التخويف أساساً للعمل، واعتماد الحاكم على العنف، وممارسة الحكم بغيـر مـا أنـزل الله، والظلـم، والرشوة، والمحاباة، والمحسوبية، والتجسس، والغش، والكذب، والإيذاء وغير ذلك من وسائل لتحقيق مصالحه، كلها تدفع الأفراد إلى كره المستبد، فكل حاكم يعتبر السلطة وسيلة لإرضاء مطامعه دون أي اعتبار لمصالح الآخرين هو مغتصب لحقوقهم، لأن السلطان إذ يبحث عـن مصالحه الشخصية يبتعد عن شعبه، ويغدو لا مبالياً به، مما يجعله مكروهاً ومحتقراً، ويحكـم عليه بالعيش في عزلة أخلاقية.

إن الإفساد الذي يمارسه المستبد تظهر نتائجه بعد سقوط سلطته، حيث تلجـأ الفئـات المقهورة إلى أساليب الثأر، والانتقام دون تمييز؛ لعجزها عن التعبير في حيـاة المـستبد، إن كراهية المستبد تمتد حتى بعد خلعه أو انتهاء حكمه بالثورة والنفي وغير ذلك، وإن من أشد ما يصاب به الإنسان إحساسه بكراهية الناس له، وأن تظل ألسنه البشر تردد بملء أفواههـا ألا فلتلعنه السماء يوم ولد، ويوم يموت لأنه خان القيم، وارتد عن الدين، وعذب شعبه، وإن أكثر ما يرعب المستبد ما يكمن في عيون الناس المقهورين من كراهية، وحقد ضده لأنه يعي عدم صدق نياتهم وإدعاءاتهم بالولاء وأنهم يتحينون الفسحة الملائمة للانقضاض عليه، وفي الوقت نفسه لا يمكنها توجيه ضربات استباقيه من دون مؤشرات لردود فعلهم، حيث أن الناس تتمنى زوال المستبد في أسرع وقت، ونتيجة لهذه الكراهية فقد نفى رسولنا الكريم صـلى الله عليـه وسلم الخيرية، عن هذا المستبد، حيث قال عليه الصلاة والسلام: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنوكم[1]).

٢-الخوف وفقدان الثقة بالآخرين.

إن أكبر ضحية للاستبداد هو المستبد ذاته كما قدمنا، حيث يعيش في حالة رعب دائم، لأن حياته مليئة بالمؤامرات، والقلق، والخيانات، لا يصادق أحداً، ولا يثق بأحد، ولا يطمئن لأحد، يشك في جميع الناس دون تمييز، وكلما زاد ظلمه لرعيته ازداد خوفه من الجميع رعيته، حاشيته، وحتى هواجسه، وذلك لإدراكه مدى كراهية الآخرين له، وكلما ازدادت مظاهر التأييد والولاء له تولد لديه إحساس بالعزلة، والخوف لاعتقاده بالرفض، وما هذه المظاهر المخادعة إلا تحاشي يبديه الجمهور له لكنه يتحين الوقت المناسب للتآمر عليه.

يخاف المستبد من رعيته لعلمه بما يستحق منهم، كما يخاف من العلم لما له من سلطان على العقول، وإن مما يدفع المستبد لظلم رعيته، وممارسة العنف والقمع ضد الآخرين خوفه الشديد من نقمة تلك الرعية، وقلقه تجاه ما ينتظره مستقبلاً، وأشد خوفه من حاشيته وأعوانه المقربين الذين غالباً ما يبطشون به لشده معاناتهم من جوره، وتبدل أهوائه، وهذا ناتج عن إقراره بأن ما قد أوقعه بشعبه من ظلم، وحرمان وانتهاك للحقوق ومصادرة للحريات والآراء يستحق عليه أغلظ القصاص، فيحصن نفسه بكل الوسائل المتاحة مهما كانت وحشية ولا إنسانية، وكما قال ابن خلدون "فإنه يجدع أنوف العصبيات ويفلح شكائمهم عن أن يسعوا إلى مشاركته في التحكم، ويقرع عصبيتهم عن ذلك، وينفرد به ما استطاع، حتى لا يترك لأحد منهم في الأمر لا ناقة ولا جملاً، فينفرد بذلك المجد بكليته، ويدفعهم عن مساءلته[2]". حتى إن سلطة الاستبداد قد تعلن عن عدو وهمي يحوك المؤامرات للإطاحة بسلطتها، وتوكل أمر

---

[1] مسلم، **الصحيح**، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم، ج ٣، ص ١٤٨١، رقم ١٨٥٥.

[2] ابن خلدون، **المقدمة**، ص ١٩٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

البحث، وإلقاء القبض عليه لأجهزتها الأمنية، ومنحها الحق للتعامل معه بالعنف والقسوة والاعتراف بما يحوك من مؤامرات ضدها[1].

كما أن خوف المستبد وقلقه يجعله يلجأ إلى السحرة، والمشعوذين، والمنجمين لكشف الطوالع وحركة النجوم، كي يتخذ قراراته الهامة أو المصيرية في ضوء ما ينصح به هؤلاء، كما كان يفعل هتلر ووزيره غوبلز وهم يستندون في القرارات الكبرى إلى كاريل، وإلى تنبؤات النجوم المذهلة[2] كما حصل لفرعون عندما أخبره الكهنة بأن ملكه يزول على يد أحد ذكور بني إسرائيل فقام بقتلهم.

٣-سوء العاقبة في الدنيا والآخرة:

لقد جرت سنة الله أنه لا عقوبة إلا بذنب، فالذنب يجلب العقوبة، والعقوبة تتنوع بتنوع الذنب، وإن التاريخ ما هو إلا سلسلة من الصراع بين القوى الشيطانية بما تمثله من استبداد سياسي، وظلم اقتصادي، وانحراف اجتماعي وبين عشاق الحرية ومناصري العدل، والباحثين عن الأمن، والاستقرار، وسنة الله في المستبدين هي إنزال العقاب بهم في الدنيا والآخرة، وهي سنة ماضية لا تتخلف، ولا تتغير لأن المستبد رأس كل خطيئة، والداعي لكل رذيلة، وأساس كل فتنه، ولذا كان أول المعاقبين، وأشدهم أخذاً من الله، فالعقوبة بحسب الذنب، ولا يوجد أدعى إلى سلب النعم وحلول النقم من الاستبداد.

إن المستبد ينال جزاء ما اقترف من آثام بحق نفسه، وبحق الآخرين، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ سورة النحل، آية ١١٨.

---

[1] انظر الربيعي، **سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور**، ص ٩١.

[2] انظر الأنصاري، **قصة الاستبداد**، ص ٦٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

فلا بد أن يلقى المستبد مصيره، والنتيجة الحتمية لأعماله هي الهلاك المحقق في الدنيا والآخرة، فما من مستبد إلا وصل بجماعته إلى الهاوية فضاع وضاعوا معه، لأن الاستبداد يقود إلى الكفر، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ سورة البقرة، آية ٢٥٧، وذلك لأنه يؤدي إلى كفر الإلحاد بإحلال الحرام، وإحرام الحلال، بل إنه يرى نفسه فوق الآخرين، وأنه مشرع لهم وقد يساوي نفسه بالله في القدرة على بعض الأفعال كالإماتة والإحياء، كحال النمرود، فيستبيح كل حرام، ويرتكب ما يريد، وقد اقترن لفظ الكفر بالطغيان، فقال سبحانه: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ سورة الكهف، آية ٨٠. فإن هلاك المستبد فرداً أو جماعة أو حكومة أو أُمة هو هلاك مؤكد بظلمهم.

ولقد جاءت نصوص القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة حافلة بذكر مصير المستبد في الدنيا والآخرة، وإن ورد بألفاظ أخرى بينا فيما سبق أنها مرادفة للفظ الاستبداد، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ سورة الفجر، آية ٦-١٤، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس.... [1]). ومر هشام بن حكيم بالشام على أناس وقد أقيموا في الشمس وصب على رؤوسهم الزيت، قال ما هذا؟ قالوا: يعذبون في الخراج،

---

[1] مسلم، **الصحيح**، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، ج٣، ص١٦٨٠، رقم ٢١٢٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

قال: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا(١)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه من سبع أرضين(٢)).

ولقد اختلفت نهايات المستبدين فمنهم من أهلكه المرض، ومنهم من أصدر عليه حكم الإعدام، ومنهم من ثار عليه شعبه وقتله، فكل مستبد لا بد أن يسقط بين يدي معارضيه طالبي الحرية، فإنه مهما استبد، ومارس القتل، وسفك الدماء، فإنه سيلقى نهايته لأن الظلم لا يدوم، والظلام له نهاية، وإن الشعوب وإن غفلت عن مفاسد الاستبداد أحياناً فسكتت عنه وأسلمت قيادتها للمستبد وسارت خلفه مغمضة العينين، ولكنها لا بد أن تفيق .

كما أن الاستبداد يؤدي إلى هلاك أعوان المستبد ومناصريه، وكذا الشعوب التي تسلم قيادتها إلى المستبد دون سؤاله لم أو كيف؟ فكل من شارك المستبد ومن سكت لغير عذر فهو منهم، ولذا فالأتباع والمتبعون في العقوبة سواء، لأن المستبد لا يقوى على الظلم وحده دون مساندة أحد، ولذا قال تعالى:﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ سورة هود، آية ١١٣. قال الزمخشري: فالنهي متناول للانحطاط في هواهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم، ومجالستهم وزيارتهم، ومداهنتهم، والرضا بأعمالهم، والتشبه بهم والتزيي بزيهم، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم(٣) وقال ميمون بن مهران: "الظالم والمعين على الظلم والمحب له سواء(٤)".

---

(١) مسلم، **الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق، ج٤، ص ٢٠١٧ رقم ٢٦١٣.

(٢) البخاري، **الصحيح**، كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض، ج٢، ص ٨٦٦، رقم ٢٣٢١. ومسلم، الصحيح كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، ج٣، ص ١٢٣١ رقم ١٦١٢.

(٣) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل**، ج٢، ص ٤٣٣.

(٤) الخرائطي: أبو بكر محمد بن جعفر، **مساوئ الأخلاق ومذمومها وطرائق مكروهها**، بيروت- مؤسسة الكتاب الثقافية، د-ط، ١٩٩٣، ص ٢٧٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ سورة سبأ، آية ٣١-٣٢، وكلاهما ظالم:هذا ظالم بتجبره وطغيانه وتضليله، وهذا ظالم بتنازله عن كرامته وحريته وإدراكه وخضوعه للبغي والطغيان، وكلهم في العذاب سواء[1] لأن طاعة المستبد تخرج من يمارسها من النور إلى الظلمات، وإعانته ذنب عظيم، يجلب العقوبة من الله، فيعيش الناس في ظلمات تسبب لهم العذاب، وتفقدهم القدرة على الرؤية الصحيحة للأحداث، فإلغاء الشخصية والتنازل عن الحرية، وإتباع المستبد جريمة يستحق عليها الخاضعون الهلاك في الدنيا والآخرة، فالسكوت على الحاكم الظالم والرضوخ إليه، والاستكانة له، ومعاونته تعمل على بقاء الظالم في الحكم، وإن إعانته تبتدئ من مجرد الإقامة على أرضه.

ومن النصوص الدالة على عقوبة الأعوان المباشرين، والأمة المسالمة: قال تعالى مخبراً عما حاق بآل فرعون من العذاب: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سورة القصص، آية ٤٠.

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص ٢٩٠٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أو قال المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقابه"[1]).

فهذه النصوص وغيرها بيان أن كل من شارك المستبدين في أفعالهم التي أدت إلى هلاكهم فلا بد أن يشاركهم في عقابهم، فمن رضي بالذل أذله الله وحرمه حياة العزة والشرف.

إن سكوت الأفراد عن جرائم المستبد، ورضوخهم لجبروته كلفهم ثمناً باهظاً جداً ومن ذلك أن الدارس للتاريخ يفاجئ بالشعبية التي يتمتع بها المستبد، فبعض الحكام استمروا في السلطة بتأييد من رعاياهم الذين كانوا مولعين بهم، وبقوة سواعد هؤلاء الرعايا وسلاحهم، انتخب هتلر مستشاراً لألمانيا عام ١٩٣٣ بطريقة ديمقراطية، ولم يكن برنامجه خافياً على أحد، وكان إيفان الرهيب، وستالين يتمتعان بطاعة من جانب غالبية رعاياهم[2].

---

[1] ابن حبان، **الصحيح**، كتاب البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج١، ص ٥٣٩، رقم ٣٠٤، والترمذي، السنن، كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، ج٤، ص٤٦٧، رقم٢١٦٨، وأبو داوود، **السنن**، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ج٤، ص١٢٢، رقم ٤٣٣٨، والنسائي،**السنن الكبرى**، كتاب التفسير، باب تفسير سورة النساء، ج٦، ص٣٣٨، رقم ١١١٥٧،نحوه، صححه الألباني، انظر **صحيح الجامع الصغير**،ج٢، ص١٧١، رقم ١٩٦٩.

[2] انظر صيداوي، **الطغاة في التاريخ**، ص ١٠-١١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثاني

نماذج لبعض المستبدين

إن موضوع الاستبداد موضوع واسع، وشاق يحتاج إلى دراسة معمقة، وشاملة تقتضي تخصيص كتاب مستقل لكل واحد من المستبدين الذين ابتليت بهم البشرية منذ قيام المجتمعات، وحتى أيامنا هذه،فهذا نيرون أحرق روما وجلس يتفرج على مصائب شعبه ضاحكاً، هتلر الذي قاد شعبه والعالم إلى هاوية سقط فيها ومعه خمس وأربعون مليون من العسكريين والمدنيين، وكستالين وغير هؤلاء، وهذه دراسة موجزة لحال اثنين ممن عانت منهم البشرية.

المطلب الأول:- فرعون

الرمز الأكبر من رموز الإفساد في الأرض، والنموذج البشع للاستكبار، والطغيان والتأله، حيث أصبح علماً على الاستبداد، وقائداً معلماً لكل المستبدين من بعده، احتل مكانة متميزة في تاريخ الاستبداد، لقد كان موهوباً، لكنه استخدم موهبته في مملكة الظلام، فصار زعيماً، أبدع في الطغيان وتفنن باختراع أساليب الاستبداد، ولقد ورد ذكر فرعون سبعين مرة في ثمانٍ وعشرين سورة من سور القرآن الكريم، خلد الله ذكره، وما ذلك إلا لأن هذه المعاناة تتكرر كلما تهيأت الأسباب، والظروف المواتية، ففي تكرارها إخبار لهذه الأمة أنها قد تبتلى في كل جيل من أجيالها بحاكم مستبد كفرعون ما دامت الحياة ماضية على الأرض، فالفرعونية إحدى طبائع النفس السقيمة التي لا تزال حية متكررة في كل زمان ومكان، فلم تخل أمة من الأمم على مر التاريخ من فرعون مستبد.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فرعون موسى هو ذلك المستبد الذي بعث الله إليه موسى عليه السلام، وهو شخصية تواتر إلينا النقل بوجوده، ودعوة موسى له، وليس من جنس الشياطين والملائكة، ولقد تميز بحرية التصرف، والسيطرة المطلقة على كافة أمور الدولة، حيث ولد ونشأ في عائلة مالكة تتمتع بالجاه والسلطة.

لقد ناب فرعون عن مصر، وأصبحت مصر هي فرعون، وفرعون هو مصر، ولذا جاءت الآيات تبين إرسال موسى عليه السلام إلى فرعون لا إلى مصر كحال الأنبياء السابقين فقال تعالى﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ سورة طه، آية ٢٤، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ سورة يونس، آية ٧٥، على حين قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ سورة الأعراف، آية ٥٩، وقال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ سورة الأعراف، آية ٦٥، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا﴾ سورة الأعراف، آية ٧٣، وقال عز وجل: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ سورة الأعراف، آية ٨٥.

صفات فرعون:

بين سبحانه وتعالى في كتابه الكريم اتصاف فرعون بعدد من الصفات منها المنصوص عليه بالعبارة الواضحة، ومنها ما يفهم من سياق الحديث، وتسهم هذه الصفات في فهم أوسع لتلك الشخصية، ولقد تتبعت الباحثة بعض النصوص القرآنية الكريمة ذات الصلة، والتي نستطيع من خلالها الوقوف على تحديد دقيق لطبيعة هذه الشخصية، ومن تلك الصفات:

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

١. **الاستكبار:** قال تعالى:﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ سورة المؤمنون، آية ٤٥-٤٨، وغير هذه من الآيات التي تبين استكبار فرعون وقومه، حيث امتنع عن قبول الحق، والإذعان له، وما منعه من ذلك إلا التكبر، والتعظم، والكراهية لهذا الحق بسبب الخوف على الأهواء والمصالح.

وبسبب النظرة الاستكبارية لفرعون وقومه فإنهم (رأوا كل من سواهم حقيراً بالإضافة إليهم، ولم يروا العظمة والكبرياء إلا لأنفسهم، فنظروا إلى غيرهم نظر الملوك إلى العبيد في الأرض[1] ولذا أخبر تعالى عنهم قولهم ﴿ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ سورة المؤمنون، آية ٤٧

٢.**العلو:**- قال تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ سورة يونس، آية ٨٣، لقد رأى فرعون من نفسه أنه فوق مستوى البشر، ولذا بغى وظلم واستبد وطغى وقد استعلى بسبب امتلاكه للمال والجاه والسلطان والقوة البدينة والعسكرية، ولذا أخبر سبحانه عنه قوله: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ سورة الأعراف، آية ١٢٧.

٣.**الظلم:**- قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ سورة الأعراف، آية ١٠٣، لقد ظلم

---

[1] الألوسي، **روح المعاني**، ج٢٠، ص ٨٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فرعون نفسه، وقومه والآخرين فادعى الألوهية، وكذب بكل ما جاء من آيـــات ومعجـــزات، وأذل الناس، وسفك الدماء وغير ذلك.

٤ .**الإفساد:**- قال تعـــالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ سورة القصص، آية ٤، لقد استبد فرعون فأفسد الأرض بالمعاصي والتجبر والقتل وإلحـــاق الأذى بـــالأفراد، وصد الناس عن سبيل الله، فأصاب الخلل كافة مناحي الحياة، وكان حريصاً على قمع ومنـــع أي حركة إصلاح تظهر على وجه الأرض لما فيها من تهديد لسلطاته وحكمه.

٥. **المكر:**- هذه الصفة الملازمة لشخصية فرعون في كل حركاته وتصرفاته، فنظراً لما يقوم به من أعمال ضد قومه والبشرية كافة فذلك كله يحتاج لهذه الصفة لتبريـــر تـــصرفاته، ولتحقيق النجاح في أعماله، وإن لم يأت التعبير عن هذه الصفة صراحة في القرآن الكريم إلا أن أعمال فرعون تدل عليها دلاله واضحة.

٦.**الطغيان:**- قال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ سورة طه، آية ٢٤، تجاوز فرعون الحد في ارتكاب الجرائم والمعاصي وأفرط فيها، فعذب وقتل، وصلب والأخطر مـــن ذلك ادعى الربوبية، ونتج هذا بسبب استغنائه بقوته، وماله، وأتباعه، وهذا ما يفـــسد الفـــرد ويقوده للجريمة، ويفسد علاقاته بالآخرين نتيجة لما يمارس ضدهم من أساليب قهر، وظلـــم، واضطهاد.

٧.**الاستبداد:**- اختصر فرعون مصر في شخصيته، فكان يرفض الاســـتماع للـــرأي الآخر، ولا يقبل وجوده ابتداءً، فهو ينظر إليهم أنهم عبيد عنده مـــا علـــيهم ســـوى الـــسمع والطاعة، وتنفيذ الأوامر، وأنه ربهم الأعلى الذي يملك الرؤية الحق والسليمة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

لقد مارس كافة الطرق، والأساليب، واستعان بالعديد من الوسائل التي تساعده في الحفاظ على سلطته وجبروته، ومما جاء من آيات قرآنية كريمة تدل على استبداده، قال تعالى﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ سورة يونس، آية ٨٣، وقال سبحانه مخبرا عنه وقومه ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ﴾ سورة غافر، آية ٢٥، كما أنكر على السحرة الإيمان دون إذنه، قال تعالى مخبراً بقوله لقومه: ﴿ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ سورة طه، آية ٧١.

إن هذه الصفات تقود جميعها إلى ما كان يقوم به فرعون من الظلم، والتجبر، والقهر، والتسلط على الآخرين ومصالحهم، ومنعهم من ممارسة حقوقهم المشروعة، والتحكم في حياتهم وتصرفاتهم، وما تفصيلها، وتقسيمها إلا إشارة إلى شدتها، وبالغ أثرها على من يتصف بها وعلى الآخرين.

الأساليب والوسائل

اتبع فرعون عدداً من الأساليب، واستعان بعدد من الوسائل التي تكفل له تحقيق أهدافه وغاياته، والتي تؤدي إلى تثبيت حكمه، ومنحه القوة لمواجهة أي معارضة، أو تحدٍ، ولقد تنوعت هذه الأساليب بين الترغيب والترهيب، التعذيب والإغراء، وقد تقدم ذكر بعض الأمثلة من ذلك متفرقة فيما سبق، ومن ذلك:

١-**التعذيب من تهديد، وسجن، وقتل، وغير ذلك:**- مارس فرعون ضد بني إسرائيل التعذيب بشتى صوره، فكان يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، ويكلفهم من الأعمال ما لا

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يطيقون، قال تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ سورة البقرة، آية ٤٩، ومن ذلك أيضا تعذيبه لزوجته، قال ابن مسعود في قوله تعالى: (ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد) وتد فرعون لامرأته أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رحىً عظيمة حتى ماتت[1]. وها هو يهدد موسى عليه السلام بالسجن، قال تعالى مخبراً عن قوله لموسى عليه السلام:﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ سورة الشعراء، آية ٢٩.

أسرف في سفك الدماء، واستعمال القتل كوسيلة للحفاظ على ملكه، ذلك لأن القتل ينشر الخوف، والرعب في النفوس، فإن حب الحياة هو الذي دفع الكثير من الأفراد لتقبل الذل، والقهر الممارس ضدهم، فها هو يصدر الأوامر بقتل الذكور من بني إسرائيل، لأن الكهنة أخبروه أن زوال ملكه يكون على يد أحد أبناء بني إسرائيل،فكان القتل أسهل، وأسرع طريقة للتخلص من الخصوم والمعارضين، وفكر بقتل موسى وأعد لذلك عدته، قال تعالى مخبراً عنه﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ سورة غافر، آية ٢٦، كما أمر بقتل زوجته بعد أن عرف بإسلامها.

كما أن السجن وسيلة يستخدمها المستبد للتخلص من معارضيه وخصومه، فيحطمهم نفسياً،وجسدياً، ولا يخفى ما للسجون من أثر على الفرد والمجتمع، وقد قيل أن سجن فرعون كان أشد من القتل، وأنه كان إذا سجن أحداً لم يخرجه من سجنه حتى يموت[2].

---

[1] الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب التفسير، تفسير سورة الفجر، ج٢، ص٥٦٨، رقم ٢٩٢٩، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٣، ص ٩٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٢-**إلهاء الأفراد عن واقعهم:**- حرص فرعون كحال غيره من المستبدين على بقاء المجتمع جاهلاً، بعيداً عن العلم الذي ينور بصائرهم، ويكشف لهم حقوقهم وواجباتهم، لما فيه من تهديد لأمنه وسلطانه فمنع حرية الرأي، ونشر الخرافات والأوهام، وكما ساهم الكهنة في نشوء الشخصية الفرعونية بكل ما فيها، فهم كذلك كانوا دعاته لنشر الأباطيل بين الناس، لإبقائهم سادرين في جهلهم، مما يمكنه من إحكام سيطرته عليهم والحفاظ على سلطته، فعمل على إشغال الأفراد عن واقعهم ومشاكلهم، وصرفهم عن التفكير بها، قال سيد قطب: "إن الطغاة المستبدين يعزلون الجماهير أولا عن كل سبل المعرفة، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها، ولا يعودون يبحثون عنها، ويلقون في روعهم ما يشاؤون من المؤثرات حتى تنطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة، من ثم يسهل استخفافهم بعد ذلك ويلين قيادهم، فيذهبون بهم ذات اليمين، وذات الشمال مطمئنين[١]".

٣-**الكذب والافتراء:**- بنى فرعون على الكذب نظام حياته، فادعى أنه الرب الأعلى، وكذب موسى عليه السلام وما جاء به من الحق، يلجأ فرعون وغيره من المستبدين الجبابرة للكذب باعتباره وسيلة لإظهارهم بمظهر العدول الصادقين، الحريصين على مصالح الأفراد وحياتهم، ويعمد إليه لكونه وسيلة ناجعة في الوقوف في وجه الحق ودعاته، ومنع انتشاره بين الناس، إنهم يتقنونه ويمارسونه بكثرة لماله من دور في خدمة مصالحهم، فلقد فرق بين الناس، وشتت شملهم، وأثار بينهم النزاع والشقاق، فالكذب وسيلة المستبد في تقديم نفسه للناس وإظهار نفسه بما يخالف واقعه، كما أنه وسيلته للرد على الحق وأهله.

٤-**السيطرة الاقتصادية:**- ونظراً لما للمال من أهمية في حياة الأفراد والجماعات كما قدمنا، فإن المستبد يلجأ للسيطرة على مصادره، والحرص على جمعه، والتصرف فيه كما

---

[١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص ٣١٩٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يريد، ولقد امتلك فرعون المال الكثير، فكان صاحب المال كله، فجعله وسيلة لإظهار شخصيته وتثبيت نظامة، ومما يدل على قوته المالية: الصرح الذي أمر ببنائه، والأجر الذي وعد السحرة بإعطائهم إياه بعد انتصارهم، وغير ذلك

لقد استخدم فرعون هذا المال في محاربة العقائد، والتخطيط للفتن والدسائس، وإضلال الناس، ووسيلة للتفريق بين الأفراد ومنع وحدتهم، حفاظاً على مصالحه، سواء كان هذا بالإغراء الذي يحدثه مظهر النعمة في نفوس الآخرين، أو القوة التي يمنحها المال لأصحابه، فيجعلهم قادرين على إذلال الآخرين وإغوائهم.

٥-**السيطرة العسكرية:**- ارتبط ظهور المستبد في أي زمان ومكان بإنشاء جيش لحماية الممتلكات، وجمع الثروة، والدفاع عن السلطة، وقمع المعارضين، وتعذيب الخصوم، وغير ذلك من وسائل تناط بهذه القوة التي يحرص المستبد على وجودها بجانبه، فيوفر لهم ما يحتاجونه، ويكون حريصاً على ضمان ولائهم له، فإن هذه القوة أداه في يد المستبد لإرهاب الناس، وإجبارهم على الخضوع.

لقد كان لفرعون جيش كبير، سخره لخدمته والدفاع عن مصالحه، قال تعالى:﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ سورة يونس، آية ٩٠، وشملت السيطرة العسكرية أجهزة المخابرات المتمثلة بالعيون والجواسيس المبثوثة بين الناس لالتقاط الأخبار ومراقبة الحركات.

٦.**وسائل الإعلام:**- كان فرعون يلجأ لبث برامجه، وأحكامه عبر وسائل الإعلام التي تمثلت في السحرة قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ سورة يونس، آية٧٩، وقع على عاتق هؤلاء السحرة إعلام الناس بالخطوط الحمراء لكيلا يتجاوزوها، وتمجيد فرعون، والإعلاء من شأنه، وبيان دوره ومكانته، والحاجة إليه، وأنه الوحيد

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

القادر على إدارة البلاد بحكمه وعدالة، وهم الذين ينقلون أحكامه للناس لتنفيذها والتمسك بها، كما وجه حملاته الإعلامية نحو موسى عليه السلام، ودعوته بهدف تشكيك الناس في دعوته، وتشويهها، والتحريض ضده.

استبد فرعون برأيه، وظلم نفسه وقومه فاستعبدهم، وحجب عنهم رؤية الحق بما كان يدعيه من الربوبية، وبأنه صاحب السلطان الرحيم بهم، الحريص على مصالحهم، الحاكم العادل الذي ينتصر للمظلوم، ويعاقب الظالم، صاحب الرأي السديد، والعقل الرشيد، الذي لا يخطئ، هو الحكمة، والشجاعة، والكرم، والعلم، وما عداه فلا وزن له، ولا قيمه، وإن هذا الشعور بالتميز والتفوق مع غيره من الأسباب هو الذي أدى إلى تشكل هذه الشخصية الظالمة المستبدة، صاحبه الحق في كل شيء، والمالكة لجميع الخيرات والثروات، وانطلاقاً من ذلك استغل شعبه، وأخافهم، ومارس ضدهم كافة أساليب العنف والقهر والقسوة، مبرراً ذلك بالخوف عليهم مما جاء يدعوهم إليه موسى عليه السلام، وقد ترتب على ذلك عدد من الآثار والنتائج عليه وعلى قومه وأنصاره في الدنيا والآخرة، كما قدمنا، وقد بين القرآن الكريم سبل الوقاية من تكون مثل هذه الشخصية المستبدة، كما وتبين سبل علاجها إن وجدت

المطلب الثاني:- مصطفى كمال أتاتورك

شخصية عسكرية بارزة، عميل لأعداء الإسلام، نموذج لقمع الحرية والتعددية، حكم تركيا وأقام فيها الدولة بالحرب، اتسم حكمه بالاستبداد، وكبت الحريات، فكان مستبداً من الدرجة الأولى، مسخ تاريخ أمة، وكان يلقي في غيابة الجب كل من ينتقده أو يعارضه، أقام العديد من الثورات للوصول إلى مكاسب دنيوية، ليس له مثيل في الرغبة في السلطة والسيطرة، كان طاغوتاً جباراً سفاكاً للدماء، سلاباً للأرواح، يهتك الأعراض، وينهب الأموال.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

كان أتاتورك محباً للوحدة منذ طفولته، فلم يكن يهدأ حتى يوضع في غرفته وحدة، كما كان يحب السلطة، قال صديقة أنور وهو يناقش أعضاء جمعية الإتحاد والترقي حول ترقيتة: ليكن في علمكم أن مصطفى كمال إذا ترقى إلى رتبه الباشا، فإنه يرغب أن يكون سلطاناً، وإذا أصبح سلطاناً فإنه يرغب أن يكون إلهاً[1].

انعكس حبه للوحدة منذ صغره على تصرفاته وسلوكه في كبره، فكان لا يستشير أحداً في أي أمر مهما كان. وتبعاً لذلك كان يرى أنه صاحب الرأي والأمر، وما على الآخرين سوى الطاعة والانقياد، فكان لا يطيق نقداً، ولا يحتمل مناقشه، ولا أخذاً ورداً، بل إن أوامره واجبة التنفيذ مهما كانت، فكان يقول: "نحن لا نريد شرعاً فيه قال وقالوا، ولكن شرعاً فيه قلنا ونقول[2]"، ومما يدل على استبداده إقامة الاجتماعات، والمعاهدات، والاتفاقيات السرية مع الأطراف الأخرى في شؤون تخص البلاد بأسرها، وتقرر مصير أبنائها ومن ذلك اجتماعاته مع الانجليز واليهود وغير ذلك لمساعدته في تحقيق أهدافه وأطماعهم.

قام باستغلال انتفاضة قادها الشيخ النقشبندي سعيد في المناطق الكردية سنة ١٩٢٥ لفرض قانون الحفاظ على النظام العام الذي أعطى سلطة مطلقة لاثنين من محاكم الاستقلال المزعومة لمحاكمة الخصوم السياسيين، حيث أنه لم يعد مستعداً لتقاسم سلطته مع أية جماعة اجتماعية، أو سياسية أخرى سبق لها دعم قضية في حرب الاستقلال، ففي غضون عامين اثنين أصدرت هذه المحاكم أحكاما بإعدام ما يزيد على خمسمائة شخص مما أفضى إلى إخماد

---

[1] ضابط تركي سابق، **الرجل الصنم**، ص ٩٠.

[2] الحوالي، **العلمانية**، ص٥٧١، نقلاً عن حاضر العالم الإسلامي، ج٣، ص٣٤٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

جميع قوى المعارضة بما فيها قيادات عسكرية رفيعة، وعدد من رفاق مصطفى في السلاح أثناء حرب الاستقلال[1]

حكم أتاتورك:-تولى حكم البلاد في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٣-١٩٣٨، حيث تم انتخابه أربع مرات متتالية، ويدل ذلك على ضعف الشعب، ودوره في إنتاج المستبد، وتشكيل شخصيته حيث تم تكرار انتخابه، على الرغم مما تحمله القلوب تجاهه من حقد وكراهية، تجسدت في محاولات الاغتيال المتعددة التي تعرض لها.

إن المتتبع لتاريخ مصطفى كمال يجزم أنه وحده حكم تركيا حكماً مطلقاً، لا ينازعه فيه أحد، حكماً دكتاتورياً يقوم على السحق والإبادة والدماء، قال يوماً لخالدة أديب: "إن النظام الوحيد الناجح في نظم الحكم هو حكم الرجل الواحد المطلق اليد، سوف أجعل كل إنسان ينفذ رغباتي، ويطيع أوامري، ولن أقبل نقداً أو نصيحة، سأسير في طريقي الخاص، وسوف تنفذون أنتم جميعا ما أريد دون مناقشة[2]" وقد طلب من مجلس النواب عندما كان اليونان يهددون أنقرة أن يعينوه قائداً، ويزودوه بكل سلطات الحاكم المطلق[3]. لقد تبنى النظام السياسي القائم على التشدد، والديكتاتورية بوصفها الممارسة الفضلى من أجل بلوغ أهدافه، فكان مركز السلطة السياسية عائداً إليه.

هيأ أتاتورك كل المستلزمات الضرورية لحكمه الاستبدادي المطلق، فجدد المجلس، وألف الحكومة من معاونيه، وغير نظام الدولة وشكلها بحيث لم يبق هناك أي جبهة منافسة

---

(١) انظر كرامر، **تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد**، السعودية- مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٢-٢٠٠١، تعريب فاضل جنكر، ص ٢٤.

(٢) آرمسترونج، **لكل زعيم قصة**، ص ١٥٠.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ١٦٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

له، فجعل رجاله المسلحين نواباً في المجلس، وكذا جميع القواد، والضباط المعروفين في الجيش نواباً، فكانوا قادة جيوش ونواباً أيضاً بهدف جعلهم تحت يده ومراقبته الدائمة في المجلس، وليحول دون قيامهم وهم على رأس وحداتهم بأية حركة مضادة[1].

ولم يكتف بالقوة فقد لجأ إلى كل ما يعطيه الحق فيما يفعل، فمنع الشعب من الكلام بالسياسية، حيث خاطبهم قائلاً: "فليترك الشعب السياسة جانباً في الوقت الحاضر، وليضع همه في الزراعة والتجارة، إنني ينبغي أن أحكم هذه البلاد عشرة أعوام أو خمسة عشرة عاماً أخرى، وبعدها أستطيع أن أطلق للناس حرية الرأي[2]" فالأمر بيده، يتصرف كيف شاء.

لقد أصبح أتاتورك هو الحاكم المطلق في البلاد بعد أن تخلص من معارضيه جميعاً، واستسلم الشعب التركي لحكمه، وتركزت كل سلطات الدولة في يده، وأصبح حزب الشعب الذي يرأسه هو الآلهة المهيمنة على الحكومة، ولا يخفى أن نظام الحزب الواحد يسلب الأفراد حرية النشاط السياسي، وهذا ما حصل في تركيا خلال حكم أتاتورك، وسلطة حزب الشعب الذي استمر في العمل حتى عام ١٩٥٠، فكان بؤرة للجبروت والتسلط.

استبد بشعبه وبمعاونيه، وتحكم بأرواحهم، فقادهم إلى الهلاك، دون أن يستشير أحداً في أي أمر مهما بلغ أثره، وتفرد برأيه، وتحكم بمصير أمه، ومنح حزب الشعب الذي يرأسه الحق في ذلك حيث انهمك ليل نهار في تنظيمه. ولقد ظلت مبادئ الحرية الفردية، والتعددية، تتعرض للإعاقة والعرقلة من جانب المستبد الطاغية، وحزبه الغاشم، طيلة فترة حكمه.

أعماله:-أصبح أتاتورك صاحب الأمر والنهي في البلاد، فأحدث تغييرات في نظم وأوضاع تركيا على جميع المستويات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، وغيرها مما يبرز نزعته الاستبدادية الظالمة، ومن تلك الأعمال:

---

[1] انظر ضابط تركي سابق، **الرجل الصنم**، ص ٢٩٨.

[2] آرمسترونج، لكل زعيم قصة، ص ٢٤٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

أولاً: إعلان العلمانية في البلاد، وفصل الدين عن الدولة:- لقد أُحدث في البلاد نهجاً علمانياً غربياً، أدى إلى إحداث تغييرات جذرية غيرت كثيراً من أوضاع تركيا، فقد عرف عنه إهماله للدين في حياته الخاصة، ومخالفته لكل قواعد اللياقة وسخريته من الأوضاع المقدسة، وكان هذا ثمرة البيئة التي نشأ فيها، إضافة لعلاقته بالرهبان في أثناء تعليمه، بل إنه كما قال الندوي "كان يبغض الإسلام والعقيدة الصحيحة ونظراً لتجبره وإلحاده فلم يمنعه شيء أن يعتبر الدين غير لازم لتركيا، وشيئاً لا حاجة إليه وأعطاهم بدلاً عنه الحضارة الغربية[1]".ولتحقيق إلغاء الدين وإبعاده عن التأثير في الأفراد فقد قام بعدة إجراءات، وأصدر عدد من القرارات منها:

- في عام ١٩٣٨ ألغى مادة الدستور المتضمنة أن الإسلام دين الدولة التركية[2].
- قضى على التعليم الإسلامي في جميع المراحل الدراسية، وجعل التعليم مدنياً فقط[3]
- ألغى وزارة الأوقاف، وجعلها تابعة لوزارة المعارف.
- حدد أعداد المساجد ، وقام بإغلاق أكبر مساجد اسطنبول كمسجد أيا صوفيا وحوله إلى متحف، ومسجد الفاتح وحوله إلى مستودع، وقلل من عدد الوعاظ، كما أمر خطباء المساجد بأن تشمل خطب الجمعة الشؤون الزراعية والصناعية، وسياسة الدولة وامتداحه[4]. والتغني بأمجاده.
- الحج أصبح شبه ممنوع، فألغى لقب الحاج، ومنع عرض الصور التي تحوي الكعبة، والمدينة وبيعها، وطبعها [1].

---

[1] انظر الندوي: أبو الحسن على الحسيني، **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية**، القاهرة- مطبعة التقدم، ط٣،، ١٣٩٧-١٩٧٧، ص٥٥.

[2] انظر هلال: رضا، **السيف والهلال تركيا من أتاتورك إلى أربكان الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي**، بيروت-دار الشرق، ط١، ١٤١٩-١٩٩٩، ص ٧٥.

[3] انظر لجنة الرواد والمشاهير، **مصطفى كمال**، بيروت- مؤسسة المعارف، د-ط-وت، مراجعة وتقديم فتحي رمضان ، إشراف رؤوف سلامة ، ص٦٧.

[4] انظر الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ص٤٧٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

- غير يوم العطلة الأسبوعية من يوم الجمعة إلى يوم الأحد، كما غير الأعياد الدينية وبرر ذلك بان الإسلام هو سبب ضعف تركيا وتمزقها، وعجزها عن مواكبة التطور والتقدم، وتحصيل التغيير المنشود وقيل بأنه ألقى القرآن ذات يوم في يده، وقال: "إن ارتقاء الشعوب لا يصلح أن ينفذ قوانين وقواعد سنت في العصور الغابرة[٢].

وانطلاقا من كل تلك الأعمال، فقد وصف شكيب أرسلان حكومة تركيا العلمانية، بقوله: ليست حكومة دينية من طراز فرنسا وانجلترا فحسب، بل هي دولة مضادة للدين كالحكومة البلشفية في روسيا سواء بسواء، إذ أنه حتى الدول الدينية في الغرب بثوراتها المعروفة لم تتدخل في حروف الأناجيل وزي رجال الدين، وطقوسهم الخاصة[٣].

ثانياً: إلغاء الخلافة:-وتبعاً لإقصاء الدين عن الدولة، فقد أصدر عام ١٩٢٣ قانوناً بإلغاء الخلافة الإسلامية الممتدة من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى وصوله للسلطة، حيث طلب من المجلس المصادقة على إلغاء الخلافة بعد تسلمه للمنصب الجديد مباشرة، فقام بفرض دستور أعطى فيه السلطة عملياً لرئيس الجمهورية[٤]، فحكم حكماً استبدادياً تسلطياً، لقد كان يرى عبث منصب الخلافة، وعدم مسايرته للخطوات الإصلاحية التجديدية التي يدعو إليها، ويعتبرها كالورم في العصور الوسطى.

خطب في النواب يوماً قائلاً: بأي ثمن يجب صون الجمهورية المهددة، وجعلها تقوم على أسس علمية متينة، فالخليفة ومخلفات آل عثمان يجب أن يذهبوا، والمحاكم الدينية العتيقة،

---

(١) انظر دروزة: محمد عزة، **تركيا الحديثة** ، بيروت- مطبعة الكشاف، د-ط، ١٣٦٥-١٩٤٦، ص ١١٦.

(٢) انظر الصلابي ، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ص ٤٧٦.

(٣) الحوالي، **العلمانية**، ص ٥٧٣.

(٤) انظر البيطار، **الموسوعة السياسية والعسكرية**، ج١، ص ٣٤٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقوانينها يجب أن تستبدل بها محاكم وقوانين عصرية، ومدارس رجال الدين يجب أن تحل مكانها المدارس الحكومية غير الدينية[1].

ثالثاً: تغيير اللغة:- استبدل اللغة التركية باللغة العربية، وأمر بأن تقام الصلاة والآذان باللغة التركية كما ترجم القرآن لتلك اللغة، وأمر بإصدار طوابع بريدية تحمل صورة الذئب الأغبر رمز الأتراك القدماء، وألزم المدارس بتعليم لغة البلاد، واستخدم مدرسين أتراك، وجعل الدراسة الابتدائية مقصورة على المدارس التركية وحدها، وألغى الكتابة بالحروف العربية، كما عمل على تتريك الأسماء، وفي عام ١٩٢٩ فرض استخدام الحروف التركية بشكل إجباري، وبدأت الصحف والكتب تصدر بالأحرف التركية، ومنع استعمال الحروف العربية لطبع المؤلفات، أما الكتب التي سبق طباعتها فأمر بتصديرها إلى فارس والهند ومصر.

قال في أحد خطبه: "إن لغتنا الجميلة تبرز لامعة ساطعة بالحروف الجديدة، وإن من الضروري أن نتخلص من إشارات لا تفهم، حبست عقولنا في نطاق ضيف، وقال كذلك في خطبة افتتاح المجلس في تشرين الثاني حينما أشار إلى وجوب استعمال الحروف اللاتينية إن ذلك سيكون انتقالاً عظيماً إلى ساحة الارتقاء في نضالنا، وسيكون لهذا المجلس فخار أبدي في تاريخ الإنسانية جمعاء، لنقله الأمة التركية إلى نطاق الأمم المستنيرة، ثم قال:إنني واثق أن هذه الخطوة ستحقق لنا أملاً عظيماً نسعى إليه وهو نشر التعليم بين الجميع، فالشعب لا يستطيع الخلاص من الجهل إلا بواسطة تتمثل في هذه الحروف التي أظهرت التجارب نجاحها في مدة قصيرة[2]".

رابعاً: الدعوة إلى تحرير المرأة:- دعا أتاتورك إلى تحرير المرأة، ومساواتها بالرجل في كافة الحقوق والواجبات، فقام بإلغاء كافة التشريعات المقيدة لحريتها.

---

[1] هلال، **السيف والهلال**، ص ٦٨، نقلاً عن الذئب الأغبر، ص ٢٠٠.

[2] دروزة، **تركيا الحديثة**، ص١٢٢ باختصار.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

تضمن القانون ٤٤٨ مادة تضمنت حقوق الأشخاص المعنوية وتضمنت أحكام الزواج منع تعدد الزوجات بالنص على أن الزوجية تبطل إذا كان أحد الزوجين متزوجاً عند إجراء مراسم الزواج، وأعطى القانون للمرأة المسلمة حق الزواج من غير المسلم، وأن تغير دينها، وفي نهاية ١٩٢٦ فرض السفور على النساء، وأصدر قراراً يحظر على السيدات ارتداء الحجاب، وألزمهن لبس الفستان، وإلا قدم أزواجهن، وأقرباؤهن للمحاكمة[١].

حرر المرأة من القيم والأخلاق بدعوى الاهتمام بها، والخوف عليها، وقد خرجت زوجته سافرة تحرض نساء أنقرة على المطالبة بالمساواة. وقد قال عن الحجاب: لقد رأيت كثيراً من أخواتنا يغطين وجوههن إذا ما رأين غريباً يتقدم نحوهن، ومن المؤكد أن هذا الغطاء يضايقهن كثيراً في الحر، لماذا نكون نحن الرجال بهذه الأنانية التي تسمح لنا بأن نفعل هذا معهن؟ لماذا لا نشجعهن على أن يسفرن بوجوههن للعالم، وبأن يرين العالم بأنفسهن، وليس هناك ما يخيفهن، إن الأمم لا تتقدم بغير تقدم نسائها، هل تتصرف زوجات وبنات العالم المتمدن بهذا الشكل، بالطبع لا[٢].

ولتحقيق ذلك منع تعدد الزوجات، وألغى قوامة الرجل على المرأة، ومنح المرأة حق الانتخاب،وشجعهن على دراسة الطب والمحاماة دون حدود ولا ضوابط، لقد شجع الشاب والفتاة على الدعارة والفجور، وأباح المنكرات، وضرب المثل الأعلى لانحطاط القيم والأخلاق، فصار الزنا والفجور والعري تحضراً ومدنية.

وخلاصة القول لقد كان يحكم وكأن ليس في تركيا أحد، كان يقول أنا تركيا، وتركيا هي أنا، أنا رئتها التي تتنفس بها، فكل محاولة لتدميري هي محاولة لتدمير تركيا(٣).

---

(١) انظر هلال، السيف والهلال، ص٧٤.

(٢) لجنة الرواد والمشاهير، **مصطفى كمال**، ص٩٦.

(٣) الصويص،أتاتورك منقذ تركيا وباني نهضتها الحديثة، ص٦٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الأساليب والوسائل

ومن بين الأساليب التي اتبعها هذا المستبد، لتحقيق أهدافه والوصول إلى غايته:

١-**العنف:**-كان أتاتورك عنيفاً مع الجميع، وكان الضرب أو القتل أسهل الأساليب التي يستعملها ضد من يتدخل في شؤونه، فكان قوياً قادراً على قمع أي معارضة، فلم يكن يحترم أحدا، بل كان ثائراً يفرح بالاعتداء على الآخرين، وهذه طبيعته منذ صغره وبرزت في تصرفاته، فأصدر أوامره على مئات من الأفراد بالشنق والرمي بالرصاص والسجن وغيره.

كان عنيفاً في تنفيذ أحكامه، خاصة بعد أن سببت له توجهاته العلمانية والغربية أزمة شديدة وردود فعل انتقاديه إلا أنه أخمدها بقسوة وقمعها بعنف، واستخدم العنف في تنفيذ جميع أعماله ومخططاته من تغيير دين الدولة، وإلغاء الخلافة العثمانية، وفي دعوته لاستبدال اللغة، وهكذا الزي الجديد، فأصدر حكماً بالإعدام على من يتآمر عليه أو يعارضه.

قال في أحد معاركه المصيرية الكبرى: "لا أهمية لعدد القتلى فالمهم هو الانتصار النهائي على العدو، وعلى كل حال فالشعب التركي لا يخاف الموت، لقد تعود على بذل التضحيات[1]". وقد قام بعدد من الثورات التي لم يكن يدري بها أتباعه إلا بعد الأمر بالهجوم.

٢-**التزييف والخداع والتضليل:**-حرص على تزييف الحقائق لدى شعبه، وخداعهم ليحافظ على منصبه وجبروته مضى سادراً في غيِه منفقاً أموال الشعب لتحقيق نزواته، مستبيحاً لنفسه قتل الأفراد وظلمهم بدعوى الحفاظ على حياة شعبه وأمته، ورغبته في تحقيق السعادة والرخاء له.

ومن الوسائل التي استعان بها لتحقيق أهدافه:

---

[1] الزين، **ذئب الأناضول**، ص١٧٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

١-**وسائل الإعلام:**- فكما كان للإعلام اليهودي دور كبير في تشجيع أتاتورك على البطش بأية معارضة إسلامية، فإنها تزين له القيام بالمذابح الوحشية، وتصورها بأنها معارك بطولية.

استخدم الإعلام لنشر فجوره، فكان وسيلته للمناداة بالحرية المطلقة للمرأة والترويج لقيم الانحلال الخلقي، واعتبار الزنا، والقمار، وشرب الخمر مظاهر للحضارة، كما نشط في إثارة الرأي العام ضد الخليفة، قائلاً: "إن انجلترا العدوة الماكرة اللدودة حين فشلت في القضاء على تركيا بواسطة اليونان، عمدت إلى دسائسها المألوفة، فاستخدمت أغاخان كي يظاهر الخليفة، ويشطر الأتراك إلى معسكرين[١].

٢-**الجيش:**- حرص أتاتورك على تشكيل جيش في كل مكان يذهب إليه، وكان يعمل على تدريبه على كافة وسائل القتال، وجعله في حالة استعداد دائم لأي ثورة يود القيام بها، فأنشأ جيشاً أعجب العالم بشجاعة جنده، وهيأ له السلاح الحديث لحماية بلاده، اعتمد عليه في تحرير تركيا، ومساعدته في تنفيذ كافة الأعمال التي تقدم ذكرها.

كان بمثابة الحارس للنظام الجمهوري الأتاتوركي العلماني، وقد قررت المادة ٣٥ من اللائحة الداخلية للقوات المسلحة التركية أن واجب القوات المسلحة هو حماية وحراسة الحدود التركية، إضافة إلى حماية التعاليم التي قامت عليها الجمهورية التركية (تعاليم أتاتورك) [٢].

٣-**السلطة:**-إن المستبد يستغل ما يملك من سلطة لإرهاب رعيته، وإضفاء الشرعية على أفعاله، إن أتاتورك بعد أن تخلص من معارضيه، أصبح هو الحاكم بأمره، وخضع له الشعب التركي فتركزت السلطات بيديه، وأصبح حزب الشعب هو المهيمن على الحكومة، سيطر على الجيش والشعب، وبهذا حصل على السلطة المطلقة التي سعى إليها وحرص عليها، والتي استغلها فيما بعد لتحقيق أهدافه.

---

[١] الزين، **ذئب الأناضول**، ص٢٥٧.

[٢] انظر هلال، **السيف والهلال**، ص١٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

خطب في أحد الأيام قائلاً: "أيها السادة إن السلطة لا يمكن أن تعطى لمن ليسوا أهلاً لها، إنها تؤخذ عنوة وبالقوة، فهل سنعود من جديد إلى قصة علي ومعاوية، إن آل عثمان قد تربعوا على عرش السلطنة بهذه الوسيلة، لذلك حكموا العالم طيلة ستة قرون، والآن جاء دور الشعب ليمارس حريته وسيادته، إن هذا أمر مفروغ منه، وسينفذ شئتم ذلك أم أبيتم، ولكن حذارِ فإذا ما تماديتم في معارضتكم فإن رؤوسكم ستسقط[1]"، وهذا يؤكد ظلمه، وجبروته، واستبداده برأيه، حيث رأى نفسه صاحب الحق في الأمر والنهي، لذا فله الحق في فرض أمره على الجميع، وما عليهم سوى الطاعة.

مسوِغات الاستبداد لدى أتاتورك:

أقام أتاتورك في البلاد نظاماً استبدادياً تسلطياً، فكان حالة كحال المستبدين في كل زمان ومكان، في حاجة إلى ما يبررون به أعمالهم وتصرفاتهم أمام الشعب لإقناعهم بالرضا بما هم فيه، وعدم التفكير بأية معارضة.

تأله أتاتورك فعبده أتباعه، وأصبحت تعاليمه وكأنها قرآن يتلى بل وزينت أقواله الجدران في مختلف الأماكن، لقد شرع للأمة كما يشاء، هو بعد أن نصب نفسه إلها من دون الله، لقد امتلأت المدن والقرى بتماثيله المصنوعة من النحاس والجص، والتي كان يتم صنعها في أوروبا بنفقات طائلة فإن هذا العمل يكشف أنانيته وعبادته لنفسه، كما حرصت أوروبا على رفعه فوق مستوى البشر في أعين الناس ليصبح معبود الجماهير ويعتبر نقده جريمة.

كما ادعى حرصه على إنقاذ شعبه من الاحتلال، وبرر أفعاله بالحرص على مصالح أفراد شعبه، ووطنهم، واتخذ من مقولة تركيا للأتراك شعاراً ينادي به عند كل عمل لتحفيز الهمم لمساعدته، والسير على نهجه.

---

[1] الزين، **ذئب الأناضول**، ص٢٠٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

قال في أحد خطاباته:- "إنني سوف أقود شعبي من يده خلال الطريق الطويل.... حتى تتوطد أقدامه، ويعرف سبيله، وعندئذٍ يكون في وسع مواطني أن يختاروا لأنفسهم بأنفسهم الحاكم الذي يريدونه، ويحكموا أنفسهم على هواهم، وعندئذٍ تكون مهمتي قد انتهت[1]"

ولكن أين هذا الكلام على أرض الواقع.

هذه دراسة مختصرة عن حياة اثنين من أبرز المستبدين في التاريخ، وإن دراسة واقع المستبدين وحياتهم عبر التاريخ عبرة على الجميع الإفادة منها، هي جرس إنذار وصيحة في كافة أنحاء الأرض أن انتبهوا قبل أن ينتشر الظلام.

إنها مساهمة للتعرف عليهم، وعلى سلوكهم وأعمالهم حتى لا نساهم في صناعتهم وإعدادهم،ثم قضاء العمر في الشكوى مما ترتب على ذلك من نتائج.

الخلاصة:-خلص هذا الفصل الذي جاء إجابة عن السؤال الثالث من أسئلة الدراسة إلى أن للاستبداد العديد من الآثار على الطرفين:من مستبد بهم ومستبدين، فهو تقويض لأركان المجتمع، وهدم لكيان أفراده، ولحوق الأذى والضرر بالجميع، فينتشر الفساد، ويعم الظلم، وتطغى روح المادة، وتختفي معاني العدل، والحرية، والشورى، وتصبح البلاد عرضة للسلب والنهب والسيطرة من العدوان الخارجي، كما يلحق بالمستبد الخوف، وفقدان الثقة،وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة، مما يدل على خطورة هذه المشكلة، وضرورة المواجهة للقضاء عليها.

وقد مثل هذه المشكلة عبر التاريخ العديد من الشخصيات، اخترنا منها الحديث عن كل من فرعون، وأتاتورك.

---

[1] آرمسترونج، **لكل زعيم قصة**، ص٢٤٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع: منهج التربية الإسلامية في الوقاية من الاستبداد، وفيه مباحث:

المبحث الأول: الإيمان، وفيه مطالب:

المطلب الأول: التزكية.

المطلب الثاني: إعداد البطانة الصالحة.

المطلب الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الرابع: بيان حرمة الأساليب التي يتبعها المستبد.

المطلب الخامس: المسؤولية.

المبحث الثاني: إعداد الشخصية الإنسانية المتكاملة.

المبحث الثالث: التحديد والمراقبة والحساب، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تحديد مدة الحكم.

المطلب الثاني: التعددية.

المطلب الثالث: المراقبة والمحاسبة

المبحث الرابع: توجيه قوى المستبد، وفيه مطالب:-

المطلب الأول: الجيش.

المطلب الثاني: المال.

المطلب الثالث: وسائل الإعلام.

المبحث الخامس: الوعي.

المبحث السادس: الوحدة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

تمهيـــد:

إن للاستبداد آثاره المدمرة على الفرد والمجتمع، إنه شـــر مطلـــق، يـــرتهن العقـــل، ويصادر الحريات، ويدمر كرامة الإنسان. والفرق شاسع بين ترك الفرد للإصابة بالمرض ثم معالجته، وبين وقايته من المرض، والحيلولة دون إصابته ابتداءً، وكما قيل:"درهم وقاية خير من قنطار علاج"، وتبعاً لذلك فلا بد من إيجاد المناعة لدى الأفراد تداركاً للأمور والمشكلات، وتحوطا منها، واتقاءً لشرها قبل وقوعها.

ويقصد بالمنهج الوقائي من الاستبداد مجموعة الضوابط والطرق التـــي تحـــول دون حدوثه، لما له من آثار على الفرد والمجتمع، وذلك ببناء منظومة مـــن الخطـــوط الدفاعيـــة المناعية التي تحمي الفرد والمجتمع من الوقوع به.

خاطب سبحانه وتعالى البشرية بقوله في كتابه الكريم: (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ) سورة البقرة، آية ١٩٥، فبين لهم الطرق التي تؤدي بهم إلى الهلاك، وحذرهم أشد التحـــذير منها، وتوعد من يسلكها أشد الوعيد، ومن ضمن الأسباب المؤدية إلى الهلاك الاستبداد.

إن ظهور الاستبداد له أسبابه، والأسباب لها مقدمات، إن وجـــدت وجـــدت النتـــائج المترتبة عليها، وقد بين القرآن الكريم الأسباب للوقاية منها، فمعرفة سبب المـــرض تـــسهل الوقاية منه، كما جاءت رسالة الإسلام حافلة بجملة من التدابير الوقائية الكفيلة بحماية الإنسان في كافة مجالات الحياة، حيث تزخر حياة الفرد بجملة من الأوامر والنـــواهي التـــي تـــشكل الأساس لحماية الفرد من وقوع ما يحذر منه ويخشاه.

لقد دعا الإسلام لإتباع المنهج الوقائي الذي يسبق حدوث المـــرض، وذلـــك بإقامـــة الحواجز وخطوط الدفاع الأولى، وبناء المصدات الواقية أمامه لمنع تقدمه، فيـــضع حـــواجز منيعة أمام كل مدخل من مداخل الاستبداد حتى لا يقع الإنسان فريسة له، من خلال ما قدم من

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

قيم تشريعية، وأخلاقية، وتربوية مما يشكل وقاية للحيلولة دون وقوع المشكلة. قال محمد رشيد رضا:-" إن قبول الاستبداد وإتباع القرآن ضدان لا يجتمعان ، ولو أن المسلمين استقاموا على تدبر القرآن، والاهتداء به في كل زمان لما فسدت أخلاقهم وآدابهم، ولما زال ملكهم وسلطانهم [1]".

ويتم هذا من خلال منهج التربية الإسلامية المتكامل، والذي يقصد به هنا الطريقة والإجراءات التي دعت التربية الإسلامية لإتباعها في التصدي لهذه المشكلة .

إن المنهج هو الجانب التطبيقي للأصول التربوية، ولاعتماده على نظرية التربية الإسلامية فلا بد أن يكون كل عنصر من العناصر المكونة له انعكاساً للفكر التربوي الإسلامي الذي يستمد مبادئه من مبادئ الإسلام، ويتمثل الإسلام سلوكاً وتطبيقاً ، ولذا فهو يتمتع بخصائص الإسلام التي ميزته عن غيره من المناهج، وجعلته منهجاً متميزاً في قواعده وأصوله، في أبعاده ومجالاته، وفي دوره في حياة الأفراد، ومن أهم هذه الخصائص:-

١-الربانية:

إن الربانية منحت التربية ومنهجها تصوراً كاملاً لحقيقة الوجود والكون والحياة، وجعلت من هذا التصور فكرة واضحة لا لبس فيها ولا غموض. فعندما جاء الإسلام قدَم تربية على أساس تحديد العلاقة بين هذه الأطراف، وركز على الإنسان فحدد له غاية وجوده ومنهج حياته ومرجعياته، كما حدد مآله بعد زواله، وهذا المنطلق كما يدل عليه مصطلحه، وتنطق به كلمة الشهادة، ويوضحه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يقيم العقل المسلم، والفكر المسلم، والمنهجية الإسلامية على فرضية الحق أساساً ومداراً ومآلاً لكل الكون والكائنات، وعلى قاعدة أن مرد وجود الكون والكائنات إلى الله الخالق وحده دون شريك أو

---

[1] رضا، المنار، ج٥، ص٢٩٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

مثيل، وعلى فرضية وحدة المصدر ووحدة الحقيقة التي ينطلق منهـا ويمثلهـا كـل الكـون والكائنات، وعلى فرضية وحدة الإنسان الذي خلقه الله وكرمه بالإرادة والخلافـة، ورعايـة الكائنات على أسس الحق والعدل والخير[١].

فالرؤية الربانية الشاملة لحقيقة الوجود أعطت التربية الإسلامية ومنهجها القدرة الذاتية على الانطلاق في كل زمان ومكان، لأنها تقوم على أساس الحق الخالص الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأما ما كان من البشر فهو محل للخطأ والجهل والنسيان، فمـنهج التربية الإسلامية منهج كامل متكامل لا يقبل تنمية ولا تكميلاً، وهذا يـدفع الإنـسان للعمـل والعطاء غير المتناهي.

إن اتسام التربية الإسلامية ومنهجها بالربانية يغرس في نفوس السائرين وفق منهجها حبها واحترامها، احتراماً نابعاً من الإيمان بكمالها وسموها وخلودها، فإن موجه هذه التربيـة ليس بشراً يحكمه القصور والعجز البشري، والتأثر بمـؤثرات المكـان والزمـان والحـال، ومؤثرات المزاج والهوى والعجز البشري، وإنما موجهها هو صاحب الخلق والأمر في هـذا الكون ورب كل من فيه وما فيه، الذي خلق الناس وهو أعلم بما ينفعهم ويرفعهم وما يـصلح لهم ويصلحهم[٢]. كما يبعث في نفوس الأفراد الطمأنينة والإحساس بالرضا التـام والـشعور بالعزة والعلو.

وتفيدنا هذه الخاصية في هذه الدراسة في وجوب خضوع الأفراد لشريعة الله وحكمه دون أهواء البشر وميولهم المتناقضة ، وهذا ما يناقض ما عليه حال المستبدين من الـسيطرة والتحكم بحياة الأفراد في كافة المجالات، وخضوع الأفراد لهم واستسلامهم وضعفهم.

---

[١] أبو سليمان: عبد الحميد، **أزمة العقل المسلم**،الأردن-مكتبة المنار،ط١، ١٤١٢-١٩٩٢، ص١٢٨.

[٢] علي، **أصول التربية الإسلامية**، ص ٥٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

لهذا يبدو منهج التربية الإسلامية منهجاً متميزاً كل التميز عن غيره من حيث الأهداف والمحتوى والسمات والأثر العملي في الحياة، فيشمل كل مسائل الحياة بحيث يتناول حاجات الفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء بهدف تحقيق سعادة الفرد في الدارين. وفي هذا بيان أنه لا بد من الرجوع إلى هذين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لاستنباط الوسائل والإجراءات المساعدة على التصدي لهذه المشكلة الخطيرة ومواجهتها، فالاستبداد يتنافى مع الإيمان وانطلاقاً من الغاية الكبرى علينا التصدي لهذه المشكلة.

٢- الشمولية:

فالتربية الإسلامية تربية شاملة تتضمن المنهج الأقوم والأحسن للإنسان في كل أحواله، حيث جاءت بتشريعات تنظم شؤون الحياة كلها، وتراعي الطبيعة الإنسانية، وتقدم تعليماً مستمراً للصغار والكبار يتسع باتساع الحياة، ويمتد بامتدادها، يشمل المعارف العلمية والتكنولوجية والإنسانية.

والتربية الإسلامية بهذا المسلك قدمت تصورات شمولية وعلاجات ناجحة لأكبر المشكلات الإنسانية" فقد عالج الإسلام مشكلات الإنسان الروحية والفكرية بعقيدة إلهية توحيدية هي حجر الأساس لرؤيته الشاملة، وعالج مشكلات الإنسان الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والقضائية وغيرها على المستوى الفردي والجماعي[1]" فمنهج التربية الإسلامية يأخذ بيد الفرد منذ ميلاده فينظم علاقته بربه وبنفسه وبأسرته وبمجتمعه، وينظم شؤون المجتمع الواحد، ثم ينظم علاقة الدولة الإسلامية بالدول الأخرى وبالإنسانية جمعاء . مما يعني:-

١-اهتمامه بجميع جوانب الشخصية جسم وعقل وروح.

---

[1] انظر الأنصاري:محمد، **تجديد النهضة باكتشاف الذات ونقدها**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،د-ط، ١٩٩٨، ص ٥٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٢-اهتمامه بالإنسان في جميع مراحله العمرية.

٣-اعتناؤه بالهدف الأخروي مما يشكل عاملاً أساسياً في استقامة الأفراد فكراً وسلوكاً.

لقد شمل منهج التربية الإسلامية مختلف جوانب حياة الإنسان بالرعاية والاهتمام، لتوفير حياة آمنة مستقرة بعيداً عن المشاكل والتحديات بمختلف صورها وأبعادها، ومن ذلك وردت التشريعات المعينة على التصدي لهذه المشكلة المدمرة، على كافة المستويات.

٣-التوازن:

إن الله سبحانه خلق كل شيء بقدر حتى لا يطغى شيء على شيء، خلق الكون وجعل بين أجزائه توازناً عجيباً في أبعاده، وفي علاقات أجزائه بعضها ببعض، وكذلك خلق الإنسان من روح وطين، ليكون هناك اتزان بين نزعاته المادية الضرورية لإعمار هذه الأرض وهذه الحياة، وأشواقه الروحية الضرورية للحفاظ على جوهر الإنسان وخلقه وقيمه، والوصول إلى السعادة في الدار الآخرة، وهناك توازن بين الفرد والمجتمع، وبين الجيل والأجيال، وبين الأمة البشرية جمعاء، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، بل يأخذ حقه بالقسطاس المستقيم، فالإسلام وسط بين المادية المقيتة والروحية الحالمة، وبين الفردية الطاغية والجماعية الساحقة، وبين الحاجات الملحة والقيم البعيدة[١].

إن التوازن وسيلة لبناء حضارة الأمة وتجديد شبابها وحيويتها " فما كان لحضارة أن تقوم إلا على أساس من التعادل بين الكم والكيف، وبين الروح والمادة، وبين الغاية والسبب، فمهما اختل التعادل في جانب أو في آخر كانت السقطة رهيبة وقاسية [٢]".

ويستفاد من هذا:-

١-تنمية الإنسان في حدود طاقاته وقدراته بعيداً عن المثالية.

---

[١] الأيوبي:زياد الدين، مقالة في مجلة منبر الإسلام،عدد٤، سنة٦٤، ١٤٢٦-٢٠٠٥، ص٤٤

[٢] مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، دمشق-دار الفكر،د-ط،١٤٠٠-١٩٨٠، ص١٥١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٢-تربية الفرد والمجتمع معاً.

٣-اتخاذ الوسطية شعاراً وخاصية مميزة للمنهج وبهذا استحق المنزلة الرفيعة .

اعتنت التربية الإسلامية وشملت برعايتها نزعتين من فطرة الإنسان هما:- نزعة فردية تدعو الكائن البشري إلى التمييز والاعتماد على النفس، وإثبات الذات، ونزعة اجتماعية تميل بالإنسان إلى الانضواء تحت لواء الجماعة ومسايرتها والاعتزاز بها واعتناق عقيدتها وتصوراتها المشتركة، والشعور بمشاعرها، والخضوع لرقابتها ونظمها الاجتماعية[1]".وبهذا تزكية للمستبد من استبداده، وللمستبد بهم من ضعفهم واستسلامهم.

٤-الإيجابية:

فمنهج التربية الإسلامية يقوم على الأخلاق، ويعمل لسيادتها، ويحارب المحسوبية ونفوذ أصحاب السلطان المتسلطين، ويحارب الطمع والأثرة والأنانية، يقف في وجه الفساد والربا والرشوة، يتم تربية الأفراد على أساس من النزاهة والعفة والرحمة والإيمان الراسخ بأن وجود الإنسان في الكون مرتبط بخطة الله الكونية التي يسير الإنسان في داخلها وفق قواعد ونواميس محددة طبيعية، ومهمته تحقيق سيادة كلمة الله وبناء مجتمع الإسلام والألفة والمودة والإخاء والطمأنينة .

إنها تقتضي من الفرد أن يدفع عن نفسه السلبية، وأن يتزود بدوافع الحركة الإيجابية، وتقتضي منه نشاطاً إيجابياً ووعياً بأبعاد مختلف المشاكل والتحديات ومحاولة التصدي لها، فلا قيمة للمعرفة النظرية التي لا تؤثر في سلوك الإنسان وواقع حياته، ومن هنا وجب على جميع الأفراد في مختلف مراكزهم وأعمالهم التصدي لهذه المشكلة المدمرة والعمل بشكل جاد وبصورة متكاملة للوقاية منها وعلاجها.

---

[1] نحلاوي، **التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة**، ص٩٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

إننا أمام منهج فريد شامل متكامل لتربية الإنسان كله جسمه، عقله، وجدانه، تربية الإنسان القوي القادر على المساهمة في عمارة الحياة وترقيتها، الإنسان التواق إلى العدل، المناضل من أجل الظفر بالحرية، الذي يعمر قلبه حب الآخرين والرغبة في إسعادهم، من يتحدى الخطر ويقتحم المجهول مستعيناً بالله ليصوغ لنفسه وللناس عالماً أفضل.

ومن الأهداف والغايات التي يسعى منهج التربية الإسلامية لتحقيقها :-

١-تحقيق العبودية لله وتوحيده:

الغاية الكبرى والهدف الأعلى الذي يسعى منهج التربية الإسلامية لتحقيقه، فقد حدد الله مهمة وجود الخلق فقال سبحانه:-﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦، وقال سبحانه﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ النساء: ٣٦. فالقاعدة التي يقوم عليها الإسلام هي قاعدة شهادة أن لا إله إلا الله أي إفراد الله سبحانه بالألوهية والربوبية والقداسة والسلطان والحاكمية، إفراده بها اعتقاداً في الضمير وعبادة في الشعائر وشريعة في واقع الحياة[1].فمهمة المنهج الأولى أن تصل الإنسان بالله ليصلح حاله على الأرض، وينظم حياته فيها فيعمرها بالكد والكدح المستمرين، واستغلال كل الطاقات والإمكانات التي منحه الله إياها. فالغاية هي المحافظة على فطرة التوحيد وصيانتها من كل ما قد يفسدها من استبداد وغيره.

والتي من مقتضياتها:-

١-اعتقاد الفرد أن لا حاكم ولا مشرع ولا منظم لحياة البشر وعلاقاتهم وارتباطاتهم بالكون وبالأحياء إلا الله فيتلقى من الله وحده التوجيه والتشريع ومنهج الحياة ونظام المعيشة وميزان القيم .

٢-إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، والإنسان بمعناه الكامل لا يوجد

---

[1] سيد قطب، **معالم في الطريق**، ص٤٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

على الأرض إلا يوم تتحرر رقبته وحياته من سلطان العباد، إن الناس في جميع الأنظمة التي يتولى التشريع والحاكمية البشر يقعون في عبودية العباد وفي الإسلام وحده يتحررون من هذه العبودية بعبوديتهم لله وحده[1].

إن التوحيد ينتج نفوساً مؤمنة بالله صادقة متفائلة لا طريق فيها إلى الإلحاد والشرك والتشاؤم، ينتج أمة محصنة ضد الأنظمة المستترة تحت الشعارات البراقة والتي تسببت في مآسي والآم لا زالت الأمم تدفع ثمنها من حياتها وقيمها، وهذا يعارض رغبات المستبد وميوله في السيطرة على وجدان الأفراد وعقولهم وقلوبهم والتحكم في مصائرهم.

٢-إعداد الإنسان الصالح:-

شخص تتمثل فيه صفات التقوى، والاستقامة، والعدالة، وإتباع هدى الله. الإنسان القادر على عمارة الأرض وفق منهج الله، فرد إيجابي فاعل مفكر مخطط جريء مقدام مستقل، قادر على المشاركة في اتخاذ القرار ومجابهة التحديات أياً كانت، وذلك من خلال مراعاة ميوله وقدراته واتجاهاته، وكذا تربية الأخلاق التي هي أسمى الأهداف" فبها تتعمق المعاني الطيبة في النفوس، ومنها تتفرع الحكمة وحسن التدبير والفطنة وجودة الرأي والشجاعة وقوة الثبات والصبر والورع وعزة النفس وقلة الطمع، وبها يتجنب الحمق والتكبر والخوف والجزع ودناءة النفس وقبول الذل والمهانة والغلظة في معاملة الناس واستحقارهم وإساءة الظن ، وإن نجاح المنهج وفشله يحدد بالناحية الأخلاقية[2]".

٣-تكوين عقلية علمية مؤمنة:-

تبحث عن الحكمة في ميادين الدين، وعن التصرفات والسلوكيات الحكيمة في العلاقات الاجتماعية ، فالعقل وسيلة يتحقق بها اختيار الإنسان لطريق سعادته بالتمييز بين الحق

---

(١) سيد قطب، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، ص١٩٠ و ١٩٨.

(٢) محجوب، **نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم**، ص٧٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

والباطل، الخير والشر، بتحريره من التبعية التي يفرضها النظام المستبد، عقلية قادرة على التصدي لمشكلة الاستبداد وحماية نفسها والآخرين من آثارها.

٤-نشر العلم والثقافة والحث على العمل:-

فالتعليم هدف ووسيلة لفهم الحقائق الاجتماعية والسياسية وغيرها، به يفهم الفرد ما له وما عليه، لذا حث عليه ديننا الحنيف، كما حث على العمل وعده من أسس التقرب إلى الله.

فلا بدّ من ربط النظرية بالتطبيق، فلا خير في علم لا يؤثر في سلوك صاحبه ويدفعه للعمل والإنتاج والإبداع، ومن هنا يجب على الجميع بذل الجهد في التصدي لمشكلة الاستبداد التي تفتك بهم وتدمر حياتهم.

٤- تربية القدرة على الضبط:-

فالفرد بحاجة أن يتعلم الضبط ويتعوده منذ الصغر ، لأنه وسيلته للاستقامة على ميزان الله وتطبيق شرعه، وكذا وسيلته لتربية الإرادة[1]. فقدرة الفرد على ضبط نفسه وسلوكه يمنعه من الوقوع في غائلة الاستبداد والاستسلام له والخضوع للمستبد، بل يعلم أن له حدوداً عليه أن يقف عندها ولا يتجاوزها، فيحقق بذلك السعادة والاطمئنان لنفسه وللآخرين.

٥-تنمية العلاقات الاجتماعية وبناء المجتمع المسلم:

فالإسلام حريص على أن يعرف الفرد حقوقه وواجباته، وحريص أيضاً على تنمية الولاء للجماعة ودعم انتماء الفرد للجماعة والعمل على مصلحتها، وبهذا تتحقق الوحدة وتزول حالة التفكك الذي يمهد لنشأة الاستبداد واستمراره.

فلا بد من إيجاد البيئة التربوية والاجتماعية والسياسية المناسبة للحفاظ على جوانب حياة الأفراد المختلفة كالإيمانية والنفسية والعقلية.

---

(١) انظر مدكور:علي، **منهج التربية في التصور الإسلامي**، القاهرة-دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٢، ص٢٧٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- YarmoukUniversity
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا نرى أن منهج التربية الإسلامية قد انتظم جميع الأهداف التي من شأنها أن تساهم في بناء الإنسان الصالح القادر على عمارة الأرض ومواجهة التحديات على اختلافها. أضف إلى الوسائل التي دعت التربية الإسلامية لإتباعه للتصدي لهذه المشكلة، وهي ما سيتم بيانـــه بالتفصيل – بإذن الله–

ولتحقيق هذا المنهج فلا بد من توافر المربي المسلم، والمجتمع المسلم ، والقيادة التربوية الرشيدة.

وهذه المنطلقات سيتم الاعتماد عليها في الفصلين الرابع والخامس –بإذن الله–

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

المبحث الأول

الإيمان

إن النفس البشرية لا تخلو من حب الاستبداد إذا تهيأت أسبابه، وليس كخشية الله تعالى، واستشعار رقابته، وضعف الإنسان إزاء قدرته حاجز لها عنه. إن عبودية الإنسان لله وحده تحرره من جميع أنوع الرق والعبودية الأخرى للمادة أو المال أو القوة أو السلطان، ففي عبودية الإنسان للقوي الجبار تحرير له من العبودية للمستبدين الظلمة، وكل من يدعي أن رقاب العباد تحت سيفه، فإذا صح إيمان المرء نجا من الاستبداد والطغيان لشعوره بعظمة الله، ونسبية الأشياء، وضعفه أمام خالقه.

اهتم الإسلام بالإنسان ووجوده، منذ أن يكون نطفه في رحم أمه إلى حياته بعد الممات، لذلك كانت تعليماته بارزة، وأثره واضحاً، فالإيمان يزيد العبد اطمئنان قلب، وتعلقاً بالله، فلا يعبد سواه، ولا يخشى أحداً إلا إياه، فلا تغره دنيا، ولا يخيفه ملك أو سلطان، حيث امتلئ قلبه خوفا وخشيه من الله، وقد قرن سبحانه خشيته بالفوز في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **(وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ)** سورة النور، آية ٥٢، فالخشية من المنجيات، التي تنجي العبد من الدنيا وغرورها، قال تعالى: **(أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ)** سورة الملك، آية،٢٢.

يسهم الإيمان في تحقيق الطمأنينة النفسية، والثقة بالطريق، وعدم التردد أو الخوف،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو اليأس، والتجرد من الهوى والمصالح الشخصية، إذ يتعلق القلب بهدف أبعد من ذلك، إن الإسلام قوة عظيمة تتصاغر أمامه القوى، وتتضاءل الكثرة، ويعجز التدبير، ومنذ فجر التاريخ، والدين معروف بدوره الوقائي، وترتبط دوافعه الوقائية بالإيمان بالله، وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم أن الإجراءات الوقائية إنما هي أوامر من الله الذي خلق الإنسان ويعلم ما ينفعه وما يضره، هذا الإيمان الذي كانت له قوته في الماضي، لابد من تقويته في الحاضر، بعد أن أدركنا الأخطار التي كان يمكن للبشرية أن تتعرض لها لو لم تتمسك بأوامر الله بإيمان مطلق، قال سيد قطب: "إن دعوة موسى إلى رب العالمين، وهم إنما يقوم ملكهم على تنمية ربوبية الله للبشر بتنمية شريعته، وإقامة أنفسهم أرباباً من دون الله يشرعون للناس ما يشاؤون ويعبدون الناس لما يشرعون، إنهما منهجان لا يجتمعان، أو هما دينان لا يجتمعان، أو ربان لا يجتمعان، وفرعون وملئه كانوا يعرفون ذلك ولقد فزعوا لدعوة موسى عليه السلام إلى رب العالمين [1]"

لقد كان جُلَّ اهتمام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً منصباً على بناء العقيدة في النفوس، وغرس معانيها، فما من رسول إلا وقد بدأ دعوته بغرس الإيمان بالمعبود الحق مالك السموات والأرض، ثم الكفر بالطواغيت، واجتناب عبادتهم، والخضوع لهم متمثلين قوله تعالى، ودعوته للناس ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ سورة النحل، آية ٣٦.

وكما أن مما يدفع إلى الاستبداد والقهر والبطش، عدم الإيمان بالله، واليوم الآخر، والحساب والجزاء، قال تعالى عن فرعون: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ سورة القصص، آية ٣٩، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص ١٣٥١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ) سورة غافر، آية ٢٧، فإن التوحيد من أضمن السبل، وأكثرها كفاءة في منع ذلك، إذا أنه من أهم الوسائل التي يتسلح بها الدعاة والمصلحون لمواجهة شتى صور الاستبداد والفساد،" فالموحد يكون أعز الناس نفساً، وأعظمهم كرامة، لا يقبل أن يستبد فيه حاكم، ولا أن يستعبده سلطان ظالم، وما قوي الاستبداد في المسلمين إلا بضعف التوحيد فيهم، فالتوحيد هو منتهى ما تصل إليه النفوس البشرية من الارتقاء والكمال ؛ لأن الموحد يعلم علم اليقين أن كل شيء في الأرض والسماء خاضع للنواميس والسنن العامة التي قام بها النظام العام، وأن تفاوتها في الصفات والخواص لا يقتضي أن يرفع الأقوى على الضعيف رفع الرب على المربوب[1]" وللتوحيد آثاره الواضحة على كل من الحاكم، والبطانة، والجيش، والرعية، ومن ذلك:

- أثره على الحاكم:

يمنع الإيمان الحاكم من الاستبداد، وذلك لأنه إذا آمن بالله السميع العليم البصير الرقيب، وآمن باليوم الآخر، وأنه محاسب على أعماله، فلن يتجاوز ما وضع له من حدود، ولن يظلم الآخرين، ولن يرتكب ما يجعله في دائرة الظلمة الذين سيقفون أمام الله سبحانه ليحاسبهم على أعمالهم.

-أثره على البطانة:

فالتوحيد يمنع البطانة أن تكون بطانة سوء، وينهاهم عن الركون إلى الظلمة قال تعالى(وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) سورة هود، آية ١١٣، وهذا واضح في قصة مؤمن آل فرعون، فعلى الرغم من

---

[1] رضا، تفسير المنار، ج٥، ص٢٧٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

قربه من المستبد، وكونه أحد أفراد حاشيته، وعلى الرغم مما عرف عن فرعون من استبداد وظلم، فإن عقيدة الرجل دفعته إلى النصح، والوقوف في جانب الخير والإصلاح وإنكار عمل المستبد، قال تعالى: (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ).....(فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ) سورة غافر آية، ٢٨-٤٥ ،إن عقيدة التوحيد غيرت ذلك الفرد ونقلته إلى جبهة الخير والإصلاح، ودفعته إلى رفض استبداد فرعون، لذا حاول إقناعه وأتباعه بالكف عن ظلمهم.

على حين قال له أصحاب المناصب (بطانة السوء)، كما أخبر بذلك سبحانه وتعالى بقوله: (أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ) سورة الأعراف، آية ١٢٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

- أثره على الجيش:

إن العقيدة الإسلامية تجعل الجيش مؤسسة صالحة، تعمل لخير الأفراد، ولا تساعد المستبد في تثبيت سياساته، وترجمة رغباته ونزواته، تحوله من العمل على إرهاب الآمنين، وتعذيب المعارضين وغير ذلك إلى مؤسسه همُ أفرادها الإصلاح لا الإفساد، والحرص على حفظ كيان الأمة، وإزالة العوائق أمام التقدم والتنمية، بمصادرة الحريات العامة والخاصة، وغير ذلك من أمور.

-أثره على الرعية:

تدفع عقيدة التوحيد الرعية لرفض كل ما يخالف مبادئ الإسلام، وإلى المقاومة وعدم الخوف على النفس والمال، قال تعالى: **(قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا)** سورة التوبة، آية، ٥١، وقال عليه السلام لابن عباس (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك [1])، فتجعل هذه العقيدة من كل فرد أمة في مواجهة الحاكم، والحد من جبروته، إنها تغير الإنسان الذليل المتملق الذي يركض وراء شهوة المال وحظوة المنصب إلى شخص آخر نموذج يضرب به المثل لا يخاف من المستبد، ولا يعرف معنى العقوبة والتهديد الصادر عنه، قال تعالى مخبراً عما قاله السحرة لفرعون بعد إيمانهم:- **(قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ**

---

[1] الترمذي، **السنن**، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، ج٤، ص ٦٦٧، رقم ٢٥١٦ وقال حديث حسن صحيح، وأحمد، **المسند**، ج١، ص ٣٠٧ نحوه، والحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب معرفة الصحابة، ج٣، ص ٦٢٣، رقم ٦٣٠٣ نحوه، والطبراني، **المعجم الكبير**، ج ١١، ص ٢٢٣، رقم ١١٥٦٠، صححه الألباني، انظر **صحيح الجامع الصغير**، ج٦، ص٣٠، رقم ٧٨٣٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا)

سورة طه،آية٧٢.

كما يدرك أفراد الرعية أنهم لا يطيعون الله إذا مكنوا المستبد من ظهورهم يضربها بسياطه، بل البر والشجاعة، في الإمساك بيده، وتبادل الأدوار معه.

إن في عقيدة التوحيد وقاية للقلوب من الانحراف، وشفاء لها من الأمراض، وفيها هدى للنفوس، ورحمة للمؤمنين، قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) سورة يونس، آية ٥٧.

وانطلاقاً من قوله تعالى:- ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ الشمس: ٧ - ٨

فإن على التربية الإسلامية عدد من الواجبات، منها:

(١) توفير القدوة الصالحة، المتصفة بالحكمة والعلم والبصيرة والصلاح والاستقامة للحاكم كالرسول صلى الله علية وسلم، وللمحكوم كالصحابة رضوان الله عليهم.

(٢) تحصين الفرد بما يشكل قاعدة صلبة في إعادة التوازن.

(٣) تكوين الوازع الديني في النفوس، بحيث يغالب الدوافع النفسية، ويتولى توجيه الفرد، فيكون العاصم الذي يحجزه من الانحراف، ويصده عن الاستبداد والطغيان، وهو أعظم مانع من الوقوع في الحرام والرذائل[1].

---

[1] انظر القرشي: باقر شريف، **النظام التربوي في الإسلام دارسة مقارنة**، سوريا-دار التعارف، د-ط، ١٤٠٨-١٩٨٨، ص ٢١٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

(٤) أن تغرس في نفس الفرد أن العباد مسخرون لسنن الله تعالى، يستفيدون منها بقدر علمهم وطاقتهم واجتهادهم، وأنهم مكلفون بطاعة الله لا يجب على أحد منهم أن يعمل باعتقاد غيره ولا برأيه[١]

إن الإسلام نقيض الاستبداد، وهو البوابة الكبرى لتحرير الإنسان، فقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب؛ لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فالعقيدة الإسلامية لا تجيز الخضوع المطلق إلا لله، وأن الحاكم ليس مشرعاً، وإنما هو منفذ للشريعة، فالإيمان بالله واليوم الآخر، وبناء الوازع الداخلي، وتنمية الرقابة الذاتية، هو ضمانة التزام المسلم بما ينتفع به والآخرين، وهو خير وقاية من الوقوع في براثن الاستبداد، قال سيد قطب رحمه الله تعالى: "إن النفس البشرية إذا استقر بها الإيمان بالله فإنها تستعلي على قوى الأرض وتستهين ببأس الطغاة، وتنتصر فيها العقيدة على الحياة، فلا تسأل ماذا ستأخذ؟ وماذا ستخسر؟ وماذا ستدفع أو تكسب؟ وماذا ستلقى من صعاب؟ أو تقدم من تضحيات؟ إنه الإيمان الذي لا يتزعزع ولا يخضع، إنما يطمئن إلى النهاية فيرضى بها، ويستيقن من البعث والرجوع إلى الله للحساب[٢] وبالإيمان يقف الطغيان عاجزاً، أمام القلوب التي خيل إليه أنه يملك الولاية عليها كما يملك الولاية على الرقاب، ويملك التصرف فيها كالتصرف في الأجسام. فإذا هي مستعصية عليه لأنها من أمر الله لا يملك أمرها إلا هو، وماذا يملك الطغيان إذا رغبت القلوب في جوار الله والاعتصام به، وماذا يملك السلطان إذا رغبت القلوب عما يملك[٣].

ويظهر أثر الإيمان في الوقاية من الاستبداد من خلال عدد من الأمور، منها:

(١) الإقرار بالحاكمية لله وحده، وهذا الإقرار نقيض صريح للاستبداد، وعلى رأسها.

---

[١] رضا، تفسير المنار، ج٥، ص٢٧٨.

[٢] انظر سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص ١٣٥١.

[٣] المرجع السابق، ج٣، ص ١٣٥٢ باختصار.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

(٢) اشتراط عدد من الصفات في الحاكم الذي يتولى أمر المسلمين كالإسلام، والاجتهاد، والعدالة، والكفاية، والاستقامة، فهذه الصفات من شأنها حجز الحاكم عن الوقوع في براثن الاستبداد.

(٣) إن منصب الحاكم لا يورث، وليس هناك خلود لهذه المناصب.

(٤) اعتبار السلطة أمانه بيد من يتولاها، وعليه استخدامها على النحو الصحيح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة [1])، وهذا يستلزم الحذر من المفسدين، وإبعادهم عن مركز التوجيه، والتأثير كوسائل الإعلام وغيرها، وكذا ضرورة ترك الحرص على القيادة، ورفض رئاسة عشاق المناصب، والترهيب من استغلال النفوذ، والتخويف من الظلم والاستهانة بالآم الآخرين، وضرورة تعليم الجماهير أن الانتخاب شهادة لا يجوز كتمانها، ومعرفة أن من ينتخب غير الصالح أو ينتخب شخصاً مع وجود من هو أولى منه فقد خان الله ورسوله عليه السلام، وفي هذا ضياع الأمانة وتوسيد الأمر إلى غير أهله.

(٥) نبذ التقليد الذي هو سبب انطفاء العقل، وارتكاس الإنسان في الضلال، وقد نعى القرآن على قوم أغلقوا عقولهم على رأي فلم يفهموا سواه، ولم ينكروا فيما عداه زاعمين أن الخير فيه وحده، قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ) سورة البقرة، آية ١٧٠، ودعا الإسلام لفتح باب الاجتهاد، والتجديد، والإبداع.

(٦) تشريع العقوبات، فلم يغفل الإسلام عن القوة المادية، واستعمال العنف والضرب على أيدي الخارجين على النظام، فإن من الناس من لا ينفع معهم إلا الشدة والقسوة، قال سيد

---

[1] مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، ج٨، ص ١٢٥، رقم ١٤٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

قطب رحمه الله تعالى: إن دعوة التوحيد تعمل على التحرر من الدينونة لغير الله، والتمرد على سلطان الطغاة، وتعد التنازل عن الحرية، وإتباع الجبارين جريمة شرك وكفر يستحق عليها الفرد الهلاك في الحياة والعذاب في الآخرة، حيث خلق الله الناس ليكونوا أحراراً، لا يدينون بالعبودية لسواه، ولا يتنازلون عن حريتهم لأحد فهذا مناط تكريمهم فإن لم يصونوه فلا كرامة لهم ولا نجاة[1]

(٧) الدعوة إلى تزكية النفس، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، والتنفير من أخلاق الجبارين قال تعالى: (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) سورة الشعراء، آية ١٢٨-١٢٩.

(٨) إعداد البطانة الصالحة، واتخاذها عوناً.

(٩) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١٠)بيان حرمة الأساليب التي يتبعها المستبد.

(١١)المسؤولية.

وسنتناول بشيء من التفصيل -بإذن الله تعالى- هذا المطالب الأخيرة، وهي كالآتي:

المطلب الأول:- التزكية

قال تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ) سورة الجمعة، آية ٢، إن تزكية النفس الإنسانية باب واسع يتناول تنقيتها من الشرور والآثام، وإلزامها بأنواع الخير والبر، وهي وظيفة من وظائف الرسل عليهم السلام كما بينت الآية الكريمة، ومن بعدهم الدعاة والمصلحين.

---

[1] انظر سيد قطب، **في ظلال القرآن** ، ج٤، ص ١٩٠١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

إنها كما عرفها ابن تيميه رحمه الله:- تربية القلب وتنميته بالكمال والصلاح، وذلك بحصول ما ينفعه، ودفع ما يضره، وتزكية النفس بالصالحات، وترك السيئات[1].

لقد تعهد الإسلام القيادات بتزكية النفس، فهذا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وهو الأسوة كان يقوم يصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه، فيقال له فيقول: (أفلا أكون عبداً شكورا [2])، فلا بد من القيام بكل ما من شأنه أن يقرب العبد من ربه، ويجعله زاهداً في هذه الحياة، وما فيها مقبلاً على ما عند الله، فالفئة المؤمنة المتمسكة بحبل الله،هي القادرة على التضحية بالنفس والمال، حيث من المستحيل قطعا الانتصار على المستبد، وقلوبنا يملؤها حب الدنيا، والتعلق بها، ذلك أن الله لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه.

وتهدف التزكية إلى تحقيق عدد من الأمور، منها: [3]

(١) تزكية الفرد من مرضي الطغيان والاستضعاف، وإيجاد حالة من الوسطية التي تمثل الصحة، والتي تظهر أهميتها في وعي الفرد بإنسانيته، وعدم السماح بتحويله إلى شيء مملوك للآخرين، كما أنها توفر له انتماءً إلهياً يحقق المساواة مع الآخرين في تقرير مستقبله ومصيره، قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) سورة البقرة، آية ١٤٣.

(٢) تزكية ثقافة الأمة من مظاهر الطغيان والاستضعاف التي تؤدي للضعف والتخلف واستبدالها بالعدل والمساواة الوسطية.

---

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى** ، ج١٦، ص ١٩٨.

(٢) البخاري، **الصحيح**، كتاب أبواب التهجد، باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترم قدماه، ج١، ص ٣٨٠، رقم ١٠٧٨، ومسلم، **الصحيح**، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، ج٤، ص٢١٧١، رقم ٢٨١٩.

(٣) الكيلاني، **منهاج التربية الإسلامية**، ص ١٣٥-١٣٧، باختصار.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

(٣) تنمية قيم الأخوة الإنسانية التي جاء بها الإسلام،

ويتناول منهاج التزكية بالعمل كُلاً من: [١]

(١) تزكية البيئة العامة بمختلف مجالاتها دينية، وسياسية، واقتصادية، واجتماعية، ومعرفية، وبيئية، وأدبية، وفنية، وذلك لأثر البيئة العامة في صلاح سلوك الأفراد أو فساده، ولضعف النفس أمام مؤثرات البيئة المحيطة، إذ فيها ميل للراحة.

(٢) تزكية النفس الإنسانية، قال تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا) سور الشمس، آية ٧-١٠، ويتضمن ذلك:

أ-تزكية القدرات العقلية بتزكية مسار الفكر وأشكاله وأساليبه

ب-تزكية القدرات السمعية والبصرية، قال تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا) سورة الإسراء آية، ٣٦.

ج- تزكية الجسم بتنظيم حاجاته وتزكيتها لتحقيق إباحة ما أحله الله وتحريم ما حرمه سبحانه وتعالى.

د-تزكية القدرات الإرادية بتنظيم عمل الدوافع وتوجيهها نحو أهدافها التي خلقت من أجلها مما يؤدي لتحقيق صفة الوسطية المتجسدة في التزام العدل في القول والعمل والمعاملة.

وأخيراً فيجب على حركات الإصلاح والتجديد التركيز على تزكية نظم التنشئة والتربية في الأقطار الإسلامية، بتخليص عملية التربية والتعليم من الحكومات الرسمية،

---

[١] المرجع السابق، ص ١٣٨-٢٢٠ باختصار.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وثروات الخصخصة التجارية، ووكلاء العولمة الثقافية، ثم المراجعة الواعية لنظم التربية، وإعادة النظر في فلسفتها وأهدافها، ومؤسساتها وميادينها والطرق والأساليب المتبعة فيها[1]

كما على التربية الإسلامية توجيه الأفراد حكاماً ومحكومين إلى ضرورة تزكية أنفسهم من الشرور كحب الاستبداد والتسلط، أو الرضا بالخضوع والذل لمن يدعي امتلاك رقاب الناس والتحكم بهم.

المطلب الثاني:- إعداد البطانة الصالحة

إن المستبد فرد عاجز لا حول له ولا قوة إلا بالمتمجدين[2]، وهم إما جاهل عاجز يعبده من دون الله أو خبيث خائن يرضيه ويغضب الله[3]

يستعين المستبد في حكمه بأعوان يسيطر عن طريقهم على مقاليد الأمور في الدولة وذلك لأنه فرد ضعيف، وإن كان قوي الجسم، فلا قيام لحكمه إلا بالاستعانة بغيره من الزبانية والمنافقين وبطانة السوء.

حرم الإسلام معاونة الظالم بأي شكل من الأشكال، لأن مما يساعد الظالم على ظلمه واستبداده وتسلطه أعوانه وأتباعه كما قدمنا، فمعاونته تقوية له ومساعدة على تنفيذ ظلمه، لذا إذا نزل العذاب بالمستبد لحق بأتباعه، كما حصل لفرعون وأتباعه، قال تعالى: (فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ) سورة الذاريات، آية ٤٠، وقال سبحانه: (فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ) سورة القصص،آية، ٤٠.

---

(1) الكيلاني: ماجد عرسان، **التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند العربي المعاصر**، دبي – دار القلم، ط١، ١٤٢٦-٢٠٠٥، ص ١٨٣.

(2) الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٦٨.

(3) المرجع السابق، ص ٦٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

من هنا فعلى التربية الإسلامية ضرورة بناء أفراد مؤمنين بالله، متمسكين بالـدين، لا تغرهم الأموال والمناصب، قادرين على توجيه النصح للحاكم، وإرشاده إلى مـا فيـه خيـر الأفراد والمجتمعات، ويبينون له خطورة الاستبداد والظلم على نفسه ابتداءً، وعلى المجتمعات ثانياً، كما أن على الحاكم أن يعمل على اختيار البطانة الصالحة التي ترشده وتوجهـه إلـى الخير والصلاح، وتساعد في توفير حياه آمنه مستقرة خالية من القهر والعنف، قـال تعـالى(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) سورة آل عمران، آية ١١٨.

وكذا توجيه هذه البطانة ونصحها إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وضرورة اجتناب ما يقومون به من تزيين المنكر في أعين الحكام الظالمين، وتوجيههم إلـى ضـرورة ممارسـة دورهم على أكمل وجه، عن أبي معمر قال قام رجل يثني على أمير من الأمراء فجعل المقداد يحثوا عليه التراب، وقال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحثي في وجوه المـداحين التراب[1].

المطلب الثالث:- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الاستبداد نتيجة لعدم قيام الأمة بدورها في مراقبة السلطة، والحاكم عن طريق عدد من الأساليب منها الأمر المعروف والنهي عن المنكر، الذي هو وسيلة لمنـع الحـاكم مـن الاستبداد، والقهر.

إنه من القواعد الأساسية في الإسلام، ووجوبه واضح في القرآن الكريم،والسنة النبوية

---

[1] مسلم، **الصحيح**، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف من فتنـة علـى الممدوح، ج٤، ص ٢٢٩٧، رقم ٣٠٠٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الشريفة، والإجماع، ومن ذلك قولـــه تعـــالى:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٤، وقـــال ســـبحانه:(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) سورة آل عمران، آية ١١٠، بين الله خيرية هذه الأمة، وأنها منبثقة من التزامها بهذا المبدأ، وبين مدى التفاضل بين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وأن ترك هذا المبدأ مجلبة للعنة، فهـــو وســـيلة للتفريق بين المسلم والمنافق[١]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهـــون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم[٢]) وقال عليه السلام (إياكم الجلوس في الطرقات، فقالوا يا رسول الله مالنا بد من مجالسنا نتحدث فيها: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه: قالوا: وما حقـــه؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٣]) وغير ذلك من أحاديث نبوية شريفة تبين خطورة هذه القاعدة وأهميتها. كما أجمعت الأمة الإسلامية

---

(١) انظر آل عمران، آية ١١٣-١١٤، المائدة ٧٨-٧٩، والتوبة ٦٧-٧١.

(٢) الترمذي **السنن**، كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج٤، ص ٤٦٨، رقم ٢١٦٩، وقال حديث حسن، والبيهقي، **السنن الكبرى**، كتاب آداب القاضي، باب فضل المؤمن القـــوي، ج١٠، ص ٩٣، وأحمد، **المسند**، ج٥، ص ٣٩١، حسنه الألباني، انظر **صحيح الجامع الـــصغير**، ج٦، ص ٩٧، رقم ٦٩٤٧.

(٣) مسلم، **الصحيح**، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريقة حقه، ج٣، ص ١٦٧٥، رقم ٢١٢١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

في جميع عصورها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استناداً إلى الأدلة السابقة، وقالوا بوجوبه عقلاً[1].

إن الأمر بالمعروف وسيلة للإصلاح يهدف لإيجاد البيئة الصالحة الخالية من المنكرات، بمساعدته على تكوين رأي عام تكون له الهيمنة على المثل العليا، ويشكل سياجاً منيعاً في الحفاظ على العادات والتقاليد، يصون كرامة الأفراد، ويحميهم من عنف الباغين، ويعيشون في ظلاله آمنين لا يضام منهم أحد، ولا تهدر فيه كرامتهم، ويكون في أعلى مستويات النهوض الاجتماعي فهو أحد أساليب الوقاية من الوقوع في المنكر، والعمل على إزالته، وتوجيه السلوك نحو الأفضل، وبذا تستمر الحضارة وتتطور.

وعن أهميته، قال صاحب الإحياء: "إنه القطب الأعظم في الدين، وهو المهمة التي ابتعث الله لها النبيين أجمعين، ولو طوي بساطة، وأهمل علمه وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد[2]" وسئل حذيفة عن ميت الأحياء، فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه[3]، به يعم صلاح[4] البلاد والعباد، فيه حماية للأمة من الفساد، وتسلط الظالمين واستبدادهم كما أن غيابه سبب لتمكن الأشرار وغلبتهم، وضعف الحق وأهله[5]،والأمة التي ترى انتهاك محارم الله وتسكت، يتفاقم فيها الشر وتزداد المعاصي، وتضيع الحقوق والواجبات.

---

(1) العوا: محمد سليم، **في النظام السياسي للدولة الإسلامية**، بيروت- دار الشروق، ط١، ١٤١٠-١٩٨٩، ص ١٦٢.

(2) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٢، ص٤١٨.

(3) المرجع السابق، ج٢، ص ٤٢٥.

(4) انظر الجبرين: عبد الله بن عبد الرحمن، **حاجة البشر إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، الرياض-دار الوطن، ط١، ١٤١٩-١٩٩٨، ص ٤٩-٥٢.

(5) المرجع السابق ، ص ٥٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

إن الأمر به ليس موجهاً إلى فرد واحد، وإنما إلى جماعة المسلمين ممثلة بكل فرد فيها، فهي مكلفة بمراقبة الحاكم حتى إذا ما خرج عن جادة الحق منعوه وقوموه، إنه مهمة الأنبياء أولاً ثم مهمة الأمة الإسلامية بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، فكل مسلم في المجتمع يقع عليه تنفيذ هذا المبدأ سواء تجاه الحاكم أو الرعية فهو "يشمل الأمة بأسرها على اختلاف طبقاتها ومستوياتها حكاماً ومحكومين، علماء وعامة، به تتهيأ الأمة للوقوف بالمرصاد أمام من يتآمرون علي دينها وأخلاقها وعقائدها ومقدساتها، ويعيثون في الأرض ظلماً وفساداً، يريدون إطفاء نور الله بأفواههم، كيف يمكن لهم الوقوف دون التضافر على إزالة المنكر، والوقوف أمام العابثين المفسدين [1]".

أوجب الله على كل مسلم أن يمارس هذا المبدأ على اختلاف درجاته ومراحله، وأن ينصب نفسه رقيباً على كل شذوذ ينافي الآداب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان[2]) وعن الإنكار بالكلمة القوية: قال عبادة من الصامت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرةٍ علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم[3].

وضع الإسلام بهذا المبدأ أساساً متيناً لمنع وقوع الاستبداد في المجتمع، وفي نفسية كل مسلم أنه من السبل الفعالة التي تحفظ للأمة هيبتها وكرامتها، وتحول دون انتشار المعاصي والمنكرات فيها، هو قاعدة للتحرر من كل استبداد يلوح في الآفاق، والمسلم إن كان ملزماً

---

(1) سعادة: إبراهيم، **الإسلام وتربية الإنسان**، الأردن-مكتبة المنار، ط١، ١٤٠٥-١٩٨٥، ص ٩٢-٩٣.

(2) مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ج١، ص ٦٩، رقم ٤٩.

(3) مسلم، **الصحيح**، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء وتحريمها في المعصية، ج٣، ص ١٤٧٠، رقم ١٧٠٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

بتغيير المنكر البسيط والنهي عنه، فمن باب أولى أن لا يقف مكتوف الأيدي إذا رأى استبداد الحاكم المؤدي إلى خراب البلاد، وضياع الحقوق.

بينت الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنزلته، وأنه من صفات المؤمنين، فهما قيمتان واجبتان على كل مسلم، كلٌ بحسب قدرته. وغيابه من أسباب نزول العذاب، فهو من أول النقص الذي دخل على بني إسرائيل، وكان من أسباب هلاكهم ولعنتهم.

لقد جعل هذا المبدأ الأمة الإسلامية تستمر في تطبيق مثلها العليا التي نشأت عليها، وقامت من أجل تحقيقها، لأنه أوجب على كل مسلمٍ أن يكون فاعلاً مؤثراً في بيئته المحيطة به، يدعو إلى التوحيد والاستقامة والفضيلة لأنه المعروف، وينهى عن الشرك والانحراف والرذيلة لأنه المنكر، وهذا ما يقع على عاتق التربية الإسلامية إيجاده في الأفراد والدعوة إليه والحث على التزامه في كافة الظروف، لأثره، وأهميته، وخطورة تركه.

كما على التربية الإسلامية أن تبين للأفراد شروط هذا المبدأ والتي منها:- الحسنة بأن يتم اختيار الأسلوب اللين في المعاملة، وإتباع الموعظة الحسنة، وأن يتم خفية لئلا يكون تشهيراً، وكذا انتقاء الوسيلة المناسبة لتحقيق الغاية المرجوة وغي ذلك من شروط بينتها السنة النبوية الشريفة.

المطلب الرابع:- بيان حرمة الأساليب التي يتبعها المستبد

أنزل الله القرآن الكريم، وبين أن من صفات الحاكم عدم الاستبداد بالرأي، واعتماد الشورى أساساً للحكم، بل حرم فرض الرأي على الآخرين، وإجبارهم عليه، ولو كان في أمر الدين، قال تعالى: (لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) سورة الغاشية، آية ٢٢، و قال سبحانه: (وَلَوْ شَآءَ

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) سورة يونس، آية ٩٩، وحرم كل ما يؤدي للاستبداد من كبر وهوى، إلا أن الناس ابتعدوا عن شرع الله فاستبدوا وطغوا وقد وضع القرآن الموانع التي تمنع الحاكم من الاقتراب منها واستخدامها في سياسته، حيث حرم الفساد بكل أنواعه، وجعل الإصلاح هو السبيل المتبع من قبل المؤمنين، قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ) سورة يونس، آية ٨١، وقال سبحانه: (وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ) سورة القصص، آية ٧٧.

جاء الإسلام لحفظ النفوس والأموال والأعراض، إذ أي مساس بهذه المقومات يعود بالضرر البالغ على المجتمع بأسره، ولا يمكن لمجتمع أن تستقيم أموره، وأن تنمو فيه الحياة وترتقي إلا بالمحافظة على هذه المقومات، وردع كل من يفكر بالمساس بها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا[1]).

أكد الإسلام على احترام الإنسان وعدم النيل منه، أو التجسس عليه واضطهاده، أو نفيه، أو غيبته، أو امتهان كرامته، وتهديد من يرتكب مثل هذه الجرائم بأشد أنواع العذاب في الدنيا والآخرة، ومن ذلك:

(١)الإكراه

قال تعالى: (لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ) سورة البقرة، آية ٢٥٦، فإذا كان هذا في اعتناق الدين الذي أنزل الله الرسل والكتب للدعوة إليه، فكيف بالشؤون الأخرى التي تمس حياة الفرد والمجتمع.

---

(1) البخاري، **الصحيح**، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم رب مبلغ أوعى من سامع، ج١، ص ٣٧، رقم ٦٧، ومسلم، **الصحيح**، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ج٢، ص ٨٨٩، رقم ١٢٩٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

(٢)التجسس

فالمستبد يلجأ إلى بث أجهزة المخابرات والتجسس بين الناس يكشف واقعهم، وما عليه أمرهم، وقد حرم الإسلام التجسس بنصوص القرآن والسنة النبوية الشريفة، قال تعالى: **(وَلَا تَجَسَّسُواْ)** سورة الحجرات، آية ١٢، وقال عليه الصلاة والسلام (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا)[١].

فإن للأفراد حرمة لا يجوز انتهاكها بالتجسس عليهم، وتتبع عوراتهم، وإن كانوا يرتكبون إثماً خاصاً بأنفسهم ما داموا مستترين غير مجاهرين، ولذا حرم الإسلام اطلاع الفرد على قوم في بيتهم بغير إذنهم، قال صلى الله عليه وسلم: (من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم، فقد حل لهم أن يفقؤا عينه[٢]) وحرم الاستماع إلى حديثهم بغير علمهم، وإن نصوص النهي عن التجسس وتتبع العورات عامة تشمل الحكام والمحكومين.

(٣)التهديد والتخويف:

إن التهديد بالعذاب، والاستعلاء بالقوة هما سمات الطغاة المتجبرين الذين لا يدركون أن اللمسة الإيمانية تجعل قوى الأرض كلها ضئيلة، وتجعل الحياة الدنيا لا قيمة لها، فاقضي ما أنت قاضٍ، فما أقصر الحياة، وأهونها أمام ملكوت الخالق الذي هو خير وأبقى[٣]

---

(١) البخاري، **الصحيح**، كتاب الآداب، باب ما ينهى من التحاسد والتباغض، ج٥، ص٢٢٥٣، رقم ٥٧١٧، ومسلم، **الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب،باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، ج٤ ، ص ١٩٨٥، رقم ٢٥٦٣.

(٢) مسلم، **الصحيح**، كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره، ج٣، ص١٦٩٩، رقم ٢١٥٨.

(٣) محجوب: عباس، **الحكمة والحوار علاقة تبادلية**، الأردن-عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٦، ص ١٥٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فحرم الإسلام ترويع الآخرين بأي نوع من أنواع العقاب أو السجن أو القتل أو المحاربة بسبب رأيه وموقفه منه، قال عليه الصلاة والسلام: (لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً[1]) وقال عليه السلام: (لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار[2]).

فما يتخذه المستبدون من أسلوب تخويف الآخرين وتهديدهم بالعقوبات المختلفة حتى يرضخوا لأوامرهم، ويتبنوا أفكارهم، هو من الأمور التي حرمها الإسلام لمساسها بأمن الفرد والجماعة، وتأثيرها على حياتهم واستقرارهم.

(٤)التعذيب والإيذاء

قال تعالى: **(وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)** سورة الأحزاب، آية ٥٨، وقال سبحانه: **(وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ)** سورة المائدة، آية ٨٧، وقال عليه الصلاة والسلام: (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا[3]). وقال عليه السلام: (صنفان من أهل النار لم أرهما قط قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس... [4]).

---

(١) أبو داوود، **السنن**، كتاب الآداب، باب ما جاء في المزاح، ج٤، ص ٣٠١، رقم ٥٠٠٤، وأحمد، **المسند**، ج٦، ص ٣٦٢، نحوه، والطبراني، **المعجم الأوسط**، ج٢، ص ١٨٨، رقم١٦٧٣، نحوه، صححه الألباني، انظر **صحيح الجامع الصغير**، ج٢، ص١٥٥، رقم ٧٦٥٨.

(٢) البخاري، **الصحيح**، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من حمل علينا السلاح فليس منا، ج٦، ص ٦٥٩٢، رقم ٦٦٦١، ومسلم، **الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، ج٤، ص ٢٠٢٠، رقم ٢٦١٧.

(٣) مسلم **الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق،ج٤، ص ٢٠١٧، رقم ٢٦١٣.

(٤) مسلم، **الصحيح**، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات الممايلات، ج٣، ص ١٦٨٠، رقم ٢١٢٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

لقد نهى الإسلام عن القهر، والعنف، وتعذيب الناس لما لذلك من آثار سلبية عليهم، بما يخل أمنهم وأمن المجتمع، فتقف عجلة التنمية، وتتأخر البلاد، بانعدام الإبداع والابتكار.

(٥)السجن:

كفل الإسلام لكل فرد في الدولة حق الأمن، فلا يجوز للدولة القبض على شخص أو اعتقاله إلا بمحض أحكام القانون، ولا يجوز في نظر الشريعة الإسلامية حبس شخص إلا بسبب جريمة تستحق العقوبة[١].

فليس للمستبد اتخاذ السجون التي هي أشبه ما تكون بالمقابر، يودع فيها من يخالفه في آرائه وأفكاره، ومن يعارض أوامره وتوجيهاته.

(٦)القتل

ضمن الإسلام للإنسان حق الحياة، فحماه من الاعتداء عليه سواء من الغير أو من ذات نفسه، وبهذا فإنه يحمي كيان الوطن من التفكك، قال تعالى: (مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا) سورة المائدة، آية ٣٢، وقال سبحانه: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا) سورة النساء، آية ٩٣، وقال عليه الصلاة والسلام: (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مسلم[٢]).

---

(١) انظر أبو عيد: عارف خليل، **نظام الحكم في الإسلام**، الأردن-دار النفائس، ط١، ١٤١٦- ١٩٩٦، ص ١٥٤.

(٢) الترمذي، **السنن**، كتاب الديات، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن،ج٤، ص١٦، رقم ١٣٩٥، والنسائي، **السنن الكبرى**، كتاب المحاربة، باب تحريم الدم، ج٢، ص ٢٨٤، رقم ٢٤٤٨، والبيهقي، **السنن الكبرى**، كتاب الجراح، باب تحريم القتل ج٨، ص ٢٢، صححه الألباني، انظر **صحيح الجامع الصغير**، ج٤، ص ١٣١، رقم ٤٢٣٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فإن من أعظم المظالم القتل بغير حق، وهو من أعظم الكبائر، وأعظم وجوه الفساد بين الناس، قال ابن العربي:"ولم يخل زمان آدم ولا من بعده من شرع، وأهم قواعد الشرائع حماية الدماء من الاعتداء، وحياطته بالقصاص كفاً وردعاً للظالمين، وهذا من القواعد التي لا تخلو عنها الشرائع، والأصول التي لا تختلف فيها الملل[1]"

فلا يجوز للدولة الاعتداء على حياة الأفراد، إلا بارتكابهم جرماً يؤاخذ عليه الشرع، ويعاقب عليه القانون، فللنفس عصمة يجب صيانتها.

كما حرم الإسلام الانتحار، قال تعالى: **(وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)** سورة النساء، آية ٢٩، فالحياة ليست حقاً قابلاً للتخلي عنه، أو منحه للغير، كي يكون بإمكان الشخص أن يتخلى عنه أو يسمح للآخرين أن يقوموا بقتله.

إن الحدود الشرعية تفعل في النفوس فعلها، فيرتدع أهل الشر والفساد، ولا ينزجر أهل الغواية، ومن في قلبه مرض، فتؤتي تلك الحدود ثمارها أمناً وطمأنينة وصلاحاً في المجتمع.

ومن هنا يأتي دور مربي التربية الإسلامية في بيان هذه الأحكام للأفراد من حيث وجوب تطبيقها، والتحذير من إهمالها وإغفالها عن حياتهم، فالله خالق الإنسان ويعلم ما به صلاحه في الدنيا والآخرة وقد سبق في علمه سبحانه خطورة مثل هذه الأساليب التي يتبعها

---

[1] ابن العربي: أبو بكر محمد، **أحكام القرآن**، بيروت-دار المعرفة، د-ط و ت، تحقيق علي محمد البيجاوي، ج٢، ص ٥٨٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المستبد على حياة الأفراد والجماعات، لذا جاءت الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة مبينة لحكم تلك الأفعال وحرمتها، وأثر غيابها.

المطلب الخامس:- المسؤولية

يقتل الاستبداد في الفرد الشعور بالمسؤولية، والإحساس بالواجبات تجاه نفسه ،ومجتمعه، والعالم بأسره، فليس هناك موقف إيجابي تجاه مشكلات المجتمع والعمل على الدفاع عن مصالحة، بل ينتشر التهرب من تحمل المسؤولية والتنصل منها.

لذا فإن تربية المسلم حاكماً أو محكوماً على استشعار عظمة المسؤولية، والتصدي للنهوض بها فيما أنيط به من أعمال من الأمور التي تحول بينه وبين الجنوح إلى سبيل الطغيان والاستبداد.

توسع القرآن الكريم في الحديث عن المسؤولية باعتبارها الثمرة الكبرى للحرية، فاستعراض تاريخ الإنسانية يؤكد على المسؤولية الشخصية لصنع الحاضر والمستقبل، إن الفرد هو الذي يشكل واقعه بتفاصيله، كما أنه هو من يحدد نوعية مصيره في الحياة الآخرة.

إن المسؤولية كما عرفها دراز: صفة تلازم صاحبها في فترة ممتدة ذات طرفين بداية ونهاية، وأن لها في كل طرف منها معنى خاص، ودلالة معينة[1] والمسؤول هو الشخص الذي يتحمل نتيجة أعماله وتصرفاته أمام الله ثم أمام نفسه ومجتمعه[2]. هي مقدار تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحيتين الإيجابية والسلبية في فترة ذات بداية ونهاية.

---

(1) دراز:محمد عبد الله، **دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية**، القاهرة-دار المعرفة الجامعية، د-ط، ١٩٨٩، ص ٥٢.

(2) محجوب: عباس، **أصول الفكر التربوي في الإسلام**، الأردن، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٦، ص ٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد حرص كل من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على تأكيد معنى المسؤولية في النفوس، قال تعالى: (فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) سورة الحجر، آية ٩٢-٩٣.وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع ومسؤول عن رعيته[1]).

إن الفرد مسؤول عن تمسكه بحرياته، ورفض الخضوع لغير الله قال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا) سورة النساء، آية ٩٧. وعن استعمال قواه، قال سبحانه وتعالى(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا) سورة الإسراء، آية ٣٦.

فهو مسؤول عن نفسه، وأسرته، ومجتمعه، ومسؤول عن الأمة فيما يزيد من قوتها وتقدمها وحفظ مقدراتها، وتحقيق الأمن والاستقرار، والقوي مسؤول عن الضعيف.

---

[1] البخاري، **الصحيح**، كتاب الأحكام، باب قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، ج٦، ص ٢٦١١، رقم ٦٧١٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

والأهم مسؤولية القيادات الدينية والفكرية، والسياسية، والاقتصادية، والتربوية وغيرها، مسؤولية الحاكم عن الرعية متمثلة في تنفيذ شريعة الله ومنهجه في الحياة، وإقامة حدوده وأحكامه وصيانة حقوق كل فرد من الأمة، مسؤول عن كل ما أمر الله به من إصلاح نفسه وإقامتها على طاعته وأوامره، مسؤول عن خاصته الذين أمره بتأديبهم وتقويمهم والاستعانة بهم لتنفيذ شرع الله، مسؤول عن عبادة الذين استرعاه الله إياهم حتى عن آخر عبد في أقصى مملكاته، وأدناها قال أبو حاتم: "رؤساء القوم أعظمهم هموماً وأدومهم غموماً،وأشغلهم قلوباً، وأشهرهم عيوباً، وأكثرهم عدواً، وأشدهم أحزاناً، وأنكاهم أشجاناً، وأكثرهم في القيامة حساباً، وأشدهم إن لم يعف الله عنهم عذاباً[1]".

قال تعالى: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) سورة الإسراء، آية ٧١، مما يدل على مسؤولية الحاكم، وقال صلى الله عليه وسلم،(لا يسترعي الله عبداً رعية يموت حين يموت وهو غاش لها إلا حرم الله عليه الجنة[2])' إنها مسؤولية مزدوجة في الدنيا أمام القضاء والأمة، وفي الآخرة أمام الله سبحانه وتعالى، فحديث ألا كلكم راعٍ قد حدد المسؤولية بحيث لا يضل منها أحد، فساق أمثله من القمة إلى أدنى درجات الهرم الوظيفي.

إن مسؤولية الحاكم عن الرعية أو أي مسؤول في موقعه وعمله بل حتى في بيته وبين أهله وأولاده هي واحدة من أبرز السمات الحضارية التي اعتمدها الإسلام في سلامة الاجتماع العمراني، وانتظام أحوال الأمة، وعلى أساسها يكون الثواب والعقاب.

---

[1] ابن حبان: أبو حاتم محمد، **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، الرياض-دار الشريف، ط٢، ١٤١٨-١٩٩٢، ص ٢٢٨.

[2] مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، ج١، ص ١٢٥، رقم ١٤٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونظراً لأهمية المسؤولية فإنه يترتب على غيابها من التربية المعاصرة، ما يلي:[1]

(١) جعل القيادات تمارس أعمالها دون رقابة داخلية، فتتصرف بمصائر الأمم والشعوب وفقاً لمصالحها الشخصية.

(٢) ممارسة الفرد لمهنته بعيداً عن الأخلاق في مختلف ميادين الحياة.

(٣) بناء إنسان من نوع خاص، شخص محايد لا يناصر الأخلاق، ولا يعاديها، يتميز بعدم الانتماء لأحد أو لشيء.

(٤) انعكاس ذلك على الأسرة حيث يوجه الفرد أن الأسرة هي إحدى المؤسسات الهامة لتأمين بقاء النوع البشري، واستمرار ارتقائه، وإنما تقدمها باعتبارها أحد أماكن المتع والملذات الدنيوية، لذا يتنكر الآباء والأمهات والأبناء للمسؤوليات الملقاة عليهم.

إن تربية الإحساس والشعور بالمسؤولية من الأمور التي بنت التربية الإسلامية ركائزها عليها، وذلك لما لها من أثر في حياة الأفراد والمجتمعات، لذا تضع التربية في قمة أولوياتها تعويد الطلاب على النظام والعمل الذين يكون دافعهما الإحساس بالمسؤولية، لقد عمل الإسلام في تربية الصحابة على غرس الشعور بالمسؤولية، والضبط الأخلاقي، فجعل من صفات النفاق: إخلاف الوعد والحديث الكاذب، وخيانة الأمانة، وكلها ضوابط نابعة من الشعور بالمسؤولية، فالمسلم الذي غرست فيه روح المسؤولية لا يرتشي، ولا يأخذ أجراً على غير عمله، ولا يقصر في واجباته، ولا يتهرب من الضرائب التي تفرضها الدولة، ولا يغش، ولا يكذب[2].

فلا بد من تعويد الفرد على العمل الذي يكون دافعه الشعور بالمسؤولية ابتداءً من الطفولة ثم في مرحلة الدراسة بالاعتماد على الله ثم على نفسه في ممارسة نشاطاته.

---

[1] الكيلاني، **فلسفة التربية الإسلامية**، ص ٣٠١-٣٠٢، باختصار.

[2] محجوب، **أصول الفكر التربوي في الإسلام**، ص ١٩٠-١٩١، باختصار.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

كما يجب تربية كل فرد على الشعور بأنه هو المسؤول عن تغيير واقع الأمة، وأنـــه يمتلك القدرة على ذلك إذا سعى يروح الجماعة مع الأمة، والارتباط بجذورها، وعدم العزلة، وهذا سيعمل على إخراج دعاة الحق يأخذون بأيدي أفراد الأمة نحو التقدم والحضارة، لابد من توضيح مسؤولية الحاكم والمحكوم، وواجبات كل منهم، وبيان أن ما يعيشه المستبد من ترف إنما هو استغناء مؤقت، وأن هناك حياة أخرى يتجرد المستبد خلالها من الجاه والقوة والغنى، ثم يسألون عن كل الممارسات صغيرها وكبيرها مما أملاه عليه استبدادهم، فيقع على عـــاتق التربية العمل على إعداد فرد حاكم يشعر بمسؤوليته عن تنفيذ الشرع، وعن أفـــراد الرعيـــة، وحفظ حقوقهم، وعن الأمة بالنصح للحاكم أو الثورة عليه إن جار وظلم ولم يستجب للنصح.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

المبحث الثاني

إعداد الشخصية الإنسانية المتكاملة

إن من بين الحواجز التي يضعها الإسلام للحيلولة دون وقوع الاستبداد، والتي تعد من أولى الخطوات لمواجهة المستبد، تهيئة الشخصية القيادية القادرة على الوقوف أمام المستبد، حيث تتحمل العبء الأكبر، وتمثل رأس الحربة.

إن التجرد التام من حظ النفس والذات، والإقبال على التضحية ركن أساسي في مواجهة المستبد، وإن تهيئة الشخصية لا بد أن يتناسب مع حجم المسؤولية، حيث يجب بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة التي نالت كل حقوقها، وشعرت بكرامتها وقيمتها الإنسانية.

ولذا اهتم الإسلام ببناء الشخصية، ورعايتها من كافة جوانبها المادية والمعنوية، فكل جانب يؤثر في الآخر، والسعادة تؤسس على اعتدال وتكامل هذه القوى وتعاونها، وإن الشخصية تنمو وتزدهر في الأجواء الحرة والبيئات السمحة، كما أن تفتح العقل وبناء المعرفة مرهونان بمعطيات الحرية التي يجب أن تسود في المناخ التربوي الذي يحيط بالأطفال والناشئة.

إن التربية الإسلامية هي الضمان الأول لكل نهضة، والبيت هو المدرسة الأولى لتلك التربية التي تهدف إلى بناء الإنسان الصالح القادر على حمل الرسالة، وأداء وظيفته طبقاً لتعاليم الله سبحانه.

ومن أهدافها كذلك:

١- تربية الأفراد على المبادرة، والأخذ بزمام الأمور، وترك الانقياد والخضوع فالقادر على المبادرة يتصف بعدد من الصفات، منها:أ- القدرة على تحليل الواقع

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

واكتشاف التشويه الذي يصيب الهوية، والإصلاح الذي يحتاج إليه، ب- استطلاع بدائل السلوك المطلوب وحسن اختيار المناسب منها والسيطرة على الانفعالات وتحمل المسؤولية،ج- إخضاع مشاعرهم للتقييم د- التفاعل مع البيئة السياسية بشكل حر، وتحديد الأهداف واختيار الوسائل[1]

٢- بناء فرد مؤمن واعٍ لمعنى وجوده، ورسالته التي يحملها، ومسؤولياته، وأهدافه، بحمل رسالة يؤمن بها ويعيش لها هي كما قال محمد قطب: " رسالة القوة، القوة في الحق، في البناء والتعمير، في حمل الأمانة والقيام بمقتضياتها والجهاد في سبيلها[2]"

٣- إعداد فرد يرفض الظلم، والانتصار له، والسكوت عليه، قال زيدان: إن للمسلم شخصية واحدة يحكمها الإسلام، فلا يجوز أن تكون له شخصيتان، شخصية إسلامية في المسجد، وشخصية المعين للطاغية، المنفذ لبغيه وظلمه، وهذه متناقضة لمقتضيات الشخصية الإسلامية[3].

فرد قادر على مواجهة التحديات، وعدم الاستسلام للمستبد المتسلط، نفس عزيزة ترفض الذل والإهانة، وتقف في وجه المستبد، شخصية مستقلة من كافة جوانبها حيث أن النشأة الاستقلالية تحول دون وقوع الفرد تحت نير الاستبداد، وتحرره من سيطرة الآخرين، وتجنبه جميع الشرور الناتجة عن الاعتماد عليهم.

٤-بناء شخصيته تتميز بالقوة والأمانة، الصلابة والخشونة، شخصية إيجابية فاعلة على جميع المستويات، نفسه، وأسرته، ومجتمعه.

إنَّ للتربية في الإسلام أهدافاً شمولية، واسعة وعميقة، فهي تشمل تنمية الجانب الديني،

---

(١) الكيلاني، **التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند العربي المعاصر**، ص ٤٩-٥٣، باختصار.

(٢) قطب: محمد، **مناهج التربية الإسلامية**، بيروت-دار الشروق، ط٤، ١٩٨٠، ج١، ص١١٨.

(٣) انظر زيدان، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد**، ص ١٩٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

والفكري، والإنساني، والاجتماعي، والأخلاقي، والجسدي، والعقلي، وهي في تنميتها هذه الجوانب فإنها تعمل على تكاملها وتناسقها بحيث يصبح الإنسان الذي تعده مكتملاً في شخصيته ذات نظرة شمولية للأمور، قال الكواكبي:" إن التربية المطلوبة هي التربية المرتبة على إعداد العقل للتمييز، ثم على حسن التفهيم والإقناع، ثم على قوة الهمة والعزيمة، ثم على حسن القدوة، وبعدها على المواظبة والإتقان، ثم على الاعتدال وأن تكون تربية العقل مصحوبة بتربية الجسم، لأنهما متصاحبان صحةً واعتلالاً، فإنه يقتضي تعويد الجسم على النظافة، وتحمل المشاق، والمهارة في الحركات، والتوقيت في النوم والغذاء، والعبادة، والترتيب في العمل والرياضة والراحة، مع اصطحاب ذلك لتربية النفس على معرفة خالقها ومراقبته والخوف منه[1]".

ومن الجوانب التي تهتم التربية الإسلامية ببنائها وتكاملها في الشخصية الإنسانية:

١- الجانب الديني (العقدي):

إن الدين هو الدعامة الأساسية في توجيه سلوك الأفراد، وكلما قويت العقيدة أسند كل شيء إلى الله سبحانه، فيستمد قوته من قوة الله، وثقته في نفسه من ثقته بالله، وتأييده ونصره، ويستمد أمله في المستقبل من أمله بتوفيق الله، ويتأكد لديه أن الأرزاق والآجال والتوفيق والنصر بيد الله وحده، وكلما قوي اعتقاد المسلم في الله قويت عزيمته وإرادته، وهو سبب تحقيق النصر، حيث يتحرر الإنسان من العبودية لغير الله، ويتم إيجاد الدافع نحو العمل والبناء. وعلى التربية الإسلامية العمل على نشر الدين الإسلامي، وتربية النشء، وتنظيم أمور الحياة بجميع ميادينها على هدى من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

---

(1) الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ١١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٢- الجانب الأخلاقي:

إن الأخلاق من أهم ما يميز الإنسان عن غيره، وهي جوهر الإسلام، وضرورة من ضرورياته، فيها يتم الحفاظ على الفرد وكيانه واحترامه، وكذا المجتمع، "فبقاء الأمم وزوالها مرهون بتمسكها بالأخلاق الفاضلة من عدمه[١]" فللأخلاق أهمية كبرى في بناء خير فرد ومجتمع وحضارة، فرد يأبى الذل والضيم، ويرفض أن يكون ظالماً مستبداً، لذا فلقد حرصت التربية الإسلامية على غرسها في نفس المسلم.

٣- الجانب النفسي:

اعتنت التربية الإسلامية بالجانب النفسي، فلم تكبت رغائب النفس، وتبدد طاقاتها، وتشتت كيانها، فلا عمل ولا إنتاج ولا إصلاح، كما أنها لم تطلقها دون ضوابط،بل حرصت على إشباع حاجات الفرد، وتحقيق الصحة النفسية، وتحريره مما يحطم كيانه وشخصيته، بإيجاد ما يصد النفس عن الانحراف والشذوذ، وتنمية النزعات الخيرة، وإحداث نوع من التوازن والقدرة على الصمود أمام التحديات المختلفة.

٤-الجانب الجسدي:

اهتم الإسلام بالنواحي الجسمية، وتنميتها بشكل سليم، لأن الفرد القوي المتمتع بجسم صحيح أقدر على الدفاع عن دينه، والذود عن وطنه وقومه وكرامته، ومواجهة ما يعترضه من صعاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف[٢])

---

(١) انظر القاضي: سعيد إسماعيل، **أصول التربية الإسلامية**، القاهرة- عالم الكتب، ط١، ١٤٢٢-٢٠٠٢، ص ٣٦.

(٢) مسلم، **الصحيح**، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ج٤، ص ٢٠٢٥، رقم ٢٦٦٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالفرد يحتاج إلى جسد قوي، متين البنيان، يتحرك ويعمل ويسعى، قادر على مواجهة التحديات فالحياة كلها جهاد، ولذا اعتنت التربية الإسلامية بتربية طاقات الفرد الجسدية، مع توجيه هذه القوة لتكون قوة بناء ورحمة واعتدال لا قوة بطش واستبداد.

٥-الجانب العقلي:

أولى الإسلام العقل عناية كبرى، وشجع على تنميته لأنه طريق التقدم والنهضة، وعن طريقه يأتي العلوم والمعارف، هو النعمة التي وهبها الله للإنسان وكرمه وميزه بها.

وتنمي التربية العقلية في الفرد إحساسه بالآخرين، وما يسود المجتمع من قيم وأنظمة واجبة الاحترام والتنفيذ، يعرف الفرد من خلالها حقوقه الإنسانية والاجتماعية والسياسية، وغيابها يجعل الفرد يستسلم ويسكت عما يحل به ولو كان مظلوماً، ويخضع لكل ما يمارس ضده من استبداد، ومن غير إصلاح العقول وتنميتها لا يمكن رفع الاستبداد، والوقوف في وجهه، لذا فلا بد من فتح باب الاجتهاد الدافع للعمل والإنجاز، وتدريب الفرد على الأخذ بالحكمة، وتعلم كل علم نافع له ولمجتمعه وللإنسانية كافة.

٦-الجانب الإرادي:

إن الإرادة هي القوة التي يكون بها الفرد صاحب موقف يليق به في الحياة، فمن مظاهرها الشجاعة في مواجهة الحياة، والثبات على المبدأ، هي الوسيلة لمقاومة مغريات الحياة، ومواجهة مصاعبها، بها يؤدي واجباته، ويحفظ حقوقه، ويتحمل مسؤولياته.

وقد حرصت التربية الإسلامية على أن تغرس في الفرد تفوقه على غيره، وقدرته على الوقوف في وجه الاستبداد والظلم، وعدم السكون، فكم من دولة لم ينقذها سوى قوة الإرادة، هذه القوة التي مكنت سحرة فرعون أن يقولوا له(**قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا**

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ) سورة طه، آية ٧٢.

٧- الجانب الاجتماعي:

حرص الإسلام على توثيق الروابط بين الفرد والمحيطين بـه، بمـا يحقـق الألفـة والانسجام وتبادل المصلحة، والأمن والاستقرار، فالشخصية الاجتماعية هي التي تنظر إلـى أفراد المجتمع كافة على أنهم إخوة، فيكون الفرد فعالاً بعيداً عن السلبية والانطوائيـة، فـأمن المجتمع وسلامته واستقراره يرتبط بسلامه الأفراد وأمنهم، لذا وجب تخليص الفرد من الأنانية وحب الذات.

وغير هذه من المجالات، كالمجال الجمالي الانفعالي، وغيرها مما يساهم فـي بنـاء شخصية مستقلة معتدةٌ بنفسها، محافظة على ذاتيتها واستقلالها، تأبى الذل والظلم مما يملأهـا مهابة، ولا يكون لغيرها عليها سبيل.

إن هدف التربية الإسلامية بناء الفرد الصالح المنطلق بإيمان ووعي إلى خدمة أمتـه والتضحية في سبيل ذلك بكل ما يملك من جهد ونفس ومال، ببناء شخصية متكاملـة تتمتـع بالتعاون والترابط بين الأفكار والأفعال والمشاعر، قادرة على تحقيق مـا أُنـيط بهـا مـن مسؤوليات، شخصية منتجة قادرة على التكيف، رافضة للتبعية، قادرة على التغيير الهـادف، والتجديد والتطوير المستمرين، فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ سورة الرعد، آية ١١. وهذا يحتاج لإيجاد فرد صاحب موقـف كمـؤمن آل فرعون، شخص أمين على نفسه والآخرين، قادر على مواجهة التحديات والصعاب مهما كانت النتائج.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ونحتاج في ذلك للإقتداء بشخصية رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الذي واجه ظلم الكفار واستبدادهم وجبروتهم، متمسكاً بالمبدأ الذي جاء يدعو إليه، وكشخصيات الصحابة والتابعين، وما واجهوه من تعذيب في سبيل نشر الدعوة، كأحمد بن حنبل الذي لم تثنيه وطأة التعذيب، وقسوة المحنة، وخنوع الناس عن التمسك بعقيدته حتى أطلق عليه إمام أئمة الإسلام.

وإن طريقنا إلى ذلك يتمثل في التربية التي تجعل الإنسان قادر على اختيار طريقه في الحياة. لذا فلابد من تطبيق عملية تربية شاملة لمختلف قطاعات الأمة وفق تعاليم الإسلام، لأننا ببناء الإنسان نعيد الثقة إلى الذات، ونضمن النظام والانتظام في الدولة، وعندها نفاخر بانتمائنا الذي يدفعنا إلى قول كلمة الحق مهما كانت آثارها، وعدم الركون إلى العزلة.

وهذا لا يقتصر على أفراد الشعب بل يتناول الحاكم الذي لابد من إعداده إعداداً إيجابياً، خلقياً، جسدياً، اجتماعياً، إرادياً، بحيث يكون على وعي بحجم المسؤولية التي أنيطت به، وتمكينه من القدرة على القيام بأعبائها ومساعدته، والوقوف في وجهه إن هو انحرف عن الطريق، وهذا واجب جميع المؤسسات في الدولة من أسرة، ومدرسة، ووسائل إعلام، وغيرها.

فعلى التربية الاسلامية إعداد شخصية قوية قادرة على مواجهة المشاكل، وعدم التهرب منها أو تأجيلها، مستقلة لا تتقمص شخصيات الآخرين، ولا تذوب فيها، وذلك لأنه في ضوء البناء المتكامل للشخصية من جميع جوانبها تتحدد علاقة الإنسان بربه ونفسه ومجتمعه، ويكون مؤهلاً لمواجهة الأخطار والدخول في معترك الحياة بهمة ونشاط.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثالث

التحديد والتعددية والمراقبة والحساب

تحتاج الجماعات الإنسانية إلى حاكم يحمل لواء الدفاع عنها، وحمايتها، والمحافظة على مصالحها وحقوقها، وقد جعل الإسلام حق اختيار هذا الحاكم بيد الشعب عن طريق مبدأ الشورى، إلا أن دور الأمة لا ينتهي عند ذلك، بل إن عليها وضع الضمانات التي تمنع استبداد الحاكم بشعبه، وتسلطه عليهم، وانتهاكه لحقوقهم، ويتم ذلك عبر جملة من المبادئ التي سيتم نقاشها من خلال هذه المطالب.

المطلب الأول:- تحديد مدة للحكم

إن استمرار الحاكم مدة طويلة وهو فاسد مصيبة على الشعوب، وعبء عليها لما يترتب على ذلك من آثار، ولم يعرف الإسلام تحديد مدة مُعينة يتولى فيها الحاكم أمر الأمة ثم يعتزل الحكم بعدها ليخلفه آخر بطريق الانتخاب أو بأي طريق آخر، ولكنه بين أن على الحاكم واجبات عليه القيام بها، وإتباع شرع الله سبحانه من خلال ما جاء في القرآن والسنة، ليستحق الطاعة .

وقد اتجه العصر الحديث إلى تحديد مدة الرئاسة، لفضل ذلك على الصالح العام من إطلاق المدة، فالحاكم قد يتجه إلى الاستبداد بالرأي بعد اختياره، وقد يسيء اختيار مساعديه، وينسى معاناة الشعب والأمة، ولهذا قضت الدساتير الحديثة بتحديد مدة الرئاسة، بأربع أو خمس سنوات، مع السماح للرئيس بالتقدم مرة أخرى واحدة فقط للترشيح[1].

وترى الباحثة أن الأصلح في الأنظمة الحديثة والأبعد عن الاستبداد هو تحديد مدة

---

[1] انظر شلبي: أحمد، **السياسة في الفكر الإسلامي**، القاهرة – مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٨٣، ص٦٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الحكم، وعدم السماح للحاكم بتوريثه لأبنائه من بعده، فليس هناك حكم دائم مدى الحيـاة، ولا سلطة فردية مطلقة، لأن دوام الحكم وفردية التصرف معناه العصمة من الخطـأ، والعـصمة تعني عدم النقد بل تحريمه وتجريم فاعله، وعدم النقد يشجع الحاكم على الاستبداد، لذا فمـن واجب التربية الدعوة إلى تحديد فترة الحكم وتقنين القيم السياسية لأن هذا ما توجه إليـه روح الشورى التي دعا إليها الإسلام، ولا يعني هذا طعناً في ما كان عليه حال المـسلمين، إلا أن الزمان تغير والأشخاص كذلك، فإننا نرى في كثير من الحكام من يعرف حقه على الشعب في وجوب الطاعة وينسى حق أبناء الشعب عند تسلمه السلطة، والافتتـان بالمنـصب والمـال، بخلاف ما كان عليه حال المسلمين سابقاً حيث كان تقديم حق الناس علـى حقـوق الـنفس، والتاريخ خير شاهد على ذلك، فليس هناك حكم دائم مدى الحياة دون استبداد.

وهذا لن يتم إلا بإسهام التربية الإسلامية من خلال كافة مؤسساتها ببناء شخـصيات قادرة على المطالبة بهذا الحق، رافضة لتحكم وسيطرة شخص واحد على مسيرتها مدى الحياة لعلمها بخطورة ذلك، وما يؤدي إليه من نتائج.

المطلـب الثـــاني:- التعـــــدديـة

يرى المستبد أنه صاحب الحقيقة المطلقة، وليس لأحد معارضته أو نقده، بـل علـى الجميع الطاعة والخضوع، ولذا يمنع الأفراد من التجمع، لأغراض خدمة مصالحه وسيطرته قال ستالين: "في شخصي وحده تجتمع السلطة، ولي وحدي تعـود الـسلطة التـشريعية دون منازع أو حسيب، النظام العام بمجمله يستمد وجوده من وجودي، وأنا حاميه الأول، شـعبي وأنا واحد، حقوق ومصالح الأمة التي يجرؤون على جعلها جسماً منفصلاً عن الملـك، هـي

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

بالضرورة متحدة بحقوقي ومصالحي أنا، ولا ترتاح إلا بين يدي[1]". فهو يختزل الأمة في شخصه وحده، وهذا حال كل المستبدين في كل زمان ومكان.

من هنا جاءت الدعوة إلى التعددية التي هي نقيض الواحدية، هي سمة من سمات الشورى والحرية الإسلامية، تشير إلى مشروعية تعدد القوى والآراء السياسية، وحقها في التعايش والتعبير عن نفسها، والمشاركة في صنع القرار العام[2] إنها تعني تألف نظام الحكم من عدة مجموعات، وبيان أن أفضل حكومة هي التي تتشكل من اتجاهات تمثل مصالح عديدة في المجتمع[3].

إنها إقرار بالحرية، والاختلاف، والتعايش السلمي، وبذا تكون المكون الأول للمجتمع القوي القادر على التطور، والنهضة، بتحقيق الوحدة وحمايتها، ومنع تفكك قوى المجتمع التي يقوم ببنائها عليه، هي ضمانة للقضاء على الحروب الداخلية، والفتن الطائفية، والسياسة والحزبية، وإغفالها يؤدي للتخبط السياسي، وإلى العنصرية التي تثير الصراعات والنزاعات بما يشكل الأرضية التي تسمح بنشوء الاستبداد[4].

فعلى الأمة أن تسعى جاهدة إلى منع تركيز السلطة في يد شخص واحد، أو مؤسسة واحدة، ومنعهم من الإنفراد بالرأي، والحيلولة دون التصرف في أموال الأمة دون رقيب ولا حسيب، فالمركزية المتمثلة بتجمع السلطات هي أحسن بيئة لانتشار الفساد، وعدم تمركزها يمنع من الاستبداد، وهذا ينطبق على مختلف المستويات الدينية، والسياسية، والاجتماعية، قال

---

(1) كامل ، **من يصنع الطغاة**، ص١١.

(2) انظر إبراهيم: سعد الدين، **التعددية السياسية والديمقراطية في الوطن العربي**، عمان – منتدى الفكر العربي، ١٩٨٩، ص١٥.

(3) انظر عميش: سمير، **التعددية والتنوع محرك التقدم والتطور**، عمان – دار أزمنة، ط١، ٢٠٠٦، ص٣٧

(4) انظر المرجع السابق، ص٤٣-٥٠، الميلاد: زكي، **الفكر الإسلامي قراءات ومراجعات**، لندن- مؤسسة الإنشاء العربي، ط١، ١٩٩٩، ص١٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ سورة البقرة، آية ٢٥١.

وعن أهمية التعددية ودورها في منع الاستبداد بين القرضاوي إنه لا يوجد مانع شرعي من وجود أكثر من حزب سياسي داخل الدولة الإسلامية إذ المانع الشرعي يحتاج إلى نص، ولا نص، بل إن هذا التعدد قد يكون ضرورة في عصرنا الراهن، لأنه يمثل صمام أمان من استبداد فرد أو فئة بالحكم، وتسلطها على سائر الناس، وما يشترط لاكتساب هذه الأحزاب شرعية وجودها أمران أساسيان: أن تعترف بالإسلام عقيدة وشريعة ولا تعاديه أو تتنكر له، وإن كان لها اجتهاد خاص في فهمه في ضوء الأصول العلمية المقررة، أو لا تعمل لحساب جهة معادية للإسلام والأمة[1].

وهذا يبين دور التربية الاسلامية وتوجيهها للأفراد بضرورة أن يؤدي كل فرد منهم ماأوكل إليه من واجبات، وأن يكون قادراً على المشاركة في إصدار القرارات وتنفيذها، فرد قادر على المطالبة بمنع تركز السلطات في يد فرد أو فئة لضمان عدم وقوع الاستبداد، فامتداد شخصية واحدة على التنظيم تكريس للظلم والاستبداد.

المطلب الثالث:- المراقبة والمحاسبة

أقيمت سلطة الحاكم لرعاية مصلحة الناس، وضمان حقوقهم، لذا فليست هي سيادة مُطلقة، ومن هنا كانت الرقابة عليهم واجبة على الأمة التي يتعين عليها السهر على صيانة الدين وعزته، فالرقابة عملية متابعة للتنفيذ في جميع مراحله، وهي من أساليب تقييد السلطة، ووسيلة للتقليل من احتمال استغلالها من قبل الأفراد.

---

[1] انظر هويدي: فهمي، **حقنا في أن نختلف**، بحث منشور، مجلة لندن، عدد ٦٤٧، يوليو ١٩٩٢، ص٤٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وتقسم الرقابة إلى قسمين:

١-رقابة داخلية متمثلة بالوازع الداخلي المتمثل بالعدل والتقوى، ولابد من العمل على إيجادها داخل النفس الإنسانية، حيث يشعر بها كل من الحاكم، وأفراد الشعب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوقه، كان غلولاً يأتي به يوم القيامة، قال: فقام إليه رجل أسود من الأنصار، فقال: يا رسول الله اقبل عني عملك، قال: وما لك؟ قال: سمعتك تقول كذا وكذا، قال: وأنا أقوله الآن، من استعملناه منكم على عمل فليجيء بقليله وكثيرة، فما أوتي منه أخذ وما انتهى عنه انتهى[١]).

فعلى التربية الإسلامية أن تربي في الفرد الرقابة الذاتية بالتخويف من العقاب أو بيان أثر العدل، وتعزيزه في النفس، ويشعر المسلم برقابة الله عليه، وأنه مسؤول عما يصدر عنه مما يبعده عن اقتراف الظلم وممارسة العدوان وهذا كان سبباً في عدل الخلفاء، ولكن بما أن الحاكم بشر كغيره معرض للضعف والغضب كان لا بد من مراقبته و تقويمه.

٢-رقابة خارجية وهي رقابة الأمة.

إن الأمة هي مصدر سلطان الحكام، باعتبارهم نوابها، و بالتزامهم الرجوع إليها في الأمور الهامة، وبما أن الحاكم في الإسلام ليس حاكماً مطلقاً لكنه مقيد بنصوص الشرع من كتاب وسنة، فقد أعطى الإسلام لكل مسلم حق الإنكار للمنكر سواء صدر من عامة الناس أو خاصتهم، فالقائد معرض للنقد والإنكار عليه متى خالف نصاً من كتاب أو سنة، فهو نائب الأمة يصيب ويخطئ، والأمة تمتلك حق توليته وعزله، ويجب عليها نصحه وتسديده وتقويمه، وقد أمر الإسلام الأفراد أن يقولوا الحق لا يخافون في الله لومة لائم[٢].

---

[١] مسلم، **الصحيح**، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، ج٣، ص١٤٦٥، رقم ١٨٣٣.

[٢] انظر عبد الخالق: عبد الرحمن، **الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي**، الكويت – الدار السلفية، ط٢، ١٩٨٨، ص٨٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

قال الغزالي: إذا باشر الحاكم السلطات التي أُنيطت به فإن سلطته ليست مطلقة يفعل ما يشاء، بل يتصرف تحت رقابة الأمة التي يريد الحفاظ على مصالحها واستقامة رسالتها في هذه الحياة، و ذلك ما طلب من الحاكم القيام به، واستحق الطاعة بناءً عليه، وهنا قال عمر: أيما عامل لي ظلم أحداً بلغتني مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمته، أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل أكنت قضيت ما علي؟ قالوا: نعم، فقال: لا حتى أنظر عمله أعمل بما أمرته أم لا[1].

إن غياب الرقابة على الحاكم وتصرفاته من أبرز ما يؤدي إلى الاستبداد، لذا فمراقبة الحاكم أصل في الإسلام شرع حتى في العبادات، فقد أعطي الإسلام الأمة حق القوامة على الحاكم، فهي تقوم بمراقبته، والتأكد من قيامه بمسؤولياته ونصحه ومحاسبته وإخضاعه لأحكام الشريعة في جميع القضايا فهو فرد من أفراد الشعب لا امتياز له إلا ما منحه إياه الشرع من حق الطاعة.

والحاجة كبيرة إلى وجود مؤسسة رقابية تتولى الأمة من خلالها مساءلة الحاكم، تتمثل في المجالس النيابية التي لها الحق في مراقبة أعمال الدولة لمعرفة مدى التزامها بأحكام الدستور أو مخالفتها، ومن واجب هذه المجالس مراقبة الدولة ومنعها من الإساءة، ولها حق المحاسبة، فيلجأ إلى محكمة المظالم التي تحكم على رئيس الدولة والحكومة وموظفيها حسب ما تراه من البيّنات التي تتوصل إليها[2].

ولا يعني هذا إهمال دور الأفراد، فقد قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، ممن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف

---

[1] الغزالي: محمد، **حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة**، القاهرة – نهضة مصر، ط١، ٢٠٠٣، ص٥٩.

[2] انظر الخياط: عبد العزيز، **وأمرهم شورى**، عمان – المجمع الملكي لبحوث الحضارة، د.ط.د.ت ص٧٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الإيمان[1]).

إن المستبد يتصرف على هواه، ووفق ميوله، ولا يعتبر بمصالح الآخرين، ولذا لا يمكن الحد من تصرفاته إلا بالرقابة عليه ومحاسبته. وهذا ما ينبغي أن تغرسه التربية الإسلامية في نفوس الأفراد. فحق الرقابة يمنح الأمة قدرة على منع جهاز الحكم من إساءة التطبيق، أو تجاوز الحدود.

وكذا لا بد أن يراقب الحاكم عماله وموظفيه حتى لا يستبدوا بمن تحت أيديهم، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستدعي عماله لكشف أحوالهم، وليكون ذلك كان يباشر الرقابة بنفسه ومن ذلك استعمل حذيفة بن اليمان على المدائن، وكتب في عهده اسمعوا له وأطيعوا، وأعطوه ما سألكم فلما قدم، قالوا له: سل ما شئت، فقال أسألكم طعاماً أكله وعلف حماري ما دمت بينكم، فأقام بينهم، ثم كتب إليه ليقدم عليه فلما بلغ عمر قدومه كمن له في الطريق فلما رآه على الحال التي خرج عليها من عنده أتاه فالتزمه، وقال أنت أخي وأنا أخوك[2]..

كما أن مهمة الحاكم الأساسية هي رعاية شؤون الأمة لأنه ما نصب إلا لذلك، فإذا تبين تقصيره بعد المراقبة وجبت محاسبته[3]، فقد شرع الإسلام العديد من الضوابط التي تحول دون تجاوز الحاكم حدود الشرع بأن جعل محاسبة الحكام عن أعمالهم حقاً من حقوق الأمة، وجعلها فرض كفاية، فالسلطان للأمة وهي قوامة عليه، ويلزمها الإنكار على ما يقصر به في مسؤولياتها أو يسيء في تصرفاته، فمحاسبته فرض ولو أدى ذلك إلى القتال لأن الإسلام دعا

---

[1] مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد ويتضمن وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً، ج١، ص٦٩ رقم٤٩.

[2] عمارة: محمود، **من فقه عمر في المساءلة والعزل والتعيين**، القاهرة – وزارة الأوقاف، د – ط، ١٤٢٢- ٢٠٠١، ص٥٤.

[3] انظر الخالدي: محمود، **قواعد نظام الحكم في الإسلام**، مكتبة المحتسب، ط٢، ١٩٨٣، ص١٩٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

إلى حمل السلاح دفاعاً عن سلطان الأمة ولتكون السيادة للشرع،

إن محاسبتهم من ركائز سلطان الأمة، ليتقيدوا بالشرع، ففي السكوت تشجيع لهم على التمادي، ومحاسبتهم عنوان الحرب على استبدادهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع، قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا[1]).

فإن من الواجب على التربية الإسلامية أن تبين للأفراد وجوب محاسبة الحاكم للتغيير عليه، وأنهم يأثمون عند الرضا بما ينكر من أعماله، ومتابعته عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب قبل أن يموتوا[2]). فالحديث فيه تشديد على أفراد المسلمين، وعلى الأمة الإسلامية كافة أن لا تسكت على المنكر سواء ظهر من الأفراد أو من الحكام، لأن النجاة والسلامة لا تكون إلا بتغيير المنكر.

فالأمة رقيبة على الحاكم باستمرار، هي التي ولته الحكم بعقد البيعة، وأمدته بالسلطة، فإذا حاد عن الطريق أو فرط في الأمانة، أو أخل بالواجبات، أو عطل الحدود، أو لم يراع العدالة والمساواة أو أنفق وبذر في غير وجه حق، ودون مبرر جار وظلم، فللأمة مساءلته لأنه أخل بمقتضى عقد البيعة.

---

[1] مسلم، **الصحيح**، وكتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا، ج٣، ص١٤٨، رقم ١٨٥٣.

[2] أبو داود، **السنن**، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ج٤، ص١٢٢، رقم ٤٣٣٩، وابن ماجه، **السنن**، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج٢، ص١٣٢٩، رقم٢٠٠٩، وأحمد، **المسند**، ج٤، ص٣٦٦، حسنه الألباني، انظر **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ج٩، ص٣٣٩، رقم ٤٣٣٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الرابع

توجيه قوى المستبد

يجمع المستبد بين يديه ثلاث قوى يعمل على استثمارها، وتوجيهها لخدمة مصالحه، وتحقيق أهدافه ورغباته، وهي الجيش، والشرطة وقوات الأمن التي تقتل وتقمع، والإعلام الذي يشوه ويضلل، والمال الذي يستخدمه لشراء الذمم، وإقناع الآخرين بآرائه ومبادئه، وقد دعت التربية الإسلامية إلى توجيه هذه القوى لتكون وسائل تحقيق مصلحة الأفراد واستقرارهم وأمنهم واطمئنانهم، وأن تكون أدوات لنصرة الحق ومحاربة الباطل.

المطلب الأول:- الجيش وقوات الأمن والشرطة

إنه أداة السلطة في الدولة، به قوة الحاكم، واستمرار سلطانه، ووسيلة الحاكم المستبد لفرض أفكاره، وقمع معارضيه، والبت في شأن المعارضين والتخلص منهم.

فهو مؤسسة سياسية به أمان الدولة، واستقرارها، وهي القوة القادرة على إحداث التغيير المطلوب الذي ينشده الجميع، لذا فعلى التربية الإسلامية أن تعمل على:

١. تخريج عناصر تعمل في مؤسسات الأمن والجيش؛ للحفاظ على إنسانية الإنسان، وصيانة حرماته، إنهُ العصب الحساس في البلاد والأداة الخلاقة لحفظ الأمان، وصيانة الحقوق وعليه تقع مسؤولية اتخاذ التدابير الوقائية، والعلاجية للخلاص من المستبد[١].

٢. قيام التربية العسكرية على الأصول الإسلامية التي تعد العسكري المسلم ليدور ولاؤه في فلك أفكار الرسالة، وتحريره من حتمية الولاء الأعمى للحكام المتسلطين[٢].

---

[١] الكيلاني : ماجد عرسان، **أهداف التربية الإسلامية**، دبي، دار القلم، ط١، ٢٠٠٥، ص٣٢٣.

[٢] المرجع السابق نفسه، ص٣٢٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-YarmouK University
www.manaraa.com

٣. أن يعهد إلى الجيش والشرطة بمسؤوليتها الرئيسية في حفظ الأمن والنظام في الداخل والخارج، وهذا يتطلب رفع المستوى التعليمي والفكري والثقافة الإسلامية.

٤. بث الوعي عند أفراد الجيش والشرطة بدورهم السياسي، وبيان موقف الدين من ممارسات السلطة الظالمة، وتحصين الأفراد وتوفير المناعة لهم حتى لا يتورطوا في خدمة المستبدين الظلمة مهما كانت أثار ذلك عليهم من نعيم زائل، فيمارسون واجبهم بيقظة ووعي، فيتدخلون عند اللزوم ويفرضون الأمن على كل من يحاول الإخلال أو العبث، فعليها أن تنشط وتكافح وتقي المجتمع الشرور وتقدم المستبد للمحاكمة العادلة لينالوا العقاب الرادع.

٥. تعهد أفراد الجيش والأمن بالتربية على الأخلاق الفاضلة، كالنزاهة، والصدق، والتمسك بالدين، وتنفيذ الواجب والإلمام بمسؤولياتهم، واكتساب ثقة الناس، والشجاعة، والإقدام وحسن التصرف، وبذل المساعدة للناس، والتزام العدل والإنصاف، ومقاومة الظلم والطغيان ورد الحقوق لأصحابها. والوقوف إلى جانب المظلومين فهم حراس القانون وحماة البلاد[١]. وبهذا يتم توفير أفراد منتمين لبلادهم، قادرين على المطالبة بحقوق الآخرين والحفاظ عليها، وتوفير الحماية لهم، وجعلهم على أهبة الاستعداد تجاه أي خطر، متيقظين واعين لكل ما يحدث حولهم.

المطلب الثاني:- المال

كان الفراعنة، والأكاسرة، والقياصرة في القرون الأولى يستهلكون أقوات الأمم في مباذلهم وملاهيهم، فلما أسس محمد صلى الله عليه وسلم الدولة الإسلامية الأولى كان مسلكه مناقضاً لمسلك أولئك الجبابرة من لصوص الشعوب[٢]. عن عمر رضي الله عنه قال دخلت

---

[١] انظر القرشي، **النظام التربوي في الإسلام دراسة مقارنة**، ص٣٥٧-٣٦٠.

[٢] انظر الغزالي، **الإسلام والاستبداد السياسي**، ص٤٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على حصير فجلست فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا بقبضة من شعير نحو الصاع، ومثلها قرظاً في ناحية الغرفة، فإذا أفيق[1] معلق قال: فابتدرت عيناي، قال: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ قلت يا نبي الله، ومالي لا أبكي؟ وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى؟ وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته وهذه خزانتك، فقال يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا، قلت: بلى[2].

وحال المستبدين في كل زمان ومكان حتى عصرنا الحاضر يصادرون أموال الناس، ويأكلونها بالإثم والعدوان، بغية تحقيق مصالحهم وأهدافهم ونزواتهم، فالمال عندهم غاية في حد ذاته من خلاله يملكون رقاب الناس، ويتلاعبون بحياتهم، به يشترون الذمم، ويصادرون الحريات، ويقتلون الأفكار، فيحصلون على الدعم الكاذب الذي ينتظر أصحابه ساعة الخلاص، ومعلوم أن من يملك المال تذل لهُ الرقاب.

إن المال أحد أسباب الاستبداد قال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ سورة الشورى، آية ٢٧ ولذا كره الإسلام أن يكون المال دولة بين الأغنياء، قال سبحانه وتعالى﴿ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ ﴾ سورة الحشر، آية ٧ ولقد قرر الإسلام كراهية حصر

---

[1] أفيق: جلد لم يتم دباغه،انظر **شرح النووي على صحيح مسلم**، ٨٣/١٠

[2] مسلم، **الصحيح**، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ج ٢٤، ص١١٠٥، رقم ١٤٧٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المال في يد فئة قليلة يتداولونه بينهم مع حرمان الآخرين منه، لذلك جاءت تشريعات الإسلام بالحث على الزكاة والصدقة والميراث، والمال العام الذي ليس لأحد امتلاكه، قال الكواكبي: "إن الأراضي والأملاك الثابتة والآت المعامل الصناعية الكبيرة مشتركة الشيوع بين عامة الأمة، وإن الأعمال والثمرات تكون موزعة بوجوه متقاربة بين الجميع، وإن الحكومة تضع قوانين لكافة الشؤون حتى الجزئيات وتقوم بتنفيذها[1]." وهاجم القرآن المظاهر المادية التي استعبدت الإنسان كالاحتكار، واكتناز المال، والرياء، والاعتداء على أموال اليتامى والمساكين، ومصادرة أموال الناس، واستخدام الأموال في استعباد الآخرين، مما أفسد العلاقات بين الأفراد، وحول الحياة إلى قيم مادية مجردة تستعبد الفرد.

ومن هنا جاء دور التربية الإسلامية للعمل على:

١.بيان أن الحياة ليست جمعاً لثروات فحسب، فليس المال غايةً في حد ذاته، فهو كما قال الغزالي رحمه الله " مثل حية فيها سم وترياق، ففوائده ترياقه، وغوائله سمومه[2]." وإنما هو وسيلة للارتقاء بالفرد، وتحقيق السعادة له، ووسيلة لإقامة الجماعة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ سورة النساء آية٥، فلم يهمل الإسلام رغبة الفرد في جمع المال، وطلب الغنى، واحترم الملكية الفردية، وأقر بالسعي على الرزق قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ سورة النجم، آية ٣٩، ودعا الفرد إلى حسن التدبر والتفكير واستثمار المال، وأن لا يشغله جمع المال عن الغاية من خلقه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ

---

[1] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص٧٥.

[2] الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج٣، ص٣١٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

سورة القصص، آية ٧٧ قال الزمخشري: أي أطلب فيما أتاك الله من الغنى والثروة الدار الآخرة بأن تعمل فيه أعمال الخير من التصرف الواجب والمندوب إليه وتجعله زادك في الآخرة[١]. وقال ابن كثير أي استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القرُبات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة[٢].

لأن من طباع البشر حب المال والحرص على جمعه، ومن سنن الاجتماع البشري أن يأخذ الفقير من الغني لردم حالة التمايز بين أعضاء المجتمع الواحد والتي تؤدي للفرقة فينشأ الاستبداد ولذا جاءت التشريعات الحكيمة لعلاج ذلك.

٢.التوعية بحرمة المال العام، وضرورة حماية حقوق الآخرين، قال عمر رضي الله عنه "أنا في مال المسلمين كولي اليتيم إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف[٣]."

نظم الإسلام سلطة المال ووجهه لتحقيق الخير والفائدة للجميع، كما نظم السلطة عموماً بكافة أشكالها، فبين أن سلطة الإنسان محدودة وأنها لا تكون مطلقة إلا لله سبحانه، فهي أمانة بين المتصدين لها، ويجب عليهم استخدامها على نحو سليم يحقق الفائدة للجميع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: (يا أبا ذر إنك ضيف، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها[٤]).

---

[١] انظر الزمخشري، **الكشاف**، ج٣، ص٤١٦.

[٢] انظر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٥١٩.

[٣] الغزالي، **حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة**، ص٦٠.

[٤] مسلم، **الصحيح**، كتاب الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة، ج٣، ص١٤٥٧، رقم ١٨٢٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ولذا فقد نظم الإسلام العلاقة بين القائد والرعية فبين لكل منهما حقوقـــه وواجباتـــه، فجعل للحاكم حق الطاعة ما لم يأمر بمعصية، والنصيحة والإخلاص في العمل، وأوجب عليه الحفاظ على حقوق الأفراد وحرياتهم وإشباع رغباتهم، وتحقيق العدل والمساواة في التعامـــل معهم، مع العمل على تحقيق الأمن الداخلي والخارجي، وأوجب خضوع السلطة لشريعة عامة لا يملك أحد مخالفتها أو تبديلها أو تعديلها.

المطلـــب الثالـــــث:- الإعـــــلام

انتشرت وسائل الإعلام في شتى الميادين، وأصبح الإعلام ملازماً للإنسان وقتاً طويلاً فأصبح الصوت والصورة يجتمعان لدى الفرد في وقت واحد من شتى أنحاء الأرض مما ترك آثاراً واضحة على الأفراد والجماعات.

إن عصرنا الحاضر هو عصر الإعلام حيث تعددت وسائله وتنوعت أساليبه، وتشعبت مجالات تأثيره، فاحتل مساحات واسعة من وقت الإنسان.

يدرك المستبد تلك الأهمية، وتبعاً لذلك يمارس الـــضغوط علـــى وســـائل الإعـــلام المعارضة، فيصبح استدعاء الإعلاميين للمساءلة القانونية أمراً روتينياً يومياً، وذلك أن مهمة الإعلام في زمن الاستبداد كتابة ما يرضي الحكومة أياً كانت ممارســـاتها، بهـــدف تـــضليل الشعب، بدلاً من ذكر الحقائق ومخاطبة الجماهير في محاولة لإيجاد نوع من الوعي بما يجري من أخطاء ومفاسد، بقصد الإصلاح والعلاج قبل استفحال الأمور، وهنا يبدأ الـــصراع بـــين الإعلام الحر الهادف والسياسة.

إن للإعلام دوراً هاماً في توجيه الحياة، فهو من أهم التحديات التي تواجه الأفراد

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

والمجتمعات إذا لم يتم التعامل معها بوعي، إنه سلاح ذو حدين، فهو من أكثر الوسائل تأثيراً سلباً أو إيجاباً، فلا بد من توجيهه وإدارته بالشكل الصحيح لضمان حسن النتائج، ويأتي دور التربية الإسلامية في قيامها بعدد من الأمور منها:

١. انبثاق رسالته من تصور إسلامي خالص، ليتم تقديم التوجيهات الإسلامية في مجالات النفس والحياة والمجتمع، وهذا يتطلب التنظيم والتخطيط المتكامل الذي يسعى إلى بث القيم النابعة من التصور الإسلامي بشكل لا يمنع الإبداع[١].

٢. استقلال وسائل الإعلام اقتصادياً: بحيث لا يتحكم أحد في شؤونها، يفرض ما يريد، ويمنع نشر ما يعارض مصلحته وأهدافه، ولذا قامت بعض الدول الأوروبية بدعم الصحف بمصادر علنية، لكي تضمن لها من الموارد ما يجنبها الزلل، ويمنعها من الوقوع في خسارة تضطرها للبحث عن مصادر غير مشروعة[٢]. وهذا يستلزم وضعها تحت أيدي أمينة مؤمنة مخلصة لربها ودينها وأمتها، للإسهام في بناء أجيال قوية فاعلة.

٣. تحرير الإعلام من البيروقراطية، والعهد بإدارته إلى الأكفاء من المفكرين والمختصين[٣] فلا بد من منح وسائل الإعلام حرية الحركة والتعبير، وتسليط الضوء على إيجابيات الحكم وسلبياته، بحيث يتم إعطاؤها الإذن بنشر وكتابة كل شيء دون تردد ولا خوف وهذا يتطلب الحد من السيطرة المبالغ فيها، والتي تمارسها الحكومات على وسائل الإعلام. فتمنح القدرة على التعبير عن الرأي والرأي المخالف، ويفتح المجال للإبداع والابتكار. إن توفير الحرية للإعلامي شرط أساسي ليتمكن من أداء دوره المطلوب على الوجه الأكمل والأفضل، ولقد أعطى الإسلام للأفراد الحق في إصدار ما يشاؤون من وسائل

---

(١) انظر علي، **أصول التربية الإسلامية**، ص٢٣١.

(٢) انظر طه، **أخطاء الحرية وخطايا الاستبداد**، ص٨١.

(٣) انظر المرجع السابق، ص٤٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

إعلامية، وهذه من أقوى مظاهر حرية الرأي.

وهذا حتى يتمكن الإعلام من أداء دوره المطلوب على أكمل وجه، والذي يتمثل بعدد من الأمور، منها[1]:

١. التوجيه والمساهمة في تكوين رأي عام تجاه القضايا المطروحة، مما يقود إلى إيقاظ وعي الأفراد وتحصينهم ، للمساهمة في الوقاية وعلاج الكثير من القضايا والمشاكل التي تهدد الأمن والاستقرار.

٢. التأكيد على بعض المفاهيم والممارسات الضرورية كالحوار الهادف البناء، والحث على الإبداع والابتكار، و منع الإحباط والانهزامية، ببيان أن الدين لا يسمح بالخضوع والاستسلام أمام المفسدين المستبدين الطغاة، وبث روح الأمل والتفاؤل، وضرورة أخذ المراكز القيادية المناسبة، وعدم الاكتفاء بالتقليد ليتم علاج النفوس ابتداءً من القابلية للاستبداد التي تمهد الأرضية المناسبة لنمو هذه الشجرة الخبيثة.

٣. منح الأفراد حرية التعبير عن آرائهم مهما كان موقف السلطة منهم،فهو حق كفله الإسلام سواء تمثلت في انتقادات لأعمال الحكومة،أو مقترحات كحلول للمشاكل المطروحة.

فعلى الإعلام الالتزام بقضايا الأمة، وتزويد المواطنين بالمعلومات الملائمة، وإتاحة الفرصة لهم لإيصال آرائهم لصانعي القرار، وتبادل الرأي معهم، بتأكيد الحقائق والبعد عن تضليل الجماهير، بحيث يبرز الواقع كما هو للتعرف على المشاكل ومحاولة علاجها، عليه أن يعكس الأحداث بمصداقية، فيكشف الفساد، ويحث الأفراد على الدفاع عن حقوقهم وينبههم لقضاياهم، وخطورة السكوت عليها، ويتجنب التعتيم، محاولاً بث روح الصحوة في مختلف

---

[1] انظر السحمراني: أسعد، **الإعلام أولاً**، بيروت – دار النفائس، ط١، ١٤١٥ - ١٩٩٤ ص١٣٥-١٤٣ وعلي، أصول التربية الإسلامية، ص٢٢٧-٢٣٠ والحلو: ماجد، **الدولة في ميزان الشريعة**، القاهرة، دار الجامعة الجديدة، ط١، ٢٠٠٨، ص٣٢٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المجالات.

ويأتي على رأس وسائل الإعلام المسجد الذي لا يخفى أثره على الجميع، وانطلاقاً من ذلك فعلى أئمة المساجد تنبيه الغافلين، وتعليم الجاهلين، وبيان دور الدين في ضرورة مواجهة المستبد، وخطورة السكوت والاستسلام، فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد بنى أجيالاً حطمت الإمبراطوريات الظالمة المستبدة، وبدلت الأرض أمناً واستقراراً وطمأنينة، ولا بد من ترك الخلافات التي لا طائل تحتها كدرج المنبر، وساحة المحراب وغير ذلك مما يقتل الوقت، والاهتمام بقضايا الأمة ومشكلاتها، بنقد أعمال الحاكم، وتوجيهه إلى ما فيه خير البلاد والعباد، والدعاء له وتصحيح المفاهيم الخاطئة لدى الأفراد، وبيان دور الأمة ممثلة بالأفراد في تحقيق أمن البلد واستقراره، وتخليصه من المستبد الذي لا يبالي إلا بمصلحته ورغباته.

ولكل ما تقدم فعلى التربية الإسلامية العمل على إعداد جيل مؤمن واعٍ قادر على قيادة هذه المؤسسات بوعي وبصيرة، وأن يبقى صوتاً للمظلوم والمقهور، وحربةً موجهة للظالم المستبد المتغطرس، وان لا يمنعه منصب ولا مال ولا خوف من عقوبة من أداء دوره المطلوب على أكمل وجه لأن الإعلام كما ذكرنا من أخطر مؤسسات التربية لذا لا بد من توجيهه وإعادة تشكيله وإمداده بالعناصر والكفاءات المخلصة، وتوضيح الأهداف المراد تحقيقها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الخامس

الوعي

إن التصور الخاطئ، والفهم المنقوص، والجهل بحقيقة الأمور، وغياب الوعي وعدم وضوح الرؤية لأهمية الشيء، ومكانته ينتج عنها عدم إيلاء الأمر العناية والاهتمام الكافيين، من إعداد وتخطيط ورعاية ومتابعة، مما ينتج عنه ممارسات سلبية قاصرة تعد بيئة ملائمة لظهور الخلل، وحدوث المشكلات والانحرافات، ممكناً للفساد والضلال، فانحراف الكفار عن الاعتقاد السليم يعود إلى قصور عقولهم، وغلبت أهوائهم التي حالت بينهم وبين الإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ سورة الزمر، آية ٦٧.

تعاني بعض الشعوب من لون آخر من الأمية ليس هو عدم القدرة على القراءة والكتابة وإنما أمية التفكير والوعي، حيث يعيش الأكثرية العظمى من أبناء الشعوب جهلاً مطبقاً وسذاجة كبرى في وعيها، فلا يعرفون ما يدور حولهم، ولا يعتبرون أنفسهم معنيين بما يجري في بلادهم، وما يطبق عليهم من أنظمة وقوانين، فالفرد يعيش ويموت وهو لا يعرف حقوقه في هذه الحياة، وهذا الجهل هو الذي يفسح المجال أمام السلطات المستبدة أن تنشأ وتنمو وتستمر في الهيمنة والسيطرة، فكلما قل مستوى الوعي لدى أفراد المجتمع أصبح سهل الانقياد والتحكم، وتراكمت في وجدانه قيم الخضوع والخوف والدونية، ولذا يعمد المستبد إلى تضليل الأمة والتلاعب بوعي الأفراد، وإفقادهم القدرة على التفكير والفهم والتحليل ويسلط عليهم القيادة الزائفة.

قال الندوي: إن ما يُعرِّض أي أمة للخطر ويجعلها فريسة للمنافقين، هو فقدان الوعي

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وافتتانها بكل دعوة وخضوعها لكل متسلط وسكوتها على الجرائم، وتحملها للذل، والضيم، فلا تعقل الأمور ولا تضعها مواضعها، وتفقد القدرة على التمييز بين الصديق والعدو، الغاش والناصح، ولا تنتفع بالكوارث ولا تنصحها الحوادث، وتولي من جربت عليه الغش والاستبداد، و تضع ثقتها فيه وتمكنه من نفسها وأموالها وأعراضها، ومفاتيح ملكها متناسية ما لاقت على يديه من خسائر أو نكبات فيتمادى المستبد في غيه ويسترسل في حياته ثقة منه ببلاهة الأمة وسذاجة الشعب وفقدان الوعي[1]. فيعمد المستبد لتأمين الحكم المطلق لنفسه بحيث لا ينازعه أحد على حرمان الشعب من كافة وسائل التوعية التي تنبهه إلى حقوقه ومطالبه، وأول هذه الطرق السيطرة على وسائل الإعلام[2].

إن التحرر من الاستبداد شرط لكل نهضة وإصلاح، ولن يزول الاستبداد حتى تزول القابلية النفسية له مهما كان مصدره ومبرراته ووجوهه التراثية، وحتى يتم بناء جيل إسلامي حر فيه الاستعداد للمعارضة والمقاومة، فيحرر نفسه من القابلية للاستبداد[3] فلا بد من توافر ا عند الأفراد، فهو يعد شرطاً من شروط تحقيق النهضة والتنمية، والتخلص من الاستبداد والقضاء عليه، أو منع وقوعه، لذا فإن تبصرة الناس بواقعهم المتردي خطوة هامة على طريق اكتشاف المستبد، فوعي الأفراد هو الذي يحدد وجودهم، ويعمل على حصانة الأفراد والمجتمعات من ظاهرة الصنمية، وبروز ثقافة ترفض الاستبداد.

الوعي لغة: حفظ القلب الشيء، وعي الشيء يعيه وعياً: حفظه وفهمه وقبله[4] وقيل الفهم وسلامة الإدراك ويكون في الفرد والجماعة[5].

---

(1) الندوي، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، ص٣١٣

(2) انظر الفنجري، **الحرية السياسية في الإسلام**، ص١٥٥.

(3) انظر نزال، **سبل زوال الاستبداد الفكري بين المسلمين**، ص٢٧.

(4) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص٩٥٤.

(5) مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، ج٢، ص١٠٥٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

أما اصطلاحاً فقد اختلفت تعريفات العلماء للوعي المتعلقة بأكثر من مجال، ويعرف بأنه المجمل الكلي للعمليات العقلية التي تساعد الإنسان على فهم العالم والتكيف مع متطلبات الحياة[١] واعتبره وليم جيمس أحد الطرق الفعالة التي بها يمكننا التعامل مع البيئة المحيطة بكفاءة حتى يمكننا من اختيار ما هو ملائم، وبعينا على انتقاء وجهة معينة من بين وجهات مختلفة[٢]. إنه إدراك الفرد لنفسه وللبيئة والمجتمع الذي يحيط به، يجمع بين الجوانب العقلية، والسلوكية والانفعالية.

لقد وجه الإسلام الفرد إلى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور، واستخدام طاقته الواعية في البحث عن أسبابها ونتائجها، من منطلق أهمية الوعي للفرد والمجتمع.

إنه وسيلة لتحصين العقل المسلم من الاختراق الثقافي، والاستلاب الفكري فيتمكن من مواجهة خطط تذويب الذات، وتدمير البنية التحتية العقائدية الفكرية التي تحفظ للأمة استقلالها، بما يدفعها للعمل والإنتاج والإبداع فتتحقق التنمية المنشودة.

وله دور في تكوين الرأي العام الذي يعد وسيلة لمنع وقوع الاستبداد عن طريق تحذير المسؤولين، وتخويفهم من أثر أعمالهم، كما يساعد في رفع الاستبداد إن وقع، قال محمد عبده: "إن الاستبداد لا يرفع إلا بعد تكوين رأي عام يستحقه الحياة السياسية الحرة"[٣]. فتكوين رأي عام وإيجاده من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع، حيث يبعث على السلوك الحسن، وينفر من السيء، ويساعد على تنمية جوانب الخير في المجتمع، وإعلانها، ومحاصرة جوانب الشر، وإضعافها، ولذا تناول القرآن الكريم بعض القضايا والموضوعات مراراً لتكوين رأي

---

[١] الحاج: كميل، **الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي**، بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ٢٠٠٠، ص٦٧١.

[٢] انظر أحمد: نعمة عبد الكريم، **أسس علم النفس**، الإسكندرية – دار الفكر، ط١، ١٩٩٢، ص١٠٧.

[٣] عبده، **الأعمال الكاملة**، ج١، ص٨٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

عام فاضل حولها[1].

إن الوعي يسهم في منع وقوع الاستبداد، وكما يقول ماركس: "إن الفقر لا يفجر ثورة بل وعي الفقر يحرك المشاعر أكثر من إدراك الفروق والإحساس بالظلم"[2]. فهو أداة لكشف الحقائق وإدراكها، فيه تحرير الفكر من سيطرة التخلف والجمود والنفس من تقبل الذل والخضوع أو الكبر والطغيان.

ولذا فقد اهتمت التربية الإسلامية من خلال مؤسساتها بتنمية ذكاء الإنسان وقدرته عن طريق دعوته إلى النظر في النفس والكون، وتنمية قدرته على التحليل والإدراك والتذكر واستيعاب الأحداث بهدف إيقاظ وعيه تجاه ما يجري حوله من أحداث، حيث يكون مدركاً لطبيعة رسالته وأهدافها ومتمسكاً بمبادئها، فرد يملك أسباب القوة، والقدرة على العمل المنتج الفاعل.

وتعددت صور الوعي، ومن أهمها:

الوعي الديني: الذي يعمل على إيقاظ وعي المسلم بضرورة عدم إضفاء قداسة دينية على الحاكم، وإعادة النظر في تفاصيل التراث الثقافي المسؤول عن إضفاء القداسة على الحكام، واعتبارهم ظل الله في الأرض، وإغفال جواز نقدهم ومحاسبتهم[3].

إن وعي الفرد بدينه يحول بينه وبين الخضوع للمستبد الظالم، ومتابعته على أعماله أو الرضى بها، ويمكنه من الدفاع عن حقوقه وضرورة أداء حقوق الآخرين، والخروج من دائرة الظلم والبغي لشدة آثارهما وعظيم العقوبة على ارتكابهما في الدنيا والآخرة.

---

[1] انظر الصلاحي: أمين نعمان، **من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع**، كتاب الأمة، عدد ٢٧ لسنة ٢٨، قطر- مركز الدراسات والبحوث، ص١٠٠.

[2] حافظ وآخرون، **كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الاستبداد**، ص٢٤١.

[3] انظر الكيلاني، **التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند العربي المعاصر**، ص٦٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وكذلك الوعي السياسي:- الذي يجعل صاحبه قادراً على المطالبة بحقوقه، وأداء ما عليه من واجبات، مشاركاً للآخرين في بناء الوطن الذي يعيش فيه بعيداً عن الظلم والاستبداد، مما يعني وعي الفرد بطبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وإيجاد رؤية صحيحة تجاه الحكم والحاكم، فلا يتطرق للفساد، وكذلك وعي الفرد للمشكلات في مجتمعه، وتلمس الحلول لهـا، ومن ذلك حقيقة مشكلة الاستبداد وأبعاده، وتشجيع الناس على تركه، وبيان سبل المـستبدين، والتنبيه على خطورتهم، وخطورة السكوت عليهم – فالشعب الساكت عـن الحـق كالنـاطق بالباطل، والساكت عن الحق شيطان أخرس– وبيان آثاره السلبية على حياة الناس، وفي هـذا بين الكواكبي أن هذا هو سبب تأليفه لكتابه طبائع الاستبداد حيث قال: "التنبيه لمـوارد الـداء الدفين، عسى أن يعرف الذين قضوا نحبهم أنهم هم المتسببون لما حل بهم، فلا يعتبون علـى الأغيار ولا على الأقدار، إنما يعتبون على الجهل، وفقد الهمم، والتواكل، وعسى الذين فـيهم بقية رمق من الحياة يستدركون شأنهم قبل الممات[1]. فلا بد من نشر الوعي بأدوات الاستبداد بكافة أشكاله، والتي تتجدد على الدوام في ظل غياب حرية التعبير، والعدالة، وتقبـل الـرأي الآخر، والرؤية الواعية الحضارية الملتزمة.

كما لا بد من بث الوعي لدى الأفراد بحقوقهم وواجباتهم، حيث أن إغفال ذلك يجعلهم يسكتون عما يحل بهم، ويقبلون ما يمارس ضدهم من تسلط واستبداد.

ونظراً للجوء المستبد لعدد من الأساليب لإشغال الأفراد عن ممارساته، وآثار ذلك فلا بد من وعي الأفراد بخطورة الفرقة والخلافات، وبيان أن ما هو قائم في بعض الـبلاد لـيس شورى حقيقية إنما هي شورى مزيفة، ففيها مجالس تشبه مجالس الشورى في التسمية لكنهـا في الحقيقة مجالس للتصفيق والموافقة على ما يريده الحاكم، لخداع الجماهير في الداخل

---

[1] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص١٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

والخارج، ولكنه يخدع نفسه[1].

ويقع واجب إثارة الوعي السياسي عند الأفراد على عاتق التربية الوطنية التي تعنى ببلورته، وتفتح الذهنية العامة أمام الأحداث الاجتماعية، فقد فرض الإسلام على المسلمين التدخل الإيجابي في جميع الشؤون الوطنية، وألزمهم بالسهر على مصالحهم، ورعاية شؤونهم، فليس لأي أحد أن يقف موقفاً سلبياً أمام مصلحة البلاد، أو يُهمل شأناً من شؤونها، أو يقف كالمتفرج على الأحداث[2]. كما أن الحاكم ليس ظل الله في الأرض له الطاعة المطلقة، وإنما أقامه الله للقيام بمصالح العباد والبلاد، وتأمين احتياجاتهم، والحفاظ على حقوقهم.

وكذلك الوعي من ناحية اجتماعية:- بضرورة الوحدة والاجتماع، والتعاون ليستمر المجتمع مترابطاً متماسكاً متكافلاً، مع القدرة على نقد ما يُقدم له، واختيار ما يتناسب مع حاله.

إن الخلاص من المستبد يتطلب وعياً داخلياً يعمل على تشكيل عقلية الصمود والفعل الراشد، فلا يمكن لمستبد أن يقعد على رقبة شعبٍ واعٍ ولا تحط النسور إلا على الجثث.

إنه الضمان الحقيقي والأساسي لعدم استبداد الحكام، حيث تعي الأمة حقوقها وواجباتها، وقد اهتم الإسلام بذلك ودعا إليه بكافة الوسائل المتاحة، ويؤكد أن الوعي بأهمية الشورى والحرية وشجاعة الرأي هي الضمانات الكفيلة بمنع وقوع الاستبداد وعلاجه إن وقع.

قال عمر عبيد حسنة: فالدواء الوحيد الذي يحمي المجتمع من الإصابة بالاستبداد هو اليقظة الدائمة، فإن الشعوب ستظل تبحث وتناضل من أجل تحقيق المجتمع الأفضل الذي يتمتع فيه المواطنون بالكرامة والحرية، وإذا لم يدرك السلمون اليوم أن أزماتهم، وإصاباتهم الفكرية والاجتماعية، كانت بسبب غياب مضمون الحرية والمساواة، وحقوق الإنسان، وما لم

---

[1] انظر شلبي، **السياسة في الفكر الإسلامي**، ص٨٩.

[2] القرشي، **النظام التربوي في الإسلام دراسة مقارنة**، ص٣٤٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

يدافعوا عنها، ويغاروا عليها غيرتهم على نسائهم وبناتهم وأموالهم، ويجاهدون في سبيلها فسوف يستمر سقوطهم الحضاري[1].

فعلى التربية بث الوعي بأهمية العدل والحرية والشورى، وضرورة التحرر من الخوف، والقلق والضياع الذي أصابهم على أيدي المستبدين، وتعزيز ذلك بالنصيحة والنقد، "فعلى المناهج الدراسية مثلاً تنمية وعي الأفراد بأهداف الإسلام وغاياته التي يعملون على تحقيقها في واقع الحياة، وكذا الوعي بالإمكانات المادية للأمة وظروفها وأحوالها وذلك بدراسة موضوعات سياسية وتاريخية وجغرافية، ودراسة بعض المشكلات التي يعاني منها المجتمع، على أن تكون طريقة بث الوعي بشكل إيجابي قائمة على البحث والتقصي والاقتناع المعتمد على حرية الفكر والتجرد من الهوى ، لا سلبياً قائماً على الحفظ والتلقين[2]" وكذا دور الأسرة والمعلم والوسائل التعليمية المستخدمة وغير ذلك.

فلا بد من استثارة الهمم لبدء نهضة واعية هادفة، تعتصم بالوعي، وتتأسى بالرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه، وتنتفع بالتجارب السابقة، وإن العالم يشهد صحوة إسلامية كبرى تبشر بالخير، وتؤكد على حيوية الإسلام وخيرية هذه الأمة، لكنها تحتاج إلى ترشيد وتوعية.

---

(1) انظر حسنة، **مراجعات في الفكر والدعوة والحركة**، ص١٠١.

(2) محجوب:عباس، نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم، الأردن-عالم الكتب،ط١، ٢٠٠٧، ص٣٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث السادس

الوحدة

يخشى المستبد الجماهير وتجمعها، لأنها القادرة على اقتلاعه، واجتثاث جذور منظومته، لذا بات تغييب هذه الجماهير وتضليلها أمراً أساسياً لضمان سلامته، وكذلك حجب الحقائق عنها وحرمانها من المشاركة السياسية حتى لا تتصدى في يوم ما إلى محاولات المستبد لحملها على التحرك ضد مصالحها، والعمل على إثارة النزاعات وبث روح الفرقة والخلاف بينهم، لتسهيل السيطرة عليهم وحكمهم وبين القرآن الكريم خطورة الفرقة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ سورة الأنفال، آية ٤٦. و قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ ﴾ .... إِخْوَٰنًا (سورة آل عمران: ١٠٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم(أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشوا الكذب، حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان،عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة،فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة [1]).وكذا ما أخرجه

---

(١)الترمذي، **السنن**، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ج٤، ص٤٦٥، رقم ٢١٦٥،وقال حديث حسن صحيح غريب، والحاكم النيسابوري ،**المستدرك على الصحيحين** ، كتاب العلم، ج١، ص١٩٧، رقم ٣٨٧، وأحمد بن حنبل، **المسند**،ج١،ص١٨ ،صححه الألباني،انظر **صحيح الجامع الصغير**، ج١، ص٣٤٥، رقم ٢٥٤٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الحاكم في مستدركه، حيث قال: إن عبد الملك بن أبي سوية المنقري، قال: شهدت قيس بن عاصم عند وفاته، وهو يوصي، فجمع بنيه، وهم اثنان وثلاثون ذكراً... ثم دعا بكنانته، فأمر ابنه الأكبر وكان يسمى علياً، فقال: أخرج سهماً من كنانتي، فأخرجه، فقال: اكسره، فكسره، ثم قال: أخرج سهمين، فأخرجهما، فقال: اكسرهما، فلم يستطيع كسرهما، فقال: يا بني هكذا أنتم في الاجتماع، وكذلك أنتم في الفرقة[1].ففي هذا الأثر بيان لأهمية الوحدة والتماسك، وأثرهما في قوة الفرد، ومنعة المجتمع، وإرشاد كذلك إلى أثر الفرقة والتفكك والاختلاف

فالفرقة تهون أمر الأفراد، وتجعلهم حجة على أنفسهم، بل جعل الإسلام عمل من يحاول تفريق الجماعة سبباً في استباحة دمه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة، وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان)[2].

والأصل في الجماعات البشرية الوحدة لا التفرق، ولذا جاء الإسلام دين الوحدة والتوحيد أراد الوحدة في كل شيء، فالدين واحد والنبي واحد، والكتاب واحد، والقبلة واحدة، قال محمد عمارة "فالإسلام دين الجماعة، والجماعة في الرؤية الإسلامية توازن وعدل يجمع بين الفرد والأسرة والأمة على النحو الذي تتفتح فيه طاقات الفرد وملكاته لتتحول إلى دعم وتنمية لطاقات وملكات المجموع، فلا تطغى الفردية والاستئثار على روابط الاجتماع، ولا تطغى الجماعية على ملكات وطاقات وحريات الأفراد والجماعات الفرعية في الأمة والمجتمع[3]."

---

[1] الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، ج٣، ص ٧٠٨، رقم ٦٥٦٥.

[2] مسلم، **الصحيح**، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، ج٣ ص١٤٧٩ رقم ١٨٥٢.

[3] عمارة: محمد، **الإسلام والتحديات المعاصرة**، القاهرة – مكتبة نهضة مصر، ط٢، ٢٠٠٥، ص١٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد حث الإسلام من خلال نصوص الكتاب والسنة على الوحدة

قال تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ سورة آل عمران، آية ١٠٣.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً [١]).

وقال ابن تيمية رحمه الله:"وأمرنا الله تعالى بالاجتماع والائتلاف، ونهانا عن التفرق والاختلاف[٢]". إن رسالة الإسلام هي رسالة الوحدة الإنسانية، تبدأ من التوحيد، وتنتهي بالوحدة لقد دعا الإسلام إلى وحدة إنسانية تستند إلى مبدأ لا يتحد فيه البشر على أساس التراث أو الألوان أو المكان والزمان، بل على عقيدة صحيحة تضمنها القرآن، وضابط خلقي سليم يربط أفراد الإنسانية ويوحدهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهروالحمى[٣].

لقد دعا الإسلام إلى الوحدة والأخوة حيث تزول الفوارق وتختفي الطبقات وتحارب النزعات الفردية التي تمهد الأرضية للاستبداد، بها يشعر الفرد بالخطر الذي يداهم إخوانه ويهدد كيانهم.

---

[١] البخاري **الصحيح**، كتاب أبواب المساجد، باب تشارك الأصابع في المسجد وغيره، ج١، ص١٨٢، رقم ٤٦٦، ومسلم، **الصحيح**، كتاب البر و الصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج٤، ص١٩٩٩، رقم ٢٥٨٥.

[٢] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج١٩، ص١١٦.

[٣] مسلم، **الصحيح**، كتاب البر والصلة، والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج٤، ص١٩٩٩، رقم ٢٥٨٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ولا يضيع الفرد في ظل الجماعة المتكافلة المتحدة، ويتم القضاء على التجزئة السياسية والتفكك الذي يساعد المستبد على بسط نفوذه، وسيطرته، ولخطورة الفرقة فقد كان للمسلمين قتل من يحاول بث الفرقة بينهم، لأن قوة المجتمع وهي مجتمعة أكبر من قوتها عند التفرق وهذا الضعف العام الذي يصيب الأمة بمجموعها يجرىء عليها العدوُ فيطمع فيها جميعها، ويحتل أراضيها ويستولي عليها ويستعبدها، ويمسخ شخصيتها وفي ذلك انقراضها وهلاكها[1]. وبالوحدة تصبح الأمة قوية متماسكة تحسم الخلافات فيما بينها، وبما يؤهلها للوقوف في وجه عدوها. كما يحس الفرد بالآخرين ويحرص إلى تحقيق مصالحهم حيث يتم القضاء على النزعة الأنانية لديه.

ومن الأمثلة على أهمية الوحدة، جاء أمر الله إلى سيدنا موسى عليه السلام وقومه: بقوله سبحانه: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة يونس، آية ٨٧.

إن تحقيق الوحدة البشرية وإرساء قواعد التعايش بين الأفراد من أهداف التربية الإسلامية، فهي ضرورة معيشية، ومطلب ضروري يفرضه واقع الحياة عن طريق: غرس الإيمان بوحدة الإنسانية، واتخاذ الخطوات العملية، وتوفير الأساليب التربوية التي تحول الأصول إلى ممارسات عملية، والدعوة إلى التعاون لإقامة الحق والعدل، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ سورة المائدة، آية

---

[1] زيدان، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد**، ص١٣٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٢، قال ابن كثير يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعونة على فعل الخيرات وهو البر وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم[١].

كما ربى الإسلام الأفراد تربية خير وصلاح بحيث يعلم الفرد ما له وما عليه، وحثهم على التعاون لمكافحة الفرقة والتفكك التي تمهد الطريق للمستبد ولظلمه وعدوانه على من هم تحت يده.

بالوحدة يتمكن الأفراد من منع المستبد من ممارسة أعماله، ومحاسبته عليها والقيام بعزله، وتنحيته عن المسؤولية، وإلغاء العقد الذي استحل به لنفسه الحكم على رقاب العباد واستغلالهم، كما يتمكنون من توجيه القوى التي يستعملها في حكمه وسيطرته.

ولذا فلا بد من الاهتمام بكل ما هو مشترك بين الناس من قيم، وبوحدة التوجه لخدمة المجتمع، لما لذلك من دور في تقليل خطورة المشاعر الأنانية، وردها إلى الأصل الصحيح لدى الناس، وهو حب الخير للآخرين والتعاون معهم، وعلى التربية الإسلامية بجميع وسائطها العمل على ترسيخ عوامل الوحدة، بتطبيقها في جميع المجتمعات، والعمل بكل ما من شأنه توحيد موقف الأمة عملياً بإقامة العلاقات داخل الأسرة، وغيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية على أسس من التفاهم والتحاور والاحترام المتبادل بعيداً عن القهر والمذلة.

كما عليها لم الشمل، وجمع المتفرق، وإتباع ما أمر به القرآن الكريم ووصى به النبي صلى الله عليه وسلم في وصاياه، وإعادة أمر المسلمين كما ابتدءوا جماعة واحدة يتضافرون كالبنيان المرصوص لا يخذل بعضهم بعضاً، لأن بالوحدة صيانة الحرية التي تثري بدورها الوحدة بمضامين حضارية جديدة وبالوحدة تفكيك لأنظمة الاستبداد ومشروعات العنف والقهر، هي البديل للفرقة والتفكك.

---

[١] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وأختم بكلام الأفغاني عن ذلك حيث قال: " إن بقي في الأمة بقية، وأراد الله بها خيراً، اجتمع أهل الرأي، وأرباب الهمة من أفرادها، وتعاونا على اجتثاث هذه الشجرة الخبيثة، واستئصال جذورها قبل أن تنشر الرياح بذورها وأجزاؤها السامة القاتلة بين جميع الأمة، فتيمتها وينقطع الأمل من العلاج، وبادروا على قطع هذا العضو المجذوم قبل أن يسري فساده على جميع البدن فيمزقه، واغرسوا لهم شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وحددوا لهم بنية صحيحة سالمة من الآفات ا[1].

خلاصة:

وخلص هذا الفصل الذي جاء إجابة عن السؤال الرابع من أسئلة الدراسة إلى أن التربية الإسلامية بوصفها وقائية شاملة، فقد حرصت على إعداد الفرد وتأهيله، لحمل أمانة المسؤولية والخلافة، فعملت على وقايته من العديد من المشاكل والأمراض التي تنتهك قواه، وتبعده عن تأدية واجباته، وكان من بين هذه المشاكل وعلى رأسها مشكلة الاستبداد والتي لها من الآثار كما قدمنا الشيء الكثير على الفرد والمجتمع.

ونظراً لأن الوقاية خير من العلاج، فقد بينت التربية الإسلامية عدداً من الأساليب التي نستطيع من خلالها منع وقوع هذه المشكلة، تلافياً لآثارها المدمرة، وكان من بين تلك الأساليب، الدعوة إلى الإيمان الصادق، والامتثال لكل ما يدعو له من تزكية النفس عن الاستبداد والتسلط وعن الخضوع والمهانة وممارسة مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا الواجب العظيم الذي نحتاج إليه في كل زمان ومكان، والعمل على إعداد بطانة صالحة تنصح المسؤول وترشده وتوجهه، وتبلغه الحقائق، في بيان للمسؤولية الملقاة على عاتق كل من الحكام، والأفراد المحكومين.

---

[1] الأفغاني، **الأعمال الكاملة**، ج٢، ص٣٢٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

كما دعت إلى بناء شخصية إنسانية متكاملة، تقف عند حدود الشرع، قادرة على أداء واجباتها، و المطالبة بحقوقها.

وبينت ضرورة اللجوء إلى تحديد فترة الحكم، ومراقبة الحاكم ومحاسبته، والحث على التعددية، والبعد عن النظرة الواحدة، لما في ذلك من ردع للحاكم عن التسلط والاستبداد بالآخرين.

ودعت إلى توجيه القوى التي يستخدمها المستبد لفرض تسلطه وجبروته من مال، وجيش، وإعلام، نحو تحقيق الخير والفائدة للجميع.

وحثت الجميع على ممارسة دوره في بث الوعي لدى الأفراد والمجتمعات بخطورة الاستبداد، وضرورة مشاركتهم وأداء واجبهم، ومساعدتهم في القضاء على هذا الداء.

وأخيراً دعت إلى تحقيق الوحدة التي لن تمكن المستبد أياً كانت قوته من تحقيق أهدافه ومطامعه التي يحققها في حال الفرقة والتفكك والتجزئة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

الفصل الخامس: منهج التربية الإسلامية في علاج الاستبداد، وفيه مباحث :

المبحث الأول: الإيمان، وفيه مطالب:-

المطلب الأول: النصح.

المطلب الثاني: تربية انفعالات الإنسان.

المطلب الثالث: مقاومة روح اليأس والانهزامية.

المطلب الرابع: عدم طاعة المستبد.

المبحث الثاني: الشورى.

المبحث الثالث: العدل.

المبحث الرابع: الحرية.

المبحث الخامس: الحوار.

المبحث السادس: العلم، وفيه مطالب:

المطلب الأول: العلم ودوره في علاج الاستبداد.

المطلب الثاني: نموذج لموقف أحد العلماء المصلحين في مواجهة الاستبداد.

المبحث السابع: الهجرة.

المبحث الثامن: الدعاء.

البحث التاسع: العزل.

المبحث العاشر: المقاومة والجهاد.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

تمهيد

إن الاستبداد سوء يجب محاربته، إنه عقلية وسلوك منحرف طال الـذات واسـتوطن العقول والمشاعر، وغزا كل المجالات، تعلقت به كل شؤون الحياة، ولخطورة ذلك كان لا بد من مواجهة الجهل بالعلم، والفرقة بالوحدة، والخلاف بالتعاون؛ وبناء شورى دستورية تراقب الحكومة؛ ليتم تحقيق العدالة.

الاستبداد هذا الداء الفتاك ليس قدراً محتوماً لمجتمعاتنا وأسرنا، ولا حالة دائمـة وإن طال ليلها، وكثر حراسها، إنه اعتداء على التاريخ، واغتصاب للأحلام والآمال، منظومة كاملة ومعادلة من التخريب والإفساد، ولا سبيل للنهوض، وبناء حضارة شاملة حتى نـتمكن مـن القضاء عليه واستئصاله من جذوره من نفسيات الأفراد، ومن الأسر والمجتمعات والدول.

ونظراً لآثاره المدمرة فلا بد من حل سريع وجذري له لحماية أمن الفرد والمجتمـع، فالاستقرار مطلب كافة الطبقات في المجتمع، وقد قدمنا فيما سـبق أسـباب هـذه المـشكلة، وأساليب المستبدين مما يساعد في إيجاد الحلول، حيث لا بد من التشخيص الصحيح للمـرض لضمان كفاءة العلاج.

لقد حرصت الشرائع السماوية، والحركـات الإصـلاحية والفلـسفية والاجتماعيـة والسياسية في كافة مراحل التاريخ على علاج هذا المرض العضال الذي يعصف بمكتـسبات الحضارة الإنسانية ويحدث تشويهاً لفطرة البشر وتلويثاً للبيئة، فمن أعظم أهداف الإسلام إنقاذ الشعوب المظلومة الكادحة من ظلم المستبدين الطغاة، الذين استلبوا الجماهير الغفيرة وأمـتهم حقوقهم، وقضوا على إنسانيتهم، وداسوا على آدميتهم، ولذا فأول سورة نزلت مـن القـرآن- وهي سورة العلق- عالجت مشكلة الطغيان.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

اجتهد الأفراد في علاج هذه المشكلة والتخلص منها، باستعمال كافة الطرق والأساليب، وسواء باللين والرفق، أو بالعنف والشدة فبعض المرضى يحتاج إلى صدمات كهربائية لتصحيح وعيه، وإيقاظ ما تخدر من حسه.

إن العلاج الذي نسعى إلى تقديمه لمواجهة هذه المشكلة يتمثل بالعمل على فهم ديننا وأنفسنا فهماً شاملاً، معرفياً وعقلياً واجتماعياً وسياسياً، مع الوقوف وقفة نقدية ومراجعة ما مضى، والاستفادة منه، ثم العمل على بناء ما ينفعنا، وما فيه صلاحنا في الدنيا والآخرة.

وقد وضع الكواكبي ثلاث قواعد لرفع الاستبداد، هي:

١. شعور الفرد والأمة بآلام الاستبداد، وضرورة علاجها.

٢. المقاومة باللين والتدرج، وترك الشدة.

٣. تهيئة البديل[١].

وتتفق الباحثة مع الكواكبي رحمه الله في القاعدة الأولى، فقبل الإقدام على أي خطوة في العلاج لا بد من الشعور بوجود الاستبداد وأسبابه وآثاره، فمتى وجد الشعور كان ذلك محركاً للبحث عن العلاج.

وكذا في القاعدة الثالثة وفي هذا قال مالك بن نبي: "حينما استيقظت الشعوب العربية على خطر الاستعمار، فقد كانت يقظتنا الفجائية دافعاً من دوافع الحياة، وفي ذات الوقت كان دافعاً من دوافع الخطأ، فكان مثلنا كنائم استيقظ فجأة فوجد النار في غرفته، ودون أي تفكير ألقى بنفسه من نافذة الغرفة التي هي في الدور الرابع أو الخامس لينجو من النار، فنحن قد ألقينا بأنفسنا من حيث لا ندري في هوة التقليد حتى ننجو من الاستعمار، إننا لم نفكر في

---

[١] انظر الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص١٥١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الخلاص وإنما دفعتنا دوافع لا شعورية لتقليد حضارة الاستعمار، حتى نعصم أنفسنا منه[1].

ومن ذلك أن الأسبان لما طغوا على ملوك الطوائف بالأندلس وشعر هؤلاء الملوك بضعفهم عن مقاومتهم، ظهر للمعتمد بن عباد ملك اشبيلية الاستعانة بسلطان المغرب يوسف بن تاشفين، فقال له بعض أولئك الملوك: نخشى أن يدخل بلاد الأندلس ويرد العدو، ثم يبسط سلطانه علينا، فقال المعتمد تلك المقالة الخالدة، لئن أرعى الجمال خير من أن أرعى الخنازير[2].

وبهذا يظهر لنا أن على الأفراد تهيئة البديل المتمثل بالعدالة والحكمة، والحرص على الخلاص من المستبد وأعوانه، وعدم استبدال ظلم بظلم، ومستبد بآخر أعنف منه.

أما القاعدة الثانية فترى الباحثة أن اللين والتدرج لا يجديان في علاج هذه المشكلة التي استعصت على الأجيال المتلاحقة، إذ لا بد من استخدام القوة والسرعة في سبيل تخليص الجماهير من هذا الداء، فلو انتظر الناس لطال بهم الانتظار، ولن يتخلى المستبد عن سلطانه بسهولة.

كما على الأفراد الانتباه إلى ضرورة علاج الاستبداد بكافة أشكاله بأسلوب منسجم متكامل لارتباط هذه الأشكال بعضها ببعض، وتأثيرها المتبادل بعضها في بعض.

إن لكل شيء نهاية، وكلما تفاقم الأمر فقد اقترب من نهايته، وآذن نجمه بالانتكاس، وهكذا دورة عمر الاستبداد التي توشك في هذه الأيام بإذن الله أن تصل إلى نقطة النهاية.

إن الدين الإسلامي منهج إلهي للحياة البشرية وقد أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، لبيان هذا المنهج للناس لهدايتهم في كل تصرفاتهم، وحل مشكلاتهم بإعطاء العلاج والدواء لكل

---

(1) باطاهر: ابن عيسى، **فاعلية المسلم المعاصر رؤية في الواقع والطموح**، عمان – دار البيارق، ط١، ١٤١٧ – ١٩٩٧، ص١٣١، نقلاً عن تأملات، ص٢١١.

(2) حسين: محمد الخضر، **رسائل الإصلاح**، د.ن ، ط١، ١٣٩١ – ١٩٧١، ص٤٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المشكلات أو القضايا التي تواجههم، والاستبداد من تصرفات البشر المنحرفة التي لا توافق سنن الله، إنه يهدد البشر ويعرضهم للهلاك.

وقد أرشد الإسلام إلى حلول جذرية تكون في خدمة مصالح جماهير الأمة، وإنقاذها من وجوه الاستبداد بكافة أشكاله، ليندفع الأفراد بإيمان وقوة إلى صنع التاريخ من جديد، وبناء الحضارة الإنسانية.

وفي هذا الفصل بيان مفصل للوسائل التي يشتمل عليها منهج التربية الإسلامية، والتي يتم من خلالها مواجهة الاستبداد إذا ظهر، وفشا أمره في المجتمع وصولاً إلى وضع نهاية له ابتغاء تطهير المجتمع من آفاته ومخاطره.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

المبحث الأول

الإيمان

إن الاستبداد نقمة على أصحابه وعلى الآخرين، وما أن يظهر بأرض حتى يحل بها الفساد والفتن، وزوال النعم، وإن مظاهره وما فيه من ذل وخضوع وظلم وتجبر ما هي إلا دليل على ضعف الإيمان في القلوب، ولا نجاة للبشرية من هذا الشر إلا بالعودة إلى دين الله وشرعه، الذي بين العلاج الناجح، والخطة المثلى لكف الجاهل عن جهله، ويرجع الشارد عن شروده، والظالم عن ظلمه، حيث يجب على كل مسلم أن يطارد الرذيلة، ويقوِم الاعوجاج، ويغير المنكر، وأن ينصب نفسه رقيباً على كل شذوذ يتنافى مع العرف الصالح، وإذا صح إيمان الفرد فإنه ينجو من الاستبداد لأنه يستشعر نسبية الأشياء، وضعفه أمام الله، قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

سورة الأعراف، آية ٩٦.

فالعقيدة الصحيحة تحرر النفس من سيطرة الغير- من عبودية الأشخاص والأشياء والأفكار الخاطئة والخرافات- وذلك أن الإيمان يقتضي الإقرار بأن الله هو المحي المميت، الخافض الرافع، الضار النافع، كما قال سبحانه: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة الأعراف، آية ١٨٨، فإن الذي منع البشرية

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

من النهوض والرقي هو الخضوع والاستبداد، وبتقرير الإسلام لهذه الحقيقة قضى على هـذا الأسر، وأطلق حرية الإنسان من سيطرة هؤلاء التي لازمته قروناً طوالاً.

ولتحقيق ذلك فلا بد من تعبئة الأمة روحياً وسياسياً على أساس قـيم الإيمـان بـالله والاستعانة به، والتوكل عليه كقوة غيبية بيدها القـوة والقـدرة المطلقـة، وروح التـضحية، والفداء، والجهاد في سبيل الله، والصبر، والعـزم، والإرادة القويـة المـستقلة، والإحـساس بالمسؤولية والتركيز على المشاكل الكبرى، والهموم الرئيسة للأمة، و مبادئ الولاء والتناصر بين المسلمين." ولقد تميزت التربية الإسلامية باعتمادها عناصر التقوى والـورع والإيمـان مقومات رئيسة لأية مناهج تدريسية، ويصير محك المنهج الناجح مدى قرب المتعلم من الفهم الصحيح لعظمة الله وقدرته ومدى قربه من الخالق جل وعلا[1].

فمن جملة ما يدعو إليه الإيمان:

- التوكل: إن الإيمان بالله والتوكل عليه هو الزاد الحقيقي للفرد والأمـة فـي حياتهـا اليومية، فهو السلاح الفتاك في ميدان المعركة للفصل بين قوة أهل العقيدة الـسليمة، وزيـف وانحلال المستبدين، فإن القوة المادية مهما بلغت من الإعداد إلا أنها تتضاءل أمام قوة الإيمان بالله والتوكل عليه، لأن التوكل من موجبات رحمة الله، وسبباً من أسباب نصره، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ سورة الطلاق، آية ٣، فالتوكل على الله دلالة الإيمان ومقتضاه وعنصر القوة الذي يضاف إلى رصيد القلة الضعيفة أمام الجبروت الطاغي فإذا هي أقوى وأثبت[2] فحين يتوكل المسلم على الله يشعر بالقوة والثبات والطمأنينة.

---

(١) انظر الدغشي: أحمد محمد، نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية، الأردن-المعهد العـالمي للفكـر الإسلامي، ط١، د-ت، ص١٥٢.

(٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص ١٨١٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

- الاستقامة بعدم إتباع سبيل الذين لا يعلمون، الذين يظلمون ويتجبرون، قال تعالى:

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

سورة يونس، آية ٨٩.

- الصبر: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ سورة آل عمران، آية ٢٠٠، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه:- (ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض[1]).

فعلى التربية أن تسعى لتنمية معاني التقوى والاستقامة في نفوس أبناء المسلمين مع الاعتماد على العلم والمعرفة والتفكير طريقاً إلى زيادة الإيمان ومحاسبة النفس، وأن تقرن بين الإيمان والعمل ، وتسعى لتأكيد هذا المفهوم بالدعوة إلى تغيير السلوك نحو الأفضل .

ويظهر أثر الإيمان في معالجة ظهور الاستبداد في حياة الأفراد في عدد من الأمور، منها:

١. إن القلب الذي يرجو الآخرة لا يهمه من أمر الدنيا قليل أو كثير، القلب الذي ذاق طعم العزة ليس فيه مكان للاستبداد والظلم، هكذا ربى القرآن الكريم النفوس في مكة وهي تواجه الأذى والكرب والضيق وهكذا يربى كل صاحب عقيدة يواجه الاستبداد، قال سيد قطب رحمه الله: حين كان بنو إسرائيل يؤدون ضريبة الذل لفرعون، وهو يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم لم تتدخل قدرة الله لإدارة المعركة فهم لم يكونوا يؤدون هذه الضريبة إلا ذلاً واستكانة وخوفاً فأما حين استعلن الإيمان في قلوب من آمن بموسى، استعدوا لاحتمال التعذيب وهم مرفوعو الرؤوس يجهرون بكلمة الإيمان في وجه فرعون دون خوف ولا تحرج، وعندها تدخلت قدرة

---

[1] البخاري، **الصحيح**، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم اصبروا حتى تلقوني على الحوض،ج٣، ص١٣٨١، رقم٣٥٨١، ومسلم ، **الصحيح**، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، ج٢، ص٧٣٨، رقم١٠٦١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-YarmoukUniversity
www.manaraa.com

الله لإدارة المعركة وإعلان النصر الذي تم ابتداءً في الأرواح، والقلوب[1]، وقال الماوردي: إن الدين المتبع يصرف النفوس عن شهواتها ويعطل القلوب عن إرادتها حتى يصير قاهراً للسرائر، زاجرا للضمائر، رقيبا على النفوس في خلواتها، نصوحاً لها في ملماتها، وهذه الأمور لا يوصل إليها بغير الدين، ولا يصلح الناس إلا عليها، فإن الدين أقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها، وأجدى الأمور نفعاً في انتظامها وسلامتها، ولذلك لم يُخل الله تعالى خلقه منذ فطرهم عقلاء من تكليف شرعي واعتقاد ديني فينقادون لحكمه فلا تختلف بهم الآراء ويستسلمون لأمره فلا تتصرف بهم الأهواء[2].

٢. إتباع الحكام والمحكومين لشريعة واحدة تنظم عملهم، ولا تجعل لأحد منهم قداسة ولا مكانة أكثر من الآخر، فالعلاقة قائمة بين الخالق والمخلوق بصورة مباشرة ودون وسائط.

فلا عصمة في الإسلام لطبقة من الحكام أو رجال الدين يحتكرون المعرفة أو يتحدثون باسم الله فيصبح قولهم هو القانون والدين، فالإسلام لا يقتضي وجود مؤسسة دينية تستبد بالفكر الديني، ولا يسمح باحتكار تفسير الدين، مهما كانت الجهة المستبدة وغايتها[3] وقال أبو حاتم: إن الواجب على من ملك أمور المسلمين الرجوع إلى الله عز وجل في كل لحظة وطرفة حتى لا يطغيه ما هو فيه من تسلطه بل يذكر عظمة الله وقدرته وسلطانه، وأنه المنتقم ممن ظلم والمجازي لمن أحسن، فليلزم في إمرته السلوك الذي يؤديه إلى اكتساب الخير في الدارين، ويعتبر بمن كان قبله فإنه مسؤول عن شكر ما هو فيه[4].

---

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٣٤٥.

(٢) الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، ص١٣٦.

(٣) انظر نزال، **سبل زوال الاستبداد الفكري بين المسلمين** ، ص٨٨-٨٩.

(٤) ابن حبان، **روضة العقلاء**، ص٢٣٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٣.إن علاج الغش، والغرور، والسرقة، والنهب، والاستعلاء الذي دعا إليه الإسلام كفيل باجتثاث جذور الاستبداد، وتخليص الدين والدنيا من ويلاته، فالإيمان يجعل صاحبه يرفض الذل والاستضعاف.

٤.وجوب النصح للحاكم بأن لا يستبد ويظلم، وللأمة أن لا ترضى بالذل والخضوع.

٥.تربية انفعالات الإنسان، ومنها الخوف على دينه وحياته وماله وعرضه، وهذا يحمله على رفض الاستبداد ومقاومته.

٦.الدعوة إلى الإيجابية، فالإسلام يربي الفرد على الإيجابية والمشاركة في كل عمل نافع في كافة المجالات ما دام يعود على المجتمع بخير في الدنيا والآخرة، أو يدفع عنه الضرر لأن الإسلام يرفض أن يكون المسلم سلبياً عاجزاً إمعةً تابعاً، فالإيمان يجعل صاحبه يرفض الذل والاستضعاف، قال سيد قطب: إن الإسلام حركة تحريرية تبدأ في ضمير الفرد وتنتهي في محيط الجماعة، وما يعمر الإسلام قلباً ثم يتركه مستسلماً خاضعاً لسلطان على وجه الأرض إلا سلطان الواحد الأحد، القهار، وما يعمر قلباً ويتركه صابراً ساكتاً على الظلم مهما كانت صوره، ومهما كانت النتائج[1].

٧.عدم طاعة المستبد لانحرافه عن منهج الشرع، وظلم الناس، فمن يستشعر قدرة الله وعظمته وروح الإسلام لن يساعد المستبد بتقديم العون له أو حتى الركون إليه.

يستنكر الإسلام الحكم الاستبدادي القائم على هوى المستبد، ومشيئته المتقلبة والله سبحانه وتعالى برحمته وحكمته لا يترك المجتمعات البشرية رازخة تحت وطأة الاستبداد والتسلط، إنه تعالى يملي لهم ثم ينزل بهم عقابه وأليم عذابه، فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يستطيع إنقاذ العالم الإنساني مما يعاني منه من استبداد وتفرق وظلم، فمسيرة البشرية

---

[1] انظر سيد قطب، **دراسات إسلامية**، ص٣١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المتوازنة والمتكاملة الصحيحة تكون ضمن خطين هما العبادة واجتناب الطاغوت، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ سورة النحل، آية ٣٦.

لقد جاء الإسلام إلى الناس كافة لإخراجهم من الظلمات والجهل والكفر والتفرقة والتعدي والأذى وارتكاب المحرمات إلى ضياء العلم والمعرفة وتوحيد الله وإيقاف العدوان، والدعوة إلى التعاون والتآخي، والحث على رفع الأذى والابتعاد عن المحرمات، والالتزام بالمباح، وما أحوج البشرية في الوقت الحاضر إلى جيل مؤمن بالله وعارف بتعاليمه ليسوس الناس بالعدل، ويدلهم على طريق الخير والسعادة والفلاح، ولن يتأتى ذلك إلا بإتباع تعاليم الإسلام السمحة، طريق الخير والبركة، فيجب التغيير والانتقال من القول إلى العمل، من التوصيف والتحليل إلى الفعل.

وسنتناول بشيء من التفصيل النقاط الأربعة الأخيرة التي يظهر أثر الإيمان فيها.

المطلب الأول :- النصح

يرتبط الاستبداد بالتعالي عن سماع النصح ورفض العظة، وقد أوجب الإسلام على الأفراد نصح الحاكم، لإلقاء الحجة عليه، وتذكيره لعله ينصاع إلى الحجة والدليل.

إن النصح من أكثر أساليب التربية انتشاراً وأكثرها تغطية للمواقف، والقرآن الكريم مليء بالمواعظ والنصائح والتوجيهات التي تهدف إلى تربية الإنسان الصالح في ذاته ولذاته ولغيره، ومن ذلك أمر الله سبحانه وتعالى موسى وهارون عليهما السلام بالذهاب إلى فرعون بقوله سبحانه: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ سورة النازعات، آية ١٧-١٩، وقال سبحانه: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ سورة طه، آية ٤٤.

وكذا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم مليئة بالمواعظ والتوجيهات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم) [١]، فالنصيحة لأئمة المسلمين تتمثل في ما يجب للإمام من الحرمة والطاعة، والصبر على أذاهم إذا لم يعدلوا، والتنبيه إذا غفلوا، وترك الثناء عليهم مما ليس فيهم، و الدعاء لهم بالصلاح عند فسادهم[٢] وقيل هي معاونتهم على ما تكلفوا القيام به، بتنبيههم عند الغفلة، وإرشادهم عند الهفوة وتعليمهم عندما جهلوا، وتحذيرهم ممن يريد السوء بهم، وإعلامهم بأخلاق عمالهم وسيرتهم في الرعية، وسد خلتهم عند الحاجة ونصرتهم في جمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة إليهم[٣].

إن من حقوق الحكام على أفراد شعبهم توجيه النصح لهم في كشف الأخطاء والانحرافات، و مساعدتهم في علاجها ويتم هذا سواء طلب الحاكم النصيحة أو لا.

فعلى الجماعة التقدم إلى الحاكم الطاغية فتذكره بحقيقة ذاته، وكيف أن بدايته نطفة، وآخره جيفة، ومن كان كذلك فلا يليق به الطغيان والاستكبار والاعتداء على الناس، وتذكيره بأنه عبد الله ولا يحق للعبد التجبر على عبيد سيده، فهم جميعاً عبيد الله سبحانه وتعالى القوي

---

(١) مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ج١، ص٧٤، رقم٥٥.

(٢) ابن الأزرق: أبو عبد الله، **بدائع السلك في طبائع الملك**، العراق – وزارة الإعلام، د.ط، ١٩٧٧، تحقيق علي النشار، ج١، ص٣٢٥.

(٣) الطرطرشي، **سراج الملوك**، ص١٩٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المتعالي، الذي يمهل الظالم عسى أن يرجع، ولا يهمله بلا عقاب[1] فواجب على كل فرد من أفراد المجتمع نصح الملوك فهم أحق من يُهدى له النصح، وذلك كما قال سفيان الثوري للمنصور: إنني لأعرف رجلاً إن صلح صلحت الأمة، قال: ومن هو؟ قال أنت[2] ومن الأمثلة على ذلك دخل طاووس على سليمان بن عبد الله فقال له: إن صخرة كانت على شفير جهنم هوت فيها سبعين خريفاً حتى استقرت أتدري لمن أعدها الله قال: لا، قال: لمن أشركه في حكمه فجار[3] فالنصح للأئمة له دور في الحفاظ على حياة الأمة، والسير بها نحو التقدم والازدهار.

إن النصح من حقوق المسلم على أخيه المسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حق المسلم على المسلم ست، قيل: ما هي يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه[4]). وجعلها الإسلام من الدين، فعن جابر، قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم[5].

وكما يجب على الرعية نصح الحاكم وتوجيهه، فعلى الحاكم نصح الرعية وتوجيههم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، (ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح

---

(1) زيدان، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد**، ص ١٩٦.

(2) الطرطوشي، **سراج الملوك**، ص٤٠.

(3) ابن الجوزي: سبط، **الجليس الصالح والأنيس الناصح**، لندن – دار رياض الريس، ط ١، د– ت، تحقيق فواز صالح فواز، ص٢٢١.

(4) مسلم، **الصحيح**، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم، ج٤، ص١٧٠٥، رقم ٢١٦٢.

(5) البخاري، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة، ج١، ص٣١، رقم٥٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

إلا لم يدخل معهم الجنة[1]). وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعظ أصحابه كثيراً ويذكرهم.

فعلى التربية الإسلامية حث الأفراد على بذل النصيحة، وعلى تقبلها، والانتفاع بها، وطلبها من الآخرين؛ لتحقيق النفع، والفائدة، والخير للجميع، وبيان أن كتمانها يدخل في النهي عن كتمان العلم الذي أمر الله العلماء ببيانه للناس .

وللنصيحة أهمية كبرى في حياة الفرد والمجتمع، ومما قيل في ذلك:

قال ابن سيرين: "إذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً جعل لهُ واعظاً من قلبه يأمره وينهاه، وقال الحسن البصري: لأن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تدرك المأمن خير من أن تصحب أقواماً يؤمنوك حتى تبلغ المخاوف[2]"، وقال أبو حاتم: "من صحب السلطان فلا يجب أن يكتمه نصيحته لأن من كتم السلطان نصيحته، والأطباء مرضه، والإخوان بثه فقد خان نفسه[3]".

فللنصيحة فائدة تعود على الرؤساء والمرؤوسين، فالرئيس المنصوح يستفيد رأياً يضيفه إلى رأيه وتنبيهه إلى أمر قد يكون غاب عنه، ويدرك ما يفكر به أفراد الشعب وما يجول في خواطرهم فيما يخصه ويخص أعماله مما يساعد على تحقيق الأهداف بشكل أفضل ويعرف المرؤوس ما له وما عليه، فيؤدي الذي عليه، ويطالب بما له، وعندها تتحقق العدالة المنشودة.

إن النصح أجدى من تجييش الجيوش، وإلقاء الخطب أحياناً، حيث تسيل أنهار الدموع، فانفتاح قلب المسلم سبيل إلى رحمة الله التي هي قريب من المحسنين، وينبغي على

---

(1) مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته ، ج١، ص١٢٥، رقم ١٤٢.

(2) ابن الجوزي، **الجليس الصالح والأنيس الناصح**، ص٤١.

(3) ابن حبان، **روضة العقلاء**، ص٢٢٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

من يلصح الحاكم ويعظه أن يتلطف به، حتى لا يعتبره من الإذلال، فينالـه بـذلك العقـاب الشديد.

المطلب الثـاني:- تربيـة انفعـالات الإنسـان

يركز المستبد على إثارة مخاوف الأفراد لأحكام السيطرة عليهم، فالاستبداد دون خوف لا يستمر، وإن من الأسباب المؤدية بالإنسان إلى العبودية، وإسقاط إنسانيته وغرس الذل فـي نفسه؛ تركيز الخوف على رزقه وحياته، والارتقاء إلى الإيمان بأن الرزق محسوب، والأجل مكتوب هو بدء عملية التحرير والإنعتاق، إنه قادر على انتزاع الخوف من المستبدين ليقينهم برجوعهم إلى الله، وأن عذابه سبحانه أشد من عذاب المستبد، ونعيمه سبحانه أكبر من كل ما يحيط المستبد به نفسه، فإن خروجنا من دائرة الاستبداد لن يكون إلا بالإيمان والتصميم على الخروج منه ببرنامج واضح وإرادة قوية.

إن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال[1] يخـاف الفرد الوحدة، والظلمة، والموت، والعجز، والألم، والمناظر التي لم يألفها، والأشخاص الـذين لا يعرفهم، فمن يخاف الموت لا يقدم، ومن يخاف الفقر يجعل همـه المـال، ومـن يخـاف السلطان يتحاشى كل ما يعرضه للصدام، وإن الخوف من السلطان إذا استبد بالإنـسان فإنـه يلغي عقله وتفكيره فيعمى عن الحقائق، وعندها يكتمون كلمة الحق، ويتوقفون عـن الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيسكت عن الظلم والقهر، وهو لا يعلم نتيجة ذلك.

ونظراً لخطورة هذا الانفعال على حياة الفرد والمجتمع، فقد تفرد الإسلام بمنهج متميز في تربيته وتوجيهه الوجهة الصحيحة، والتربية الناجحة تعمل على تربيـة الـنفس، وتقـويم اعوجاجها وتربيتها ووضعها في وضعها الصحيح.

---

[1] الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤، ص٢٠٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

إن الإيمان بالله يعلم الفرد أن الأمور كلها بيد الله، وأن الخلق محتاجون إليه، فالآجال والأرزاق بيديه، وهو المحاسب للناس على أعمالهم، وإذا استقر ذلك في نفس الفرد رفض الذل وحرص على توثيق الصلة بالله، فهو يستشعر بمعية الله معه، ليقينه بوعد الله، قال تعالى لموسى وهارون: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ سورة طه، آية ٤٦. وفي الحديث القدسي: قال تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني [١]).

وتبعاً لذلك فعلى التربية أن تبنى على مبدأ تقرير الكرامة الإنسانية مما يحرر الفرد من كل قيد زائف يبدد طاقاته وقدراته أو يستغلها في غير مصلحته، فالكرامة تربية للفرد على التحرر من ظلم الإنسان لأن الله كرم الجميع بالانتماء إليه وولايته وعدله، وخلقهم متساويين أحراراً وكذا التحرر من الزعامات الزائفة والدجالين الذين يزعمون الوساطة بين الله وخلقه[٢].

كما عليها أن تحد من غلو الفرد وتكبح الأنانية لديه، ولا يتحقق ذلك إلا بإعداد أفراد يؤمنون بأن الرزق بيد الله وحده، وأنه هو لا سواه الجبار القاهر المتكبر، وليس لبشر أن يلبس رداء التفرد،والحاكم والمحكوم يحتاجان إلى أخلاق تقيهما من مصارع السوء، إنها من الآليات الكفيلة بحسن العلاقة بين الطرفين، فالتربية الواعية التي تأخذ بيد الحاكم كي يكون عادلاً يصون حريات الناس، ولا يهضم حقهم في المشاركة في إدارة شؤونهم بالقسط، وكذا المحكوم يكون حليماً في كل الأوقات خاصة الأزمات، ويسعى إلى الله لإصلاح شؤونه

---

[١] مسلم، **الصحيح**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله، ج٤، ص٢٠٦١، رقم ٢٦٧٥.

[٢] النحلاوي: عبد الرحمن، **التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة**، بيروت- المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٨-١٩٨٨، ص٧٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

بالحكمة، وإيجاد الحوافز المشجعة على التحلي بالخصال الحسنة والتنفير من أضدادها، ومن أكثر ما يخافه الإنسان، الرزق والأجل.

لقد عمل الإسلام على التحرير من الخوف الأرضي والتعلق بمتاع الدنيا الزائل، وإطلاق البشرية للعمل في سبل الخير في كافة الميادين ابتغاء مرضاة الله، وفراراً من عذابه، فقد تناولت نصوص القرآن والسنة مخاوف الإنسان فنفضتها عن النفس، وأطلق الأفراد لمواجهة الحياة بقوة وعزة فقوى الأرض لا تخيف لأنها لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، ولذا ينبغي أن يتوجه خوف الإنسان إلى الخوف من الله فحسب، فهو سبحانه من بيده مقاليد كل شيء قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ سورة آل عمران، آية ١٧٥، وقال سبحانه: ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ سورة المائدة، آية ٤٤، إن الخوف من الله يملأ قلب المؤمن بالحذر واليقظة، والتطلع إلى العمل الأفضل، وإن توجيه الخوف إلى الخوف من الخالق سبحانه هو التوحيد، وهذا ما يجب على التربية الإسلامية القيام به والدعوة إليه؛ لضمان حسن النتائج.

إن من يُربى على العبودية لله وحده، والخوف منه، وإتباع شرعه والبعد عن معصيته، والتوكل عليه وحده، وعدم الخوف من غيره، يصبح حراً من إتباع الأهواء والشهوات وطغاة الباطل، فلا يقدم على معصية لربه، أو ما يضر الناس، وبهذا يكون الأمن والطمأنينة، بخلاف من أسر لشهوته وهواه، أو لطاغية فإنه يقدم على المعاصي دون مبالاة بأذى الناس[1].

ويتضمن منهج الإسلام عدداً من المبادئ لتربية هذا الانفعال، منها: [1]:

---

[1] قادري: عبد الله بن أحمد، **أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع المسلم**، جدة- دار المجتمع، ط١، ١٤٠٩ - ١٩٨٨، ص٨٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

١. غرس العقيدة الصحيحة في النفوس.

بها تتحقق للفرد القوة والصحة والعزة والأمن والطمأنينة والشجاعة، وتتحرر النفس من الخوف والجبن من كافة المخاطر.

٢. توجيه انفعال الخوف عند المؤمن إلى الله تعالى.

فلا يخاف إلا الله، لعلمه أن أجله ورزقه وحياته في يد خالقه سبحانه.

٣. بث الثقة والطمأنينة في نفس الخائف.

٤. توجيه النفوس إلى القيم الإسلامية الخالدة.

حرر الإسلام النفس من الخوف من الموت، والمجهول، وأذى الناس، وعلى الرزق وغير ذلك، وما ذلك إلا لحث الأفراد على أداء واجبهم تجاه أنفسهم ومجتمعاتهم، باتخاذ الإجراءات المناسبة للتصدي لمختلف التحديات.

ولم يكبت الإسلام دوافع الإنسان وانفعالاته، فلو تجرد الإنسان من الخوف لما احتاط للمخاطر، ولم يترك لها الحبل على الغارب، بل دعا إلى تهذيبها وضبطها وتوجيهها، لأن الإفراط في الخوف يقود إلى اليأس والقنوط الذي يمنع من العمل، ويؤدي للضعف، وإن من يملك العقيدة الصادقة، والإيمان القوي يدفعه إلى قول الحق لا يخاف إلا الله، متمثلاً قول النبي عليه الصلاة والسلام. (ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه)[٢].

---

(١) انظر شويات: آمنة، **الخوف من منظور تربوي إسلامي**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، قسم الدراسات الإسلامية، ٢٠٠٦، ص ١١٥-١٧٣.

(٢) ابن ماجه، **السنن**، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج٢، ص١٣٢٨. رقم ٤٠٠٧، والترمذي، **السنن**، كتاب الفتن، باب ما جاء ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما هو كائن إلى يوم القيامة ج٤، ص٤٨٣، رقم ٢١٩١، وأحمد، **المسند** ج٣، ص٥، صححه الألباني، انظر **صحيح سنن ابن ماجه**، ج٢، ص٣٦٨، رقم ٣٢٣٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا مما يجب على المربين القيام به والدعوة إليه، لإيجاد جيل قادر على القيام بأعباء الأمانة التي تحملها، وتحقيقاً لمبدأ التوازن والوسطية الذي دعا إليه الإسلام.

المطلب الثالث:- مقاومة روح اليأس والانهزامية

إن لما يتبعه المستبد من أساليب في التحكم في مصائر الأفراد وقتالهم، وظلمهم، والتسلط عليهم أثراً كبيراً في بث روح اليأس، والقنوط بين الأفراد، والمعركة مع المستبد ليس فيها حياة، والساكت فيها متنازل عن حقه ظالم لنفسه وللآخرين.

واليأس هو الهروب من المواجهة والقيام بالواجب، واليائس إنسان سلبي يجنح إلى الانكماش، ويؤثر العيش في انطوائية ليظل مع العاجزين متعللاً ببعض الحجج الواهية غير المقبولة.

وقد جاء الإسلام، وحث على مقاومة روح اليأس والقنوط والانهزامية التي تشيع بين الأفراد بأنه لا فائدة ولا أمل في التغيير والإصلاح، وأن الذي يأتي أسوأ من الذي ذهب وهذه الروح معارضة لمنطق الحياة التي يعقب الله فيها النهار بعد الليل، والخصب بعد الجدب، ومنافية لمبادئ العمل والكفاح الذي قامت عليه نهضة الأمم والشعوب، ومناقض للإيمان الذي يعتبر اليأس من علامات الكفر، قال تعالى:﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ سورة يوسف، آية٨٧، وقال سبحانه: ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ سورة الزمر، آية ٥٣، كما أن الإنسان لم يخلق عبثاً ولا للأكل والشرب وقضاء الحاجة، ومن تنازل عن دوره في العمل البناء فقد تخلى عن دوره في الحياة.

إن السلبية قد تتحول إلى عبودية ذليلة لفرد أو عادة أو تقليد مما يعني مسخاً للكيان البشري وتشويها له، وإضاعة للضمان الكفيل بالقضاء على الفساد في الأرض، وهو الرقابة

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فلا إصلاح بغيرها، ولا رقابة بغير حرية، فالانطلاق يحتاج إلى إيجابية ووعي وقدرة على الاستغناء عن ملذات الدنيا وشهواتها[1].

جاء الدين الإسلامي دعوة صريحة لمحاربة اليأس والانهزامية لعمق آثارها وخطورتها، والحث على الإيجابية والعمل والنشاط.

يدعو الإسلام إلى الإيجابية، التي يظهر أثرها في واقع الحياة، فالقاعد لا يصنع التاريخ ولا يدير الحياة، وإن الحق يحتاج إلى مجموعة من الناس مستعدة لدفع الثمن في سبيله.

ويستمد الإنسان هذه الإيجابية والفاعلية من الإيمان بالله الذي يمنح النفس قوة عالية تكافح وتستعلي على كل شيء، وبناءً عليه أنشأ المسلمون الأوائل نظاماً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً غير مسبوق، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة المنافقون، آية ٨[2].

ولتحقيق هذه الإيجابية فلا بد من:

١-الصبر

إن التحديات التي تواجه الفرد تتطلب منه سعة صدر وحلم وصبر، فالصبر علامة على الإيمان، قال تعالى ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ سورة النحل، آية ١٢٧. وقال سبحانه ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ سورة البقرة، آية ٢٥٠،

---

[1] انظر قطب، **مناهج التربية الإسلامية**، ج١، ص١٧٥.

[2] المرجع السابق نفسه، ج١، ص١٧٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من رأى مِن أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية [1]).

فعلى المربين أن يبينوا للأفراد أن الأمور لا تأتي دون مشقة أو ابتلاء، لذا لا بد من الصبر الذي ثمرته الثبات عند الشدائد ثم النصر، وذلك لما للصبر من أثر على نفسية الصابر حيث يعطيه الأمل ويبعده عن اليأس، فتصير نفسه مطمئنة، إنه دواء لكل ما في الحياة، من مشكلات.

لقد حث الإسلام على التحلي بالصبر لأنه يقود إلى تماسك الشخصية وتوازنها ويستطيع الفرد من خلاله المضي في ركب الحياة، فالأمة التي لا صبر لها لا تصمد أمام الأعاصير، فهو يربي الملكات المختلفة عند الفرد، فما من فضيلة إلا وهي محتاجة إليه، هو بلسم للقلوب التي أثكلها الخطب وجار عليها الزمان، وهو عزاء للنفوس الحزينة، وتسلية للمعذبين الذين يعانون من مر الأيام وخطوبها حيث يوفر لهم الاطمئنان والراحة، حتى قيل إن أعز الشعوب وأرفعها شأناً وأعزها سلطاناً هو الشعب الذي عرف من أخلاقه الصبر والثبات عند الأخطاء والصمود أمام الأهوال، حتى يعد للأمور عدتها ويهيئ لها أسبابها[2].

وقد أكثر القرآن الكريم من ذكر الصبر والأمر به، وذلك لأن مواجهة المستبد تحتاج إلى صبر نظراً لما تحمله من آلام فمواجهته تعني جهاداً لا يثبت فيه إلا من وهب نفسه لله، وأيقن بوجوب حبس نفسه على ما يكره وقدرته على دفعها رغم الشدائد، فالمستبد لا يستسلم بسهولة سيدافع عن نظامه بقوة مستعملاً كافة الوسائل، متجاوزاً القيم والمبادئ، لا يردعه

---

[1] البخاري، **الصحيح**، كتاب الفتن، باب قول النبي عليه السلام اصبروا حتى تلقوني على الحوض، ج٦، ص٢٥٨٨، رقم ٦٦٤٦. ومسلم، **الصحيح**، كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، ج٣، ص١٤٧٧، رقم ١٨٤٩.

[2] القرشي، **النظام التربوي في الإسلام**، ص٢٣٥-٢٣٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

شيء، ولا يعنيه سوى تحقيق مصالحه، فقد يلجأ للقتل والسجن وغير ذلك، ومن هنا وجب على من يتصدى له التحلي بالصبر، قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ سورة الروم، آية ٦٠، وهو وصية المؤمنين بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ سورة العصر، آية ٣، وبه تتحقق معية الله قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ سورة الأنفال، آية ٦٦، وهو الطريق للإمامة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ سورة السجدة، آية ٢٤، وقد بشر الله الصابرين بحسن مآب، وتحقيق أهدافهم ما داموا على الحق والصواب، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به في مواجهة الظلم والاستبداد، فقال عليه الصلاة والسلام: (إنكم سترون بعدي آثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) [1].

فالصبر حافز لمواجهة المستبد، وتحمل أذاه يواجه حكم الإعدام، وظلمة السجن دون خوف أو تردد، ومن ذلك امرأة فرعون المستبد حيث جعلها الله مثالاً في الصبر والثبات والتمسك بالمبدأ، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ

---

[1] البخاري، **الصحيح**، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، ج٢، ص٧٣٨، رقم ١٠٦١، ومسلم، **الصحيح**، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار اصبروا حتى تلقوني على الحوض، ج٣، ص١٣٨١، رقم٣٥٨٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ سورة التحريم، آية ١١، وكذا صبر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم على إيذاء قريش وحصارهم لهم في الشعب، وغير ذلك.

٢-الأمل

إن للأمل دوراً كبيراً في حياة الفرد وتصرفاته، وهو خلق كريم تنشرح به النفس، ويقدم الإنسان على تأدية واجباته، وما أُنيط به من أعمال دون ملل؛ لثقته بكرم خالقه، وعظيم فضله وقد أمرنا الإسلام بالعمل بجد ونشاط وعدم الحزن والهوان واليأس إذا قابلنا شدة أو مشكلة قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ سورة آل عمران، آية ١٣٩.

وقال تعالى مخاطباً كلا من موسى وهارون عليهما السلام: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ سورة طه، آية ٤٣-٤٤

وهذا التعليل بحرف الترجي لعله برغم ما ذكره الله من طغيان فرعون دليل على أن الداعية لا ينبغي أن يفقد الأمل فيمن يدعوه مهما يكن كفره وظلمه ما دام مستخدماً طريق اللين لا العنف[١].

وهنا يأتي دور التربية في إعداد أفراد إيجابيين فاعلين، متحلين بروح العمل وحب العطاء صابرين محتسبين، لا يتطرق إليهم اليأس ولا يقتل آمالهم بالتغيير الذي ينشدون، وإن

---

[١] انظر محجوب: عباس، **نصوص تربوية من القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث**، الأردن – عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٦، ص١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

في النفس استعداداً للإيجابية والعمل واستعداداً للسلبية والانهزامية، وعلى التربية تربية الفرد على النزعة الأولى وتخليصه من الثانية.

كما لا بد من تربية الفرد على الطموح الصادق والآمال الخيرة الدافعة إلى العمل، والقابلة للتحقيق، والباعثة على السعادة والرضى والاطمئنان، ببث الأمل في القلوب لأن اليأس هزيمة في المعركة قبل أن تبدأ كما أنه نقصان في الإيمان، فلا ينبغي أن يصاب المسلمون باليأس أو يسود بينهم التشاؤم.

إن النجاة لا تكمن في الفرار، ومهما كانت الظروف صعبة فلا يمكن لنا كأفراد وجماعات التخلي عن أداء مهمتنا والواجب الملقى على عاتقنا، فلا بد من الصحوة واليقظة والعودة إلى ساحة العمل والبناء، فإن التغيير مطلوب من داخل أنفسنا، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ سورة الرعد، آية ١١، فلابد من الإعداد والأخذ بالأسباب طاعة لله ورسوله، وعلى الفرد أن لا يستضعف نفسه وقدراته أمام المستبد بل يهيئ الأسباب، كما قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ سورة الأنفال، آية ٦٠.

المطلب الرابع:- عدم طاعة المستبد

أجمع العلماء على وجوب طاعة أولي الأمر من الأمراء والحكام، والانقياد لهم، وهي أهم مظاهر الانضباط في الدولة[1]. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟

---

[1] وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، الكويت – دار الصفوة، ط١، ١٤١٤ – ١٩٩٤، ج٢٨، ص٣٢٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ سورة النساء، آية ٥٩. وقال عليه الصلاة والسلام: (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبه) [١]، إلا أن هذه الطاعة مرهونة بإقامة الحاكم شرع الله في الأرض، قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ سورة الشعراء، آية ١٥٠ -١٥٢، وقال عليه الصلاة والسلام: (السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)[٢].

فالطاعة ليست مطلقة، لقد جاء الإسلام يحرر الإنسان من العبودية لغير الله ، فالمسلم لا ينحني إلا لربه سبحانه، والخلاص من المستبد لا يكون بقتله بل بعدم طاعته، والأمة القوية هي التي يوجد فيها أفراد يجابهون الحاكم وينتقدونه.

إنها مرحلة المقاومة العملية التي تأتي بعد النصح والتذكير، لأن إتباع المستبد وطاعته من سبل تغذية وجوده وتثبيت سلطانه في الأرض.

قال أبو بكر رضي الله عنه:" أيها الناس: إنني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وأن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم[٣]". فطاعته مرهونة بطاعته لله ورسوله، وعلامة طرح الثقة به

---

[١] البخاري، **الصحيح**، كتاب الأحكام، باب وجوب الطاعة للإمام ما لم تكن معصية ج٦، ص٢٦١٢، رقم ٦٧٢٣.

[٢] البخاري، **الصحيح**، كتاب الجهاد والسير، باب السمع والطاعة للإمام، ج٣، ص١٠٨٠، رقم ٢٧٩٦، ومسلم، **الصحيح**، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ج٣، ص١٤٦٩، رقم ١٨٣٩ نحوه.

[٣] السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

إن لم يطعهما ويقم على تنفيذ الدستور الإسلامي، وهكذا نهج من بعده من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً.

فإن طاعة ولي الأمر لا لذاته، ولكن لإذعانه لسلطان الله، واعترافه بالحاكمية لله وحده، فإذا انحرف سقطت طاعته، فالحاكم يصبح حاكماً باختيار المسلمين وحريتهم، لا يقيدهم عهد حاكم قبله، ولا ورائه في أسرة معينة، ثم يستمد سلطته من تنفيذه لشريعة الله دون أداء حق التشريع ابتداء بسلطان ذاتي له، فإذا لم يرضه المسلمين لم تكن له ولاية، وإذا رضوه ثم ترك شريعة الله لم تكن له طاعة[1] وقال ابن القيم: إن متبع الهوى ليس أهلاً أن يطاع، ولا يكون إماماً ولا متبوعاً، فإن الله سبحانه وتعالى عزله عن الإمامة ونهى عن طاعته، لأنه ظالم قال تعالى ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾ سورة الروم، آية ٢٩ ولذا نهى عن طاعته، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ سورة الكهف، آية ٢٨[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى حول حديث عدي (وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، يكونون على وجهين: أحدهما علمهم بتبديل دين الله فيتبعوهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله إتباعاً لرؤسائهم مع علمهم مخالفتهم دين الله، وهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً، وإن لم يكونوا يصلون لهم، والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم

---

[1] انظر سيد قطب، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، بيروت – دار الشروق، ط ٨، ١٤٠٢-١٩٨٢، ص٨١-٨٢.

[2] ابن القيم: محمد بن أبي بكر، **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، بيروت- دار الكتب العلمية، د- ط ،١٤٢١ – ١٩٩٢، ص٤٧٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الحلال وتحليل الحرام مستقراً ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله لموافقة ذلك لشهوات الناس، مع العلم أنهم ليسوا أهلاً للطاعة في ذلك كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي، مع اعتقاده أنها معاصي، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب[1] ويدلنا هذا الكلام على أن إتباع المستبد الظالم في تشريعاته وأوامره هو من المنهيات التي يترتب على فعلها العقوبة، لذا فالأجدر بالمسلم أن يبتعد عن مواطن الشبهات وأن يترك هذه الطاعة العمياء نظراً لما تجلبه عليه من آثار سلبية.

ولذا لما نزل العذاب بفرعون نزل بأتباعه وأعوانه، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ سورة القصص، آية ٤٠، فجند فرعون ساعدوه ومدوا له يد العون لظلم قوم موسى والتسلط عليهم، فكانت العاقبة واحدة، وقال تعالى مخبراً عن موسى قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ سورة القصص، آية ١٧ قال الألوسي: وأصبح أهل العلم بهذه الآية على منع معونة الظلمة وخدمتهم[2].

فعلى التربية أن تبين للأفراد أن إتباع المستبد يثبت وجوده، ويوطد دعائم استقراره على الأرض، فهذا الإتباع ظاهرة مرضية خطيرة منشؤها دعم وإعانة المستبد ضمن صور مختلفة، ومعلوم أن المستبد إنما يستبد بأعوانه الذين يهيؤون له الأجواء لبث فساده، ولذا يجب على الأفراد مقاومة الحاكم المستبد الظالم وعدم متابعته، فطاعتهم في معصية الله لا تنجي

---

(1) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج٧، ص٧٠

(2) الألوسي، **روح المعاني**، ج٢٠، ص٥٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الأفراد من المساءلة والعقاب، قال المولى سبحانه وتعالى على لسان المستضعفين الذين يتبعون رؤساءهم في بغيهم فيدخلون النار ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ سورة الأحزاب، آية ٦٧ – ٦٨. وقد آتى الله فرعون ملك مصر فبغى وتجبر وأفسد في الأرض، وسار قومه في ركابه ولم يردوه عن غيه، فانتقم الله منهم أجمعين حاكماً ومحكومين، قال سبحانه ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ سورة الزخرف، آية ٥٤–٥٥، فليحذر الذين يتبعون الظالم ويزنون له أعماله من سوء العاقبة في الدنيا والآخرة.

وكما أن طاعة ولي الأمر من الإيمان وواجبة بنصوص الكتاب والسنة متى كان ملتزماً بأوامر الشرع، متحلياً بآدابه، فإنه متى خالف ذلك وظلم وجار سقط حقه في الطاعة ووجب على الأمة عزله، وذلك يحتاج إلى قيام علماء التربية الإسلامية بإعداد أفراد مدركين لحقوقهم وواجباتهم، أقوياء قادرين على مواجهة هذا الظالم وردعه عن ظلمه واستبداده، وترك الخضوع والطاعة المطلقة له، فطاعته والاستسلام له عند ظلمه وتجبره يزيده ظلماً واستبداداً. ولذا فلا بد من توفير القدوة الحسنة المدافعة عن حقوقها أمام الأفراد في مختلف البيئات والمؤسسات.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الشورى

إن حكم الفرد هو أسوأ أنواع الحكم، والأمة التي ابتلاها الله به امتلأت سجونها بالأبرياء، وقبورها بالضحايا، وخاف الناس بعضهم بعضاً، وانعدمت الثقة بينهم، وبرزت الفرقة، والإنسان الذي لا يستشير تكون لديه صفة الأنانية والاستبداد، فيجر الأمة إلى كوارث لا نهاية لها، فأبو جهل عندما استبد برأيه في بدر ورفض رأي قومه بالرجوع وعدم الدخول في الحرب كانت العاقبة وخيمة على مجتمع الكفر بأسره.

يسيطر الاستبداد على البلاد عند غياب الشورى عن الحكم، فيكثر القتل والهدم وينتشر الفساد في الأمر كله، كما تنتشر بعض المقولات الخاطئة التي تدعم المستبد وحكمه كبيان أن الشورى منحه من الحاكم للرعية وليست حقاً لها.

يشعر المستبد بالخوف من مظاهر القوة الشعبية باجتماع الأفراد، فيحاول تهميشها وإبعادها، وقد جاء الإسلام بأفضل الضمانات لحماية الحريات العامة للأفراد وحفظها، فكفل لكل إنسان قادر الحق في الاشتراك في توجيه سياسة أمته، و مراقبة السلطة فيها، وكان هذا حين جعل نظام الحكم قائماً على الشورى، آلية تنفيذ الحرية والمساواة، المانعة من الاستبداد، ووسيلة للحيلولة دون تركز السلطة في يد شخص واحد، والطريقة المساعدة في علاج الاستبداد والخلاص منه، وأساس الحكم وعماده بها ساد المسلمون العالم وكانوا في مركز الصدارة فعم الحق والخير، وسعدت البشرية، هي أساس شرعية الحكم، وأساس العلاقة بين الحاكم والمحكوم وبغيرها لا تنعقد بيعة الحاكم.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

اهتم الإسلام بمبدأ الشورى لعظيم آثاره، وخطر غيابه، فجاءت الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وفعل الصحابة رضوان الله عليهم وأقوالهم دالة على ضرورة الالتزام بهذا المبدأ والتمسك به.

ومن الآيات الكريمة، قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ سورة آل عمران، آية ١٥٩. وقال سبحانه: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ سورة الشورى، آية ٣٨ وغيرها من الآيات التي تبين معنى الاستشارة، وتحث عليها، وتبين ميادينها.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاؤكم، وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلائكم، وأمركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها [1]". كما أقام الرسول صلى الله عليه وسلم دولته على قاعدة الشورى إذ لم ينفرد برأي دون أهل الرأي والمشورة من أصحابه، بل كان يلجأ إلى جماعة المسلمين عامة، مع أنه المؤيد من ربه بالوحي، لقد كان يربي أصحابه ومن بعدهم على هذا المبدأ، وضرورة عدم الاستبداد مهما بلغ الفرد من رجاحة العقل وسعة الإطلاع وكثرة التجارب، ويدلنا على ذلك فعله صلى الله عليه وسلم في استشارته لأصحابه رضوان الله عليهم في غزوات بدر، وأحد، والخندق، بل حتى استشار أصحابه في حادثة الإفك، كما أنه عليه الصلاة والسلام كثيراً ما كان يردد مقولة (أشيروا عليّ أيها الناس)، لقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في تطبيقه هذا المبدأ في أسمى معانيه.

---

(١) الترمذي، **السنن**، كتاب الفتن، باب، ج٤، ص ٥٢٩، رقم ٢٦٦، وقال حديث غريب، ضعفه الألباني، **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**،ج١، ص٢٢١، رقم ٧٤٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وسار الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً على نهج خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام، ملتزمين بمبدأ المشاورة فيما بينهم، مبتعدين عن الاستبداد بكافة أشكاله لما يجلب على الأمة من ذل وهوان، مما أسهم في إيجاد المجتمع المتحاب المتعاون الذي يخلو من الحسد والحقد والكراهية، ذلك المجتمع الذي فرض سيادته على العالم بأسره.

لقد نهضت دولة الخلافة على دعائم الشورى، وكان هو المبدأ المقرر عند كل الخلفاء مما أرسى دعائم العدل والحق.

إنها استطلاع رأي الأمة أو من ينوب عنها في الأمور العامة المتعلقة بها مثل اختيار الحاكم، والرقابة، والنقد والمعارضة والتقويم[1]. هي الحكم والقيادة بلا استبداد بالرأي، بحيث يتعاون الأفراد فيما بينهم، ويكون هناك نوع من الحوار وحرية الرأي والاستماع للآخر وتقديره، وعدم الخضوع للظلم، فليس لمسلم أن يرضى بالظلم ينزل به أو بغيره[2].

ومع اختلاف الأقوال حول من يكون المستشار، وعددهم، ونوعهم، وما هي ميادين الاستشارة، وأساليب تحقيقها، وحكمها، فإن الباحثة ترى أن الشورى هي أسلوب إداري عند المسلمين يقوم على المشاركة في صناعة القرارات وتنفيذها في الأمور التي لم يرد فيها نص من قرآن وسنة، من أجل تحقيق النفع والفائدة للفرد والمجتمع والأمة، هي جماعية القيادة، وعدم استئثار فرد أو فئة أو طبقة بالحكم، إنها التزام الحاكم برأي الأغلبية، وكفالة حرية الرأي للجميع.

والشورى واجبة على الحكام والمحكومين فيما لا نص فيه، هي فريضة إلهية وتكليف سماوي، وضرورة من ضرورات الاجتماع الإنساني، قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾

---

(1) الأنصاري: عبد الحميد، **الشورى وأثرها في الديمقراطية**، القاهرة – دار الفكر العربي، د–ط، ١٩٩٦، ص٤.

(2) الصاوي: محمد وجيه، **دراسات في الفكر التربوي الإسلامي**، الكويت– مكتبة الفلاح، ط١، ١٩٩٩، ص٢٣٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

سورة آل عمران، آية ١٥٩، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ سورة الشورى، آية ٣٨، كما دلت على ذلك ممارسات الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله، قال أبو هريرة رضي الله عنه: (ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم[١]). كما حرص عليها أصحابه رضوان الله عليهم. فعلى الحاكم أن يستشير الأفراد فيما يتعلق بمصلحتهم وبالمصلحة العامة، لما تحقق له من الفائدة والخير، قال ابن تيمية رحمه الله: "لا غنى لولي الأمر عن المشاورة، فإن الله أمر بها نبيه"[٢]. وما لا غنى عنه فهو واجب، وإن الحاكم الذي ينفرد بالحكم، ولا يصغي لآراء المحكومين ولا يهتم بها إنما يخالف أمر الله سبحانه وتعالى في النصوص القرآنية وكما يقول محمد رشيد رضا: إذا كان القرآن يرشدنا إلى المشاورة في أعمال تربية الولد، ولا يبيح لأحد والديه الاستبداد بذلك دون الآخر، فهل يبيح لرجل أن يستبد في الأمة كلها؟ وأمر تربيتها، وإقامة العدل فيها أعسر، ورحمة الملوك دون رحمة الوالدين بالولد[٣] وإن تركها سبب موجب للعزل.

كما أن على المحكومين أن يشيروا على الحاكم بما يرونه مناسباً؛ بهدف تحقيق المصلحة والخير للجميع. فالفرد مهما بلغ من العلم والفهم لن يتمكن وحده من إدراك الصواب، والقدرة على تحليل الأمور وإدراكها، لذا فهو بحاجة إلى غيره.

وتشمل الشورى كافة ميادين الحياة الإنسانية، العام والخاص، من الأسرة إلى المدرسة إلى المجتمع، إلى الدولة، إلى الاجتماع الإنساني بأسره، قال سيد قطب رحمه الله: إن وضع

---

[١] الترمذي، **السنن**، كتاب الجهاد، باب ما جاء في المشورة، ج٤، ص٢١٣، رقم ١٧١٤، وأحمد ، المسند، ج٤، ص٣٢٨.

[٢] ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، **السياسة الشرعية**، الرياض- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، د-ط، ١٤١٩، ص١٢٦.

[٣] رضا، **تفسير المنار**، ج٢، ص٤١٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظاماً سياسياً للدولة فهو طابع أساسي للجماعة كلها يقوم عليه أمرها كجماعة ثم يتسرب من الجماعة للدولة[1].

فالشورى أسلوب حوار وتبادل للأفكار، يبدأ من أولى مؤسسات التربية في البيت، ويرتقي إلى تربية الأمة، والارتقاء بفهمها السياسي من خلال توجيهها لمصالح المسلمين العامة، وإن ثمرة النصح بالحس العام تتحقق بالمشاركة التي تعد الشورى أحد أدواتها ووسائلها.

وتكون في الحكم باختيار الحاكم، والأمور المتعلقة بشؤون السياسة والحكم، ومن ذلك قصة بلقيس ملكة سبأ، التي أخبر عنها سبحانه، فقال في كتابه العزيز ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُو۟لُوا قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ سورة النمل، آية ٣٢-٣٤.

إن للشورى أهمية كبرى لكل من يحمل المسؤولية، ويتولى القيادة مهما كانت اجتماعية، اقتصادية، عسكرية، سياسية، أم حتى في محيط البيئة الأسرية والتربوية، إنها من المبادئ الدستورية الإسلامية، ومن خصائص الإسلام التي يجب أن يتحلى بها الأفراد.

هي الطريق السليم للتوصل إلى الآراء والحلول الصائبة لتحقيق مصالح الأفراد والجماعات والدول، وهي السبيل لمعرفة الحق، وجلاء الأمر، فالرأي الصواب الحر ثمرة

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٣١٦٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

للنقاش الحر، لأن الرؤية الواحدة لا تكشف أبعاد الحقيقة المراد بلوغها، وكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه "إن القائد الذي يحسن فن الاستشارة تكون قراراته غالباً أقرب إلى الكمال[1]".

كما أنها طريق إلى وحدة الأمة، حيث تؤلف بين القلوب، وتنزع التخاصم، فتلبي حاجات الفرد، وتحترم عقله، وتثير الألفة والمحبة، تربي الفرد على أداء وظيفته الاجتماعية فتكون له شخصية مستقلة بمختلف أبعادها، قادرة على العمل والبناء والعطاء والإبداع، يكون صاحب الحق في تقرير الكثير من شؤونه، ومصالحه، وبهذا تقف عائقاً أمام أي تفكير بالاستبداد والتسلط.

إنها إحدى الدعامات الأساسية لنظام الحكم، وهي ضمان للحيلولة دون وقوع استبداد الحاكم برأيه، وعلاج ذلك إن وقع، قال شلتوت: فبتقدير الإسلام مبدأ الشورى قد قضى على عدو الإنسانية ومفسدها، وهو الاستبداد بالحكم، واحتكار التشريع والتصريف والإدارة، وحققت للفرد كرامته الفكرية، وللجماعة حقها في تدبير شؤونها يريدها القرآن حقيقة لا ستاراً يتخذه الطاغية لإخفاء طغيانه[2]." فيها تجسيد لإرادة الأمة، واشتراك لجميع أفرادها وهيئاتها في حمل المسؤولية[3] كما أن فيها تذكير للأمة بأنها صاحبة سلطة، وللحاكم بأنه وكيل عنها[4] هي ضرورية للحاكم حيث يتأكد طاعة الشعب له وتعاونها معه، وللمحكوم حيث تؤكد إنسانيته، وحقه في المشاركة في تعزيز حقوقه وواجباته، كما إنه يصعب السيطرة على دولة ذات نظام حكم شوري تتعدد فيه الاتجاهات والآراء، وتناقش المصالح.

---

[1] الحطاب: محمود، **الفاروق القائد**، دمشق – دار الفاروق، ط٤، ١٣٩١، ١٩٧١، ص١٠٦.

[2] عمارة، **الإسلام والتحديات المعاصرة**، ص١٥٩.

[3] انظر الكيلاني، **أهداف التربية الإسلامية**، ص٣٢٩.

[4] الأنصاري، **الشورى وأثرها في الديمقراطية**، ص٤٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فغياب الشورى يعني حلول الاستبداد والظلم، والهوان، والتخلف في كافة ميادين الحياة، حيث أن مشكلات الحياة وتشابكها وتعقدها تفرض على الناس المشاورة فيما بينهم لتحقيق المصالح.

إن وجودها يمنع الاستبداد والظلم، والهوان، والتخلف في كافة ميادين الحياة، وجودها يمنع الاستبداد بالرأي الذي طالما جر ويلات على أمة انفرد واحد بقيادتها، فوجه مسيرتها من غير استبصار، قال الكواكبي: "وحيث أني قد تمحص عندي أن أصل الداء هو الاستبداد السياسي، ودواؤه دفعه بالشورى الدستوري[1]".

وعلى ذلك فيجب على التربية الإسلامية تربية الأفراد على هذا المبدأ حتى يألفوه، ويصبح جزءاً من حياتهم، فمن يتدرب على الشورى من الصغر يستطيع أن يسوس نفسه أو أسرته أو من استرعاه الله عليهم في مختلف مراحل حياته، بخلاف من ينشأ على الاستبداد والتفرد فإن لهذا انعكاسات سلبية في مسيرة حياته، حتى لو حاول الاستشارة بعد ذلك، فإن طبيعة الفردي الذي شكله في البيت والمدرسة يسيطر عليه، ولا يستفيد من الشورى، فلا بد من استشارة الأبناء والزوجة ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم القدوة الصالحة، ثم يأتي دور المدرسة لإكمال دور البيت في إعداد الطالب لممارسة الشورى عن طريق بث الوعي والمشاركة، وإعداده لتحمل المسؤولية، وتمكنه من القيام بواجباته والتمسك بحقوقه.

فلا بد أن يعطى الطالب حق المشاركة في اختيار المادة، وطريقة العرض، وموعد الامتحان وغير ذلك، مما يعزز هذا المبدأ في نفسه، ويمنحه الشعور بالرضا والاطمئنان، ثم يأتي دور المسجد، ووسائل الإعلام، ومؤسسات المجتمع كافة.

---

[1] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص١٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وعلى التربية إعداد الفرد للمشاركة في شؤون الأمة، وتعويده احترام الرأي الآخر، والاهتمام بآراء الآخرين ووجهات النظر المختلفة، والإصغاء للآخرين ومناقشتهم بحكمة، ورحابة صدر لأن ذلك يؤدي للقضاء على ما يترتب على إقصاء الرأي الآخر من فتن وفرقة[1]، تدعم عمل المستبد، وتيسر له استبداده.

كما أن عليها تصحيح المفاهيم الخاطئة الشائعة بين الأفراد، والتي منها: اعتبار معارضة الحكام بإبداء الرأي من قبيل عصيان الله، أو أن المشورة فيها معنى ضعف الشخص وعدم استطاعته أخذ موقف أو قرار معين، أو أنها منحة من الحاكم للشعب بل هي حق من حقوق الأفراد وواجب على المسؤول، وغير هذه من أفكار. وأنه بد من سيادة روح الشورى للقضاء على الاستبداد بمختلف أشكاله وآثاره المدمرة لتحقيق مصالح الإسلام والمسلمين. فهي المنقذ للإنسان من الاستبداد حيث يكفل للأفراد المشاركة في تدبير شؤون العمران صغيرها وكبيرها، قضى به الإسلام على عدو الإنسانية ومفسدها وهو الاستبداد بالرأي واحتكار التشريع، وحقق للفرد كرامته الفكرية وللجماعة حقها في إدارة نفسها.

فلا بد أن تتحول الشورى إلى سلوك تربوي واجتماعي يومي داخل التنظيمات بعيداً عن هيمنة الزعيم، أو صناعة الزعامات مهما كانت درجتهم ومبلغهم من العلم أو التجربة ، إن على المسلمين إقامة المؤسسات الشورية التي لها صلاحية النظر في أعمال الحاكم وسيرته وعزله، كما لها الحق في توليته.

إن مبدأ الشورى يعزز قرارات الأنظمة السياسية، ويضمن التفاف الشعوب حولها على حين أن الأنظمة التسلطية تنفر الشعوب من الانصياع لأوامرها، ويربطها بتلك الأنظمة

---

[1] انظر محجوب، **أصول الفكر التربوي في الإسلام**، ص١٩٠-١٩١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الخوف والكراهية، فيكثر الشك والريبة بين أفراد المجتمع، وتظهر الأمـراض الاجتماعيـة وغيرها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

المبحث الثالث

العدل

إن الاستبداد والعدل ضدان لا يجتمعان في شخص أو في مجتمع، فالاستبداد ينفي العدل تماماً، وحيث أن المستبد يستعبد الشعب، ويحول بينهم وبين المشاركة في الحكم الذي هو حق لهم فالعدل يتنافى مع أنانية الفرد، وظلمه للآخرين وتسلطه عليهم ولا يتحقق العدل إلا بمشاركة الأفراد في كل ما يعنيهم، ومن ذلك الشؤون السياسية، وإن غياب العدل من أبرز الأسباب المؤدية للاستبداد والظلم، فلا يمكن اجتماع النقيضين، التفرد بالسلطة والعدل الذي لا يتم إلا بالمشاركة، فالاستبداد ينفي عن المستبد العدل، ويحمله على اغتصاب إرادة الأمة، وبذا يظهر أن العدل هو مما يتوق إليه الفرد في ظلم النظام المستبد.

إن العدل كلمة عظيمة، تحمل في ثناياها كثيراً من المبادئ الإنسانية التي تحدد مسار التعامل بين البشر، ويترتب عليه المساواة وتكافؤ الفرص وإعطاء كل ذي حق حقه.

لقد جاءت رسالات الله إلى الناس داعية إلى العدل الذي هو ثمرة توحيد الله، والإيمان به، فالكافرون هم الظلمة، والمؤمنون هم العادلون الرحماء، وعلى هدي هذه الرسالات قامت في الأرض فترات من حياة الناس طيبة مليئة بالحب والألفة والتراحم والتكامل، خلصت من عبادة العباد إلى عبادة الإله الواحد.

أعطى الإسلام العدل مكانة متميزة وقد أمر به في كثير من الآيات القرآنية الكريمة فورد ذكره ثمانٍ وعشرون مرة في القرآن الكريم، وكذا ورد ذكره في الأحاديث النبوية الشريفة ومن ذلك، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ سورة الحديد، آية ٢٥. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٠)

وبين الرسول صلى الله عليه وسلم جزاء العدل، حيث جعل الحاكم العادل من أوائل من يظلهم الله في ظله يوم القيامة، فقال عليه السلام: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل[١]). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم، وما ولوا [٢]). وقال ابن القيم رحمه الله" إن العدل هو المقصود من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، فإذا ظهرت إمارات العدل، وأسفر وجهه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه[٣]."

إن العدل ركن أساسي من أركان الإسلام، حرص المسلمون حكاماً ومحكومين أشد الحرص على التقيد به، مما ساعد في توطيد حكمهم، وانتشار دينهم، وتسهيل فتوحاتهم، وتحقيق الانتصارات.

---

[١] البخاري، **الصحيح**، كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ج١، ص٢٣٤، رقم ٦٢٩، ومسلم، **الصحيح**، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ج٢، ص٧١٥، رقم ١٠٣١.

(٢)مسلم، **الصحيح**، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ج٣، ص١٤٥٨، رقم١٨٢٧.

[٣] ابن القيم، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، القاهرة – المؤسسة العربية للطباعة والنشر، د-ط، ١٣٨٠ – ١٩٦١، ص١٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

لقد تكرر الأمر للأمة الإسلامية بإقامته في نظم حياتهم، وممارساتهم وعاداتهم حتى يصبح السمة المميزة لهم ولمجتمعهم، وقد جاء الأمر به مطلقاً ليشمل مجالات الحياة كافة، عدلٌ في الأقوال، و الشهادات والصلح، وكتابة الوثائق، عدل على المستوى النفسي، والأسري، وعدل في الحكم، وفي القضاء، والواجبات إنه يشمل علاقات الحياة جميعها سواء كانت بين الحاكم والمحكومين، أو بين خصوم يقفون معاً بين يدي القاضي، أو غير ذلك، والنصوص الدالة على ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كثيرة، نذكر منها ما يدل على وجوب العدل في الحكم حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ سورة النساء، آية ٥٨. وقال عليه الصلاة والسلام: (ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور[1]. فالعدل وسيلة لتقنين السلطة وتوجيهها.

إن إقامة العدل بين الناس من أكبر الواجبات، أوجبه الله على الحكام دون النظر لأجناسهم، وأوطانهم لأن القائد العادل يملأ الأرض نوراً وأمناً، فلا يصلح للقيادة من لا يتصف به، وكما قال شلتوت: فإن للقائمين بإقرار العدل الاستعانة بالقوة التي سخر لها الحديد مع عدم المطالبة بذلك عند الدعوة لعقيدة التوحيد فالله سبحانه لوح باستعمال القوة في وجه

---

[1] البيهقي، **السنن الكبرى**، كتاب آداب القاضي، باب كراهية الإمارة وكراهية تولي أعمالها، ج١، ص٩٦، وأحمد، **المسند**، ج٢، ص٤٣١، وأبو يعلى، **المسند**، ج١١، ص٤٤٣، رقم ٦٥٧٠، والطبراني، **المعجم الأوسط**، ج٦، ص٢١٦، رقم ٦٢٢٥، صححه الألباني، أنظر صحيح **الجامع الصغير**، ج٥، ص١٦١، رقم ٥٥٧١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الظلمة الذين يستقرئون الظلم والعدوان[1] فإقامة العدل تطبيق لشرع الله، فينال المسلم الأجر والثواب في الدنيا والآخرة.

كما أنه حاجة فطرية في الإنسان، ووجوده علامة على صحة الحياة التي يجب أن تسود في مكان وزمان معنيين، قال ابن تيمية رحمه الله: "وأمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل و إن اشتركوا في بعض الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم وإن لم تشترك في الإثم، ولهذا قيل إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام، فالعدل نظام كل شيء فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بالعدل لم تقم وإن كان لصاحبها ما يجزي به في الآخرة[2].

بالعدل يتحرر الفرد من الخوف، فيقدم على العمل والبناء والإبداع، ويتحقق بذلك الأمن والاستقرار والتقدم والنهوض في جميع المجالات، يقضي على العداوة والاستثناء، وينشر المحبة والإحساس بالرضا، هو سياج الحقوق الذي تستقيم به الحياة، وتزدهر الحرية.

يسهم في تحقيق الطاعة المنشودة من الرعية للحاكم، و من الطلاب للمعلم، ومن الأبناء للوالدين، هو من صفات المسؤول الذي يبعث من هم تحت يده على طاعته فيأمنون وتستقر حياتهم، قال أردشير: "إذا رغب الملك عن العدل، رغبت الرعية عن الطاعة[3].

يعرف الحاكم بالعدل أنه لا فرق بينه وبين الآخرين، فلا يحق له استعبادهم واستذلالهم ، لأنهم سواء أمام شريعة الله لا يتمايزون إلا بالتقوى، وإنه إنما استحق طاعتهم، بما منحه له

---

[1] انظر شلتوت: محمود، **الإسلام عقيدة وشريعة**، بيروت – دار الشروق، د–ط، ص٤٤٦.

[2] ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، **الاستقامة**، السعودية – دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٠– ٢٠٠٠، تحقيق محمد رشاد سالم، ج٢، ص٢٤٦–٢٤٨ باختصار.

[3] الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، ص٢١١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الإسلام من مسؤولية تدبير شؤونهم، وإدارة مصالحهم، والسهر على راحتهم وتحقيق أهدافهم، ويعرف المظلوم المستبد به أنه لا ينبغي له السكوت على الظلم والقهر الصادر من بشر مثله ليس له عذر في ذلك سوى تحقيق مصالحه ورغباته، فالناس جميعاً لهم الحق في التفكير وإبداء الرأي، والمشاركة في صنع القرار وتنفيذه فلا توجد فئة مخصصة بالحكم وأخرى مستعبدة، من هنا جاء نداء الإسلام بحرمة استعباد الآخرين واستضعافهم. إنه أساس تحرر البشر من العبودية والخضوع، وسبب لحسن طاعة الأفراد للحاكم وغيابه سبب في سقوط الأمم وهلاكها، وهذا ما يجب على المربين بيانه للأفراد.

فعلى الحاكم أن لا يفرق بين الرعية وبطانته، لما لذلك من أثر على الجميع حكاماً ومحكومين وبطانة، ومن ذلك: أن المنصور بن أبي عامر غزا ستاً وخمسين غزوة دون أي هزيمة ودون أن يتخلى عنه شعبه، لما عرف عنه من العدل والمساواة، ومما يدل على ذلك جاء رجل من العامة ووقف بمجلسه وقال له إن لي مظلمة عند ذلك الوصيف الذي على رأسك، وأشار إلى الفتى صاحب الدرقة، وكان للفتى فضل محل عنده، فقال المنصور: ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية، ثم نظر إلى الفتى، وقال له: ادفع الدرقة إلى فلان وانزل صاغراً، وساو خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق أو يضعك، ثم قال لصاحب شرطته الخاص به، خذ بيد هذا الفاسق الظالم وقدمه مع خصمه إلى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه بأغلظ ما يوجبه الحق من سجن أو غيره، وبعد أن جازاه القضاء بما يستحق أبعده المنصور عن خدمته[1].

ولأمر الإسلام بالعدل والحث عليه نظراً لأهميته ودوره في الحياة، فإن على التربية الإسلامية بكافة مؤسساتها السعي لإيجاد مجتمع يجسد العدل في جميع علاقاته، فالتعليم ليس

---

[1] حسين ، **رسائل الإصلاح**، ص١١٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

تروياً بل هو إحساس منظم بالعدالة والنظام، فالعلاقة التي ينبغي أن تسود بين الأفراد في مختلف المؤسسات الأسرة، المدرسة، المجتمع، الدولة هي العدل.

وعلى التربية بناء أفراد يمارسون إحقاق الحق بالقول والفعل، برفع الأذى والظلم، بإيصال الحق لأصحابه دون النظر لأي اعتبارات أو مصالح شخصية، وأن لا يكون نصوصاً مكتوبة أو قوانين مسجلة بعيداً عن أرض الواقع. كما لا بد من تعليم الأفراد أن العدل لا يتحقق إلا بسيادة الشرع، وبدون ذلك لا يقوم حق ولا تنهض أمه، ولم تعرف أمة العدل والحق والنهضة إلا في خلال الدولة الإسلامية، فمطلق العدل هو الاحتكام إلى الشرع، وهذا العدل الذي لا يمكن تحققه في مجتمع فيه عبودية الإنسان للإنسان[1].

إن للعدل صورة واحدة، وللجور صور شتى، لذا سهل ارتكاب الظلم، وصعب تحري العدل ومن يسلك هذه الطريق يحفظ نفسه وينصف غيره، ويتجنب الوقوع في الشبهات ويحيد عن طريق المحرمات، ولذا دعا الإسلام إلى الالتزام بالعدل الذي هو من أهم المبادئ الأخلاقية وبه دوام الحياة وتقدمها وتحقيق المحبة والمودة والاستقرار، إنه الهدف الأسمى وغاية أي حكم إسلامي.

إنه إحقاق للحق، ورفض للظلم والباطل، دعوة إلى منح الأفراد حقوقهم، والتحذير من ظلمهم واستعبادهم واستذلالهم، فيه تحرير للفرد من الاستبداد والتسلط أو الخضوع والاستعباد. "فمن سلك طريق العدل حفظ نفسه، وأنصف غيره، وتجنب الوقوع في الشبهات، وحاد

---

[1] انظر سيد قطب، **معالم في الطريق**، بيروت – مطبعة لبنان، د.ط، ١٩٦٢، ص١٤٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

عن طريق المحرمات [1].

ولذا فلا بد من توفير العدل وجعله أساس العلاقات بين الأفراد في الأسرة، المدرسة، الدولة ومختلف مؤسساتها؛ لينطلق كلٌ في تطبيق واجباته والمطالبة بحقوقه، وهذا من واجبات التربية الإسلامية وتتم عن طريق توفير القدوة الصالحة، وتعليمه للأفراد، وبيان أهميته لهم منذ سني حياتهم الأولى، من خلال أساليب التدريس، والمناهج الدراسية، وكذا طبيعة العلاقة بين الأفراد داخل الأسرة الواحدة، وفي المؤسسات التربوية كالعلاقة بين المعلم وطلابه، وبين المعلمين والمدير أو المشرفين غير ذلك من علاقات في كافة أنحاء النسيج الاجتماعي، بما يحقق هذا المبدأ ويكفل أفضل النتائج.

---

[1] الحسني: السيد علي ، **الأخلاق الإسلامية**، بيروت – دار الزهراء، ط٢، ١٣٩٨– ١٩٧٨، ص١٥٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الرابع

الحرية

ينتقص الاستبداد حريات الأفراد، أو يكبلها لصالح الحاكم، وذلك للحفاظ على مقعده، وقطع الطرق أمام احتمالات المساس بها، إن الاستبداد والتسلط والقهر والتجبر والاستعباد ما هي إلا أضداد للحرية، وحواجز من ممارساتها، ونواقض لوجودها، وهي أصل حياة الشعوب ومنطلقها لذا يحاربها المستبد، وقد عزف بعض العلماء عن الحديث عنها وانصرفوا لمناقشة مسائل وخلافات مذهبية خوفاً من بطش الحكام.

إن الحرية من أكثر الحقوق الإنسانية التي شغلت العقائد والفلسفات، ومن أكثر المفاهيم التي تعرضت للتفسير، إنها ضرورة ارتبطت بالإنسان منذ وجوده، فهي مكون أساسي فيه، وضرورة نفسية لوجوده، لا تتحقق رسالته التي أرادها له الله إلا إذا تحققت حريته، فالمجبر غير مكلف وغير مسؤول، إنها أثمن ما لدى الإنسان في هذه الحياة فإن فرط فيها أصبح لا وجود له ولا كيان، هي جزء لا يتجزأ من تكوينه النفسي والسلوكي.

جاء الإسلام كرسالة تحرير للبشرية جمعاء، ومنع للعبودية الظالمة، ومقاومة الاستبداد، دعا إلى حرية الناس بدعوتهم إلى التوحيد الذي يحمل معاني الحرية والعزة، وقد توالت عصور الإسلام كما يذكر ابن تيمية وعلماؤه العاملون لا يكتمون حقاً ولا ينصرون باطلاً، ولا يهابون ذا سلطان بل يجهرون بآرائهم في شؤون الحكم والسياسة ذاكرين قول جابر بن عبد الله أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نضرب بهذا – يعني السيف – من

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

عدل عن هذا – يعني المصحف[1] لأن قلوبهم خالصة العبودية لله، متحررة من سلطان كل ذي سلطان سواه، فالمؤمن لا يستعبد أحداً، ولا يرضى بالعبودية إلا لخالقه.

قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٦). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه [2]). فهذا يؤكد حق الإنسان بالحياة، وبالتمتع بكل أنواع الحريات.

حرر الإسلام الإنسان من الأوهام والخرافات، من الأهواء والشهوات، من الطواغيت والظلمة، لذا عمل على بناء شخصية إسلامية مستقيمة على الفطرة السوية منسجمة مع المنهج الرباني. ولذلك فالحرية من مظاهر تكريم الله للإنسان، والتي تمكنه من القيام بمسؤولياته في الأرض، وقد جاء الإسلام حرباً على كل ما يسلب الإنسان حريته، وجعل احترام الإنسان وحقوقه واجباً شرعياً، أطلق الحريات وجعل العلاقة بين الإنسان وربه علاقة مباشرة لا واسطة لأحد فيها حرر العبيد، وأطلق سراحهم، وسوى بين الناس جميعاً، وجعل تحرير العبيد من الكفارات.

وإن لممارسة الحرية قيد هو التزام حدود الشريعة الإسلامية، فلا يجوز أن تمس حرية الفرد حريات الآخرين وحقوقهم، ولا بد أن تكون حرية إيجابية تمنع الفتنة والفرقة ونشر الأهواء والبدع قال سيد قطب: لا تستقيم حياة يذهب فيها كل فرد للتمتع بحريته المطلقة إلى غير حد، أو شعور بالمسؤولية فهذا مما يحطم الفرد ذاته، والمجتمع، فللمجتمع مصلحة تنتهي عندها حرية الفرد، كما أن للفرد ذاته مصلحة خاصة في الوقوف عند حدود معينة في استمتاعه بحريته بحيث لا يصطدم مع حرية الآخرين فتقوم النزاعات وتتحول الحرية إلى

---

[1] انظر ابن تيمية، **السياسة الشرعية**، ص٣.

(٢)مسلم، **الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره دمه وعرضه وماله، ج٤، ص ١٩٨٦، رقم ٢٥٦٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

جحيم، ويقف نمو الحياة وكمالها، فالإسلام لا يترك الحرية فوضى، فللمجتمع حسابه، وللإنسانية اعتبارها، وللأهداف العليا للدين قيمتها، لذلك قرر مبدأ التبعية الفردية مقابل التبعية الجماعية[١] وقال أبو زهرة: "والذين يفهمون الحرية انطلاقاً هم عبيد الأهواء والشهوات الذين لا يراعون حق المجتمع على أنفسهم ولا حق أنفسهم عليه[٢]".

فالحرية هي قدرة الإنسان على اختيار أفعاله، والامتناع عن العمل دون الخضوع لأي ضغط خارجي[٣] إنها هبة من الله للإنسان بالقدرة على التصرف لاستيفاء حقه وأداء واجبه دون تعسف واعتداء، ويدخل فيه تحريره من الخوف على رزقه وأجله، من العبودية لغير الله، من نوازع الاستبداد ودواعي الهوى في نفسه والآخرين.

إنها الاستعلاء بالعقيدة على جبروت المتجبرين، وطغيان الطغاة، والاستهانة بالقوة المادية التي تملك أو تتسلط على الأجسام والرقاب، وتعجز عن استذلال القلوب والأرواح[٤].

والحرية مما يجب على الجميع القيام بها، وممارستها، وحمايتها من الطغيان، والاستبداد، ورفضه التنازل عنها لأي سبب، وأمام أي قوة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً[٥].

كفل الإسلام للفرد الحرية في كل المجالات، بحيث يتحقق للطبيعة الإنسانية كل متطلباتها البدنية، والعقلية، والعاطفية، والاجتماعية، فهي أصل عام يعمل في مختلف الميادين ومنها حريات شخصية: كحرية المسكن، والتنقل، وحرية مدنية: كإنشاء العقود وإبطالها،

---

(١) انظر سيد قطب، **العدالة الاجتماعية**، ص٦٢-٦٣.

(٢) أبو زهرة: محمد، **تنظيم الإسلام للمجتمع**، القاهرة- دار الفكر العربي، د-ط، ص١٨١.

(٣) انظر إبراهيم: زكريا، **مشكلة الحرية**، القاهرة- مكتبة مصر، ط٣، ١٩٧٢، ص١٨.

(٤) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص١٣٥٢.

(٥) الإشبيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد، **المستطرف في كل فن مستظرف**، بيروت- مكتبة الحياة، طبعة جديدة، د-ت، ج١، ص١٦٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وحرية اقتصادية: بالعمل والكسب والتملك، وحرية فكر: ومنها حرية العقيدة، والتعليم، والتفكير، واتخاذ الرأي والتعبير عنه ونشره، حتى عده الإسلام واجباً خاصاً، حيث يأثم من يتخذ موقفاً سلبياً تجاه ما يحصل في المجتمع سواء من قبل السلطة أو الأفراد.

وإن غياب الحرية يقتل لدى الفرد روح الانتماء والكرامة، ويزرع في قلبه الخوف والتردد، والتاريخ ثابت بتسجيل العدل، وحذف الأمجاد إذا اقترنت بالظلم، فينسى الناس للحاكم كل خطاياه إلا اعتداؤه على حرية الآخرين وظلمهم.

فالاستبداد يحجب نشاط الفرد، ويقتل ذكاءه، فالمستبد به لا يعمل ولا ينتج، لأنه فاقد مقومات العمل والبذل والعطاء، ولا سبيل لتحقيق النهوض والتقدم معه. وتأتي الحرية وسيلة لبناء ونمو القدرات الإنسانية بكافة المجالات، إنها تمنح الفرد القدرة على الحركة والعمل والإبداع، وبفقدها يفقد فاعليته، لأن شعوره بالحرية يعطيه إحساساً بالعزة والثقة بالنفس، وبالتالي دافعاً للعمل والبناء، ومن الأدلة على ذلك المقارنة بين ضعف اقتصاديات ألمانيا الشرقية التي عاشت الدكتاتورية الماركسية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى تمت الوحدة الألمانية عام ١٩٩٢، وبين قوة اقتصاديات ألمانيا الغربية التي اعتنقت الحرية واحترمت حقوق الإنسان، فتخلصت من دمار الحرب، وبلغت ذروة الرخاء الاقتصادي، وهذا من أبرز الأمثلة على علاقة الإنتاج بما يتمتع به الشعب من حريات، فالشعب المكبل بالقيود والأغلال لا يجد القوة المادية ولا المعنوية التي تدفعه إلى الإخلاص في العمل وحسن الإنتاج[1].

إنها شرط للنهوض الحضاري الذي لا بد أن يبدأ من تحرير الإنسان من القيود والأغلال بناء على صحة القول بأن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها، وكان

---

[1] انظر الحلو، **الدولة في ميزان الشريعة**، ص٣٦٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

صلاح أولها بإرساء مفهوم الحرية بمعناها الواسع[1]، وذلك لأنها عامل مهم في تربية العقل على المقارنة والنقد في سعيه للمعرفة وهي وقود الفاعلية والعمل والبناء، بها يتم تحقيق الوحدة التي تحول دون الاستبداد، وعندما تسود ينتشر العلم وتتطور المعارف.

إن الحرية غياب لكل مظاهر الاستبداد والتسلط والقهر، فالمخرج من الاستبداد هو مزيد من الحرية حتى تستوثق النفوس المترددة وتستيقن أن مجيء الحرية مجيء حقيقي وليس خداعاً ولا استدراجاً يعقبه قهر جديد، إنها ليست مجرد تنفيس وشعار ولكنها ضمان حقيقي للرشد عند اتخاذ القرار، هي ينبوع كبير من ينابيع الخلق السوي والسلوك المستقيم، من أحياها فكأنما أحيا الفضائل جميعاً، ومن قتلها فقد سد الأبواب في وجه تلك الفضائل[2].

ولا يزال الإنسان يكافح لنيل حريته واسترداد كرامته، وقد كلفه ذلك ثمناً باهظاً من الدماء والدموع، إلا أن التحدي الأكبر الذي واجه الإنسان والمتمثل بالاستبداد والاستعباد يحتاج للتغيير، الذي يبدأ بالحرية بالانعتاق من الارتهان للتقليد والسلطان الجائر، والعدد الطامع، وإن المتتبع لحال الحرية في الكثير من الدول والمجتمعات والأسر يجد غيابها حيث لم تراع إرادة الأفراد في وضع الأنظمة لأن أكثر ما يخشاه المستبد هو حرية التعبير التي تمثل مواقف مغايرة لمواقفه ومعارضة له.

إن الحرية تربي العقل على النقد والمقارنة، فيتحرر من التوجيه والوصاية، وتعد حرية النقد من أبرز الحريات أهمية وأكثرها أثراً في الوقاية من الاستبداد وعلاجه، لذا فقد اخترنا تناولها بشيء من التفصيل.

يغيب النقد للمسؤولين والحكام في ظل الاستبداد وكما قال الجابري: إن الاستبداد لا ينجح في استغلال التراث إلا مع غياب الروح النقدية، حيث يصبح الكذب على التاريخ ممكنا

---

(1) انظر عيد وعبد الجبار، **الديمقراطية بين العلمانية والإسلام**، ص١٠٠.

(2) أبو المجد، **أخلاق الاستبداد وأخلاق الحرية**، ص١٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

تماماً، كما أن التخدير الأيديولوجي يجعل الكذب على الأحياء ممكناً[1] فالأفراد هم الذين يصنعون المستبد بتمجيدهم له، وعبادتهم وتذللهم، وبصمتهم وللخلاص منه لا بد من امتلاك الناس شجاعة النقد الموضوعي المسؤول لكل شخص مهما كانت منزلته ومسؤوليته رغبةً في الإصلاح لا مجرد النقد والتجريح.

كفل الإسلام للأفراد جميع الحريات، ومنها حرية النقد، حتى كان من واجبات المجتهد أن يبدي معارضته، ونقده لأخطاء الآخرين خاصة فيما يخص المصلحة العامة، لأن الأمة وكلت الحاكم ليقوم مقامها في تنفيذ الأحكام وسياسة الدنيا لذا فعليها مراقبته وتوجيهه ونقده، وتصحيح أخطائه وكفل لهم الحماية، قال تعالى ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ سورة البقرة، آية ٢٨٢.

وإن التعقيب على أخطاء الحاكم بالنقد ليس أمراً مباحاً فحسب بل هو في تعاليم الإسلام حق لله على كل قادر، والسكوت عنه تفريط في جنب الله فعلى حملة الأقلام وأرباب الألسنة الاشتباك مع الحكام لتقويم اعوجاجهم، وكل ذلك جهاد[2]. فممارسة النقد واجب على المسلم، حيث يجب أن لا يدع الأخطاء وهو صامت، ولا يدرك خطورة ذلك، فالحكام بشر غير معصومين، يقع منهم الاجتهاد الخاطئ فهم بحاجة لمن ينبههم لأخطائهم ويساعدهم على تجاوزها.

---

(1) الجابري: محمد عابد، **المسألة الثقافية**، بيروت – مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٤، ص٢٩٦.

(2) الغزالي، **حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة**، ص٦٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالنقد مظهر من مظاهر استيقاظ الوعي لدى الفرد، وهو ضرورة للفرد والمجتمع لضمان التنفيذ السليم، قال سقراط: "إن الحياة التي لا تخضع للفحص والنقد ليست جديرة بأن يحياها الإنسان[1]" فإن يقظة الأفراد وملاحقتهم للمستبد يعد إحدى الدعامات الضرورية لتحقيق الأمن والاستقرار.

كما يساعد على التخفيف من الأخطار التي يقع بها الأفراد، ويحدد الأبنية الفكرية فيصقلها وينقلها إلى مرحلة الإشعاع، يكشف عن قصور الانجازات، وما يصيب الأفراد من حالة الكسل التي تعيق عملية النهضة والتنمية[2] ويسهم في تصحيح الأخطاء، واقتراح بعض طرق العلاج للعديد من المشاكل التي يعاني منها الأفراد، ويسهم في إيقاظ وعي الأفراد وتنبيههم لما يجري حولهم، وضرورة اتخاذ موقف سليم من الأحداث.

وغيابه يعني استبداد الحاكم وتسلطه على شعبه لأنه في مأمن من النقد والمراجعة، حيث يدعون أنهم المنقذون للأفراد مما هم فيه وما على الأفراد سوى السمع والطاعة وأي مناقشة تقود للفسوق.

إننا في حاجة ماسة وملحة للنقد لما له من دور في كشف الحقيقة، وبيان وجهات النظر التي تشكل مجتمعه صورة مماثلة للحقيقة، بحاجة لميلاد حرية النقد للمسؤول أياً كانت مرتبته مما يساعد في تقويمه ومساءلته ومحاسبته وبالتالي يكون دافعاً له لتصحيح سلوكه والتخلص من سلبياته التي يفقد بها احترام الآخرين ومحبتهم.

ولم يكتف الصحابة رضوان الله عليهم بتقبل النقد، بل حثوا الأمة عليه وطلبوه منهم وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم

---

(1) إمام، **الطاغية**، ص٢٧

(2) بكار: عبد الكريم، **تجديد الوعي**، بيروت- الدار الشامية، ط١، ١٤٢١ – ٢٠٠٠، ص٤١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

نسمعها[1] فمن واجبات الحاكم تقبل النقد الذي يوسع صدره للمعارضة فلا يغضب ولا يحقد حتى لو أساء صاحب الحق في عرض مظلمته كما تشير لذلك قصة ذلك الرجل مع رسولنا عليه الصلاة والسلام فنحن بحاجة للتأسي بحياة نبينا عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضوان الله عليه.

نظراً لكل ما تقدم من بيان لأهمية الحرية ومكانتها، وعموم ميادينها وتشعبها فإن على التربية الإسلامية توفير البيئة المناسبة لنمو قدرات الفرد- بيئة تعد الحرية من أبرز سماتها لكونها السبب الرئيس لنمو القدرات وغيابها يؤدي للتخلف والضياع- وذلك من خلال:-

١.منح الفرد الحرية في كافة مراحل حياته من الطفولة حتى الوفاة وفي كافة المؤسسات؛ ليفحص ما يرى، ويناقش ما يسمع، ويعبر عما يشعر، ويتدرب على أدوار الحياة، ويساهم في مواجهة التحديات[2].

٢.الدعوة للتحرر من التقليد والأبائية واتخاذ موقف علمي ثابت من التراث، فإن التربية الإسلامية توفر للفرد التحرر والإنصاف من أغلال الماضي وآصار الحاضر، وبدون الحرية يقع الإنسان ضحية الاسترقاق والانحراف والفساد وتنحرف مناهج المعرفة لتسجن نفسها في الجري وراء الإنتاج والاستهلاك[3]. ويتحرر الإنسان من العبودية للبشر حين تكون الحاكمية لله وحده، وتكون السيادة للشريعة الإلهية حيث لا حرية ولا كرامة في مجتمع بعضه أرباب يشرعون وبعضه عبيد يطيعون[4].

---

(١) المبرد: يوسف بن حسن بن عبد الهادري، **محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، السعودية- عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ط١، ١٤٢٠- ٢٠٠٠، تحقيق عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، ج٢، ص٦٠١.

(٢) انظر الكيلاني، **أهداف التربية الاسلامية**، ص٨٤.

(٣) انظر الكيلاني، **منهاج التربية الإسلامية**، ص١٨١.

(٤) انظر سيد قطب، **معالم في الطريق**، ص١٠٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٣. نشر ثقافة الحرية على كافة المستويات، وعدم اختزال الأمر في المستوى السياسي فلا بد أن تكون في الفكر والقول، والعمل على توفير البيئة السليمة، و المناخ الملائم، لنمو الحريات وتطورها بما يساعد على نهضة المجتمع وتقدمه، ومنع الاعتداء عليها ابتداء من رحلة الطفولة في الأسرة مروراً بالمدرسة حتى التفاعل مع مؤسسات الدولة الكبرى.

فلابد من تطهير البيئة من جميع القيود التي تحول دون الحرية، بتزكيتها من الصنمية والخرافة، اللتين تحولان دون حرية التفكير، والطغيان الذي يحول دون حرية الاختيار، ومن الخوف والجمود اللذين يحولان دون حرية العمل ومن الظلم الذي يحول دون حرية عرضه للمثل الأعلى[١] فيجب إشاعة جو من الحرية في جنبات المجتمع ومؤسساته جميعها، لما يشجع على العمل والإنتاج والإبداع. كما لا بد من تربية الأبناء على أن الحرية حاجة أساسية من حاجات النفس لا بد من إشباعها، وهي حق من حقوق الأفراد ل بد من ممارسته.

٤.تنمية تعشق الحرية ونصرتها والغيرة عليها، والدفاع عنها، وتنمية الوعي بقيمة التعبير عن الرأي، وتدريب المتعلمين على ممارسة حرية الرأي والنقد الذاتي[٢] ولذا فلا بد من مراجعة الموروثات الثقافية والقيم الاجتماعية، لتعود للحرية مكانتها بين القيم، ولرفع درجة غيرة الإنسان عليها كغيرته على حياته ونسائه، وليتحاشى الاعتداء على حريات الآخرين اقتداءً بعصر النبوة[٣].

٥.أن تنمي في الفرد مبدأ سيادة الشريعة فوق القادة، فلا أحد فوق الشريعة والقانون فيهما ضبط سلوك الأفراد وتوجيه إرادتهم، فلا بد لتعميق الولاء من نقد الممارسات التاريخية التي أطلقت أيدي الخلفاء والسلاطين بعد عصر الراشدين في شؤون الحكم والمال والإدارة،

---

[١] انظر الكيلاني، **مقومات الشخصية الإسلامية أو الإنسان الصالح**، ص٤٩.

[٢] انظر الكيلاني، **أهداف التربية الإسلامية**، ص٣١٧.

[٣] انظر الكيلاني، **مقومات الشخصية الإسلامية أو الإنسان الصالح**، ص٥٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فيعينون من يشاؤون، ويعزلون من يشاؤون، ونقد القيم التي تجعل القوة فوق القانون وتحيل ما يجب للناس من حقوق بأنها مكرمات من الرؤساء وإطلاق يد من يشاؤون لاستعباد الناس[1]. وتربية الفرد أنه لا قداسة لرأي ولذا فعليه توجيه أسهم النقد على أي شخص خالف المنهج الإسلامي وظلم الناس واستعبدهم مدعياً امتلاك الرأي السديد الصواب، فلا يوجد أحد فوق النقد.

٦.تربية الفرد على الشجاعة في إبداء الرأي وتوجيه النقد، وكذا تربية المسؤول على تقبل النقد، ومن ذلك أن رجلاً من اليهود أتى النبي صلى الله عليه وسلم يتقاضاه فأغلظ فهم به أصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم(دعوه فإن لصاحب الحق مقالا ثم قال أعطوه سنا مثل سنة، قالوا يا رسول الله لا نجد إلا أمثل من سنه؟ فقال: أعطوه، فإن من خيركم أحسنكم قضاءً[2]). وفي هذا تربية للأفراد وبضرورة احترام الآخرين وتقبل نقدهم واعتراضهم خاصة أصحاب الحقوق، لأن لصاحب الحق سلطاناً فلا بد من مراعاته وإعطائه حقه.

ويقع هذا الواجب على عاتق عدة عناصر منها:

- المنهاج الدراسي:

حيث لا بد من إصلاحه بالتوسع في استحضار مفهوم الحرية والقيم المتعلقة بحقوق الإنسان عموماً، ودعوة الفرد للمطالبة بحريته وممارستها في اختيار ما يرغب بدراسته وأن لا يفرض عليه قسراً.

---

(١) انظر الكيلاني، **أهداف التربية الإسلامية**، ص٣٢٧-٣٢٨.

(٢) البخاري، **الصحيح**، كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الديون، ج٢، ص٨٠٩ رقم ٢٢٨، ومسلم، الصحيح، كتاب المساقاة، باب من استلف شيئاً فقضى خيراً منه، ج٣، ص١٢٢٥، رقم ١٦٠١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

- أساليب التعليم:

بالقضاء على أساليب التعليم التي تكرس عقلية الخضوع والاستسلام بالدعوة إلى الطاعة المطلقة والتقليد الأعمى، مما لا يسمح للحوار والتعليم الاستكشافي النشط ولا يفتح المجال لحرية التفكير والنقد، والحث على ممارسة الحرية والنقاش الحر الهادف الذي يقود إلى النتائج المرغوب الوصول إليها. إن أسلوب التلقين يعمل غالباً على تشكيل العقل المسالم، البعيد أو الخائف من الإبداع والابتكار، وهذا الأسلوب نلحظه في مختلف مستويات العملية التعليمية، وفي مختلف العلاقات، علاقة الوزارة بالمدرسة، حيث تحدد المنهج الذي لا بد من التقيد به وإتباعه، والمدير يلقن الأستاذ الأوامر والتعليمات، والأستاذ يلقن الطلاب المعلومات التي لا بد من تلقيها وحفظها، يعوّد هذا الأسلوب الطالب على العجز والخضوع والطاعة المطلقة، ويفتقر من يتعرض له للشخصية المتوازنة المبدعة، حيث يؤدي به إلى شخصية غير قادرة على النقاش والحوار، أو حتى إبداء الرأي في القضايا المعروضة.

- البيئة التعليمية:

بإصلاحها بدءً من الأسرة بأن تكون معززة للحرية، بتنمية الجو المناسب للسؤال والنقاش وتفهم المشاعر، والقدرة على التعبير عنها، ثم إصلاح الإدارة المدرسية، والمعلمين حيث تشكل هذه البيئة المناخ الذي يجب أن تمارس فيه حرية التعليم، فلا بد من توافر القدوة الصالحة الممارسة لحريتها على أكمل وجه، المطالبة بها والمدافعة عنها.

-المعلم:

وذلك بمنح الأفراد حرية التعبير عن آرائهم وأفكارهم، بعيداً عن العنف والقهر، ومنحهم القدرة على البحث والتفكير، واستعمال الوسائل المناسبة والابتعاد عن التقليدية.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

إن التربية الإسلامية وسيلة لتعميق مفهوم الحرية لدى الفرد والجماعة، وإن المنهج الذي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم في إعداد الجيل الأول من المسلمين يبين قمة التطبيق الأسمى لنا فالمسلم حر في نفسه، وماله وعمله وتفكيره، وشعوره وإرادته، وفي شخصيته كلها، حرية مسؤوله، وبهجران المؤسسات التربوية لرعاية الحرية عم الظلم واغتصبت الحريات، وحل الاستبداد والقهر والتسلط كما أن التربية دون حرية لا تكون.

إنها بما تحويه من تقييم ومبادئ وقواعد تربي الإنسان على الحرية، فأهم أهدافها تحرير الإنسان من كل شيء يعوق نموه وكرامته، ويسلب عقله وإنسانيته بتحقيق العبودية الخالصة لله ونزع أشكال التقليد والتبعية.

ونشير في الختام إلى أنه لا بد من تغيير الواقع السائد في المجتمعات، وهو انعدام القدرة على تقديم أي مسؤول للمحاكمة إلا من خلال انقلاب، أو بفعل تغيير الأنظمة بتدخلات خارجية، مهما كانت ممارسة هذا المسؤول، ومنع إغلاق هذه الملفات خدمة للمستبد. لا بد من إيقاظ ملكة النقد حتى لا تتراكم الأخطاء فتحول دون التخطيط والتدبير والقدرة على التحسين والعلاج، ولكنه النقد الهادف البناء الذي يحقق الفائدة ويخدم مصلحة الأفراد، وليس النقد القائم على استبداد أحد الأفراد برأيه في اتهام الآخرين، ومحاولة فرضه عليهم.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

المبحث الخامس

الحوار

ينعدم الحوار في عصر الاستبداد، ويحارب أهله فيقف المستبد موقف الضد الرافض لأي رأي باستثناء ما يصدر عنه هو، مما يقود إلى التسلط والتعصب، واستعباد أهل الرأي والشورى. يرفض المستبد الرأي الآخر لشعوره بالضعف، والخوف على سلطانه وحكمه أو لاعتقاده أنه مستغنٍ عن رأي غيره، كما يلجأ إلى إثارة الخلافات بين الأفراد لقتل روح الحوار الهادف بتنفيذ السياسة التي يعتمدها لبسط نفوذه وهي سياسة فرق تسد.

وإن الأمة الإسلامية تعيش أزمة حوار حقيقية، وأزمة علاقة بين الحاكم والمحكوم، بين الأنظمة على مستوى العالم العربي والإسلامي، بل حتى بين أفراد الأسرة الواحدة، لغياب الحوار الذي يعد الوسيلة الأساس في حل المشاكل وتجاوزها. فغياب الحوار بين الحاكم والمحكوم في عالمنا هو امتداد تاريخي لأسلوب الحكم الاستبدادي الظالم الذي عاشته المجتمعات السابقة.

إن الحوار عبارة عن عملية تبادل الأفكار والكلام بين طرفين أو أكثر بغرض الوصول إلى الحقيقة بعيداً عن التعصب والخصومة، مع التزام آداب الخلاف والاختلاف، إنه أسلوب فريد في عمق آثاره وقوة تأثيره إذ يعود الفرد على إبداء رأيه بعيداً عن الخوف والسلبية ويعزز إمكاناته وقدراته، إنه الفارق الأساسي بين حالة الاستبداد والحرية، هو أسلوب للتدافع بين الحق والباطل، الخير والشر، العدل والظلم.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

كرم الإسلام الإنسان ومنحه الحق في إبداء رأيه، وكان ذلك من خلال الحوار الذي اهتم به اهتماماً كبيراً، لأنه يرى ميل الطبيعة الإنسانية بفطرتها إليه، وهو صفة ملازمة للإنسان حتى يوم الحساب، كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم.

لقد أولى القرآن الكريم الحوار أهمية بالغة في مواقف الدعوة والتربية وغيرها، ودعا إليه فبدأ الحوار في القرآن منذ اللحظة الأولى لنزوله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجعله وسيلة لإرشاد الناس وتوجيههم لما فيه من جذب للعقول والنفوس، ويملأ القرآن بالحوار، حوار مع المسلم، واليهودي، والنصراني وغير ذلك لإثبات حقيقة الكون والإنسان والإله، وضرورة توجيه العبودية، لقد استعرض القرآن الكريم الرأي الآخر رغم فساده مع استحضاره بقوة وإعطائه الفرصة للوضوح، وفي هذا درس قرآني بضرورة الانفتاح على الآخر، وإقرار حقه في إبداء رأيه، فالقرآن يدعو إلى الحوار، ومن هنا فقد علمنا كيفيته قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ سورة النحل، آية ١٢٥، وقال سبحانه:- ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ التوبة: ٦

ومن أمثلة الحوار بين المستبد وأعوانه، وبين الداعية، الحوار بين سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون والسحرة، قال تعالى عن ذلك: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾
فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا
وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ
ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ
فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً
مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ
إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟
ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى
عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ
وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ
وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا
لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ سورة طه، آية ٥٧-

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٧٣. فقد بينت هذه الآيات الكريمة الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وبين السحرة، وكذا بين السحرة وفرعون.

وقد سلك الأنبياء عليهم السلام مع فراعنة عصرهم مسلك الحوار، لكفهم عن الاستبداد، والظلم، ودعوتهم للإيمان والعدل، قال تعالى مخاطباً موسى وهارون: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ سورة طه، آية ٤٣-٤٤.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاور أصحابه ليصل إلى فكرة يبثها في عقولهم أو يرشدهم لها، ويدلهم على طريق الخير الموصل إلى رضوان الله سبحانه، كما دأب عليه الصلاة والسلام على إتباع هذا المبدأ مع قومه الذين ناصبوه العداء، فدعاهم إلى نبذ عبادة الأوثان، والامتناع عن سفك الدماء، والتمسك بمكارم الأخلاق، وكتب السيرة التي نقلت أحداث حياة النبي صلى الله عليه وسلم مليئة بالأمثلة الشاهدة على ذلك، حيث حواره مع أعدائه، ومع أصحابه رضوان الله عليهم في شؤون الحكم، وغير ذلك، وهذا ما ينبغي على الأفراد جميعاً أن يسلكوه مع من يستبد بالأمر دونهم، ويتسلط عليهم ويسلبهم حقوقهم.

إن الخلاف صفة ملازمة للبشر، ومن شأن الحوار تقريب النفوس، وكبح جماحها، بإخضاعها لأهداف الجماعة، وبهذا يتم القضاء على نزعة الفرد الاستبدادية كما أن فيه معنى الاستعداد للرجوع عن الخطأ إن استبان للفرد فهو طريق الوصول للحقيقة والاقتناع بها، وإقناع الآخرين.

فالحوار وسيلة للتواصل بين الأفراد، وبه يتم تبادل الآراء، وتعميق مفهوم الاجتهاد، وتحصل المشورة، والمشاركة الإيجابية في مسائل الحياة المختلفة، يعزز مبدأ الوحدة، ويسهم

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

في إقامة علاقات إنسانية تؤدي إلى التعاون[1] هو وسيلة للتفاهم بين الأفراد، الشعوب، الدول عن طريق من يمثلهم، بهدف تضييق الفجوة، وتقريب وجهات النظر.

إنه الأداة الرئيسية للتغيير، هو مدخل للسلطة السياسية، سمة المجتمعات المتقدمة والمندمجة، هو كما قال محجوب دعوة للاحتكام للعقل والرجوع إليه في مواجهة العصبيات المريضة، والآراء الشاذة والمسائل المعقدة، يساعد على تجنب العنف والكراهية والجهل والتخلف، ويتم التخلص من أساليب الضغط[2].

وإن غياب الحوار يؤدي إلى الركود، وعدم التحرك نحو التطور والتقدم فالحوار يجعل الفرد متفائلاً فاعلاً يأخذ حقه دون محاباة أو عدم مسؤولية، يبعد الأفراد عن التقليد الأعمى، ويحقق الثقة بالنفس، والإقناع العقلي، والقدرة على المجابهة، والارتجال، به تتضح الحقائق، ويظهر ما يضمره الفرد داخل خفايا النفس، فيحتاط الآخرون ويأخذون حذرهم.

فالحوار يهدف للوصول إلى الوسطية التي جاء بها الإسلام، والتي تدفع الغلو والتطرف والاستسلام، والخضوع، والتجبر، والاستبداد فبالحوار يعترف كل طرف بحق الآخر في إبداء رأيه، وأنه ليس لأحد فرض رأيه على الآخرين لكون ذلك يتعارض مع نصوص القرآن والسنة، فنتيجة الحوار الهادف القائم على أصول ثابتة وقواعد بناءه الوصول إلى حل وسط يرضي جميع الأطراف، والوصول إلى أفضل النتائج.

ومن هنا فعلى كل من مؤسسات التربية(الأسرة، والمدرسة، ومؤسسات المجتمع المختلفة وأجهزة الدولة) أن تتبنى ثقافة الحوار، لتحقيق التآخي والوحدة، بدل الفرقة، المحبة بدل الكراهية وتقبل الآخر بدل تهميشه وإبعاده، وكما قال حسنة: ما لم يتمرن الذهن المسلم على الحوار، ويمتلك القدرة على قبول الرأي الآخر الذي يمثل حق الآخرين في النظر والذي

---

(1) محجوب، الحكمة والحوار علاقة تبادلية، ص١٣٧.

(2) انظر المرجع السابق، ص١٣٨و ١٥٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

هو حق لنا فسوف يحرم الخير، وتسود أجواء العمل آفات الإرهاب والتعصب التي تنتهي إلى العجز عن التعامل مع الواقع والتأثير فيه[1]، وما دفعهم لذلك إلا الضيق بالرأي الآخر، وتوهم امتلاك الحقيقة المطلقة، والصواب المحض وتبعاً لذلك فما على الآخرين سوى السمع والطاعة والإتباع.

فيجب تعليم الأفراد داخل الأسرة أهمية الحوار وقبول الرأي الآخر مهما يكن مخالفاً له، باعتبار هذا الوسيلة الوحيدة للتعايش السلمي داخل المجتمع، لأن الناس سيظلون مختلفين، وأنه لا يمكن لأحد امتلاك الحقيقة المطلقة، وعندها يصبح قادراً على تقبل الرأي الآخر،

كما يجب على المعلم تشجيع الحوار بين الطلبة، وبينه وبينهم، فنحن بحاجة لتعليم أبنائنا فن الحوار والنقاش ليبدعوا ويبتكروا، وكذا حال الرئيس مع مرؤوسيه، والحاكم مع شعبه، لا بد أن تعم لغة الحوار لأنها تقود إلى تفاهم أفضل يقود إلى خير الفرد والمجتمع.

وعلى وسائل الإعلام أن لا تسيء إلى هذا المبدأ الهام في حياة الفرد والمجتمع، بنقل محاورات لا يعرف المحاور فيها أدنى آدابه وأصوله فعليها أن تمارس دورها الإيجابي بالدعوة إلى ممارسة الحوار لأثاره وأهميته، والبعد عن تزوير حقائقه هذا وأصوله ومهاراته.

إن الحوار موجود منذ أقدم العصور، وفي كل المجتمعات، ولكنه بحاجة إلى ثقافة ترسخ قواعده، وتقود المتحاورين إلى الحق الذي ينشدانه، ولا بد من اتخاذه أسلوبا أساسياً في تغيير أي فكر مجانب للصواب، فهو الأسلوب الأمثل لإيجاد التقارب الفكري والوحدة الفكرية بين الأفراد، مع الأخذ بعين الاعتبار كل ما يتطلبه من موضوعية، ونزاهة، واحترام الآخر، وإتباع الأسلوب الحسن فلا بد من تبادل الحجج، والبحث عن الحقيقة وحدها، فلا مكان لتكميم الأفواه وفرض وجهة النظر الواحدة ورفض الآخر.

---

[1] انظر حسنة، **مراجعات في الفكر والدعوة والحركة**، ص١١٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث السادس

العلم

يُعد الجهل سبباً لكثير من المشاكل والأمراض، هو بؤرة الفساد وأداة المستبد لفرض وجوده وسيطرته، فالاستبداد والعلم عدوان لدودان لا يلتقيان، ولذا فالمستبد يجتهد في إطفاء نور العلم، وملاحقة أهله، وسجنهم وطردهم، وقتالهم، ويعمل على نشر الجهل بين الأفراد وجعلهم عاجزين عن أي فعل إيجابي.

إن حكم المستبد ما هو إلا ثمرة لغفلة الشعوب، وجهلها، وعدم إدراكها لحقوقها، وسوء فهمها لتطلعاتها، وعجز قدراتها عن تحقيق أهدافها، قال الكواكبي، "ما أشبه المستبد في نسبته إلى رعيته بالوصي الخائن القوي على أيتام يتصرف في أموالهم كما يهوى، ما داموا ضعافاً قاصرين، فكما أنه ليس من صالح الوصي أن يبلغ الأيتام رشدهم، كذلك ليس من غرض المستبد أن تتنور الرعية بالعلم[1]".

يحرص المستبد على استدامة حالة الجهل وإطفاء نور العلم، ومن ذلك ما روي أن حاكما كان له مرب سويسري، فقال له يوماً بعد أن تأمر: ليتك تعنى بتربية الشعب وتعليمه، فقال الأمير: كلا إني إن علمته صعب علي حكمه[2].

إنه يكره العلم لما له من سلطان على العقول والقلوب، ولما له من دور في بث الوعي بين الأفراد وتعريفهم حقوقهم، وحثهم على المطالبة بها، ولكن أي علم ذاك الذي يخشاه المستبد؟ يقول الكواكبي: لا يخشى علوم اللغة ولا العلوم الدينية ولا الصناعية إنما يخاف من

---

(1) الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص٤٧.

(2) أمين: أحمد، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، القاهرة- مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٧٩، ص٢٧٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

علوم الحياة كالحكمة والفلسفة وطبائع الاجتماع والسياسة والتاريخ التي توسع العقول وتعرف الإنسان حقوقه وكيفية الطلب[1]. يخافون من الدعوة إلى التوحيد حيث يعرف الفرد أنه لا خضوع ولا معبود إلا الله، كما يعرفون أن الحرية أفضل من الحياة[2]. وإن أشد ما يخافه المستبد أن تكون المعارضة لحكمه من الطبقة المثقفة لما لهم من تأثير على الآخرين وبالتالي تقويض أركان حكمه.

المطلب الأول:- العلم ودوره في علاج الاستبداد

حث الإسلام على طلب العلم، وجعله فريضة على كل مسلم، حيث نزلت أول آيات القرآن، وأول كلمة منه تؤكد على أهمية العلم وضرورته، قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ سورة العلق آية ١-٥، وقال عليه الصلاة والسلام: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم[3]) وقال أبو الأسود الدولي: "ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك[4]".

إن العلم حق مشاع للجميع، لا يملكه أحد، ولا يدعي أحد احتكاره، ولا طبعه بطابعه الخاص مأمور به الحاكم والمحكوم لما له من آثر في حياة كل منهما، قال عمر بن الخطاب

---

(1) انظر الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص٤٧-٤٨.

(2) انظر المرجع السابق، ص٥٢

(3) الترمذي، **السنن**، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ج٥، ص٥٠، رقم ٢٦٨٥، والدارمي، **السنن**، المقدمة، باب من قال العلم الخشية وتقوى الله، ج١، ص١٠٠، رقم ٢٨٩ ، والطبراني، **المعجم الكبير**، ج٨/ ص ٢٣٣ رقم ٧٩١١ صححه الألباني، انظر **صحيح الجامع الصغير**، ج١، ص٣٨٧ رقم ٤٢١٣.

(4) ابن جماعة: بدر الدين، **تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم**، بيروت – دار الكتب العلمية، د-ط ص١٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رضي الله عنه (تفقهوا قبل أن تسودوا[1]). وقال بعض السلف إذا أراد الله بالناس خيراً جعل العلم في ملوكهم، والملك في علمائهم[2] وهذا لأن في العلم عصمة الملوك حيث يمنعهم من الظلم، ويردهم إلى العدل، ويصدهم عن إيذاء الآخرين، ويعطفهم على الرعية فمن حقهم أن يعرفوا حقه ويستنبطوا أهله[3] بالعلم يعرف الحاكم حدود الشرع التي يجب عليه التزامها، فيقف عندها لتحقيق العدالة ولأداء المهمة التي أمره الله بأدائها، يعرف أنه إنما نصب في هذا المكان واستحق الطاعة لقيامه على مصلحة الرعية وليس لتحقيق أهدافه ورغباته، يعلم حرمة الأساليب التي يتبعها للحصول على أطماعه، به يدرك أن العبودية لله الخالق وحده سبحانه وتعالى، وليست لأحد من البشر مهما بلغت منزلته أن يفرض على الناس عبادته من دون الله، وإن فعل فقد استحق الإثم والعقوبة في الدنيا والآخرة، كما يدرك أن نتيجة الاستبداد والتسلط، وخيمة عليه وعلى إتباعه، وأن آثار أعماله ستناله كما نالت الرعية،

كما أن على الرعية طلب العلم والاشتغال به، فهو وسيلة ليثبت الفرد فيها نفسه فينال الاحترام والتقدير من الآخرين، وعندها لا يجرؤ أحد على النيل منه لعلمه بموقف الناس منه وبما يترتب على فعله من انقلاب الناس، وخروجهم عليه، ومحاربتهم له.

بالعلم يتحرر الإنسان من الخوف الناشئ عن الجهل، وبارتفاع الجهل، وإنارة العقل يزول الخوف، وعندها يعتزل المستبد أو يعتدل لأن العاقل لا يخدم غير نفسه، والمتعلم لا ينقاد لغير ما فيه منفعة[4] وإذا علم الفرد أن المستبد عاجز يتظاهر بالقوة المصطنعة زال الخوف منه، قال أحد المحررين السياسيين: إنني أرى قصر المستبد في كل زمان هو هيكل

---

(1) ابن الجوزي، **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، بيروت- دار الكتب العلمية، د-ط و ت، ص٢٠٥

(2) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص٧٣.

(3) المرجع السابق نفسه.

(4) رضا، **تفسير المنار**، ج٦، ص٣٣٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الخوف عينه، فالملك الجبار هو المعبود، وأعوانه هم الكهنة، ومكتبته هي المذبح المقدس، والأقلام السكاكين، وعبارات التعظيم هي الصلوات، والناس هم الأسرى الذين يقدمون قرابين الخوف، وهو أهم النواميس الطبيعية في الإنسان، والإنسان يقرب من الكمال في نسبة ابتعاده عن الخوف، ولا وسيلة لتخفيف الخوف أو نفيه غير العلم بحقيقة المخيف منه وهكذا إذا زاد علم أفراد الرعية بأن المستبد امرؤ عاجز مثلهم زال خوفهم منه، وتقاضوه حقوقهم[1]. إنه يحرر الإنسان من الخوف، ومن عبودية غير الله من هوى ونفس وشياطين ومستبدين فمن يحقق عبودية الله في نفسه يسلم من عبودية غيره، حيث يغرس في نفسه العبودية الكاملة لله.

إنه الطريق الأمثل لبناء أمة قوية متماسكة موحدة أخلاقياً ونفسياً وفكرياً به يتم نبذ التعصب، واحترام حقوق الآخرين، حيث يدركون خطر الفرقة والتفكك وأهمية الوحدة ودورها في تحقيق التقدم والنهوض، والتصدي لأعمال المستبد التخريبية الظالمة.

بالعلم يشعر الأفراد بما هم فيه من مشاكل وآلام مما يدفعهم للبحث عن العلاج، فالفرد يتأثر في البيئة التي يعيش فيها، ويؤثر بمقدار ما لديه من علم وفهم، والإنسان الجاهل غير المسلح بالعلم لا يستطيع أن يكون طرفاً فاعلاً في البناء الحضاري، فمسار المجتمع يتغير بتغير الأفكار به يفهم الناس ماهية السياسة بدلاً من اعتبارها صورة مقدسة لا يجوز المساس بها ولهذا أنكر المستبد العلوم التي توسع مدارك الناس وتعرفهم ما لهم وما عليهم كما قدمنا. به يدركون أهمية الجهاد لاسترداد الحرية المسلوبة وحرمة السكوت ويعلمون أنهم محاسبون يوم القيامة على أعمالهم واستسلامهم، يعرفون أن الإنسان لن يصيبه إلا ما قدره الله له، وأن الأمة جميعها لو اجتمعت على نفعه أو ضره فلن تجد سبيلاً لذلك، به يعرفون أنه لا سيادة ولا عبودية ولا خضوع إلا لله، يعرفون أن الحرية من أولويات حياتهم، وكيفية أداء واجباتهم

---

(1) الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص٥١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

والمطالبة بحقوقهم، والدفاع عنها فما انتشر العلم في أمة إلا تم القضاء على الاستبداد والاستعباد، والتسلط.

إن إصلاح الأمم بعد فسادها بالاستبداد والظلم، يكون بإنشاء جيل جديد يجمع بين الحرية والاستقلال والعزة، وبين معرفة الشريعة والفضائل والعمل بها، وقد قام الأنبياء بهذا الدور في العصور السابقة، وبعدهم ورثتهم الجامعون، بين العلم بسنن الله في الاجتماع، وبين البصيرة والهدف والإخلاص في حب الإصلاح وإيثاره على الأهواء والشهوات[1].

فالعلم عملية تغيير على مستوى الفرد والجماعة بما يشمل المجتمع والأمم والحضارات، ولا يمكن لاستبداد أن يستمر طالما وجد هناك دعاة مصلحون، علماء يقدرون المسؤولية ويرتقون إلى مستواها، فيرون حياة الناس، ويستنهضون الهمم، هم مصدر رحمة ووقاية للأمة من الوقوع في المحرمات، يدعون إلى الوسطية والاعتدال التي ينبذها المستبد بأعماله الإجرامية ضد الشعب وضد نفسه.

فعلى العلماء مراقبة سير الحكام، وأصحاب المناصب ونصحهم إن رأوا اعوجاجاً، ومن ذلك أمر السلطان سليم بقتل مائة وخمسين رجلاً من حفاظ الخزائن فبلغ هذا النبأ الأستاذ علاء الدين الجمالي، وكان متولياً أمر الفتوى، فذهب إلى السلطان وقال له: وظيفة أرباب الفتوى أن يحافظوا على آخرة السلطان وهؤلاء الرجال لا يجوز قتلهم شرعاً، فعليك بالعفو عنهم، فغضب السلطان سليم وقال له: إنك تتعرض لأمر السلطنة وليس ذلك من وظيفتك فقال الأستاذ علاء الدين لا بل أتعرض لأمر أخرتك وإنه من وظيفتي، فإن عفوت فلك النجاة، وإلا عليك عقاب عظيم فانكسرت ثورة غضب السلطان وعفا عن الجميع[2]. فلم يمنعه غضب

---

(1) انظر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٤، ٢٤٩.

(2) حسين، **رسائل الإصلاح**، ص١٠٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

السلطان عن توجيه النصيحة له.

يحفز العلم الأفراد على الثورة والجهاد في وجه الظلم والاستبداد ويربي النفوس على الاعتدال والتوازن فلا استبداد وتسلط ولا استسلام وخضوع، يحرر العقول والقلوب والأبدان، وينقلها لاكتشاف مالها وما عليها، فتؤدي واجبها وتطالب بحقوقها مهما كان أثر ذلك ومهما كان الثمن المقابل، فلا حياة مع الذل والاستعباد، ولا نجاة بالاستبداد والعنف. وبه يتحرر الأفراد من التقليد والتبعية العمياء والطاعة المطلقة، ويدفعهم لتزكية أنفسهم وبذل النصح للحاكم والمسؤول بتبصيره بالواقع، وخطورة الظلم وغير ذلك.

وانطلاقاً من ذلك فإنه يقع على عاتق التربية الإسلامية عدد من الأمور منها:

١. بيان أهمية العلم ومكانته، والدعوة إلى الاستزادة منه للحكام والمحكومين، ودعوة الأفراد للإكثار من القراءة العلمية الحرة والبحث عن المعارف الجديدة، ومواصلة الاجتهاد على أساس أنه عبادة لله، ثم صناعة المسلم المثقف بالفكر الإسلامي الحديث بمنهجية معرفية حرة، وتفكير علمي فيتمكنوا من مواجهة التحديات وصياغة الرأي العام حيث إن المتعلم أقدر على قيادة مشروع النهضة، فالعلم وسيلة لعمارة الأرض وترقيتها، به يتمكن الإنسان من القيام بحق الخلافة بإيجابية وفاعلية.

٢. توفير سبل التعليم لجميع أفراد الأمة: فلا يخفى ما للعلم من مكانة سامية، ودور كبير في بناء الفرد والمجتمع والحضارة مما جعل طلب العلم ونشره مطلباً من متطلبات الحياة الضرورية إنه كما قال الكواكبي: قبسه من نور الله وقد خلق الله النور كشافاً مبصراً، ولاداً للحرارة والقوة، وكذا العلم وضاحاً للخير فضاحاً للشر، يولد في النفوس حرارة، وفي الرؤوس شهامة، العلم نور والجهل ظلام، ومن طبيعة النور تبديد الظلام والمتأمل في حالة الرؤساء

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

والمرؤوسين يرى سلطة الرئاسة تقوى وتضعف بنسبة نقصان علم الفرد وزيادته[1].لا يستطيع شعب أن يتخلص من حكم المستبد ما لم يتعلم أبناؤه القراءة والكتابة، فلا بد من بناء شخصية الإنسان على أساس العلم الحر، ولن تتمكن أمة من بناء نفسها ما لم تحصن نفسها ضد الاستبداد.

إن العلم إن لم يكن كافياً بذاته لإقامة حكم شورى عادل فإنه شرط ضروري لذلك وإن العلم الذي تحتاج إليه الأمة هو الذي يزاول في حياة المسلمين ويحدد مصير الأشياء عندهم ويوجه سلوكهم نحو العمل والفاعلية.

إن زوال الاستبداد الفكري بين المسلمين لن يتحقق إلا ببناء الحياة العلمية الإسلامية القومية التي تتطلب تفعيل الإنسان بكل قواه المعرفية والعقلية والعلمية أولاً حتى يدخل باب الإسلام ثم تفعيل دور الإنسان المسلم بكل قواه وبقراءته الإسلامية حتى يدخل باب الإيمان ثم تفعيل الإنسان المسلم بكل قواه حتى يدخل المجتمع المدني، فيكون من أهل النداء المدني من الله (يا أيها الذين آمنوا) فيكون بشخصيته المفردة فاعلاً وبقراءته المفردة متفقهاً، وبقراءته التأويلية مخططاً وعاملاً لمجتمعه المدني الجديد[2] وهذا ينطبق على جمع أشكال الاستبداد، ومن هنا وجب على علماء الأمة ومثقفيها العمل على بث الوعي في الأفراد حول ما يهدد وجودهم وحرياتهم، وإحداث حالة من التحول الجريء، واستبدال حالة الخوف بالقدرة على المجابهة والتحدي بضرورة إبداء الرأي، والمشاركة السياسية، وإيجاد نوع من التواصل بين السلطة والأفراد، حيث لا يجوز الفصل بين الإنسان وسياسة أمور بلده.

---

(1) الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص٤٧.

(2) نزال، **سبل زوال الاستبداد الفكري بين المسلمين**، ص٧٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثاني:- نموذج لموقف أحد العلماء المصلحين في مواجهة الاستبداد

يقوم العلماء في الأمة بوظيفة الرقابة، وبالتالي هم الضمان لبقاء الإصلاح في المجتمع، وحمايته من الهلاك والزوال، يكشفون السوء ويحذرون الناس منه، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ سورة هود، آية ١١٧.

اشتغل الجيل الثاني من رواد الإصلاح في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، في إعداد الأمة نفسياً وسياسياً لمقاومة هجمات الأعداء، وتجذير مبادئ الحرية، والشورى، والعدالة، والثورة على الظلم، والإعلاء من شأن الإنسان، وتنبيه الأمة على أنها مصدر سلطة الحاكم، وكانت مشاركتهم واضحة في مباشرة العمل السياسي من خلال إنشاء الأحزاب وإعداد البرامج، وغير ذلك وقد سجل التاريخ العلماء الذين واجهوا الحكام والقضاة مثل الطهطاوي، والأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، والكواكبي وغيرهم.

وسنتحدث في هذا المطلب عن المصلح عبد الرحمن الكواكبي صاحب كتاب طبائع الاستبداد وما اختيارنا ذلك إلا لأهمية كتابه وأثره البارز في ميدان هذا البحث.

عبد الرحمن بن أحمد بهائي بن محمد بن سعود الكواكبي، ولد عام ١٢٧١هـ- ١٨٥٤م كان مؤدب اللسان، متزناً في حديثه، نزيه النفس، شجاعاً فيما يقول ويفعل، متواضعاً يقف إلى جانب الضعفاء، عُرف بالتفوق في العلوم الدينية والفتاوى[1] تربى على العزة والإباء، وكان جريئاً لا يقر ظالماً على ظلمه، ولا يسالم أحداً بسبب منصب أو جاه.

---

(1) انظر من أعلام التربية العربية الإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، والمنظمة العربية للتربية الثقافة والفنون، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، د-ط، ١٤٠٩ - ١٩٨٩، ج٤، ص٢٥٦، وأمين زعماء الإصلاح، ص٢٦٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

عُرف الكواكبي بقوة شعوره بفساد حال المسلمين، وخصص جزءً كبيراً من حياته للتعرف على أحوال المسلمين ومشاكلهم والبحث عن علاج[1] كان مثالاً للتضحية في سبيل الإصلاح والصمود على طريق الحق، والثبات لتحقيق المبدأ.

وقد عاش في عصر انتشرت فيه بذور الفرقة والضعف والتخلف بالأمة الإسلامية وشاع ظلم الحكام واستبدادهم، فكانت حياته مليئة بالتجارب القاسية والخبرات العصيبة، والاضطهادات المريرة.

تنقل بين العديد من الوظائف الرسمية والخاصة، اجتهد في رعاية مصالح الناس، والاهتمام بمشاكلهم، والرغبة في مساعدتهم، فنال احترامهم، ومحبتهم، وتقديرهم، وحاز على ثقتهم، وبسبب ذلك رأى السلطان فيه مصدر خطر، فأمر بمراقبته، وتتبع حركاته وكتاباته، وأخذ بالتضييق عليه، وأبى الكواكبي مصالحة الوالي، والتخلي عن مبادئه في الإصلاح ومحاربة الظلم[2] ولذا طاف في العديد من البلاد وتعرض للاضطهاد والسجن مراراً، وصودرت أمواله وممتلكاته، جاهد في سبيل تخليص الأمة من الظلم والاستبداد، بالنفس وبالقلم، فقدم نفسه فداءً لأمته، واجتهد في بيان واقع الأمة وسبب ذلك وحث الأفراد على الجهاد للتخلص من المستبدين الظلمة، وكان نتيجة ذلك أن قتل مسموماً.

وجه الكواكبي اهتمامه إلى الدعوة للتمسك بشريعة الإسلام، ونبذ الفرقة والخلاف، والدعوة إلى الوحدة، واهتم ببيان جور الحكام، واستئثارهم بالخيرات وأسباب تخلف الأمة وتراجعها، محاولاً وصف العلاج المناسب، فنادى بفتح المدارس للعلم، والمستشفيات للعلاج، والارتقاء بالصناعة، وتوفير الغذاء المناسب والكساء، ومحاربة أدعياء الدين، والظلمة

---

(1) انظر أمين، **زعماء الإصلاح**، ص٢٧١

(2) انظر **من أعلام التربية العربية الإسلامية**، ج٤، ص٢٦١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المستبدين[1] وتخليص البلاد من الاستبداد والقهر والعنف،

ومن الناحية الفكرية فقد ترك الكواكبي رحمه الله كتاب أم القرى في نقد الشعوب الإسلامية، وكتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد في نقد الحكومات الإسلامية، تحدث فيه بجرأة وصراحة عن الاستبداد، أسبابه وآثاره، والعوامل المرتبطة به، واهتم ببيان خطورته في المجتمعات حيث يؤدي للتراجع في كافة مرافق الحياة وعمل على تبصير الأمة بواقعها ودعوتها للاستنهاض مع بيان قواعد أساسية في علاج الاستبداد، في عصر ساده هذا الداء المدمر، قد جاهد الكواكبي في سبيل نيل الحرية وتحقيق الشورى، والقضاء على الاستبداد، فكان هذا الكتاب بداية وحجر الأساس لكل من جاء بعده، ودافعاً لمن عانى من نير هذا الداء للنهوض، فهو دعوة للإصلاح والتحرر والتقدم.

شغل كتابه هذا الدنيا بأسرها، وأعيد طبعه طبعات متتالية، فكان بمثابة الأنيس للمستبد بهم أنه لا بد وأن يأتي يوم يستعيدون فيه حريتهم وحقوقهم بإصرارهم وعزيمتهم ومثابرتهم، وأقض مضجع الحكام المستبدين لما فيه من إيقاظ الهمة والعزيمة، وبيان خطر السكوت على الظلم والاستبداد، وما هي النتيجة الحتمية لكل من المستبد الظالم، والمستبد به الخاضع المستسلم الذي عليه واجب المطالبة بحقوقه والدفاع عن حريته وأمنه واستقراره.

كما قدم العديد من المقالات الاجتماعية في الصحف والمجلات بهدف محاربة الجهل وبث الوعي، والدعوة للحرية، وتبليغ الناس حقوقهم وواجباتهم، وتهيئتهم للمطالبة بالحقوق وأداء الواجبات، فكانت انعكاساً لما يحيط به من استبداد وفقدان للحرية والعدالة، فلم يتناول أحد هذا الداء المدمر كما تناوله الكواكبي رحمه الله تعالى.

---

[1] انظر المرجع السابق، ج٤، ص٢٥٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وبقي رحمه الله مؤدياً لدوره على أكمل وجه، ومبلغاً الناس بضرورة العمل والبناء والجد والاجتهاد للقضاء على هذا الداء حتى انتهى به الأمر إلى أن قتل مسموماً عام ١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م

ونشير هنا إلى أن كتابات المبدعين التي سطروها من أقدم العصور تؤثر في البشر وتحركهم نحو الثورة، وتبني فيهم الإبداع، فالقلم هو الوسيلة العظيمة في تصوير النفس البشرية في سعيها الجاد لتحقيق المبادئ الخالدة والقيم النبيلة، ولقد حاول العلماء عبر التاريخ ومنهم الكواكبي التصدي لكل انحراف، فالعلماء ورثة الأنبياء، ولا بد من قراءة سيرهم والإفادة من مواقفهم وتجاربهم مع الحكام المستبدين الظلمة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

المبحث السابع

الهجرة

إذا لم تعالج المبادئ المتقدمة هذا الداء العضال، فعلى الفرد أن لا يستسلم، ويكون سلبياً، بل لا بد من الإيجابية والفاعلية، لأن ذلك لا يُعفي الإنسان من السؤال يوم القيامة ولذلك شرع الله الهجرة باعتبارها أحد وسائل التغيير.

فالهجرة هي ترك الوطن الذي بين الكفار، والانتقال إلى دار الإسلام[1]، وأي كفر أكبر من أن ينصب المستبد نفسه إلها يُشَّرع للناس وفق هواه ومصالحه، ويتخذ منهم عبيداً يقومون على خدمته، وتحقيق رغباته.

فالهجرة ليست سلوكاً سلبياً يعبر عن مجرد الهروب، بل فعل إيجابي يعده البعض واجباً، لأن الذين لا يهجرون المجتمع الظالم لتغييره هم ظالمون لأنفسهم، قال تعالى(**إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا**) سورة النساء، آية ٩٧.

وقد تضمن القرآن الكريم الإشارة إلى وجوب الهجرة خاصة عند اشتداد الظلم والاضطهاد على الأفراد، بحيث لا يمكن الاستمرار والصبر، ولقد وعدهم الله أن يمكن لهم في

---

(1) الجرجاني، **التعريفات**، ص ٢٨٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الأرض وأن ينالوا الثواب العظيم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۝ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ سورة النحل، آية ٤١-٤٢، وقال تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة النحل، آية ١١٠.

قال محمد رشيد رضا: أوجب الله الهجرة على من يستضعف في وطنه، فيمنع من إقامة دينه فيه، كما يوجب المتعصبون، للأوطان في هذا العصر إذا منعوا حريتهم الشخصية فيما هو دون الدين والوجدان، وقد يعز على بعض الأفراد ترك أوطانهم فيؤثرون البقاء فيها مفتونين في دينهم، فيظهروا الكفر ليأمنوا على حياتهم، وظلوا يبررون المحافظة على الإسلام في خاصة أنفسهم ولكنهم لم يتمكنوا من تلقينه أولادهم، وتربيتهم عليه فارتدت ذريتهم عنه في زمانهم أو من بعدهم كما وقع لبعض مسلمي الأندلس[1] ،فيجب على المسلم أن يضحي بترك وطنه لبناء جيل مؤمن قادر على تحرير وطنه من قبضة المستبدين الظلمة الذين دمروا البلاد والعباد فهؤلاء الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم، وتركوا ما يملكون، وما يحبون، وضحوا بدارهم وعشيرتهم وذكرياتهم، وفارقوا البلاد نظراً لما عانوه من الظلم والقهر والتسلط فإن جزاءهم في الدنيا حسنة وأن يعوضهم الله خير مما فقدوا[2]. وبهذا يظهر أن الهجرة هي من وسائل مواجهة الاستبداد التي دعت إليها التربية الإسلامية.

---

(1) رضا، **تفسير المنار**، ج٩، ص٤ باختصار.

(2) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢١٧٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

كما أنها أثر لهذه المشكلة الخطيرة ومن الأمثلة على وقوعها بسبب الظلم والاستبداد والقهر، موسى عليه السلام هاجر من مصر إلى أرض مدين، قال تعالى: (وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ) سورة القصص، آية ٢٠-٢٢.

وهاجر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضوان الله عليهم من مكة تاركين المال والمساكن، فراراً بدينهم إلى بلد يأمنون فيه على دينهم وحياتهم.

وكذا تدفق على الحدود موجات بشرية من الشعب الألماني عابرة حدود النمسا والمجر مهاجرة إلى ألمانيا الغربية مضحية بالأرض والديار، هاربة من جحيم الديكتاتورية في أكبر حركة هجرة في الوقت الحاضر، وتؤكد هذه الهجرة والعالم على أعتاب القرن الواحد والعشرين أنه لم يعد هناك مجال لحاكم أو نظام يعطي نفسه الحق في أن يضع لشعبه نظاماً لحياته على مزاجه الخاص تحت دعوى متطلبات المرحلة الراهنة[1]، وغير ذلك الكثير.

ولا تنقطع الهجرة حتى تطلع الشمس من مغربها، كما قال رسولنا عليه الصلاة والسلام: (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من

([1]) انظر جبارة: عبد المنعم سليم ، **في كل مكان الديكتاتوريات تتهاوى**، مجلة لواء الإسلام، عدد ٨، سنة ٢٤، ١٤١٠-١٩٨٩، ص ١١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

مغربها[1])

فالهجرة أثر يترتب على هذه المشكلة الخطيرة نتيجة لما يعانيه الأفراد من قهر وعنف وتسلط، كما أنها أحد الوسائل التي بينتها التربية الإسلامية للتصدي لهذه المشكلة ومواجهتها.

ولا يعني هذا أن يهجر المسلم موطنه بمجرد شعوره ببعض الأذى ليتخلص من العناء، بل الأصل أن يصبر ويحتمل، وأن يجاهد ويحاول بكافة الأساليب والطرق المتاحة الممكنة بما يمكنه من الحفاظ على وجوده واسترداد حقوقه، وتحقيق الأمن والاستقرار لوطنه وأمته وأهله، وهذا ما بينته التربية الإسلامية ودعت الأفراد لالتزامه والاستعانة به، إلا أنه متى استحال التغيير ومنع الفرد من ممارسة حقوقه فلا ينبغي له الاستسلام والخضوع، بل عليه مواجهة ذلك وإن كانت الوسيلة ترك البلاد وهجرها بحثاً عن بيئة الأمن والحرية.

([1]) أبو داود، **السنن**، كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت، ج٣، ص ٣، رقم ٢٤٧٩، والنسائي، **السنن الكبرى**، كتاب السير، باب متى تنقطع الهجرة، ج٥، ص ٢١٧، رقم ٨٧١١، والبيهقي، **السنن الكبرى**، كتاب السير، باب الرخصة في الإقامة بدار الشرك لمن لا يخاف الفتنة، وأحمد، **المسند**، ج٤، ص ٩٩، وأبو يعلي، **المسند**، ج١٣، ص ٣٥٩، رقم ٧٣٧١، والطبراني، **المعجم الكبير**، ص ٣٨٧، صححه الألباني، انظر الألباني، **صحيح سنن أبي داود**، ج٢، ص ٤٧، رقم ٢١٦٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثامن

الدعاء

يعد الدعاء من أرفع العبادات درجةً، إذ به يظهر مقام العبودية لله سبحانه وتعالى إنه لجوء العبد إلى ربه وسؤاله مع التجرد من القوة، وهو في غاية الخضوع، لأنه يسأل خالقه الذي يعلم ما يضره وما ينفعه.

هو خير سلاح يتسلح به الفرد، به دفع البلاء والاستعباد والذل، فهو عدته وعتاده، ولا يرد القضاء إلا هو، وقد أمر الله به حال الرخاء والشدة، وهو مطلوب من العبد لإظهاره الحاجة والتذلل إليه، فمن العبد الدعاء، وعلى الله الإجابة، قال سبحانه(وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ) سورة غافر، آية ٦٠.

إنه من أهم السبل التي يعتمدها المسلم في كل وقت، وتشتد الحاجة إليه عند المصاعب والمصائب، وإن أشد الحالات حرجاً هي التي يواجه بها الأفراد المستبد من أمثال فرعون فيلجؤون إلى من يسمع شكواهم، ويقضي حاجاتهم، ويفرج الضيق عنهم، فإنه لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه فالواجب على المسلمين أن يرفعوا مسألتهم إلى ربهم، فهو سبحانه القادر على كشف الضرر، وإجابة المضطر، قال تعالى: (أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ) سورة النمل، آية ٦٢.

قال سيد قطب: إن المضطر في لحظات الكرب والضيق لا يجد له ملجأ إلا الله يدعوه ليكشف عنه الضرر والسوء وذلك حين تطبق الحلقة، وتشتد الحنقة، وتتخاذل القوى، ويتهاوى

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الإسناد، ويلتفت الإنسان حوله فيجد نفسه مجرداً من وسائل النصر وأسباب الخلاص، لا تتجده قوة في الأرض، وكل ما يعده لساعة الشدة قد تخلى عنه وتنكر له عندها تستيقظ فطرته باللجوء إلى القوة الوحيدة التي تملك النجدة[1]، قال عليه السلام: (ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها، قالوا يا رسول الله: كيف تأمر من أدرك منا ذلك، قال تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم [2]). قال النووي: في الحديث الحث على الطاعة، وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً فيعطي حقه من الطاعة ولا يخرج عليه، ولا يخلع بل يتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه[3]. فيدعو المظلوم على من المه لينتقم الله منه في الدنيا، فيشف ما في صدره من غيظ وحقد على ظالمه.

إن للدعاء أهمية كبرى في حياة الفرد والمجتمع، فهو وسيلة اتصال بين العبد وخالقه يظهر فيه مدى عجز الإنسان وافتقاره وتذلل لخالقة سبحانه وتعالى، فالمؤمن دائم الدعاء إلى الله في كل شؤونه وأحواله، وقد دعانا الله سبحانه وتعالى لذلك، فقال: (ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ) سورة الأعراف، آية، ٥٥

وقال عليه الصلاة والسلام في الحث عليه: (الدعاء هو العبادة[4])

([1]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص ٢٦٥٨.

([2]) مسلم، **الصحيح**، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، ج٣، ص١٤٧٢، رقم ١٨٤٣.

([3]) النووي، **شرح النووي على صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول، ج١٢، ص٢٣٢.

([4]) الترمذي، **السنن**، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، ج٥، ص ٢١١، رقم ٦٩٦٩، وقال حسن صحيح، وأبو داود، **السنن**، كتاب الوتر، باب الدعاء، ج٢، ص ٧٦، رقم١٤٧٩، و النسائي، **السنن الكبرى**، كتاب التفسير، باب سورة غافر، ج٦، ص ٤٥٠، رقم ١١٤٦٤، وابن ماجه، **السنن**، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، ج٢، ص ١٢٥٨، رقم ٣٨٢٨، صححه الألباني، انظر **صحيح الجامع الصغير**، ج٣، ص ١٥٠، رقم ٣٤٠١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

بالدعاء صون للنفس من الغفلة، والاعتداء، لأن في غفلة النفس عن حقيقة عبوديتها لله، وحاجتها إليه سبيل إلى طغيانها واستبدادها، إنه يذكر الفرد بضعفه ومحدودية قدرته أمام قدرة الله المطلقة، فعندها يعلم مكانه فلا يطغى ولا يستبد.

كما أن به رد القضاء، قال عليه السلام: (لا يرد القضاء إلا الدعاء[1]) قال الغزالي رحمه الله: إن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء، واستجلاب الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السهم، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح، وأن لا يسقي الأرض بعد بث البذور، فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر، وإن لم يسبق لم ينبت بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر أو هو أقرب[2].

إن الدعاء جزء هام من أدوات المواجهة مع المستبد الظالم، لذلك دعا موسى عليه السلام ربه في مواقف كثيرة منها: عندما وكز القبطي فقضى عليه ولحقه فرعون وجنده، قال تعالى مخبراً عنه: **(قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)** سورة القصص، آية ١٦.

ولما اقتربت ساعة المواجهة رفع موسى عليه السلام حاجته إلى ربه قائلاً: **(قَالَ رَبِّ**

---

(١) الترمذي، **السنن**، كتاب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، ج٤، ص ٤٤٨، رقم ٢١٣٩، وقال حسن غريب، ، والحاكم، **المستدرك**، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، ج١، ص ٦٧٠، رقم ١٨١٤،نحوه، وقال صحيح الإسناد لم يخرجاه، حسنه الألباني، أنظر **صحيح الجامع الصغير**، ج٦، ص ٢٣٠، رقم ٧٥٦٤.

(٢) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج١، ص ٤٤٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى) سورة طه، آية ٢٥-٣٢.

كما دعا على فرعون وملئه لما رفضوا قبول الحق، واستمروا على كفرهم[١]، وكذا عندما أحس أن القوم لن يستجيبوا لدعوته[٢].

ودعا السحرة بعد إيمانهم، حين تعرضوا لفتنة القتل والصلب، قال تعالى مخبراً عنهم قولهم: (رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) سورة الأعراف، آية ١٢٦.

ودعت امرأة فرعون ربها: (رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ) سورة التحريم، آية ١١.

إن دعوة المظلوم كما قال عليه السلام: (اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) [٣]، إنها سبب للانتقال إلى دار الذل والهوان، هي سبب زوال الدول والأمم.

بالدعاء يدرك المستبد به أن الله معه ولا بد ناصره، كما جاء في الحديث القدسي (أنا عند ظن

---

(١) راجع سورة يونس، آية ٨٨.

(٢) راجع سورة الدخان، آية ٢٢.

(٣) البخاري، **الصحيح**، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على الفقراء حيث كانوا، ج٢، ص ٥٤٤، رقم ١٤٢٥، ومسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ج١، ص ٥، رقم ١٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

عبدي بي وأنا معه إذا دعاني[1]) فلا يهاب المستبد، ويرفض الذل والخضوع والاستسلام، ويطالب بحقوقه وحقوق الآخرين بعد أن يؤدي ما عليه، فيلجأ إلى الله أن يخلصه من المستبد الظالم، كما يدرك المستبد خطورة ما يفعل بالآخرين من ظلم وقهر، فيردعه الدعاء عن ممارسة تلك الأفعال، لأن بالدعاء زوال ملكه وسيطرته وجبروته عاجلاً أو آجلاً، وهذا يزيد بن حكم يقول:" ما هبت شيئاً قط هيبتي رجلاً ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله فيقول حسبي الله والله بيني وبينك[2]".

وهنا لا بد من التذكير بأن الدعاء لا يقتصر على الدعوة على المستبد الظالم، بل على الأفراد، والتوجه بالدعاء إلى الله العلي القدير أن يهدي الحاكم، وولي الأمر إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وأن يمنحه القدرة على أداء ما وكل إليه من مهام بقدرة وكفاءة. وأن لا يظلم ولا يُظلم، وأن يهيأ الله له البطانة الصالحة التي ترشده وتنصحه، فهذا من حق الحاكم على شعبه، قال ابن جبرين رحمه الله تعالى:" الدعاء لولي الأمر وإمام المسلمين من أفضل القربات والسنن، وهو دأب العلماء والمصلحين، لأن صلاح الراعي فيه صلاح الرعية، واستقامة أمورهم، وعدل أحوالهم، وفي قربه من الله قرب لهم، وليس لهذا الدعاء حد، فلو جعل المتحدث مجلسه كله في الدعاء لهم لكان حسناً، وكذا يدعو لهم في الخطب والمحاضرات[3]" وقال بعض السلف رحمهم الله جميعاً: "لو كانت عندنا دعوة مستجابة ما جعلناها إلى في السلطان[4]".

([1]) مسلم، **الصحيح**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله، ج٤، ص ٢٠٦٧، رقم ٢٦٧٥.

([2]) طافش: محمود، **الظلم مفهومه وأشكاله وعواقبه وآثاره المدمرة للنفس والمجتمع**، عمان- دار الفرقان، ط١، ١٤٢٩- ٢٠٠٨.

([3]) الجبرين، **حاجة البشر إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، ص ١٧٦.

([4]) الطرطوشي، ، **سراج الملوك**، ص ٣٥٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

إن سلاح الدعاء من أنجع الأسلحة في تحقيق النصر، والمسلمين عرضة للفشل إذا لم يستخدموا هذا السلاح، الذي لا يكلفهم شيئاً، فالثمن الوحيد له هو التقوى، والالتـــزام بتعـــاليم الإسلام جملةً وتفصيلاً، وعدم الاستكبار من أجل استحضار الرحمة، وقبول الدعاء، وقد لفتت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة النظر إلى أهمية هذا السلاح وأثره، وكما قـــال ابن القيم:" إنهُ من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، ويدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعـــه، أو يخففه إذا نزل[1]".إنه أنفذ من السنان، ولا يضر معه شيء-بإذن الله-.

لذا فعلى مؤسسات التربية مهمة بيان المقصود بالدعاء وأثره في حياة الفرد، و في ما يواجهه من تحديات ومشاكل، وبيان شروطه، وآدابه، وساعات الإجابة، وضرورة اللجوء إليه في كافة مجالات حياة الإنسان وغير ذلك مما يتعلق به، مع ضرورة توفير القدوة الصالحة مع الممارسة العملية لهذه الوسيلة، لعمق آثارها وفوائدها.

([1]) ابن القيم، **الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، القاهرة- دار المنار، ط١، د-ت، ص١٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث التاسع

العزل

إن إطلاق بعض الفتاوى مثل وجوب طاعة ولي الأمر على إطلاقها، وإن الخروج على المستبد الظالم أمر غير مشروع، وغير ذلك من مقولات تؤدي إلى الاستبداد الذي يقود إلى الكفر، وإن الحكومة من أي نوع كانت لا تخرج عن وصف الاستبداد، ما لم تكن تحت المراقبة الشديدة، والاحتساب الذي لا تسامح فيه، وإن الحاكم بحكم بشريته عرضة للوقوع في التقصير أو الانحراف أو إتباع الهوى والضلال فيكون عبئاً على الأفراد، وأنه ليس مقدساً ولا يتميز بأي حال من الأحوال على باقي أفراد الأمة، فليس هو ظل الله في الأرض أو نائباً عنه.

وللخروج من ذلك قرر علماء المسلمين وجوب عزل الحاكم الظالم المستبد، إلا في حالة الضرورة التي يترتب فيها على العزل فتنة أو ضرر كبير فعندها يحتمل أدنى المضرتين، ولكن إن وصل الاستبداد إلى حد الكفر وجب العزل ولو بالقوة والقتال[1].

إن العقد الذي تقيمه الأمة مع الحاكم وتفوضه بحراسة الدين، ورعاية مصالحها وحقوقها والأخذ بمبدأ القوة لإرهاب العدو، عقد قابل للفسخ عند تجاوز الشروط المتفق عليها والإخلال بها، فهذا العقد ليس أبدياً مطلقاً بل هو خاضع لمدى الالتزام بالشروط[2]، فإنه يشترط لدوام الإمامة دوام شروطها، وتزول بزوالها[3].

---

(1) انظر طبارة: عفيف عبد الفتاح، **روح الدين الإسلامي**، بيروت-دار العلم للملايين، ط١٣، ١٣٩٦-١٩٧٦، ص ٣١٣، وطعمية، **الدولة والسلطة في الإسلام**، ص ١٠٩، والريس، **النظريات السياسية الإسلامية**، ص ٢٩٥.

(2) انظر هلال، **الاستبداد ودوره في انحطاط المسلمين**، ص ٦٣.

(3) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، ج٣٠، ص ٧٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ويعد الاستبداد من أبرز أسباب العزل [1]، ففيه ترك الشورى وبذلك يخرج عن مقتضى وكالته[2]، كما يعزل بسبب الظلم، والكفر الذي هو أحد نتائج الاستبداد وآثاره.

واختلف العلماء فيمن يقوم بعملية العزل فقيل حق للأفراد، وقيل للأمة كاملة، وقيل لأهل الحل والعقد، ومن ذلك، قال الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية سابقاً: إن كتب الكلام مطبقة متفقة على أن الإمام هو وكيل الأمة، فهم من يوليه، ولذا فهم يملكون عزله[3]، وقال زيدان: من يملك حق التعيين يملك حق العزل[4].

فالأمة هي التي تمنحه حق الحكم وتمده بالسلطة، وهو وكيل عنها، فلها الحق في مساءلته وحسابه، وإن الجهة التي لها حق إنشاء العقد لها حق فسخه إذا وجدت الأسباب لذلك، وهذا كما قال طعميه: لأن الأمة ممثلة للقوة، فهي صاحبة السلطان الذي يستطيع إرغام الحاكم على التخلي عن منصبه بعد أن أخل به، ولا يملك غير الأمة من يحسن مثل هذا الموقف[5]، ولأن تقدير عواقب العزل وأسبابه لا يرجع فيها إلى رأي واحد من الناس ولا إلى تصرفات تكون موضع تأويل أو وجهة نظر لها وزنها[6].

وقال عثمان أن هذا الحق لأهل الحل والعقد خاصة حتى لا تحل الفوضى بإعلان من ليس من أهل الحل والعقد عزل الرئيس، لأن هذه الجماعة لها مقدرة الحكم على أفعال رئيس

---

(1) انظر عودة، **الإسلام وأوضاعنا السياسية**، ص ١٤٥، وزيدان، **أصول الدعوة**، ص٢١٠، والغزالي، **الإسلام والاستبداد السياسي**، ص ٥٤.

(2) راجع الشوكاني، **فتح القدير**، ج١، ص ٣٠، وأبو حيان، **البحر المحيط**، ج٣، ص ٩٩.

(3) انظر بخيت: محمد، **حقيقة الإسلام وأصول الحكم**، القاهرة– مكتبة النصر الحديثة، د–ط و ت، ص ١٧.

(4) زيدان: عبد الكريم، **أصول الدعوة**، ص٢٠٧

(5) انظر طعمية، **الدولة والسلطة في الإسلام**، ص ١١١.

(6) انظر الغزالي، **حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة**، ص٦٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الدولة وتتوافر لها أسباب الحكم الصائب[1].

وترى الباحثة أن هذا الحق للأمة ممثلة بأهل الحل والعقد، وذلك لإدراكهم خطورة الموقف ولصعوبة اجتماع الأفراد جميعاً لعزل الحاكم. كما أن على الحاكم عزل عماله، إذا رأى فيهم انحرافاً عما وجههم إليه من ضرورة المحافظة على مصالح الأفراد وحقوقهم، قال أبو بكر رضي الله عنه ليزيد بن أبي سفيان: إني وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك[2].

وقد اختلف العلماء في الطريقة التي ينبغي اتباعها عند عزل الحاكم، فقيل بالثورة المسلحة، أو بالعصيان المدني، أو باللجوء إلى محكمة المظالم.

وعن رفع السلاح على الأئمة لعزلهم، فقد دارت أقوال العلماء بين الوجوب والمنع [3].قال طعمية الخروج بالسيف جائز بشرط أن لا يترتب على عمل الأمة إذا حزمت أمرها ضد من حارب الله ورسوله فتنة الأمة أو إبادتها بقوة سلطانه وبطشه[4]. فلا بد من الثورة على المستبد الظالم الذي لن يتخلى عن سلطانه وجبروته باللين، ولا يحق لأحد السكوت على الظلم والاستبداد.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه

---

(1) انظر عثمان: محمد رأفت، **رياسة الدولة في الفقه الإسلامي**،القاهرة- دار الكتاب الجامعي،د-ط،١٩٧٥، ص ٤١٧-٤١٩.

(2) رضا، **أبو بكر الصديق**، ص ١٤٥.

(3) عثمان ، **رياسة الدولة في الفقه الإسلامي**، ص ٤٠٥-٤١٩.

(4) انظر طعمية، **الدولة والسلطة في الإسلام**، ص ١١٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده[1]) وإن كان هذا آخر الحلول فإنه لا بد من تقدير الضرورة بقدرها.

إن الحكام إذا أصروا على استبدادهم وجاهروا به، وتعدى جورهم إلى الرعية بأخذ الأموال وضرب الأفراد من دون وجه حق، فعندئذ تسقط دعوتهم، وعلى الأفراد خلعهم بكل الوسائل الممكنة، وأما التعدي على أمور الدين فهذه ليست من حقوق النفس التي يصبر على الاستبداد فيها، فإذا كان الحق لله فلا صبر ولا سمع ولا طاعة.

وعلى هذا فلا بد من تغيير المسؤولين وسن القوانين الجديدة التي تتمشى مع خطة الإصلاح، لأن الإبقاء على المفسدين في مراكز النفوذ يعني رجوع الفساد إلى حاله.

وهنا يأتي دور التربية في إعداد جيل شجاع قادر على النطق بكلمة الحق، وعلى بذل النفس والمال في سبيل الخلاص من المستبد وظلمه، بعزله، وتعيين من يتبع شرع الله ويحكم نهجه سبحانه كما بينته الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، في واقع حياته، وفي سلوكه وتصرفاته مع من تولى مسؤولية إدارة شؤون حياتهم وتنظيمها على أفضل وجه، من خلال بيان خطورة السكوت على المستبد الظالم والاستسلام له، وعدم مواجهة ظلمه واستبداده بكافة الوسائل المتاحة، والتي منها عزله عن موقعه الذي هيأ له ارتكاب هذه المعاصي.

([1]) ابن حبان، **الصحيح**، كتاب البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج١، ص ٥٣٩، رقم ٣٠٤، والترمذي، **السنن**، كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، ج٤، ص ٤٦٧، رقم ٢١٦٨، وقال حديث صحيح، وأبو داود، **السنن**، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ج٤، ص ١٢٢، رقم ٤٣٣٨، وابن ماجه، **السنن**، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج٢، ص ١٣٢٧، رقم ٤٠٠٤، صححه الألباني، انظر **صحيح الجامع الصغير**، ج٢، ص ١٧١، رقم ١٩٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث العاشر

المقاومة والجهاد

قال الكواكبي: "يا قوم هداكم الله إلى متى هذا الشقاء المرير والناس في نعيم مقيم وعز كريم أفلا تنظرون[1]".

إن مسؤولية الدفاع عن الحرية طريق مليء بالأشواك، وعلى الأفراد من أجل الحفاظ على حياتهم أن يواجهوا المستبدين الذين يسلبون الفرد مستقبله، ويحولون حاضره إلى جحيم، بأي الطرق والوسائل، وقد لا تجد الأمة سبيلاً للخلاص من المستبد إلا بالانقلابات والثورات الدموية، فكم من الشعوب تتعذب في صمت وصبر انتظاراً للحظة الثأر، وكم من الأفراد يتظاهرون بالهدوء، ويتحينون لحظة الثورة فالمستبد قد يتمادى في بطشه ما لم يجد قوة في الشعب تقف في وجهه، فلو رأى الشعب يحمل سلاحاً ما فكر في استبداده وظلمه، فالاستبداد للحرب يمنع الحرب.

حين يصل المستبد باستهتاره بحياة الأفراد ومصالحهم حداً لا يمكن تقبله، تصبح مسألة الخروج عليه وقتاله مسألة ضرورية في نظر الأمة، فقد تغلق أمام الأفراد كل الأبواب لمواجهته بالوسائل السلمية، ولا يبقى أمامها إلا هذا الطريق بالتضحية بالدم والنفس لحماية نفسها مهما ترتب على ذلك من أخطار حتى تتمكن من مواجهة المستقبل بأمن وطمأنينة، وتتمتع بالحرية والرخاء والاستقلالية.

إنّ حق مقاومة الظلم والاستبداد معروف منذ القدم، ويشعر به الإنسان بطبيعته دون حاجة إلى تعليم، فالجهاد أداة ضرورية لمكافحة الاستبداد، قال تعالى: **﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ**

([1]) الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، ص ٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ) سورة البقرة، آية ٢٥١، وقال سبحانه: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) سورة الأنفال، آية ٣٩، فالدعوة إلى الجهاد عنوان للحرب على الاستبداد، فمن أجل عزة المسلم وكرامته، وعزة الدعوة أمر الله المسلمين أن يهبوا للدفاع عنها، وأن يعدوا القوة لحمايتها، واعتبر الذين يقتلون دفاعاً عنها شهداء، والراضون بالذل والخضوع ظالمين لأنفسهم لأنهم فرطوا فيما أمرهم به ربهم، فلا بد من الثورة والتفاني والبذل لتحقيق حياة حرة آمنه مستقرة وهذا يحتاج للإعداد، فالمستبد لا يخاف إلا الوسائل نفسها التي يستخدمها في استبداده.

وكما أن قلة التضحية وبذل النفس والمال يقلل فرصة الانتصار، ويطيل زمن الاستبداد والاستعباد فإن الاستعداد للتضحية سبب في الانتصار والخلاص من المستبدين،بل إنه من الوسائل الرائدة في مكافحة المستبد، لأنه ما من مستبد يترك عرشه عن رضاه وطواعية، وما من طريقة لإقناعه باللين بذلك، والتاريخ شاهد أن الصراع الأساسي في البلاد كان على السلطة سواء في الأسرة، والمدرسة، المؤسسة، الدولة، وغالباً ما يحصل المستبد على الحكم بطريق الثورة، لذا فإنه ما من طريق إلى التخلص منه إلا بالثورة، قال الشهرستاني:" وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان[1]. لذلك فقد حث الإسلام على مقاومة الاستبداد، وجعلنا الله أُمة جهاد وتمرد على الظلم والخضوع والاستبداد، نخوض معركة الحق إلى يوم القيامة.

([1]) الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل**، بيروت- دار المعرفة، د-ط، ١٤٠٠-١٩٨٠، تحقيق محمد سيد كيلاني، ج١، ص ٢٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سورة الشورى، آية٣٩-٤٢.

إن آيات القرآن الكريم صريحة واضحة في التحريض على القتال لمناهضة البغي والقهر، وإنقاذ المظلومين من الرجال والنساء والأولاد الذين لا يجدون حيلة للتحرر من الاستبداد والاستعباد.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر[1])، قال الخطابي: وإنما صار ذلك أفضل الجهاد، لان من جاهد العدو كان متردداً بين الرجاء والخوف، ولا يدري هل يغلب أو يُغلب، وصاحب السلطان مقهور في يده فهو إذا قال الحق وأمر بالمعروف، فقد تعرض للتلف وأهدف نفسه للهلاك، فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف[2]).

وقد أجاز الأفغاني الثورة لرفع الاستبداد، فإما أن يتنازل المستبد عن الحكم، أو ينحى

([1]) الترمذي، **السنن**، كتاب الفتن، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، ج٤، ص ٤٨٧١، رقم ٢١٧٤، وأبو داود، **السنن**، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ج٤، ص ١٢٤، رقم ٣٤٤ نحوه، والنسائي، **السنن الكبرى**،كتاب البيعة، باب فضل من تكلم بالحق، ج٤، ص٤٣٥، رقم٧٨٣٤نحوه، وابن ماجه، **السنن**، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج٣، ص ١٣٢٩، رقم ٤٠١١، مثله صححه الألباني، انظر **صحيح الجامع الصغير**، ج٢، ص ٢٤٣، رقم ٢٢٠٥.

([2]) المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، **تحفة الأحوذي**، بيروت- دار الكتب العلمية، ج٦، ص ٣٣٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

بالقوة. فقال: "فإما أن يبقى رأسه بلا تاج، أو تاجه بلا رأس[1]"، بل اعتبر النائيني مقاومة الاستبداد واجباً شرعياً وليس حاجة سياسية فقط، لأن الاستبداد إخضاع الناس بالقوة ودفع لهم بالإكراه لطاعة المستبد، فإن هم استجابوا فقد ظلموا أنفسهم، وعبودية الطغاة قد تصل إلى الشرك بالله[2]".

ولا يخفى أن الاستبداد يؤدي إلى الظلم، وإن جهاد الحكام ليكفوا عن ظلمهم واجب، فالظلم محرم شرعاً، وكل حرام لا بد من إزالته وتغييره، أضف إلى أهمية حماية كرامة الإنسان وحريته بدليل تعرض الإنسان للموت في الذود عن كرامته وإن المتتبع لمسيرة التاريخ يجد أن معظم الحروب التي قامت على سطح الأرض كانت دفاعاً عن الحرية والحقوق.

وإن القتال من باب التعاون على البر، ونصرة المظلوم، وإرجاع الحقوق إلى أهلها، وإطلاق الحريات الإنسانية من قيودها، وعن أهمية القتال قال باقر إبراهيم: "حينما يشتد النضال الشعبي ضد الاحتلال والقهر، حينما تنخرط قوى شعبية أكثر في هذا الصراع العادل تزداد التشققات في صفوف الخصوم، وتتعمق التناقضات بينهم، وإن وحدة اللصوص مؤقتة، وكما يقول المثل إذا تخاصم اللصان ظهر المسروق[3]".

ومن الأمثلة على الثورات التي قامت في مواجهة الأنظمة الاستبدادية الديكتاتورية، في عام ١٩٨٩ ثار الشعب الروماني ضد حكم الديكتاتور نيكولاي شاوشيسكو الذي استمر قرابة ربع قرن من الزمان، وسقط عشرات الآلاف من القتلى، ومئات الآلاف من الجرحى على يد رجال الشرطة السرية المدربين على الإبادة، وإذلال المواطنين، وانضم الجيش إلى

---

(1) الأفغاني، **الأعمال الكاملة**، ج١، ص ٢١.

(2) انظر الدباغ، الجذور الدينية للاستبداد، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**، ص ٥٢.

(3) إبراهيم، **الغزو عدوان واستبداد وتعميق للشقاق**، ص ١٦٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الشعب بدلاً من قمعه، وتم إلقاء القبض على شاوشيسكو وزوجته بعد فرارهما هاربين، وحوكما محاكمة عسكرية بتهم الإبادة الجماعية والإضرار بالاقتصاد القومي، وانتهت المحاكمة بإعدامهما رمياً بالرصاص ومصادرة أموالهما [1].

ومن هنا فإن على التربية الإسلامية واجب تربية الفرد على حب التضحية بالجهد والوقت والمال في سبيل الله، والدعوة للإيمان الذي هو طريق الحق والخير، والاستعداد للجهاد بكافة أشكاله، والعمل والإعداد لإخراج الناس مما هم فيه، فعلى المربين الانتباه وتوجيه العناية الكافية بضرورة تعميق روح الجهاد في نفسيات الأفراد، ولاسيما في العصر الذي انحسر فيه حكم الإسلام عن بلاد الإسلام وأصبحت السيادة للمستبدين الطغاة، وهذا في محاولة لاستعادة مجد الأفراد وعزهم.

وتحفيز مشاعر الإخلاص والتضحية من أجل الآخرين في العالم كله، ليسود السلام وتتجنب أسباب الصراع، من كبت للحريات وغير ذلك، بتحقيق معاني التعاون والإيثار، ومن ذلك كتب أحمد عصمت إلى أخيه قائلاً: إن حبي لوطني هو الذي حبب إلى سفك دماء الغاصب المستعمر، فذهبت إليهم غير منتمٍ إلى هيئه أو جماعة، ذهبت إليهم بدافع إلهي وإيمان قوي، ذهبت إليهم مسروراً فرحاً وكأني ذاهب إلى رحلة صيد، مثل الرحلات التي كنا نقوم بها، فإن مت فأعلن إلى كل مصري أني شاب متزوج ولي ثلاثة أطفال ولي أمي وأخواتي، ومع هذا فقد ضحيت بنفسي ليعيشوا هم أحراراً في بلدهم، فالحرية لا تمنح ولكنها تؤخذ بأعز التضحيات[2].

فجوهر المواجهة يتمثل في جماعة مؤمنه صابرة مصابرة تأخذ على عاتقها دفع الثمن بأعلى مستوياته من التضحية لتكون مثالاً للآخرين في الثبات والتصدي.وعليها تدريب الناشئة

---

(1) الحلو، **الدولة في ميزان الشريعة**، ص ٣٦٢.

(2) انظر الغزالي، **الإسلام والاستبداد السياسي**، ص ٢٦-٢٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

على أساليب الجهاد باختلاف أنواعها وحسب تطورها على مر العصور.

بالجهاد يتحرر المستضعفون الذين خضعوا للحكام وتابعوهم على ضلالهم وانحرافهم، لأن الإسلام إعلان لتحرير الإنسان، وإن إزالة الشر وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبيه لا يتم بالتبليغ والبيان، فالمتسلطون والمغتصبون للسلطان لا يتنازلون عنه بسهوله[1]، وما كانت حروب المسلمين إلا لإزالة الأنظمة والحكومات المستبدة الظالمة، التي تمنع الحقوق وتنهي الأموال وتزهق الأرواح، وتفرق بينهم لتسهيل السيطرة عليهم[2]، قال تعالى: **(وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ)** سورة التوبة، آية١٢.

إن الإحساس بالاستبداد والظلم، يولد أعمال العنف والثورة، ويدفع للتضحية بالمال والنفس هروباً من واقع بغيض يفرضه عليهم المستبد، وطمعاً في مستقبل حر، ولأن المستبد لا يترك الحكم إلا جبراً بالموت أو قهراً لسيطرة شهوة السلطة عليه، فبدون المقاومة بكل الوسائل الممكنة لا أمل في الخلاص، ولولا الجهاد لحرم الناس حقوقهم الإنسانية فهو وسيلة للمجد والعلو، قال القرني:"بقدر همتك ومجدك ومثابرتك يكتب تاريخك، والمجد لا يُعطى جزافاً، وإنما يؤخذ بجداره وينال بالتضحية[3]"

خلاصة:

أجاب الفصل عن السؤال الخامس من أسئلة الدراسة وهو ما منهج التربية الإسلامية في علاج الاستبداد؟

---

(1) انظر، سيد قطب، **معالم في الطريق**، ص ٦٠.

(2) نحلاوي : عبد الرحمن، **التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة**، بيروت- المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٨-١٩٨٨، ص١١٢.

(3) القرني: عائض، **لاتحزن**، الرياض-مكتبة العبيكان، ط٨، ٢٠٠٦، ص٥٤٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

حيث بين أن التربية الإسلامية قد دعت إلى عدد من المبادئ، وبينت ضرورة الالتزام بها وتطبيقها في جميع المجالات والميادين، لما لها من أثر واضح وجلي في القضاء على ظاهرة الاستبداد وتحرير المستبد بهم من الظلم والقهر والعنف والتسلط وكان من بين تلك المبادئ، الإيمان بما ينطوي عليه من نصح، وتربية لانفعالات الأفراد، ومقاومة اليأس والانهزامية والدعوة إلى العمل والبناء بإيحاء الفرد الفاعل النشط، وضرورة ترك طاعة المستبد لأن في ذلك استمرار لحكمه واستدامة لأعماله الإجرامية.

كما حثت على إتباع الشورى، والعدل، والحرية، والحوار، وتحصيل العلم، فإن لم يؤثر ذلك فعلى المستبد بهم الهجرة وترك بلادهم، ولا يعذرون بالبقاء، ثم الدعاء لله بأن يهدي حكامهم، وأن ينتقم من المستبد الطاغية، وإن استمر الحال وجب عزل الحاكم ومقاومته وجهاده بكافة الوسائل.

ففي هذه المبادئ ضمانه أكيده للتخلص من حكم المستبد الطاغية الذي قتل وضرب ودمر، أهلك العباد والبلاد، ومنع حركة التقدم والنهوض.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

الخاتمـــــــــة

الاستنتاجـــــــــات

التوصيـــــــــــات

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

الاستنتاجات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبيه الكريم، الذي برسالته ختمت الرسالات، وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين، وأسأله جل وعلا أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين في كل مكان وزمان، وبعد:

فبعد هذه الجولة العلمية، ومن خلال ما تم استعراضه، توصلت الباحثة إلى عدد من الاستنتاجات، ومن أهمها:

١- إن الاستبداد ليس هو حالة التفرد فحسب، بل يضاف لها حالة من القهر والتسلط وظلم الآخرين، والسيطرة عليهم، وهذا ما يجعله مذموماً.

٢- للمستبد أساليب يتبعها، ووسائل يستعين بها لتحقيق أهدافه ومصالحه، تكاد تكون واحدة في جميع الأزمان والأماكن.

٣- إن للاستبداد آثاراً خطيرة تمس الفرد والمجتمع، المستبد والمستبد بهم، لابد من استحضارها لإصلاح الواقع الذي أفسده هذا الداء.

٤- لا يقتصر الاستبداد على الميدان السياسي، بل يدخل في كافة مؤسسات المجتمع، وفي مختلف الميادين فكرية واجتماعية، واقتصادية، وسياسية.

٥- إن التصدي للاستبداد بالوقاية والعلاج أمر فطري يشترك فيه البشر في مختلف المؤسسات، وهو مطلب أساسي ينادي به الجميع ويسعون إليه مع ما يحتاج إليه من الجهد والمال وما يتطلبه من تضحيات، وإن كان ذلك بنسب متفاوتة.

٦- على الأمة تحصين نفسها ضد الاستبداد بالإيمان، وإعادة تربية الإنسان تربية شاملة ومتزنة للتمكن من الوقوف في وجه الاستبداد، ومقاومته، بحيث لابد من الوعي والتسلح بشجاعة الرأي وبناء العلاقات بين أفراد المجتمع على أساس التعاون والتكامل، وتنمية الشعور

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وبالمسؤولية تجاه الآخرين، فبينت التربية الإسلامية لكل فرد حقوقه وواجباته، ودعت إلى تمثل القيم الإسلامية وتجنب الأمراض الاجتماعية للحفاظ على العلاقات الاجتماعية في المجتمع قوية متينة.

٧- لن يستطيع شعب أن يتخلص من ظلم المستبد ما لم يتعلم أبناؤه، فالعلم هو سبيل التغير المنشود، وعلى التربية الرقي بمعارف الفرد وقدراته وتوجيهها، وكذا ما لم تمارس الحرية المسؤولة وتؤمن العدالة بحيث يشعر المواطن بالأمان فهذه من أهم الأسلحة الكفيلة بإنقاذ شعب من براثن الاستبداد.

٨- إن منهج الوسطية والاعتدال الذي دعا له الإسلام هو خير الحلول والطريقة المثلى للوقاية من الاستبداد وعلاجه.

٩- إن التربية الإسلامية تربية وقائية وعلاجية في آنٍ واحد، وقد سبقت جميع التربيات الأخرى في التصدي للمشاكل التي تواجه الإنسان، ووضعت من خلال مصدريها الأساسيين القرآن والسنة منهجاً متكاملاً للتصدي لها.

١٠-إن لمؤسسات التربية ووسائطها دوراً كبيراً في تثقيف الفرد، وتوعيته ضد المشاكل والتحديات التي تواجه حياته كالاستبداد مثلاً، وإن تخليها عن دورها ينعكس سلباً على الفرد والمجتمع.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

التوصيات

وبناءً على هذه الاستنتاجات تخلص الدراسة إلى جملة من التوصيات التي تحقق أهـداف ونتائج الدراسة منها:

١- على جميع الأفراد في كافة الميادين مكافحة الاستبداد ببيان أخطاره، وتعريف الناس به وتحذيرهم منه ليأخذوا حذرهم فلا يقعوا ضحية له بسبب جهلهم بمخاطره وأسبابه.

٢- ضرورة اعتماد المنهج التربوي الإسلامي بصورته الشاملة والعناية به، بمـا يحقـق إعداد الأفراد على نحو يمكنهم من مواجهة المشاكل المختلفة.

حث وسائط التربية ومنها الأسرة، والمدرسة، والمسجد، المجتمع، ووسائل الإعلام علـى أداء واجبها، فتحقيق أهداف التربية يكون عن طريق المؤسسات التربوية التي يقع عليهـا دور فعال، حيث لابد من تعاونها وترابطها وقيامها بتنمية الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، وروح الانتماء لمحيطهم وتفعيل الدور الإيجابي لدى الأفراد، والعمل على إكسابهم الـسلوكيات التـي تقوي الصلات الاجتماعية بينهم، وترسخ مفهوم التعاون، فالتحديات ومنها الاسـتبداد يحتـاج لتضافر الجهود والإمكانات على مختلف الصعد، ولذا لابد من إعداد أفراد أقوياء قادرين علـى تحديد المشاكل، وإيجاد الحلول المناسبة لها.

فعلى الأسرة أن تنصح الأفراد وتوجههم وتعدل سلوكهم بالدعوة لإصلاح النفس، وعـدم الركون إلى حال السوء، باللجوء إلى الله وطلب العون والمساعدة منه سبحانه، والثبـات عنـد المحن، والعمل والبناء والاستعداد للفداء والتضحية، بإيجاد فرد قادر على تحمل المسؤولية فـي أي وظيفة يوضع فيها، وعلى مجتمع المدرسة استعمال الأساليب المحفزة على النقاش والحوار ونقد الذات، ومهارات التواصل، بهدف بناء الفرد فكرياً وجسمياً وروحياً، والتأثير في سـلوكهم وتحصينهم من المعلومات غير الصحيحة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

والمسجد الذي له مكانته المتميزة في المجتمع الإسلامي، لا بد أن يؤدي دوره في توجيه الأفراد نحو الخير، ورفع الروح المعنوية، وتربيتهم تربية اجتماعية بعيداً عن الأنانية وحب الأثرة فيكون متعاوناً متفاعلاً. ودعوة أئمة المساجد إلى ممارسة الدور المطلوب منهم على أكمل وجه بالحث على الجهاد، وتوعيه الأفراد بما يحيط بهم من مشاكل وتحديات، والحث على مواجهتها، وأن لا يكون منبراً لتمجيد المستبد، والتغطية على أعماله.

وعلى وسائل الإعلام –ذات الأثر الأكبر في حياة الأفراد نظراً لانتشارها وارتباطها بشكل كبير بحياة الأفراد– خدمة قضايا الأمة، والدفاع عن حقوق الأفراد وحرياتهم، والبعد عن تضليلهم وخداعهم. عن طريق إعداد البرامج، وعقد الندوات، وإقامة المحاضرات التوعويه؛ لبث الوعي لدى الفرد والمجتمع بخطورة هذا الداء، وضرورة مواجهته مع عرض الإحصائيات التي تبين خطورته، لتشكيل رأي عام مساند.

٣– ضرورة توظيف مفاهيم الشورى، والعدل والحرية، والوحدة، بكافة صورها ومجالاتها في جميع مناحي الحياة كل حسب مسؤولياته.

٤– ضرورة احتواء المناهج التعليمية على بيان لأسباب الاستبداد، وأساليبه، وآثاره، وبيان ضرورة التصدي له وقاية وعلاجاً، وعدم السكوت عليه، بتشكيل القدوة الحسنة من خلال تقديم نماذج من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

٥– توجيه الأفراد والمجتمعات إلى ضرورة التخطيط السليم المدروس ثم التنفيذ وتقديم النتائج وتوضيح العقبات التي وقفت دون محاولة تخطي هذا التحدي الذي يمنع حركة النهضة والتنمية، والانتقال من مرحلة التنظير إلى مرحلة العمل والتنفيذ.

٦– إجراء المزيد من الدراسات في هذا الجانب، والتي تبرز أثر التربية ودورها في مجاوزة هذه التحديات.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٩-توصية الأفراد والمربين بضرورة العودة للقرآن الكريم والسنة النبويـــة الـــشريفة والإفادة من تعاليم الدين للقضاء على التحديات التي تواجه الفرد والمجتمع.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس المراجع

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة		
وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ	١٥	٢٩
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا ﴾	٣٤	٤٣
وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾	٤٩	٩٧، ١٨٧
- رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾	١٢٦	١٦٢
وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ ﴾	١٤٣	٢٢٢
وَلَنَبْلُوَنَّكُم مِّنَ بِشَىْءٍ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ ﴾	١٥٥	٨١
- وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ﴾	١٧٠	١٤٠، ٢٢٠
وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾	١٩٥	٢٠٣
- وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا	٢٣١	٥٧
- رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا ﴾	٢٥٠	٢٩٧
- وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾	٢٥١	٢٥٠، ٣٦٦
- لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾	٢٥٦	٢٣٠، ٣٢٧
- وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ ﴾	٢٥٧	١٧٨
- وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾	٢٨٢	٣٢٧
سورة آل عمران		
- وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾	١٠٣	٢٧١، ٢٧٣
- وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾	١٠٤	٢٢٦
- وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَٱخْتَلَفُوا ﴾	١٠٥	٨٠
- كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾	١١٠	٢٢٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

- يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً ﴾	١١٨	٢٢٥
- وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ ﴾	١٣٩	٣٠٠
- وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾	١٥٩	٣٠٧، ٣٠٨
- إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴾	١٧٥	٢٩٤
- لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾	١٨٦	٩٧
- يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾	٢٠٠	٢٨٥
النساء		
وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾	٥	٢٥٨
وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا)	٢٩	٢٣٤
ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ ﴾	٣٤	٦٨
وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ إِحۡسَٰنًا	٣٦	٢٠٩
إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ ﴾	٥٨	٣١٧
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ﴾	٥٩	٨٧، ٣٠٢
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡ ﴾	٩٠	٣٤
وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ ﴾	٩٣	٢٣٣
إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ ﴾	٩٧	٢٣٦، ٣٣٥١
وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ﴾	١٧٣	٢٥
سورة المائدة		
وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾	٢	٢٧٥
وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ ﴾	٢٧-٣١	٤٤
مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٣٢	٢٣٣
إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴾	٤٤	٢٩٤
وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ)	٨٧	٢٣٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الأنعام		
قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ ﴾	٦٥	١٠٩
قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾	١٤٩	٢٧
سورة الأعراف		
ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ ﴾	٥٥	٣٥٦
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾	٥٩	١٨٣
وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾	٦٥	١٨٣
وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾	٧٣	١٨٣
قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟)	٧٦	٨٤
وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾	٨٥	١٨٣
قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ)	٨٨	٢٢
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾	٩٦	٢٨٣
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾	١٠٣	١٨٤
وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ ﴾	١١٣	١١٠، ١١٨
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾	١١٤	١١٠
رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)	١٢٦	٣٦٠
وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾	١٢٧	٤٠، ٢١٦، ١٨٤
قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾	١٨٨	٢٨٣
سورة الأنفال		
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ)	٣٦	١٢٠
وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ)	٣٩	٣٦٦
وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟)	٤٦	٨٠، ٢٧١
وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم ﴾	٦٠	٣٠١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	٦٦	٢٩٩
سورة التوبة		
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ	٦	٣٣٥
وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ)	١٢	٣٧٠
ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٣١	١٥١
قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾	٥١	١٤١، ٢١٧
سورة يونس		
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	٥٧	٢١٨
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾	٧٥	١٨٣
وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾	٧٩	١٨٩
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ).	٨١	٢٣٠
وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٨٣	٣٧، ١٨٤
وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا ﴾	٨٧	٢٧٤
قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾	٨٩	٢٨٥
فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾	٩٠	١٨٩
وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٩٩	٢٧، ٢٣٠
سورة هود		
وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾	٥٩	٣٦
وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾	١١٣	١٧٩، ٢١٥
وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ ﴾	١١٧	٣٤٧
سورة يوسف		
إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾	٨٧	٢٩٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

سورة الرعد		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	١١	١٤١، ٢٤٥، ٣٠١
سورة الحجر		
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٩٢-٩٣	٢٣٦
سورة النحل		
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾	٣٦	٢١٤، ٢٨٨
﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ﴾	٤١	٣٥٢
﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	٤٢	٣٥٢
﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾	٥٨-٥٩	٥٩
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾	٩٠	٣١٦
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾	١١٠	٣٥٢
﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	١١٨	١٧٧
﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾	١٢٥	٣٣٥
﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾	١٢٧	٢٩٧
سورة الإسراء		
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾	٢٣	٨٥
﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾	٢٤	٨٥
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾	٣٦	٢٢٣، ٢٣٦
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾	٧٠	٢٣
﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾	٧١	٢٣٧
سورة الكهف		
﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾	٢٨	٣٠٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ)	٣٢-٣٦	٩٤
فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾	٨٠	١٧٨
سورة مريم		
قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى ﴾	٤٦	٥٩
سورة طه		
ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	٢٤	١٨٣، ١٨٥
قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾	٢٥-٣٢	٣٥٨
ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	٤٣	٣٠٠، ٣٣٧
فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾	٤٤	٣٠٠، ٣٣٧
قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾	٤٦	٢٩٣
فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾	٥٨-٧٠	٣٣٥-٣٣٦
قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾	٧١	١٨٦
قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا ﴾	٧٢	٢١٨، ٢٤٥
سورة الأنبياء		
لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾	٢٣	١٢٤
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ)	٥١-٥٤	٧٨
سورة المؤمنون		
ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ	٤٥-٤٨	١٨٤
سورة النور		
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾	٥٢	٢١٣
سورة الشعراء		
وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ ﴾	٢٢	٣٩
قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ ﴾	٢٩	١٠٠، ١٨٧
قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ ﴾	٣٤	١٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم ﴾	٣٥	١٩
أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾	١٢٨	٢٢١
وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ)	١٢٩	٢٢١
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾	١٥٠-١٥٢	٣٠٢
سورة النمل		
قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى)	٣٢-٣٤	٣١٠
أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ	٦٢	٣٥٥
سورة القصص		
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ)	٤	٨٨، ١٠٨، ١٨٥
قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى)	١٦	٣٥٧
قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ	١٧	٣٠٤
وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ)	٢٠-٢٢	٣٥٣
وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ)	٣٨	٢١، ١٥٢
وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ)	٣٩	٨٣، ٢١٤
فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ)	٤٠	٢٥، ١٨٠، ٢٢٤
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً)	٤١	٢٥
وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ)	٥٧	٧٣
إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ)	٧٦	٩٤
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ)	٧٧	٢٣٠، ٢٥٩
سورة العنكبوت		
وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ)	٨	٦٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

سورة الروم		
بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم)	٢٩	٣٠٣
فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ)	٦٠	٢٩٩
سورة السجدة		
وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ)	٢٤	٢٩٩
سورة الأحزاب		
وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ)	٥٨	٢٣٢
وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا)	٦٧	١٥٢، ٣٠٥
رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ)	٦٨	٣٠٥
سورة سبأ		
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ)	٣١-٣٢	١٨٠
سورة الزمر		
لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ ﴾	٥٣	٢٩٦
وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ ﴾	٦٧	٢٦٤
سورة غافر		
فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا ﴾	٢٥	١٨٦
وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ ﴾	٢٦	١١٣، ١٨٧
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم ﴾	٢٧	٨٣، ٢١٥
وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ ﴾	٢٨	١٣٩، ٢١٦
قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ ﴾	٢٩	٢٢، ٢١٦
وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ﴾	٣٠-٤٣	٢١٦
وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ﴾	٣٦	١٦٥، ٢١٦
أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾	٣٧	١٦٥، ٢١٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾	٤٥	٢١٦
وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ)	٦٠	٣٥٥
سورة فصلت		
فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾	١٥	٣٨، ٩١
سورة الشورى		
وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ ﴾	٢٧	٩٣، ٢٥٧
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾	٣٨	٣٠٧، ٣٠٨
وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ ﴾	٣٩	٣٦٧
وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ ﴾	٤٠-٤٢	٣٦٧
سورة الزخرف		
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا ﴾	٢٣	١٥٢
أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ ﴾	٥١	١٢٠
أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ﴾	٥٢	١٦٤
فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾	٥٤-٥٥	٣٠٥
سورة الحجرات		
وَلَا تَجَسَّسُوا)	١٢	٢٣١
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم	١٣	٢٣
سورة ق		
مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ	٢٩	١٦٠
- وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾	٤٥	٢٧
سورة الذاريات		
فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ	٤٠	٢٢٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	٥٦	٢٠٩
سورة النجم		
وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾	٣٩	٢٥٨
سورة الحديد		
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾	٢٥	٣١٥

سورة الحشر		
كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾	٧	٢٥٧
سورة الجمعة		
هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾	٢	٢٢١
سورة المنافقون		
وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ	٨	٢٩٧
سورة الطلاق		
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾	٣	٢٨٤
وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ﴾	٦	٥٧
سورة التحريم		
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾	١١	٣٠٠، ٣٥٨
سورة الملك		
أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ ﴾	٢٢	٢١٣
سورة القلم		
إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ..... قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾	١٧-٣١	٩٤
سورة نوح		
قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى ﴾	٢١	٧٣
سورة النازعات		
ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	١٧-١٩	٢٨٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾	٢٤	١٢٤
فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾	٣٧	٢٥
سورة الغاشية		
لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾	٢٢	٢٧، ٢٢٩
سورة الفجر		
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾	٦-١٤	١٥٦، ١٧٨
وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾	٢٠	٨٠
سورة الشمس		
قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا	٩	٢٢٢
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾	٧-٨	٢١٨
سورة العلق		
ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾	١-٥	٣٤١
إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾	٦-٧	٩٣
سورة العاديات		
وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ	٨	٨١
سورة العصر		
وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ ﴾	٣	٢٩٩
سورة قريش		
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾	٣-٤	١٦٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

الحديث	الصفحة
اتقِ دعوة المظلوم	٣٥٨
إذا كان أمراؤكم خياركم	٣٠٧
اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد	٣٠٢
أفلا أكون عبداً شكوراً	٢٢٢
ألا أخبركم بأهل الجنة؟	٣٩
ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول	٢٣٦
ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس	٢٩٥
آمروا النساء في بناتهن	٢٤
إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم	٢٣٠
إن من أعظم الجهاد	٣٦٧
إن الرجل ليكتب جباراً	٣٦
إن الغلام الذي قتله الخضر	٢٩
إن الله يعذب الذين يعذبون الناس	١٧٩، ٢٣٢
إن المقسطين عن الله	٣١٦
إن الناس إذا رأوا الظالم	١٨١، ٣٦٣
إنه ستكون هنات وهنات	٢٧٢
إياكم والجلوس في الطرقات	٢٢٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث	٢٣١
أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم	٢٧١
أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها	٢٣
بطر الحق وغمط الناس	٨٤
تحاجت الجنة والنار	٢٥
ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة	٣٩
حق المسلم على المسلم ست	٢٩٠
خيار أئمتكم الذين تحبونهم	١٧٥
دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً	٣٣١
الدعاء هو العبادة	٣٥٦
الدين النصيحة	٢٨٩
سألت ربي ثلاثاً	١٠٩
سبعة يظلهم الله في ظله	٣١٦
سيكون من بعدي أمراء	٢٥٤
ستكون أئمة من بعدي	٢٦
ستلقون بعدي أثره	٢٢، ٢٨٥
السمع والطاعة حق	٣٠٢
صنفان من أهل النار	١٧٨، ٢٣٢
فضل العالم على العابد	٣٤١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

فوالله ما الفقر أخشى عليكم	٩١
كل المسلم على المسلم حرام	٣٢٣
لا تطروني كما أطرت النصارى	١٥٢
لا تنقطع الهجرة حتى	٣٥٣
لا يحقرن أحدكم شيئاً	٢٤
لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً	٢٣٢
لا يرد القضاء إلا الدعاء	٣٥٧
لا يُسأل الرجل فيما ضرب امرأته	٨٦
لا يسترعي الله عبداً رعية	٢٣٧
لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح	٢٣٢
لا نكاح إلا بولي	٢٣
لزوال الدنيا أهون على الله	٢٣٣
ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة	٣١٧
ما من أمير يلي أمر المسلمين	٢٩٠
ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي	٢٥٤
مثل أمة يأتون من بعدكم	٣٧
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم	٢٧٣
من استعملناه منكم على عمل	٢٥١
من أطاعني فقد أطاع الله	٨٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم	٢٣١
من رأى من أميره شيئاً يكرهه	٢٩٨
من رأى منكم منكراً فليغيره	٢٢٨، ٢٥٢
من ظلم قيد شبر من الأرض	١٧٩
من مات وليس في عنقه بيعة	٨٧
المؤمن القوي خير وأحب إلى الله	٢٤٣
المؤمن للمؤمن كالبنيان	٢٧٣
واعلم أن الأمة لو اجتمعت	٢١٧
وأعوذ بك من فتنة الفقر	٨١
وإني سألت ربي أن لا يهلكها	٣٤
والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف	٢٢٦
يا أبا ذر إنك ضعيف	٢٦٠
الأحاديث القدسية.	
أنا عند ظن عبدي بي	١٦٠، ٣٥٨
يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي	١٦٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

المراجع

آبادي: أبو الطيب محمد شمس الحق. **عون المعبود شرح سنن أبي داود مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية**. بيروت – دار الفكر. ط٣. ١٣٩٩-١٩٧٩.

إبراهيم: باقر. **الغزو عدوان واستبداد وتعميق للشقاق**. بحث منشور- مجلة المستقبل العربي. سنة ١٨. ٢٠٠٥.

إبراهيم: زكريا. **مشكلة الحرية**. القاهرة – مكتبة مصر. ط٣. ١٩٧٢.

إبراهيم: سعد الدين. **التعددية السياسية والديمقراطية في الوطن العربي**. عمان – منتدى الفكر العربي. د-ط. ١٩٨٩.

----------. **المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي**. القاهرة- دار قباء. د – ط. ٢٠٠٠.

إبراهيم: محمد سعد. **الإعلام التنموي والتعددية الحزبية**. القاهرة – دارة الكتب العلمية. ط١. ٢٠٠٢.

ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم. **الكامل في التاريخ**. بيروت- دار الكتاب العربي. ط٦. ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

ابن الأزرق: أبو عبد الله. **بدائع السلك في طبائع الملك**. العراق- وزارة الإعلام. د-ط. ١٩٧٧ تحقيق علي النشار.

ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم. **السياسة الشرعية**. الرياض – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. د-ط. ١٤١٩.

----------. **مجموع الفتاوى**. د-ن. ط١. ١٣٩٨. جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد الحنبلي.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

----------. **الاستقامة**. السعودية – دار الفضيلة. ط١. ١٤٢٠ ،٢٠٠٠ تحقيق محمد رشاد سالم.

ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**. الهند – مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. ط١. ١٣٩٤ – ١٩٧٤.

----------. **تلبيس إبليس**. الأردن– دار الفكر. د –ط و ت تحقيق آدم أبو سنينه.

ابن الجوزي: سبط . **الجليس الصالح والأنيس الناصح**. لندن– دار رياض الريس. ط١. د–ت تحقيق فواز صالح فواز.

ابن حبان: أبو حاتم محمد. **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**. الرياض– دار الشريف. ط٢. ١٤١٨–١٩٩٢.

----------. **الصحيح**. بيروت– مؤسسة الرسالة. ط٢. ١٤١٤–١٩٩٣ .تحقيق شعيب الأرناؤوط.

ابن حجر العسقلاني:أحمد بن علي. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**. بيروت – دار الفكر. د–ط. ١٤١٦–١٩٩٦.

----------. **الإصابة في تمييز الصحابة**. بيروت – دار الجيل. ط١ ١٤١٢ –١٩٩٢. تحقيق علي البيجاوي.

ابن خلدون: عبد الرحمن. **المقدمة**، القاهرة – دار الفجر للتراث. ط١. ١٤٢٥ – ٢٠٠٤.

ابن عاشور: محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**. بيروت – مؤسسة التاريخ. ط١. ١٤٢٠ – ٢٠٠٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن العربي: أبو بكر محمد، **أحكام القرآن**. بيروت – دار المعرفة. د–ط و ت. تحقيق علي محمد البيجاوي.

ابن فارس: أبو الحسين أحمد. **معجم مقاييس اللغة**. بيروت – دار الفكر. د.ط و ت. تحقيق عبد السلام محمد هارون.

ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم. **المعارف**. بيروت – دار الكتب. د–ط ١٩٦٠. تحقيق ثروت عكاشة.

ابن قيم الجوزية . **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**. بيروت – دار الكتب العلمية. د–ط. ١٤٢١ – ١٩٩٢.

----------. **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**. القاهرة – المؤسسة العربية للطباعة والنشر. د–ط. ١٣٨٠–١٩٦١.

ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء. **البداية والنهاية**. المنصورة– مكتبة الإيمان. د – ط و ت.

----------. **تفسير القرآن العظيم**. دمشق – دار الفيحاء. ط١. ١٤١٤ – ١٩٩٤.

ابن ماجه: محمد بن يزيد. **السنن**. بيروت – دار الفكر. د–ط و ت. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد عبد مكرم. **لسان العرب**. بيروت– دار إحياء التراث العربي. ط٣. ١٤١٩–١٩٩٩.

ابن هشام: أبو محمد عبد الملك. **السيرة النبوية**. بيروت – دار الجيل. د – ط و ت .تحقيق طه عبد الرؤوف سعد.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

أبو حجلة: همسة سمير. **العلاقة بين الرضا عن الزواج والعنف ضد الزوجة في قصبة الكرك**. رسالة ماجستير غير منشورة. الأردن – جامعة مؤتة. ٢٠٠٤.

أبو داود: سليمان بن الأشعث. **السنن**. بيروت – دار الفكر. د–ط و ت. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

أبو راس: محمد الشافعي. **نظم الحكم المعاصرة (دراسة مقارنة في أصول النظم السياسية)** القاهرة – عالم الكتب. د – ط ١٩٨٣.

أبو زهرة:محمد. **تاريخ المذاهب الإسلامية**. بيروت – دار الفكر العربي. د–ط. ١٩٨٧.

---------. **تنظيم الإسلام للمجتمع**. القاهرة – دار الفكر العربي. د–ط.

أبو سليمان: عبد الحميد. **أزمة العقل المسلم**. الأردن–مكتبة المنار. ط١. ١٤١٢–١٩٩٢.

أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. بيروت – دار الكتب العلمية. ط١، ١٤١٩ – ١٩٩٩.

أبو عيد: عارف خليل. **نظام الحكم في الإسلام** .الأردن– دار النفائس. ط١. ١٤١٦ – ١٩٩٦.

أبو فارس: محمد. **الابتلاء والمحن في الدعوات**. عمان – دار الفرقان. ط٢. ١٤٠٧–١٩٨٧.

أبو المجد: كمال. **حوار لا مواجهة دراسات حول الإسلام والعصر**. الكويت – مجلة العربي ١٩٨٥.

أبو يعلى: أحمد بن علي بن المثنى. **المسند**. دمشق – دار المأمون للتراث. ط١. ١٤٠٤ – ١٩٨٤. تحقيق حسين سليم أسد.

أحمد بن حنبل: **المسند**. مصر – مؤسسة قرطبة. د–ط و ت.

أحمد: نعمة عبد الكريم. **أسس علم النفس**. الإسكندرية – دار الفكر. ط١. ١٩٩٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

أرسطو طاليس. **السياسة**. الرياض- منشورات الفاخرية. د – ط. ١٩٨٠.

إسحاق: أديب. **الدرر**. بيروت – المطبعة الأدبية. د – ط. ١٩٩٠

--------. **الكتابات السياسية والاجتماعية**. بيروت – دار الطليعة. ط١. ١٩٧٨. جمع وتقديم ناجي علوش.

اسكندر: نبيل رمزي. **الأمن الاجتماعي وقضية الحرية**. الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية. د–ط. ١٩٨٨.

إسماعيل: محمد عماد الدين، ومنصور: رشدي فام، وإبراهيم: نجيب اسكندر. **كيف نربي أطفالنا التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية**. القاهرة – دار النهضة العربية. ط٢. ١٩٨٢.

الإشبيهي: **المستطرف في كل فن مستظرف**. بيروت – مكتبة الحياة. طبعة جديدة. د–ت.

الأصبحي: أحمد محمد. **تطور الفكر السياسي**. عمان – دار البشير. ط١ .٢٠٠٠.

أعزاوال: نيراج. **سياسيون مرتشون**. دار الرشيد. ط١. ١٤١٥ – ١٩٩٤.

الأفغاني: جمال الدين. **الأعمال الكاملة**. بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ١٩٧٩. تحقيق محمد عمارة.

الألباني: محمد ناصر الدين. **صحيح سنن ابن ماجه**. الرياض- المكتب العربي لدول الخليج ط١. ١٤٠٧-١٩٨٦.

----------. **السلسلة الضعيفة**. الرياض – مكتبة المعارف. د–ط–و ت.

----------. **صحيح الترغيب والترهيب**. الرياض – مكتبة المعارف. ط٥. د–ت.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

----------. **صحيح سنن الترمذي**. الرياض – المكتب العربي لدول الخليج. ط١. ١٤٠٨ – ١٩٨٨.

----------. **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**. بيروت – المكتب الإسلامي ط٢. ١٣٩٩-١٩٧٩.

----------. **صحيح سنن أبو داوود**. الرياض- مكتب التربية العربي لدول الخليج. ط١. ١٤٠٩-١٩٨٩.

----------. **صحيح الجامع الصغير**.

الألوسي: شهاب الدين السيد محمود. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. بيروت – دار إحياء التراث العربي. د – ط و ت.

إمام: إمام عبد الفتاح. **أفكار ومواقف**. القاهرة – مكتبة مدبولي. ط١. ١٩٩٦.

----------. **الطاغية**. القاهرة – مكتبة مدبولي. ط٣. ١٩٩٧.

إمام: زكريا بشير. **أصول الفكر الاجتماعي في القرآن**. عمان – دار مجدلاوي. ط١. ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠.

آرمسترونج. **لكل زعيم قصة**. مصر – دار المعارف. د-ط و ت. ترجمة حلمي مراد.

الأميري: أحمد البراء. **فن التفكير رؤية إسلامية**. الرياض – مكتبة العبيكان. ط٧. ١٤٢٤-٢٠٠٤.

أمين: أحمد. **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**. القاهرة- مكتبة النهضة المصرية. ط١. ١٩٧٩.

----------. **ضحى الإسلام**. القاهرة – مكتبة النهضة المصرية. ط٨. ١٩٧٤.

أمين: قاسم. **المرأة الجديدة**. مصر-مطبعة المعارف. د – ط. ١٩٠٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الأنصاري: عبد الحميد، **الشورى وأثرها في الديمقراطية**، القاهرة – دار الفكر العربي. د–ط. ١٩٩٦.

الأنصاري: فاضل. **قصة الاستبداد أنظمة الغلبة في تاريخ المنطقة العربية**. دمشق – وزارة الثقافة. د –ط و ت.

الأنصاري: محمد جابر. **تكوين العرب ومغزى الدولة القطرية**. بيروت – مركز دراسات الوحدة العربية. ط١. ١٩٩٤.

أيوب: حسن. **السلوك الاجتماعي في الإسلام**. القاهرة– دار التوزيع. د–ط .١٤١٧–١٩٩٦.

باطاهر: ابن عيسى. **فاعلية المسلم المعاصر رؤية في الواقع والطموح**. عمان – دار البيارق. ط١. ١٤١٧–١٩٩٧.

البخاري: محمد بن إسماعيل. **الصحيح**. بيروت – دار ابن كثير. ط٣. ١٤٠٧–١٩٨٧. تحقيق مصطفى البغا.

بخيت: محمد. **حقيقة الإسلام وأصول الحكم**. القاهرة– مكتبة النصر الحديثة. د–ط و ت.

بدوي: أحمد زكي. **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**. بيروت – مكتبة لبنان. ط٢. ١٩٨٢.

بدوي: ثروت. **النظم السياسية**. القاهرة–دار النهضة. د–ط .١٩٧٠.

البستاني: بطرس. **دائرة المعارف**. بيروت – دار المعرفة. د – ط و ت.

بسيوني: سعيد أبو الفتوح محمد. **الحرية الاقتصادية في الإسلام وأثرها في التنمية**. القاهرة – دار الوفاء. د –ط و ت.

بكار: عبد الكريم. **تجديد الوعي**. بيروت – الدار الشامية. ط١. ١٤٢١–٢٠٠٠ .

بهجت:أحمد. **فرعون والطغيان السياسي**. بيروت – العصر الحديث.د–ط. ١٩٨٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

البيضاوي: ناصر الدين بن سعيد عبد الله بن عمر. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. بيروت – دار الكتب العلمية. ط١. ١٤٠٨-١٩٨٨.

البيطار: فراس. **الموسوعة السياسية والعسكرية**. الأردن – دار أسامة. د-ط. ٢٠٠٣.

البيهقي: أحمد بن الحسين. **سنن البيهقي الكبرى**. مكة المكرمة – مكتبة دار الباز. د-ط. ١٤١٤-١٩٩٤.

الترمذي: محمد بن عيسى. **السنن**. بيروت – دار إحياء التراث العربي. د- ط و ت. تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون.

التل: شادية. **الشخصية من منظور نفسي إسلامي**. الأردن- دار الكتاب الثقافي. ط١. ١٤٢٧-٢٠٠٦.

التونسي: خير الدين. **مقدمة أقوم المسالك في معرفة أحوال المماليك**. بيروت – دار الطليعة ١٩٨٧. تحقيق معن زيادة.

الجابري: محمد عابد . **حول الأوضاع العربية الراهنة**. مجلة المستقبل العربي. سنة ٥.عدد ٤٥ . ١٩٨٢.

----------. **عابد العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية**. بيروت – مركز دراسات الوحدة العربية. ط١. ٢٠٠١.

----------. **العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته**. بيروت – مركز دراسات الوحدة العربية. ط٢ . ٢٠٠٤.

----------. **المسألة الثقافية**. بيروت – مركز دراسات الوحدة العربية. ط١. ١٩٩٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الجار الله: عبد الكريم حسون. **تصدع البشرية من ضلال وويلات الاستبداد والعبودية** . بيروت – دار المكتبة العصرية. ط١. ١٩٦٩.

جبارة: عبد المنعم سليم. **في كل مكان الدكتاتوريات تتهاوى**. مجلة لواء الإسلام. عدد ٨. سنة ٤٤. ١٤١٠ – ١٩٨٩.

الجبرين: عبد الله بن عبد الرحمن. **حاجة البشر إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**. الرياض– دار الوطن. ط١. ١٤١٩–١٩٩٨.

الجرجاني: الشريف علي بن محمد. **التعريفات**. بيروت – دار الكتب العلمية. ط١. ١٤٠٣ – ١٩٨٣.

جريس: صبري. **العرب في إسرائيل**. بيروت– مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، د– ط .١٩٦٧.

الجليل: عبد العزيز بن ناصر. **وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم**. السعودية–دار طيبة. ط١. ١٤١٩ – ١٩٩٩.

الجليل: عدنان حمودي. **النظم السياسية**. الكويت – مطابع اليقظة. د – ط. ١٤٠٢ – ١٩٨٢.

جماعة من كبار اللغويين العرب. **المعجم العربي الأساسي**. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. د–ط و ت.

الجيوسي: عبد الله. **الفساد**. مجلة مؤتة. الأردن. ٢٠٠٥.

الحاج: كميل. **الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي**. بيروت– مكتبة لبنان. ط١. ٢٠٠٠.

حافظ: هشام علي، وسعيد: جودت، وحلبي: خالص. **كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الاستبداد**. بيروت– دار رياض الريس. ط٢. ٢٠٠٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

الحاكم النيسابوري. **المستدرك على الصحيحين**. بيروت – دار الكتب العلمية. ط١. ١٤١١-١٩٩٠ . تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

حبنكة: عبد الرحمن. **الأخلاق الإسلامية وأسسها**. دمشق – دار القلم. ط١. ١٣٩٩ – ١٩٧٩.

حجازي: محمد عبد الواحد. **الدكتاتورية محنة الإسلام والعالم**. القاهرة – الزهراء للإعلام العربي. د-ط . ١٩٨٨.

الحديدي: مؤمن. **أنماط العنف البدني**. الأردن. عمان- منظمة اليونيسيف.

حرب: علي. **تواطؤ الأضداد الآلهة الجدد وخراب العالم**. الجزائر – منشورات الاختلاف، ط١. ١٤٢٩- ٢٠٠٨.

حسنة: عمر عبيد. **مراجعات في الفكر والدعوة والحركة**. الولايات المتحدة- المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ط١. ١٤١٢ – ١٩٩١.

حسين: أحمد. **موسوعة تاريخ مصر**. القاهرة – دار الشعب. د – ط و ت.

حسين: محمد الخضر. **رسائل الإصلاح**. د-ن .ط١. ١٣٩١-١٩٧١.

الحسيني: السيد علي. **الأخلاق الإسلامية**. بيروت – دار الزهراء. ط٢. ١٣٩٨ – ١٩٧٨.

الحطاب: محمود. **الفاروق القائد**. دمشق – دار الفاروق. ط٤. ١٣٩١- ١٩٧١.

حفني: عبد المنعم. **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**. القاهرة – مكتبة مدبولي. ط٢. ١٩٩٥.

الحلو: ماجد. **الدولة في ميزان الشريعة**. القاهرة – دار الجامعة الجديدة. ط١. ٢٠٠٨.

السحمراني: أسعد. الإعلام أولا. بيروت – دار النفائس. ط١. ١٤١٥ – ١٩٩٤.

حنفي: حسن. **الحرية والتحرر قراءة في طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**. مجلة عالم الفكر. عدد٣. ٢٠٠٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الحوالي: سفر. **العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة**. السعودية- دار مكة. ط١. ١٣٩٧-١٩٧٧.

الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم. **لباب التأويل في معاني التنزيل ومعه تفسير البغوي**. بيروت – دار الكتب العلمية. ط١. ١٤١٥-١٩٩٥.

الخالدي: محمود. **قواعد نظام الحكم في الإسلام**. مكتبة المحتسب. ط٢. ١٩٨٣.

الخرائطي: أبو بكر محمد بن جعفر. **مساوئ الأخلاق ومذمومها وطرائق مكروهها**. بيروت – مؤسسة الكتاب الثقافية. د-ط. ١٩٩٣.

الخشيم: مصطفى. **موسوعة علم السياسة**. ليبيا – الدار الجماهيرية. ط١. ١٤٢٥.

خضر: قاسم توفيق قاسم. **شخصية فرعون في القرآن**. رسالة ماجستير. فلسطين – جامعة النجاح الوطنية. ١٤٢٣ – ٢٠٠٣.

الخطيب: عبد الكريم. **سد باب الاجتهاد وما يترتب عليه**. بيروت – مؤسسة الرسالة. ط١. ١٤٠٥ – ١٩٨٤.

الخليل: سمير، ورائف: أحمد. **جمهورية الخوف**. القاهرة – دار الزهراء. د-ط. ١٩٩١.

الخميسي: السيد سلامة. **التربية وتحديث الإنسان العربي**. القاهرة – عالم الكتب. ط١. ١٩٨٨.

خنافر: دولة خضر. **في الطغيان والاستبداد والديكتاتورية**. بيروت – دار المنتخب. ط١ ١٤١٥-١٩٩٥.

الخياط: عبد العزيز. **وأمرهم شورى**. عمان – المجمع الملكي لبحوث الحضارة. د-ط و ت.

الخير: هاني. **لماذا انتحر هؤلاء**. دمشق – دار دمشق. ط٢ . ١٩٩٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

داغر: منقذ محمد. **علاقة الفساد الإداري بالخصائص الفردية والتنظيمية لموظفي الحكومة ومنظماتها**. الإمارات- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية. ط١. ٢٠٠١.

دال: روبرت إيه. **الديمقراطية ونقادها**. عمان – دار الفارس. د-ط. ١٩٩٥ .ترجمة عباس مظفر.

دراج: فيصل. **استبداد الثقافة (ثقافة الاستبداد)** بحث منشور- مجلة فصول. ١٩٩٢.

دراز: محمد عبد الله. **دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية**. القاهرة – دار المعرفة الجامعية. د-ط. ١٩٨٩.

دروزة: محمد عزة. **تركيا الحديثة**. بيروت – مطبعة الكشاف. د- ط. ١٣٦٥-١٩٤٦.

الدليمي: عبد الرزاق محمد. **إشكاليات الاتصال والإعلام في العالم الثالث**. عمان- مكتبة الرائد العلمية. ط١. ١٤٢٣ – ٢٠٠٢.

دوفرجية: موريس. **في الديكتاتورية**. بيروت – منشورات عويدات. ط٣. ١٩٨٩.

ديورانت: ول أيريل. **قصة الحضارة**. القاهرة – جامعة الدول العربية. د-ط.١٩٨٢. ترجمة فؤاد اندراوس مراجعة علي أدهم.

الرابي: محمد سليم. **أثر الإشراف التربوي باستخدام المنحى التكاملي متعدد الأوساط في سلوك المعلمين التعليمي واتجاهاتهم نحو الإشراف التربوي**. رسالة ماجستير. الجامعة الأردنية. كلية التربية – قسم الإدارة. ١٤٠١-١٩٨١.

الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد. **المفردات في غريب القرآن**. بيروت – دار المعرفة. د – ط و ت . تحقيق محمد سيد كيلاني.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الربيعي: إسماعيل، بوزيد: بومدين، السيف: توفيق، عبد الله، ثناء، إبراهيم: حيدر، سليمان: خالد، العناني: خليل، عبد السلام: رفيق، النجفي: سالم، السعداوي: عاطف، العليان، عبد الله، والي:عبد الجليل، عاشور: عزمي، الدباغ: علي، الطحان: محمد الخليفي: محمد، همام: محمد، محمد:نصر، **الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة**. بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية. ط١ . ٢٠٠٥.

الربيعي: صاحب. **سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور**. دمشق- دار صفحات. ط١. ٢٠٠٧.

رضا: محمد رشيد. **تفسير المنار**.

الرفاعي: فؤاد. **حقيقة اليهود**. د-ن. ط٢. د-ت.

روسو: جان جاك. **في العقد الاجتماعي**. بيروت – دار القلم. د – ط و ت. ترجمة ذوقان قرقوط.

الزركلي: خير الدين. **الأعلام**. بيروت – دار العلم للملايين. ط٢. د-ت

زكريا: فؤاد. **خطاب إلى العقل العربي**. مجلة العربي – الكويت. ١٩٨٧.

الزهار: محمود. **إشكاليات مجتمعنا المعاصر**. د-ن و ط. ٢٠٠٠.

زيتون: وضاح. **المعجم السياسي**. الأردن – دار أسامة. ط١. ٢٠٠٦.

زيدان:عبد الكريم. **أصول الدعوة**. بيروت – مؤسسة الرسالة. د-ط. ٢٠٠٠.

----------. **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد**. بيروت – مؤسسة الرسالة. ط١. ١٤١٣ – ١٩٩٣.

زيدان: محمد مصطفى. **معجم المصطلحات النفسية والتربوية**. السعودية – دار الشروق. ط٢. ١٩٨٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

زيعور: علي. **التحليل النفسي للذات العربية أنماطها السلوكية والأسطورية**. بيـــروت – دار الطليعة. ط٣. ١٩٨٢.

زين: الياس. **أخطاء نزيف الأدمغة العربية**. مجلة المستقبل العربي. عدد ٣ . ١٩٨٧.

الزين: مصطفى. **ذئب الأناضول**. لندن– دار رياض الريس. ط١. ١٩٩١.

----------. **أتاتورك وخلفاؤه**. دار الكلمة للنشر. د–ط. ١٩٨٢.

الزينات: سماهر. **المضامين التربوية لقصص الجبابرة في القرآن**. رسالة ماجستير. الأردن– جامعة اليرموك. ١٤٢٤ – ٢٠٠٣.

سارة: ناثر. **التربية العربية منذ عام ١٩٥٠**. عمان– منتدى الفكر العربي. د –ط .١٩٩٠.

سعادة: إبراهيم. **الإسلام وتربية الإنسان**. الأردن – مكتبة المنار. ط١. ١٤١٥–١٩٨٥.

سليم: محمد محي الدين إبراهيم. **التسلط الاقتصادي وأثره على التوازن العقدي**. القـــاهرة – دار المطبوعات الجامعية. د– ط. ٢٠٠٧.

السهروردي: أبو النجيب ضياء الدين. **آداب المريدين**. القاهرة – المكتبة الأزهرية للتراث. د –ط و ت. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد.

السورطي: يزيد عيسى. **السلطوية في التربية العربية المظاهر والأساليب والنتـــائج**. بحـــث منشور – المجلة التربوية. ١٩٩٨.

السيد سابق. **عناصر القوة في الإسلام**. بيروت– دار الكتاب العربي. ط٢. ١٣٩٨–١٩٧٨.

سيد قطب. **العدالة الاجتماعية في الإسلام**. بيروت– دار الشروق.ط٨ .١٤٠٢–١٩٨٢.

-------. **في ظلال القرآن**. بيروت – دار الشروق. ط١٧. ١٤١٤ – ١٩٩٤.

-------. **دراسات إسلامية**. بيروت – دار الشروق. د–ط. ١٩٧٣.

-------. معالم في الطريق. بيروت – مطبعة لبنان. د–ط.١٩٣٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

سيف الدولة: عصمت. **الطريق إلى الديمقراطية أو سيادة القانون في الوطن العربي**. بيروت – دار المسيرة. ط١. ١٩٧٩.

سيف الدين: عبد الله مصطفى. **إشكالية العلاقة بين العلمانية والاستبداد**. رسالة دكتوراه. جامعة دمشق– كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم الفلسفة. ١٤٢٤ – ٢٠٠٢.

السيف: توفيق. **ضد الاستبداد أو الفقه السياسي الشيعي في عصر الغيبة**. بيروت – المركز الثقافي العربي. ط١. ١٩٩٩.

السيوطي: عبد الرحمن. **تاريخ الخلفاء**. ط١. ١٩٥٢ . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

الشالجي: عبود. **موسوعة العذاب**. بيروت – الدار العربية للموسوعات. د– ط و ت.

شحرور: محمد. **دراسات إسلامية معاصرة في الدولة والمجتمع**. سوريا– دار الأهالي. ط١. ١٩٩٤.

شرابي: هشام.**النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي**. بيروت – دار نابلس. ١٩٨٨، ترجمة محمود شريح.

الشرباصي: أحمد. **المعجم الاقتصادي الإسلامي**. بيروت – دار الجيل. د–ط. ١٤٠١–١٩٨١.

شفالية: جان جاك. **المؤلفات السياسية الكبرى**. بيروت – دار الحقيقة. ط١ . ١٩٨٠. ترجمة الياس مرقص.

شلبي: أحمد. **السياسة في الفكر الإسلامي**. القاهرة – مكتبة النهضة المصرية. ط٢. ١٩٨٣.

شلتوت: محمود. **الإسلام عقيدة وشريعة**. بيروت – دار الشروق. د–ط و ت.

شنهلا: جورج، وحربلي: عبد السميع، وحنانيا الماس. **الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية**. بيروت. طبعة جديدة.١٩٧٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. **الملل والنحل**. بيـــروت – دار المعرفـــة. د–ط ١٤٠٠–١٩٨٠. تحقيق محمد سيد كيلاني.

شوفالييه: جان جاك. **أمهات الكتب السياسية من ميكافللي إلى أيامنا**. دمـــشق– منـــشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي. د–ط ١٩٨٠. ترجمة جورج صدقي.

شويات: آمنة. **الخوف من منظور تربوي إسلامي**. رسالة ماجستير. جامعة اليرموك– كليـــة الشريعة، قسم الدراسات الإسلامية. ٢٠٠٦.

الشياب: محمد خالد. **الدولة العربية المعاصرة وأيديولوجية الاستبداد والتفتت**. عمـــان – دار ورد. ط١. ٢٠٠٧.

الصادق النيهوم. **محنة ثقافة مزورة**. لندن – دار رياض الريس. د–ط. ١٩٨٧.

الصاوي: محمد وجيه. **دراسات في الفكر التربوي الإسلامي**. الكويت– مكتبـــة الفـــلاح. ط١ ١٩٩٩.

الصرايرة: سليم. **أتاتورك منقذ تركيا وباني نهضتها الحديثة**. الأردن– مطبعة شـــنلر. ط١. ١٩٧٠.

صفوان: مصطفى. **صناعة القهر علاقة التعليم بالإبداع في المجتمع العربي**. بحث منشور– مجلة الناقد. سنة٦. ١٩٩٤.

الصلابي: علي محمد. **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب الـــسقوط**. القـــاهرة – دار التوزيع. ط١. ١٤٢١–٢٠٠١.

----------. **الدولة الفاطمية**. القاهرة – دار ابن الجوزية. ط١. ١٤٢٨–٢٠٠٧.

الصلاحي: أمين نعمان. **من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع**. كتاب الأمة. عدد ١٢٧. سنة ٢٨. قطر– مركز الدراسات والبحوث.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

صيداوي؛ جواد. **الطفاة في التاريخ**. بيروت – دار الجديد. ط٢. ١٩٩٥.

ضابط تركي سابق. **الرجل الصنم**. بيروت– مؤسسة الرسالة. ط٤. ١٤٠٢ – ١٩٨٢ .ترجمة عبد الله عبد الرحمن.

طافش: محمود. **الظلم مفهومه أشكاله عواقبه آثاره المدمرة للنفس والمجتمع** .عمان – دار الفرقان. ط١. ١٤٢٩-٢٠٠٨.

طاهر: جمال الدين. **حقوق الإنسان**. عمان – دار الكرمل. ط٢. ١٩٩٣.

طبارة: عفيف عبد الفتاح. **روح الدين الإسلامي**. بيروت – دار العلم للملايين. ط١٣. ١٣٩٦-١٩٧٦.

الطباطبائي: محمد بن محمد. **الميزان في تفسير القرآن**. جماعة المدرسين. ط٣. ١٩٨٠.

الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد. **المعجم الكبير**. الموصل – مكتبة العلوم والحكم. ط٢. ١٤٠٤ – ١٩٨٣ . تحقيق حمدي السلفي.

----------. **المعجم الأوسط**. القاهرة – دار الحرمين. د-ط ١٤١٥. تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. بيروت– الدار الشامية. ط١. ١٤١٨ – ١٩٩٧.

الطبري: محب الدين أبو جعفر. **الرياض النضرة في مناقب العشرة**. بيروت– دار الغرب الإسلامي. ط١. ١٩٩٦.

الطحان: محمد جمال. **ماهية الاستبداد مقاربات أولية لتحديد المصطلح**. بحث منشور– مجلة الاجتهاد. ١٩٩٤.

الطرطوشي: أبو بكر. **سراج الملوك**. بيروت – دار صادر. ط١. ١٩٩٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

طعمية: صابر. **الدولة والسلطة في الإسلام**. القاهرة – مكتبة مدبولي. د–ط. ٢٠٠٥.

طه: رياض. **أخطاء الحرية وخطايا الاستبداد**. ١٩٧٦.

طه: فرج عبد القادر. **موسوعة علم النفس والتحليل النفسي**. الكويت – دار سعاد. ط١ . ١٩٩٣.

طهماز: عبد الحميد. **من موضوعات سور القرآن الكريم**. بيروت– الدار الشامية. ط١. ١٤١٧ – ١٩٩٦.

عامر: محمود علي. **الدولة العثمانية تتهم سلاطينها**. دمشق – دار الصفدي. ط١. ١٤٢٤– ٢٠٠٣.

عبادي: أحمد. **الإسلام وهموم الناس**. قطر – مركز البحوث والدراسات الإسلامية. ط١. ١٤١٦ – ١٩٩٦.

عباس: فضل حسن. **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**. عمان – دار الفرقان. ط١. ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

عبد الحي: تحسين. **الثقافة العربية بين الاسترخاء والتطور**. بحث منشور– مجلة الفيصل. سنة ١١. ١٩٨٧.

عبد الخالق: عبد الرحمن. **الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي**. الكويت – الدار السلفية. ط٢. ١٩٨٨.

عبد الكريم: فتحي. **الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي**. دراسات مقارنة. القاهرة – دار التوفيق. ط٢. ١٤٠٤ – ١٩٨٤.

عبد الله: ثناء فؤاد. **آليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي**. بيروت – مركز دراسات الوحدة العربية. ط١. ١٩٩٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

عبده: سمير. **التحليل النفسي للجريمة**. دمشق- دار الكتاب العربي. ط١. ١٤٠٩-١٩٨٩.

عبده: محمد. **الأعمال الكاملة**. بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط١. ١٩٧٢. تحقيق محمد عمارة.

عرسان: علي عقلة. **حرية الإبداع في المجتمع العربي**. المجلة العربية لثقافة. ١٩٩٠.

عزام: عبد الله. **المنارة المفقودة**. بيروت – دار ابن حزم. د-ط. ١٤١٠-١٩٩٠.

عضيبات: عاطف العقلة. **الدين والتغير الاجتماعي في المجتمع العربي**. القاهرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب. د –ط .١٩٩٩.

العفيفي: عبد الحكيم. **مجتمعات تحت حصار الطغيان**. القاهرة – الزهراء. ط١. ١٤١٢-١٩٩٢.

عكاشة: إبراهيم. **الوكز قصة فرعون الرمز وفراعنة الوكر**. مصر. د-ن و ط و ت .

علوان: عبد الله. تربية الأولاد في الإسلام. بيروت – مكتبة الضياء. د-ط و ت.

العلوي: سعيد بنسعيد. **نشأة وتطور مفهوم المجتمع المدني في الفكر العربي الحديث**. مجلة المستقبل العربي. بيروت – مركز دراسات الوحدة العربية. عدد ١٥٨. ١٩٩٢.

علي بن حاج: أبو عبد الفتاح. **فصل الكلام في مواجهة الحكام**. بيروت – دار العقاب . د-ط ١٤١٤-١٩٩٤.

عمارة: محمد. **الإسلام والتحديات المعاصرة**. القاهرة- نهضة مصر. ط١. ٢٠٠٥

عمارة: محمود. **من فقه عمر في المساءلة والعزل والتعيين**. القاهرة- وزارة الأوقاف. د-ط- ١٤٢٢-٢٠٠١.

عميش: سمير. **التعددية والتنوع محرك التقدم والتطور**. عمان – دار أزمنة. ط١. ٢٠٠٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

العوا: محمد سليم. **في النظام السياسي للدولة الإسلامية**. بيروت – دار الشروق. ط١. ١٤١٠-١٩٨٩.

عودة. **الإسلام وأوضاعنا السياسية**. القاهرة- المختار الإسلامي. د-ط .١٩٨٠.

عياش: أحمد. **الانتحار (نماذج حية لمسائل لم تحسم بعد)**. بيروت – دار الفارابي. ط١ .٢٠٠٣.

عيد: عبد الرزاق، وعبد الجبار: محمد. **الديمقراطية بين العلمانية والإسلام**. بيروت – دار الفكر. ط١. ١٤٢٠-١٩٩٩.

غرايبة: رحيل محمد. **مسألة الحرية في النظام السياسي الإسلامي**. مجلة إسلامية المعرفة. سنة ٨. ٢٠٠٢.

الغرباوي: ماجد. **إشكاليات التجديد**. بيروت – دار الهادي. ط١. ١٤٢١ – ٢٠٠١.

الغزالي: أبو حامد. **الاقتصاد في الاعتقاد**. بيروت – دار الهلال. ط١. ١٩٩٣ قدم له وعلق عليه د. علي أبو ملحم.

----------. **إحياء علوم الدين**. القاهرة – دار الفجر. ط١. ١٤٢٠-١٩٩.

الغزالي: محمد. **الفساد السياسي في المجتمعات العربية المعاصر**. القاهرة – نهضة مصر. ط٣، ٢٠٠٣.

----------. **حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة**. القاهرة – نهضة مصر. ط١ .٢٠٠٣.

----------. **في موكب الدعوة**. القاهرة – مكتبة نهضة مصر. د – ط و ت.

----------. **الإسلام والاستبداد السياسي**. القاهرة – نهضة مصر. ط٥. ٢٠٠٦.

غليون: برهان. **الوعي الذاتي**. بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط٢. ١٩٩٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- YarmoukUniversity
www.manaraa.com

----------. **نقد السياسة للدولة والدين**. بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط١ ١٩٩١.

الغنوشي: راشد. **الحريات العامة في الدولة الإسلامية**. بيروت – مركز دراسات الوحدة العربية. د – ط. ١٩٩٣.

غوشة: زكي راتب. **قاموس الإدارة العامة**. د–ن و ت. ط١.

الفخر الرازي: فخر الدين محمد بن عمر. **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**. بيروت– دار الكتب العلمية. ط٢. ١٤٢٥ – ١٩٩٦.

الفنجري: أحمد شوقي. **الحرية السياسية في الإسلام**. الكويت – دار القلم. ط٢. ١٤٠٣– ١٩٨٣.

الفيل: محمد رشيد. **الهجرة وهجرة الكفاءات العلمية العربية والخبرات الفنية أو النقل المعاكس للتكنولوجيا**. الأردن، دار مجدلاوي. ط١. ١٤٢١ – ٢٠٠٠.

فينارد ليون. **الانتحار والأخلاق**. دمشق – دار دمشق. ط١. ١٩٨٧ .ترجمة عادل العوا.

قادري: عبد الله بن أحمد. **أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع المسلم**. جدة – دار المجتمع. ط١. ١٤٠٩–١٩٨٨.

القاضي: سعيد إسماعيل. **أصول التربية الإسلامية**. القاهرة – عالم الكتب. ط١ .١٤٢٢ – ٢٠٠٢.

القرشي: باقر شريف. **النظام التربوية في الإسلام دراسة مقارنة**. سوريا– دار التعارف. د– ط .١٤٠٨–١٩٨٨.

القرضاوي: يوسف. **هموم المسلم المعاصر**. القاهرة– مكتبة التراث الإسلامي. د–ط و ت.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد. **الجامع لأحكام القرآن**. بيروت – مؤسسة مناهل العرفان. د–ط و ت.

القرني: عائض. **لا تحزن**. الرياض – مكتبة العبيكان. ط٨. ٢٠٠٦.

القضاة: أمين، والعواملة: محمد. **محاضرات في التاريخ الإسلامي**. الأردن – دار عمار. ط١. ١٤١١-١٩٨٩.

قطب: محمد. **مناهج التربية الإسلامية**. بيروت – دار الشروق. ط٤. ١٩٨٠.

قيرة: إسماعيل. **مجتمع التهميش إلى أين؟ مهمشو المدنية العربية نموذجاً**. مجلة المستقبل العربي. ٢٠٠٣.

كامل: مجدي. **من يصنع الطغاة**. القاهرة– دار الكتاب العربي. ط١. ٢٠٠٨.

كرامر. **تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد**. السعودية– مكتبة العبيكان. ط١ .١٤٢٢ – ٢٠٠١. تعريب فاضل جنكر.

كليتجارد: روبرت. **السيطرة على الفساد**. عمان– دار البشير. د–ط. ١٩٩٤.

الكواكبي: عبد الرحمن. **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**. بيروت – دار الشرق العربي. ط٢. ١٤١١ – ١٩٩١.

الكيالي: عبد الوهاب. **موسوعة السياسة**. بيروت – المؤسسة العربية العالمية السعودية – مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر. ط١. ١٤١٦-١٩٩٦.

الكيلاني: ماجد عرسان. **أهداف التربية الإسلامية**. الإمارات – دار القلم. ط١. ٢٠٠٥.

----------. **التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند العربي المعاصر**. الإمارات – دار القلم. ط١. ١٤٢٦ – ٢٠٠٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

----------. **التعليم ومستقبل المجتمعات الإسلامية في التخطيط الإسرائيلي.** جدة. ط٢. ١٩٨٥.

----------. **فلسفة التربية الإسلامية دراسة مقارنة بالفلسفات التربوية المعاصرة.** الأردن- دار الفتح. ط١. ١٤٣٠- ٢٠٠٩.

----------. **منهاج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها.** الإمارات – دار القلم. ط١. ٢٠٠٥.

لابويسية: أتين دي. **مقال في العبودية المختارة.** القاهرة- مكتبة مدبولي. ط١. ١٤١٠ – ١٩٩٠. ترجمة مصطفى صفوان.

اللجمي: أديب، وبن سلامة: البشير، والخوري: شحادة، وعبيد: عبد اللطيف، والرزار: نبيلة. **معجم اللغة العربية.** بيروت- عالم المعرفة. ط١. ١٩٩٥.

لجنة الرواد والمشاهير. **مصطفى كمال.** بيروت – مؤسسة المعارف. د-ط و ت. مراجعة وتقديم فتحي رمضان.

مؤنس: حسين. **تاريخ موجز للفكر العربي.** القاهرة – دار الرشاد. ط١. ١٤١٦ – ١٩٩٦.

مالك بن بني. **شروط النهضة.** دمشق- دار الفكر.د-ط. ١٤٠٦ – ١٩٨٦. ترجمة عبد الصبور شاهين. وعمر مسقاوي.

----------. **وجهة العالم الإسلامي.** دمشق-دار الفكر. د-ط.١٤٠٠-١٩٨٠.

الماوردي: أبو الحسن. **أدب الدنيا والدين.** بيروت- دار إحياء العلوم. ط١. ١٤٠٨-١٩٨٨. تحقيق مصطفى السقا.

----------. **الأحكام السلطانية والولايات الدينية** . بيروت- دار الكتب العلمية. ط١. ١٤٠٥ – ١٩٨٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

مبيض: عامر رشيد. **موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية**. سوريا – دار المعارف. ط١. ١٤٢١ – ٢٠٠٠.

متولي: عبد الحميد. **أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث**. القاهرة – المكتب المصري الحديث. ط١. ١٩٧٠.

متولي: محمود. **طغاة التاريخ**. القاهرة – مكتبة نهضة الشرق. د–ط و ت.

المجلسي: محمد باقر. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**. بيروت– مؤسسة الوفاء. ط٢. ١٤٠٣ – ١٩٨٣.

محجوب: عباس. **أصول الفكر التربوي في الإسلام**. الأردن– عالم الكتب. ط١ .٢٠٠٦.

----------. **الحكمة والحوار علاقة تبادلية**. الأردن– عالم الكتب الحديثة. ط١ . ٢٠٠٦.

----------. **طرائق تدريس العلوم الإسلامية**. الأردن– عالم الكتب الحديث. ط١. ٢٠٠٦.

----------. **نصوص تربوية من القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث**.الأردن– عالم الكتب. ط١. ٢٠٠٦.

محسن: سميح، وسعد: عاطف، وأبو رمضان: محسن، ونبهان: فاتن. **حرية الرأي والتعبير التجربة الفلسطينية**. فلسطين– مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان. د–ط .٢٠٠٣.

محمود: زكي نجيب. **تجديد الفكر العربي**. بيروت – دار الشروق. ط٩. ١٩٩٣.

مدكور:علي. **منهج التربية في التصور الإسلامي**. القاهرة–دار الفكر العربي. ط١. ١٤٢٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المراغي: أحمد مصطفى. **تفسير المراغي**. بيروت – دار إحياء التراث العربي. ط٣. ١٩٧٤.

المرزوقي: منصف. **عن أية ديمقراطية تتحدثون**. دمشق- دار الأهالي. ط١. ٢٠٠٥.

مسلم بن الحجاج. **الصحيح**. بيروت – دار إحياء التراث العربي. د-ط و ت. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

مصطفى: إبراهيم، والزيات: أحمد، وعبد القادر: حامد، والنجار: محمد علي. **المعجم الوسيط**. طهران- المكتبة العلمية. د-ط. ١٩٠٠.

معاش: مرتضى. **حركة التاريخ بين قدر الاستبداد وحرية الاختيار**. بحث منشور- مجلة النبأ. ١٤١٢ – ٢٠٠٠.

معجم العلوم الاجتماعية. القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب. د-ط .١٩٧٥. تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور.

معجم علم النفس والتربية. القاهرة – الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. د –ط .١٩٨٤.

المعهد العالمي للفكر الإسلامي. **إسلامية المعرفة المبادئ العامة – خطة العمل والإنجازات**. ١٤٠٦-١٩٨٦.

مكاوي: عبد الغفار. **جذور الاستبداد قراءة في أدب قديم**. الكويت –المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. د –ط .١٤١٥ – ١٩٩٤.

مل: جون استيوارت. **أسس الليبرالية السياسية**. القاهرة – مكتبة مدبولي. ط١. ١٩٩٦. ترجمة وتقديم إمام عبد الفتاح أمام وميشيل متياس.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

من أعلام التربية العربية الإسلامية. مكتب التربية العربي لدول الخليج والمنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، والمجمع الملكي لبحوث الحضارية الإسلامية. د-ط. ١٤٠٩-١٩٨٩.

المناوي: عبد الرؤوف. **فيض القدير**. مصر – المكتبة التجارية الكبرى. ط١. ١٣٥٦.

المناوي: محمد عبد الرووف. **التوقيف على مهمات التعاريف**. بيروت – دار الفكر المعاصر. ط١. ١٤١٠ – ١٩٩٠. تحقيق محمد رضوان الداية.

منصور: محمد. **الصندوق الأسود للديكتاتورية**. دمشق – دار كنعان. ط١. ٢٠٠٥.

المودودي: أبو الأعلى. **فرعون في القرآن**. القاهرة – المختار الإسلامي. د – ط. ١٩٨٥. ترجمة أحمد إدريس.

الموسوعة العربية العالمية. السعودية – مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر. ط١. ١٤١٦-١٩٩٦.

الميلاد: زكي. **الفكر الإسلامي قراءات ومراجعات**. لندن- مؤسسة الإنشاء العربي. ط١. ١٩٩٩.

النجار: عبد المجيد. **دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين**. لندن – المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ط٢. ١٤٢٥ – ٢٠٠٥.

النحلاوي: عبد الرحمن. **التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة**. بيروت – المكتبة الإسلامية ط٢. ١٤٠٨-١٩٨٨.

الندوي: أبو الحسن علي الحسيني، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**. قطر – مطابع الدوحة الحديثة. د-ط و ت.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

----------. **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية**. القاهرة – مطبعة التقدم. ط٣. ١٣٩٧-١٩٧٧.

نزال: عمران سميح. **سبل زوال الاستبداد الفكري بين المسلمين**. عمان – دار القراء. ط١. ١٤٢٨ – ٢٠٠٨.

النسائي: أحمد بن شعيب. **السنن الكبرى**. بيروت – دار الكتب العلمية. ط١ .١٤١١-١٩٩٤. تحقيق عبد الغفار البنداري. وسيد كسروي.

نعمان: عصام. **هل يتغير العرب**. بيروت – شركة المطبوعات. ط١. ٢٠٠٣.

النقيب، خلدون حسن. **الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر**. بيروت – مركز دراسات الوحدة. ط١. ١٩٩١.

نمري: علي. **الأمن والمخابرات رؤية إسلامية**. السودان – مركز الدراسات الإستراتيجية. ط١. ١٩٩٦

نور الدين: محمد عباس. **التمويه في المجتمع العربي السلطوي**. المغرب – المركز الثقافي العربي. ط١. ٢٠٠٠.

نوفل: محمد. **دراسات في الفكر التربوي** . القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية. د – ط ١٩٨٥.

النووي: يحي بن شرف. **تحرير ألفاظ التنبيه أو لغة الفقه**. دمشق – دار القلم. ط١. ١٤٠٨ – ١٩٨٨.

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. **نهاية الأرب في فنون الأدب**. بيروت – دار الكتب العلمية. ط٢. ١٤١٤-٢٠٠٤. تحقيق علي بو ملحم.

هجرة الكفاءات العربية بحوث ومناقشات الندوة التي نظمتها اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا. إشراف أنطوان زحلان، بيروت– مركز دراسات الوحدة العربية. ط٢. ١٩٨٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

هلال: رضا. **السيف والهلال تركيا من أتاتورك إلى أربكان الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي**. بيروت – دار الشرق. ط١. ١٤١٩-١٩٩٩.

هلال: نبيل هلال. **الاستبداد ودورة في الخطاط المسلمين**. دمشق – دار الكتاب العربي. ط٢. ٢٠٠٥.

هويدي: فهمي. **حقنا في أن نختلف**. بحث منشور – مجلة لندن. ١٩٩٢.

----------. **تزييف الوعي**. القاهرة – دار الشروق. د-ط. ١٩٨٧.

هيكل: محمد حسين. **الحكومة الإسلامية**. القاهرة- دار المعارف. د-ط و ت.

الواحدي: علي بن أحمد. **أسباب النزول**. بيروت – دار الكتب العلمية. د-ط. ١٩٧٥

وجدي: محمد فريد. **دائرة معارف القرن العشرين**. بيروت – دار المعرفة. ط٣. ١٩٧١.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . **الموسوعة الفقهية**. الكويت – دار الصفوة. ط١. ١٤١٤-١٩٩٤.

وطفة: علي أسعد. **بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي**. بيروت – مركز دراسات الوحدة العربية. ط١ . ١٩٩٩.

يعقوب: أحمد حسين. **النظام السياسي في الإسلام**. عمان. د-ط. ١٩٨٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مواقع إلكترونية

١. www.Isllamonline.net
٢. www.alarabnews.com
٣. www.alwihdah.com
٤. www.kitabat.com
٥. www.aljameah.com
٦. www.iraq٤u.com
٧. www.albayanmagazine.com

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

Abstract

Ragdha Oqleh al-Qassass. " Islamic Education's Methodology in Protection and recovery from Absolutism" PhD Thesis ,Yarmouk University,2009, (Supervisor, Prof. Mohammed Oqleh Al-Ibrahim).

The Current Study aimed at clarifying the meaning of Absolutism, its causes, means and methods of Despots as well as their justifications for their acts in all times and places. Moreover, clarifying the Islamic approach of prevention and recovey from this problem or even reducing its effects of it happens

In order to achieve those aims the researcher followed the Inductive and the Descriptive analytical Approach with devising some principles and guides from different scripts.

The Study ended with several conclusions, the most important are:

1) The meaning of Absolutism is injustice, Domination and Bullying and as it is connected to those meanings it is a blameworthy concept.

2)Absolutism has many reasons that pave the way for its emergence and continuity. Some of those reasons are related to the Despot while other are related to oppressed people, mostly weakness of faith of both parties.

3)Despots have many approaches to enable and dedicate their tyranny, and injustice, those approaches are ranging from violence and moderation as well as intimidation and softness. Tyrants may use many means such as Media, money and the Army.

4)Absolutism has many effects on society and individuals as well as on Despots and oppressed, mostly the bad consequences, damaging individuals entity, spread of injustice and corruption, wasting fortunes and the facilitating country's invasion by others

5)To overcome such problem ,the Islamic Educaction called for preventive action to be taken by following a number of means including enhancing belief, urging on goodness and prohibiting badness, unity, conscious raising, etc

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

6)The Islamic Education contributed not only to be prevtive process against Absolutism but also proposed a number of principles and means such as shura, freedom, justice, etc enabling individual to cope with, eliminate, or counterbalance such oroblem.

Key Words: Absolutism, Islamic education, Methodology

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com